

الْجُرُوبُ الصَّالِيَّةُ

الجزء الرابع

تأليف: وليم الصنوري

ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي



رئيس مجلس الإدارة
د. سمير سرحان

رئيس التحرير
د. عبد العظيم رمضان

الاخراج الفنى : مراد نسيم

الحروب الصليبية

الجزء الرابع

١٤٠٦
١٩٨٥

تأليف: وليم الصوري

ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي



المكتبة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٥

تقديم

يسرني أن أقدم للقارئ العزيز الجزء الرابع من تاريخ الحروب الصليبية لوليم الصوري ، وبه ينتهي هذا الكتاب الهام الذي يعد أحد المصادر الأساسية في دراسة تاريخ الحروب الصليبية .

لقد كتب هذا الكتاب ولیم الصوري (١١٣٠ - ١١٨٤م) رئيس أساقفة صور بالشام أثناء الحروب الصليبية ، وقد شجعه على كتابة هذا التاريخ عموري ملك بيت المقدس ليضمنه أحداث الحرب التي أزمع شنها على مصر ، والتي كان يعتقد أنه سوف ينتصر فيها .

وقد توافرت لدى ولیم الصوري أدوات البحث التاريخي من وثائق وقرارات في المملكة الصليبية والقسطنطينية وروما ، وماحدثه به شهود العيان لأحداث معينة خلت منها كتب التاريخ الاسلامي والمسيحي ، وما كان يقوم به شخصيا من تقصي الحقائق .

وقد راعى ولیم الصوري في كتابته هذه الحيدة التاريخية الى حد كبير انعكس على نقده للملك عموري نفسه ، وتحميله اللوم على ضياع هدفه في الاستيلاء على مصر ، كما تناول بالنقد كثيرين من كبار القادة الصليبيين وقمم المسيحية في الشرق والغرب ، بل

ان بعض البابوات لم يسلموا من نقده . ولم يقتصر تناول وليم الصورى للحروب الصليبية على الجانب العسكرى ، بل تعداه الى النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعمرانية التى تمخضت عنها .

وهكذا يقدم لنا كتاب الحروب الصليبية بأجزائه الأربعة المترجمة الى العربية ، والتى نشرناها فى سلسلة تاريخ المصريين ، سجلا حافلا بأحداث فترة قاربت قرنا من الزمان مليئة بالصراع ، وقد حظى هذا الكتاب بمكان الصدارة بين المؤلفات التى كتبت عن الحروب الصليبية ، على نحو دعا كثير المؤرخين فى أوروبا والولايات المتحدة الى ترجمته الى لغاتهم ، والاستعانة به كمصدر أساسى لمعرفة تاريخ هذه الحروب وعالمها وأهلها وأوضاع العالمين الاسلامى والمسيحى .

وقد ترجم هذا الكتاب الى العربية أستاذ كبير فى تاريخ العصور الوسطى هو الدكتور حسن حبشى بجامعة عين شمس ، وعلق عليه بالتصحيح والتحقيق بفضل المامه بالانجليزية والفرنسية والملايينية والفرنسية القديمة ، فخرجت الترجمة فى أسلوب عربى سليم وديباجة مشرقة .

ونلاحظ ان الأستاذ الدكتور حسن حبشى كان أول من صرف جانبا كبيرا من حياته العلمية فى اثناء المتنبه العربية بترجمة بعض المصادر الأساسية عن الحروب الصليبية التى شارك أصحابها فيها ووقفوا على أحداثها ورأوها رأى العين ومن كان لهم نصيب فى تدبيرها ، ومن تأثروا بها .

لقد ترجم د . حسن حبشى الكتاب المعروف بالجستا أو تاريخ الفرنجة وحجاج بيت المقدس عن الحرب الصليبية الأولى ،

وقد ظهرت هذه الترجمة فى العربية قبل أربع سنوات من ظهور أول ترجمة لها بالانجليزية ، كما ترجم كتاب المؤرخ الفرنسى جوفانفيل عن الملك لويس التاسع وحملته على مصر والشام ، كما نشرت له جامعة الملك عبد العزيز بجدة مذكرات السفير الفرنسى «فلهارديوان» عن الحملة الصليبية الرابعة كذلك ترجم مذكرات الجندي الشعبى « روبرت كلارى » عن هذه الحملة ذاتها ، وهو يعد للطبع كتاب بادربورن عن الحملة الصليبية التى استولى فيها الصليبيون على دمياط، وكتاب «الكسياد» الضخم للمؤرخة اليونانية «أنا كومينا» ابنة الامبراطور الكسيوس كومنين الذى كان له ضلع ربما اغضب رجال عصره الغربيين لما ترتب عليه من نكبات لحقت بالقسم الأول من الحملة الصليبية الأولى المعروفة بحملة الرعاع ، كما أن د / حسن حبشى يعد للطبع حوليات مؤرخ «سريانى مجهول عن الحربين الأولى والثانية الى غير ذلك من المصادر الصليبية الأولى .

ويظهر اهتمام د / حسن حبشى بالمصادر الأساسية فى نشره وتحقيقه لكتابات المؤرخين المسلمين عن فترات شاهدها وساهموا فى أحداثها كانباء المغمر بأنباء العمر لشيخ الاسلام ابن حجر فى أجزاءه الأربعة التى قام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بنشر ثلاثة أجزاء ضخمة منها والرابع فى طريقه للظهور ، وكتاب « نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ أهل الزمان » لمعلى بن داود الصيرفى فى أربعة أجزاء كبار ظهر آخرها فى يناير ١٩٩٤ ، وانباء المهندي لـ نفس المؤلف ، وكتاب حوليات دمشق عن دمشق وغير ذلك ، الى تحقيقه للمعجم الضخم الموسوم بعنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران للامام البقاعى وهو فى ستة مجلدات ضخمة وينشره مركز التراث بدار الكتب المصرية ، ومختصره « عنوان العنوان » وكلاهما لمن عاصرهم المؤلف من رجال وقته ونسائه ، وأدرج المؤلف فيه عرضا للحركة الأدبية والشعرية وأحداث عصره .

الى غير ذلك من مؤلفات وأبحاث قام المترجم بها فى اللغتين العربية والانجليزية يراها القارئ فى ختام هذا الجزء .

ويسرنا ان الأستاذ الدكتور حسن حبشى قد أضاف بآخر الترجمة ملحقا - يكاد ان يكون وحده كتابا مستقلا وهو ما يثرى هذه الترجمة ثراء كبيرا ، كما قام بنفسه بعمل كشاف كامل يساعد القارئ على الوقوف سريعا على ما يبتغيه ، كما عمد الى تصويب الأخطاء التى وقعت فى بعض صفحات الأجزاء السابقة .

والله أدعو ان يفيد بهذا الكتاب أمتنا العربية ، التى استقبلت أجزاء السابقة بالحفاوة والترحيب والتقدير .

والله الموفق

الهرم فى ١/٩/١٩٩٤

رئيس تحرير السلسلة

١ . د . عبد العظيم رمضان

مقدمة الجزء الرابع

بقلم المترجم

هذا الجزء الرابع هو ختام دراسة ضخمة متصلة كتبها المؤرخ
وليم الصوري (١١٢٠ - ١١٨٤م) عن فترة عاش معظمها ويشارك
في كثير من أحداثها مشاركة إيجابية ، وانكب على دراسة ماتوفر
عنده من وثائق واتفاقيات ورسائل في العربية واللاتينية واليونانية ،
وأخرج منها هذا السفر الذي يسعدني أن أضمه الى سلسلة وثائق
ومصادر الحروب الصليبية التي أرى أنه لا يمكن أن تستقيم كتابتها الا
بعد تزويد القارئ العربي بهذه المصادر الاصلية أو - على الأقل -
بجانب كبير منها لتتضح حقيقتها ويغدو الحكم عليها أقرب للصحة
واليقين .

ولقد رأيت ان أضيف الى الترجمة العربية كشافات بالأعلام
والأماكن الجغرافية وغيرها مما ورد في ثنايا الترجمة ، كما
استعنت بمصادر عربية وغربية في هذه الترجمة : تعليقا وإضافة
وشرحا ونقدا وتصحيحا وعرضا .

ولم يفتنى أن أثبت الصورة القلمية للأسماء الأعجمية حسب
منطوقها في ذلك العصر برسمها الأجنبي ليسهل على السائح
التفتيش عنها في مظانها الأصلية .

والحققت الترجمة بملحق لبعض الأسماء والتعابير الصليبية
والمسيحية واليهودية والأماكن المقدسة فى العهدين القديم والجديد
مستعيناً بالمصادر العلمية والشروح الدقيقة المتعلقة بالتوراة والانجيل
وكذلك فسرت فى هذا الملحق بعض ما يبهם فهمه من تعابير ذلك العصر
حتى يتمكن القارئ العربى الحديث من التيسر على مايرد فى
الترجمة العربية من اشارات لأماكن وأشخاص وأحداث قد يبههم عليه
فهما ان لم يطالع هذا الملحق .

ولا أحب أن يفوتنى أن أشكر الهيئة المصرية العامة للكتاب
ورئيسها د . سمير سرحان ، وكذلك د . عبد العظيم رمضان
رئيس سلسلة تاريخ المصريين .

والشكر أولاً وأخيراً لله شكر المقر بفضل له لما أولانى من النعمة
والبركة إذ أعاننى فى تحقيق أمنية من أمانى العلمية كانت أملاً
يرادنى فى أن أرى هذا المصدر التاريخى فى يد القارئ العربى
الى جانب ما ترجمته من المصادر الأصلية وما أرجو من الله أن يعينى
على تقديمه من هذه المصادر .

وما هدفى الا خدمة التاريخ الصحيح والقارئ واثارة السبيل
أمامه فى درب الدراسات التاريخية الجادة . ومن الله السداد
والوفيق .

القاهرة فى ١٤ أكتوبر ١٩٩٤ د . حسن حبشى

* * *

عمورى الأول والنزاع حول مصر

- ١ - عمورى يخلف أخاه بلدوين على العرش .
- ٢ - خصائص الملك عمورى وبعض ملاحظات عن حياته وعاداته
- ٣ - صفاته الجسمانية ، وسؤاله أحد أصدقائه للخلاص الروحى .
- ٤ - خبر اضطرابه - قبل تنويجه - لفارقة زوجته الشرعية طبقا للقوانين الكنسية .
- ٥ - الملك يزحف على مصر ويدور الاقتال بينه وبين السلطان ضرغام . شاور يستدعى شيركوه الى مصر . ضرغام يرسل الرسل الى الملك عمورى فى طلب الصلح .
- ٦ - موت بطرس رئيس أساقفة صور واستخلاف فردريك أسقف عكا مكانه .
- ٧ - مصرع السلطان بتدبير من بعض جماعته فيصبح شاور

- سلطانا مكانه • شاور يدعو عمورى لمساعدته فيزحف الملك الى مصر ويخرج شيركوه بالقوة •
- ٨ - هزيمة نور الدين قرب طرابلس ونجاته هربا من الوقوع فى ايدى الصليبيين بعد طول مشقة •
- ٩ - نور الدين يحاصر حصن حارم من ارض أنطاكية • وقوع امير أنطاكية وكونت طرابلس و « كولمان » حاكم قيليقية فى أسره •
- ١٠ - وصول تييرى كونت فلاندرز الى الشام ومحاصرة نور الدين مدينة « بانياس » واستيلاؤه عليها •
- ١١ - الملك يمضى الى أنطاكية بعد رجوعه من مصر • اطلاق سراح الأمير من أسره بعد دفع الفدية وتسليم قلعة فى صيدا الى الترك الذين يستولون أيضا على حصن آخر وراء الأردن •
- ١٢ - وليم مؤلف هذا الكتاب يعود الى دياره ووصف ذلك وفذلكة عن بعض نشاطه •
- ١٣ - شيركوه يزحف الى مصر على رأس قوة كبيرة من المعسكر •
- ١٤ - الملك عمورى يذهب هو الآخر الى مصر لمساعدة المصريين متتبعا لشيركوه •
- ١٥ - وصف وليم لمدينة القاهرة وبعض الملاحظات عن مؤسسها •
- ١٦ - الملك يزحف شمالا لمواجهة شيركوه الذى يعبر النهر ان يتوقع هذه الحركة •
- ١٧ - السلطان يجدد الاتفاقية لى يطيل بقاء الملك الى جانبه فى مصر •

- ١٨ - ايفاد الرسل للحصول من الخليفة على تجديد الاتفاق .
وصف روعة القصر الخلفى .
- ١٩ - ابرام الاتفاقية وتأكيدها من جانب الخليفة بمد يده اليمنى مصافحا « هيج » صاحب قيصرية .
- ٢٠ - لماذا يدعى خليفة مصر مولانا .
- ٢١ - السبب فى تلقيب أمير مصر بالخليفة ، ولماذا هو خصم لخليفة بغداد .
- ٢٢ - الملك « عمورى » يقيم جسرا على النيل ، وشيركوه ينزل فى الجزيرة فيهاجمه الملك .
- ٢٣ - وصف الجزيرة وأسماء فروع النيل التى تصب فى البحر وعدد هذه القروع - الصليبيون يخرجون العدو ويملكون الجزيرة فيهرب شيركوه الى الصحراء .
- ٢٤ - أرض مصر وخصائصها .
- ٢٥ - نشوب معركة حامية فى الصحراء بين الملك وشيركوه .
- ٢٦ - شيركوه ينسحب الى الاسكندرية فيمضى اليه الملك على جناح السرعة ويحاصر المدينة .
- ٢٧ - وصف موقع الاسكندرية .
- ٢٨ - استمرار الملك فى الحصار وفى مضايقة المصريين أشد المضايقة .
- ٢٩ - مبادرة شيركوه عند سماعه هذا الخبر للتفاوض مع «هيج» صاحب قيصرية لعقد الصلح .
- ٣٠ - هيج يعد بنود الاتفاقية مع الملك والبارونات .
- ٣١ - استسلام مدينة الاسكندرية للملك وعلان الصلح لى اهلها .
- ٣٢ - عودة الملك الى دياره منتصرا وتسريحه للجند .

هنا يبدأ

الكتاب التاسع عشر

الملك عمورى والمرحلة الأولى من النزاع حول مصر

- ١ -

مات بلدوين الثالث رابع ملوك بيت المقدس اللاتين دون أن يترك ولدا من بعده كما ذكرنا ، فخلفه على المدينة المقدسة أخوه الوحيد « عمورى » كونت يافا وعسقلان ، وبذلك صار فى سنة ١١٩٣ م من ميلاد سيدنا (المسيح) رابع ملك لاتينى لها ، وهذه السنة هى العام الثانى والستون من تحرير تلك المدينة الحبيبة الى الله ، وكان على كرسي الكنيسة اللاتينية يومئذ البابا اسكندر الذى كان قد مضى على بابويته ثلاث سنوات ، أما كنيسة القيامة فكان يتولاها « أمالريك » (١) وهو تاسع بطاركتها اللاتين الذى أمضى فى بطركيتها أربع سنوات . أما كنيسة أنطاكية فكان يرأسها

« ايمرى » (٢) تاسع البطارقة اللاتين عليها ، وذلك فى السنة العشرين من ادارته .

أما كنيسة صور فكانت تحت امرة « بطرس » ثالث رؤساء اساقفتها اللاتين بعد الاستيلاء على هذه المدينة (من أبدى المسلمين المصريين) ، وهى السنة الثالثة عشرة من ولايته اياها .

أدى اعتلاء « عمورى » العرش بعدموت أخيه بلدوين الى ظهور شقاق كبير بين باروبات المملكة الذين كان تغير الملوك ذا أثر يختلف فى الواحد منهم عن الآخر ، والحق أن هذا النزاع أوشك أن ينتهى الى تصدع حاد كاد أن يطغى على خطر الانشقاق الدينى ، لكن حسن طالعنا تمثل فى أن العناية الالهية لم يكن يفوتها انجادنا واسعاغنا بلعلاج الشففى فى أشد الأزمت حلوكه ، فقد كان رجال الدين والشعب ورهط غير ضئيل من كبار رجال المملكة يؤيدون « عمورى » كل التأييد مما عجل بفشل محاولات النبلاء المتدمرين ، ومن ثم فانه فى اليوم الثامن من وفاة الملك بلدوين (الثالث) تبوأ سدة المملكة أخوه « عمورى » وكانت وراثته اياها شرعا ، ومن ثم مسح بالزيت المقدس فى كنيسة القيامة بيد البطريرك الذى كان يساعده من كانوا موجودين حينذاك من رؤساء الأساقفة والأساقفة وكافة رجال الكنيسة ووضعوا التاج على رأسه . وكان أخوه الملك بلدوين (الراحل) قد نصبه من قبل فارسا ومنحه بمحض ارادته التاج وأصبح كورنت يافا ثم قام أخوه بلدوين الطيب المذكر فتفضل عليه بكرمه المملوكى فأقطععه مدينة عسقلان ، التى هى مدينة الفلسطينيين العظيمة التى كان قد تم الاستيلاء عليها زمن بلدوين ، وهكذا عادت بعد فترة طويلة الى حظيرة الايمان المسيحى ، وقد فصلنا ذلك بأوضح مما نقوله الآن حين كنا نروى أخبار عهد بلدوين .

كان « عمورى » يوم اعتلائه العرش فى السابعة والعشرين من عمره ، وامتد حكمه احدى عشرة سنة وخمسة أشهر .

امتان « عمورى » بالحصافة والرشد « والخبرة بالمشئون
الديوية ، وكانت فيه لكمة بسيطة اذا تكلم ، لكنها لا تعيبه عيبا
شديدا فتعد عاهة تمسك لسانه عن التعبير بطلاقة عما يريد
الافصاح عنه ، لذلك كان رأيه أحسن من نطقه أو تعبيره ، هذا الى
جانب المامه بالقانون السارى الذى تدير المملكة على هديه ، وكان
لا يوجد له ضريب فى هذا الامام ، بالاصافة الى تفوقه على جميع
أشراف المملكة فى حدة الذكاء وحضور البديهة ، فساس الأمور
بحزم وفطنة ابان الأزمان الكثيرة التى وقعت أثناء محاولاته القوية
المستمرة لحد حدود مملكته ، كما أنه كان جريئا على الدوام فى ابداء
رأيه من غير خوف مع تصميم بات ، هذا الى جانب أنه كان قد
تلقى قسطا كبيرا من التعليم وان يكن أقل مما أتيح لأخيه ، ويرجع
الفضل الى ذكائه الحاد وذاكرته الواعية فى أنه كان على جانب
كبير من الدراية بالمسائل التى لم تكن بذات موضوع عذ سلفه ،
وقد أعانه على ذلك ما جرى عليه من مداومته سؤال غيره والنظر
فى الكتب كلما أتاحت له فرصة فراغ من مشاغل المملكة فيمضيها
فى القراءة ، وكثيرا ما كان يسأل أسئلة تفصح عن براعته ، ثم يجد
اللذة فى ايجاد حلول لها ، وكان يصغى الى رواية التاريخ اصغاء
تاما جيدا ويؤثره على شتى فنون المعرفة ، وكان لا يسمع شيئا
الا وعاه ولا ينساه أبدا بل يرويه بعد حين فى يسر ودقة ، وكانت
الأمور الجدية تستغرق كل انتباهه فلا يميل الى المظاهر التمثيلية
أو ألعاب الحظ ، بل يلتذ بمشاهدة الصقور والشواهين وهى تطارد
فريستها ، كما كان صبوراً جلدا على تحمل المشاق وان كان يضيق
بالحر والرد الشديدين لامتلاء جسمه ولفرط سمته .

وبلغ من تقواه أنه أمر برد الخشور للكنيسة كاملة غير منقوصة ولاحتنازع عليها ، كما بلغ من ورعه أنه كان يستمع الى القداس كل يوم ما لم يمنعه من ذلك مرض يقعه أو طارئ جسيم يحول بينه وبين السماع ، هذا الى جانب رباطة جاشه فى تحمل الشدة ثم والتفريع الذى طالما واجهه وهو يسير بين العامة أو فى مجالسه الخاصة ، وربما صدر ذلك من أفراد لا يعتقد بهم ، ولكنه كان يبالح فى كتم مشاعره حتى ليخيل لرائيه أنه لم يسمع قط شيئاً مما قيل .

كان « عمورى » الى جانب ذلك وسطاً فى مأكله ومشربه ، مؤثراً الاعتدال ، كارهاً الإفراط فى تناول الطعام ، ويقال انه كان كبير الثقة فى عماله فلم يكن يسألهم موافقاته بكتشوف الحسابات ثقة منه بهم حتى عهد اليهم بإدارة شئونه ، وكان يرفض الاستماع الى أى طعن فيهم وفى أمانتهم ، وهو أمر يعده بعض الناس خطأ منه ويعتبرونه عيباً يلام عليه ، على حين يراه غيره فضيلة ويقولون ان ذلك برهان على صحة اطمئنانه اليهم .

الى جانب هذه الصفات الذهنية والخلقية العظيمة الا أنه كانت فيه نقائص جليلة للعيان شهرت من الصفات الحميدة التى ذكرناها وطمسست بعض رونقها ، ان كان ينقصه المزاج اللطيف مع ندرة كلامه ، كما تموزه الشاشنة التى ربما كان الأمراء أكثر احتياجاً اليها من بقية الناس كى يكسبوا حب رعاياهم ، فقلما كان « عمورى » يتكلم الى أحد ما لم ترغمه الضرورة على الكلام اليه ، مما كان منقصة فيه تلاحظ أكثر ما تلاحظ اذا ما قورن بأخيه بلدوين الذى كانت تسعفه الكلمات على الدوام ويصطنع البشاشة مع الجميع .

ويقال ان « عمورى » أطلق العنان لشهواته فلم يكبح جماح رغائب جسده ، فكم من نساء متزوجات أفسدن ، .. فليغفر له الرب ما فعل ، وليسامحه .

وزيادة على ذلك فانه كان شديد المناهضة لحرية الكنائس حتى انها وجدت اشد الفتنة زمن حكمه ، ما أرهاقها به من مطالبه المستمرة التي كان يفرضها على اوقافها حتى غرقت الاماكن المشرقة في الديون بصورة لم تستلج عائداتها الوفاء بسدادها .

كان حبيب « عمورى » للمال أكبر مما قد يحتاجه أو مما يكون حقه مشروعا له ، ان كان يحصل عليه تارة في صورة هدايا ، وتارة أخرى يترسل اليه مارك متأنف مقتضيات العدالة والانصاف ، ولقد حاول في حديث دار سينى وبينه أن يبرر جشعه للمال فقال :

« يجب على كل أمير أو ملك أن يعمل على ألا يكون في ضيق ذات اليد لمسبيين ، أولهما : أن ثروة الرعية تكون دائما في أمان تام ما ظل الحاكم غير محتاج للمال ، وثانيا : أنه يجب أن يكون تحت يد هذا الحاكم أو ذاك من المال ما يكفيه لسد ضرورات مملكته الملحة ان جد طارئ لم يكن في الحسبان ، ان يجب على الملك في هذه الحال - ان كان فطنا - أن يكون أسحى ما يكون يدا على هذه الاحتياجات ، فلا يمسك كفه عن الصرف عليها ومن ثم فانه من الواضح الجلى أن كل شيء يحوزه الملك انما يحوزه لا لمنفعته الخاصة بل لصالح المملكة » .

ولا يستطيع أحد ما حتى - خصومه - ان ينكروا أن هذه مبررات كانت ملائمة لظروفه ، ذلك لأنه في الظروف العصيبة التي مرت بها المملكة لم يقصر في الصرف ، ولم يمنعه الارهاق الجثمانى عن بذل الجهد ، غير أن أموال رعاياه كانت أبعد ماتكون عن الأمان لأنه كان يغتنم الفرصة بين أن وآخر ويتذرع بأثفه الذرائع لاغتصاب ممتلكاتهم .

كان « عمورى » ذاقامة مديدة ، فهو أطول من كثيرين وان يكن أقصر من أصحاب البنية البالغة الضخامة ، وكان وسيم التقاسيم ، يفصح سلوكه بجلاء - حتى للغرباء عنه - عن سلوك ملكى يستحق الاحترام ، وكانت له عينان براققتن متوسطتى الحجم ، وأما أنفه فكان أقنى متناسبا كأنف أخيه ، وأما شعره فأشقر تمتد خصلاته الى الخلف ، وتكسو خديه وذقنه لحية جميلة كثة ، وكان اذا ضحك قهقه حتى ليهتز جسده كله ، كما يجب الحديث مع أهل الحكمة والفطنة ومن لهم المام كبير بالبلاط البعيدة ومعرفة تامة بالعبادات الأجنبية •

وأذكر أنه تفضل فدعانى ذات مرة دعوة ودية الى قلعة « صور » وقت أن كان يعانى من حمى خفيفة ليست بالخطيرة ، وكنت خلال ساعات استجمامى وفى الفترات التى تكون بين نوبات الحمى المتقطعة أتناول معه كثيرا من المواضيع تناولا وديا ، وأجيبه عن بعض أسئلته بقدر ما يسمح به الوقت آن ذاك ، والحق أنه استفاد كثيرا من مناقشاتنا معا ، وكان من بين ما سألنيه آن ذاك سؤال أفرغنى أشد الفزع لأنه لم يكن استفسارا مألوفا ، الى جانب أن موضوعه قل أن يكون موضوع نقاش ، لأن ديننا العالمى قضى فيه بما لا مجال لمناقشته ، واعتبره عقيدة صادقة - كما أنه جرح قلبى جرحا غائرا إذ أحس أن أميرا ارثوذكسيا صادق الايمان مثله وسليل أسلاف مؤمنين ، تساوزه الريبة فى عقيدة ثابتة ، إذ لا يجوز أن تكون هذه العقيدة موضع شك يتلجج به صدره •

ومختصر القول أنه سألنى « هل لو أننا خيلنا جانبا تعاليم المخلص وتعاليم الأزار الذين اتبعوا المسيح ، والمبادئ التى ليست

موضع شك ، فهل ثم دلائل صريح وينة قاطعة على أن هناك قيامة بعد الموت ؟ » ، ففرغت من بدعة الاستفسار وقلت له : « ان فى تعاليم سيدنا وفادينا الكفاية فى الرد على ما تسأل عنه ، فالمسيح يبشر فى فقرات كثيرة من الانجيل بقيام الجسد بعد الموت ، كما وعد بأنه هو ذاته سوف يأتى كقاض يقضى فى كل شىء بما يرى ، وأنه ليقول للصفوة انه معطيهم مملكة طاهرة ، أما الأشرار فسوف يخلدون فى الجحيم الأبدى الذى أعد للشيطان وأعوانه ، ويكفى بيسان الرسل البطوبانيين وأنبياء العهد القديم » . فرد على كلامى بقوله : « اننى أعتقد اعتقادا جازما بكل ما قلته ، ولكننى أتمس ردا قاطعا يمكن البرهنة به لمن يشك فى هذه الأمور ولا يؤمن بدين المسيح ولا يعتقد فى بعث مقبل ، أو فى وجود حياة أخرى بعد الموت » .

فأجبت . « اذن ضع نفسك موضع رجل منكوب ، ودعنا نحاول تأكيد شىء حول هذا الموضوع » .

قال : « حسنا » .

فسألته : « ألسنت تعترف بأن الله حق ؟ » .

قال : « بلى .. وأنه لحق ما بعده حق » .

فتابعت كلامى قائلاً : « ثم أليس من الحق أيضا أن تجازى الحسنة بالحسنة ، والسيئة بالسيئة ؟ » .

فأجاب : « صدقت فيما قلت » .

فاسترسلت قائلاً : « ان مثل هذا الأمر لا يقع على الدوام ، لأن هناك بعض الخيرين لا يلقون سوى المتاعب والعناء فى هذه الدنيا ، بينما هناك قوم سوء ينعمون بالسعادة الدائمة ، ولنا فى الحياة اليومية ما يؤكد هذه البينة » .

فأجاب : « ان الأمر كما تقول » .

فواصلت حديثي قائلاً « اذن فان هذا سوف يقع فى حياة أخرى ، لأنه من المستحيل ألا يعدل الرب فى قضائه ، ومن ثم فسوف تكون حياة أخرى ، ويكون ثم بعث لهذا الجسد حيث يجزى كل امرئ عما فعل فى هذه الدنيا : ان خيراً فخير ، وان شراً فشر » .
فرد قائلاً « يبدو لى أن هذا الأمر صواب فوق لكل صواب .
وانك انت من قلبى كالشك يمحو هذه كل ارتياب » .

واطمأن قلبه بهذا الكلام كل الاطمئنان .

لكن هيا بنا نعود الى موضوعنا .

لقد كان « عمورى » مفرط السمعة ، ذا شديدين كبيرين كثنديى المرأة يتدليان حتى وسطه ، غير أن الطبيعة رحمت بقية أعضائه وعطفت عليها فلم تكثف بأن تحبوا بالتناسق ، بل زادت فحبثها بجمال غير عادى ، وما كان خصومه بقادرين أن ينكروا أنه كان معتدلاً فى ملذاته الجسدية ، فحرم على نفسه الخمر فلم يكن يقربها أبداً .

- ٤ -

تزوج « عمورى » من « أجنس » ابنة جوسلين الصغير كونت الرما (سنة ١١٥٧ م) وقت أن كان أخوه بلدوين (الثالث) لا يزال منصرفاً الى سدة الحكم ، وقد حالقه النجاح فى حكم المملكة ، وأنجب من « أجنس » خلال حياة أخيه طفلين أما أحدهما فذكر سماه « بلدوين » وهو الذى عمده عمه وسميه (بلدوين الثالث) فى جرن المعودية الطاهر ، وأما الآخر فكان بنتاً سماها « سيبىلا » باسم

عمتها كونتيسة فلاندرز ، التى هى سقيقة كل من بلدوين (الثالث)
و « عمورى » .

ولما لست المماسة الى عمورى بالطريق الشرعى بعد موت أخيه
اضطر الى ابعاد زوجته (٣) التى كان قد تمزواجه منها فى البداية
رغم مهارضة البطرک « فولشر » الطيب الذكر ، وكانت هذه
المعارضة من جانب البطرک بسبب أن القرابة بين « عمورى »
و « أجنس » كانت قرابة من الدرجة الرابعة ، وقد أثبت صحتها
وأكدتها فى وجه الكنيسة اقارب كل من الطرفين « عمورى »
و « أجنس » ، ومن ثم لم يتوان الملك عن فسخ عقد الزواج حسبما
يقضى القانون الكنسى ، وتم الطلاق فى حضور كل من البطرک
« أمالريك » (٤) الطيب الذكر والنائب البابوى « يوحنا كرينال
كنيسة القديسين يوحنا وبولص » ، وقد قام جماعة من اقارب
« عمورى وأجنس » بتأكيد هذه الرابطة باليمين الغليظة ، مقسمين
بأن الحقيقة انما هى التى قرروها ، ثم أضيف شرط ينص على
وجوب اعتبار ابنى الطرفين شرعيين ، وأن لهما الحق التام فى
ارث ما خلفه أبوهما .

ولما كنت شديد الاستغراب لأمر كهذه الأمور فقد قمت فيما بعد
بتقص دقيق عن درجة القرابة التى تربط بين الاثنين ، وذلك لأنه
فى الوقت الذى جرى فيه هذا النقاش الحاد بالقدس كنت لا أزال
تلميذا فى المدارس ، بعيدا فيما وراء البحر ، منصرفا لدراسة
الآداب والقانون ، وأفضى بى الأمر أخيرا للحصول على ما حصلت
عليه من المعلومات من السيدة « تيفانيا » رئيسة راهبات دير المقدسة
مريم الكبيرة ، وهى الدير الواقع قبالة قبر السيد فى القدس ، وكانت
هذه المرأة التى عاشت ما عاشت ظاهرة الأنيل نقية السريرة هى
ابنة « جوسلين » الكبير كونت الرها وأخت « روجر » أمير أنطاكية

ابن « ريتشارد » وعلى الرغم من أنها كانت قد بلغت من العمر أرذله
الا أنها كانت تعنى تفاصيل هذا الموضوع وعيا تاما مكنها من أن
تسرد على الصورة التالية أنساب الزوجين سردا عن ظهر قلب .



كان « بلدوين دى بورج » ذنى ملوك بيت المقدس الرجل الرائع
فى كل ناحية (والذى فصلنا كل جوانب حياته : الطيب منها والسيئ
على السواء حين تناولنا عهده) أقول انه هو وجوسلين الكبير
كانا ابنين لأختين شقيقتين .

وقد ولدت الملكة مليزند لبلدوين ملكين هما : بلدوين الثالث
وعمرى .

كذلك خلف جوسلين الكبير : جوسلين الصغير والد الكونتيسة
« أجنس » التى كنت فى الواقع - وليست سريعا - زوجة لعمرى ،
كما أنه خلف أخاها جوسلين الثالث الذى هو الآن « سنكال » الملك
وخال الملك « بلدوين » الرابع الحاكم الآن .

ولقد ظل « عمرى » فترة من الوقت أعزب لم يتزوج ، غير
أن « أجنس » سرعان ما ربطت نفسها برابطة الزواج بالذيل السرى
« هيج دى ابلين » (ابن باليان الكبير) أخى بلدوين صاحب مدينة
الرملة الذى له الحكم فيها الآن والذى مات أخوه من غير ولد يخلفه
ويرثه ، كما انه كان أخا لبليان الصغير الذى اقترن (فيما بعد)
بأرملة الملك عمرى .

وحدث بعد وفاة « هيج » وفى حياة عمرى أن ارتبطت
« أجنس » برينو صاحب صيدا بن « جيرارد » بنفس وشيخة الحب
التى سبق لها أن ارتبطت بمثلها - وكانت أبعد عن الشرعية -
بعد ارتباطها الشرعى السابق بالملك « عمرى » ، وذلك لأن « جيرارد »

والد رينو كانت تربطه وشيجة الدم والقربى بها ، كما يؤكد هو نفسه أنه سدمع ذلك من أسلافه .

ونرتب على ذلك أن صدر قرار ثان بفسخ الزواج ، وكان هذا القرار مطابقا لما ذكرناه حالا .

— ٥ —

بعد أن وطد « عمورى » نفسه على عرش القدس وخلال العام الأول من حكمه قام المصريون فرفضوا دفع الجزية التى كانوا قد قبلوا أن يدفعوها حسب الاتفاق المبرم بينهم وبين أخيه ، لذلك جمع الملك طائفة كبيرة من الفرسان وجيشا كثيفا زحف به على مصر فى مستهل شهر سبتمبر ، فهب لصدده « ضرغام » حاكم تلك المملكة الملقب فى لغة أهلها بالسيطان ، وتصددى له على رأس جماعات لا يحصىها العدد ، ولم يحجم عن المخاطرة بلقائه فى الصحراء بمصر ، لكنه لم يكن قادرا على احتمال هجوم الصليبيين ، وانتهى الأمر بأن راح معظم عسكريه ما بين أسير وقتيل مما أرغمه على الارتداد الى أقرب مدينة اليه يسمونها بلقتهم المصرية « بلبيس » (٥) .

حينذاك تسرب الفزع الى نفوس المصريين مخافة أن يصمم الملك (عمورى) على الزحف بعسكره والذوغل فى المملكة حتى أقصاها بعد احرازه هذا النصر ، لذلك راحوا يلتمسون علاجا لوقف حملاتنا ، فدفعه اليأس على كسر السدود المائية التى كانوا يحجزون مياه الفيضان وراءها حتى يحين الوقت المناسب ، فيعمدون الى تفجيرها وهى فى أقصى ارتفاعها فتغرق ما حولها ، وكان المصريون يطمعون أن تقم هذه السدود بالمحولة دون أى تقدم آخر من جانب أعدائهم ، كما أنهم كانوا يطمعون أن يطمئنوا الى سلامتهم بسبب هذه المياه التى تكتنفهم فى كل مكان .

حينذاك عاد الملك « عمورى » الى مملكته ظافرا مجللا بالمجد
فقد قهر أعداءه وتكفلت حملته عليهم بالنجاح .

وكان قد حدث قبل هذا بقليل أن ضرغاما الذى كان له الحكم
فى مصر كلها وسلطانها لها كما ذكرنا قد نحى عن نفس المنصب
أميرا آخر قويا اسمه « شاور » ، وتوسل بالعنف تارة وبالمكيدة
تارة أخرى لاجداث هذا التخيير . لما أن الأمير شاور أصبح فى
الفرار ساء نفسه ومضى الى أبناء عشيرته العرب . أصبحا معه
أصدقاءه وأتباعه ، وحاملا كل ما استطاع حمله من الأموال ،
واختبأ هناك بين خاصته فى انتظار ما ينجلي عنه الموقف ويتمخض
عنه الحرب ، وكان يطمح أن تسعفه قريبا الفرصة الطيبة ليقلب
فيها المائدة على منافسه ، ثم بلغه خبر عودة الملك الى وطنه مع
خبر استمرار خصمه فى الحكم ، جامعا بين السطورة والجاه ، وازدهى
الغرور ضرغاما فزاد عن ذى قبل ، وتباهى عن غير حق بأنه قاتل
فى ساحة الوغى زعيما قويا (٦) ، وأرغمه على الارتداد من غير
أن يمكنه من انزال الضرر الكبير بالبلاد ، لذلك أسرع شاور الى
الأمير القوى نور الدين (٧) صاحب دمشق ملتسما منه العون والنجدة
راغبا فى عودته الى مصر ليخرج منها منافسه ضرغاما فيستعيد
هوسيطته على البلاد مرة أخرى فاستجاب نور الدين لعرض شاور
واستمالته اليه هداياه ووعدوه ، وطمع أن يستحوذ على مملكة مصر
لنفسه لو تمكن جيشه من دخولها ، لذلك أُرْدِف شاورا بكبير فرسانه
شيركزه المحارب القدير ، وكان شاور جم النشاط ، ذاتفس متطلعة
للمجد ، وصاحب خبرة واسعة فى الشئون الحربية ، هذا الى جانب
ما كان عليه من الكرم الذى جاوز حدود دخل لشجاعه ، بالإضافة
الى حب أتباعه له دبا عظيما ناجما عن سخائه عليهم وبسطه كعب
جوده اليهم .

وكان سيركوه رجلاً ضئيل البنية ، شديد البدانة ، مفرط السمينة بصورة ظاهرة ، وقد تقدم به السن ، وعلى الرغم من تفاهة أصله إلا أنه ارتفع بموهبته من أدنى الرتب حتى بلغ مرتبة الأمراء ، وكان يشمكى من مرض باحوى عينيه ، ولكنه كان صبوراً على حمل الآلام والتعب والجوع والظمأ تحملاً غير مألوف .

وإن هو الرجل الذى أرسله نور الدين الى مصر على رأس جيش كبير ، وكانت الرسل دائمة التردد بينهما ، ففسرهم منهم الأمير ضرغام (٨) بأن عدوه الذى أخرجه من قبل عائد الآن بجيش تركى قوامه الآلاف المؤلفة من الجند ، وما لبث هذا الخبر أن ذاع وشاع .

ولما كان ضرغام قليل الثقة فى قوته الذاتية فقد اضطر لطلب النجدة على يد رسل بعثهم الى الملك « عمورى » ومعهم كتاب سلام ألح فى سطروره على التماس الغوث لمجابهة العدو الذى أصبح الآن يهدده بالهجوم عليه ، وتعهد ضرغام من جانبه ألا يقتصر على دفع الجزية التى كان قد اتفق عليها مع عمورى من قبل ، بل زاد فى المبلغ حسبما يقرر الملك ، كما صرح بأنه مستعد لارسال الرهائن اليه دليلاً على صدق خضوعه الدائم له ، وأنه عاقد العزم على محالفته محالفة لا يشجبها بأى حال من الاحوال .

٦ -

فى هذا الوقت وفى مستهل مارس من السنة الثانية من حكم الملك « عمورى » سار بطرس رئيس أساقفة صور الموقر المخلص لله فى الطريق الذى لا بد لكل مخلوق أن يسير فيه ، وما انقضت أيام الدلائل على ذلك - وقبل انصرام الشهر - حتى تم تعيين « فردريك »

أسقف عكا وكبير رجال كنيستها مكان بطرس حسب ارادة الملك .

كان « فردريك » - وهو من مواليد « لوئشارنجيا » - نبيلًا في ذاته ، فارع الطول بصورة ملفتة للنظر ، وهو وإن كان قد تلقى من العلم قسطًا طيبًا إلا أنه كان مكرسًا نفسه كل التكريس لفن الحرب (٩) .

- ٧ -

أخذ الرسل المصريون في هذه الأثناء في مفاوضة الملك ، وتوصلوا في الواقع إلى اتفاق ارتضاه الطرفان ، لكن حدث قبل قليل من رجوعهم إلى ديارهم أن تمكن شاور وشيركوه المشار إليهما من دخول مصر على رأس عسكريهما ، والتقى في ساحة القتال بالسلطان ضرغام الذي هزمهما في أول لقاء بين الجاذين هزيمة نكراء ، وحدث قبل أن يجربا حظهما في معركة أخرى أن أصيب ضرغام بسهم غرب رماه به أحد رجاله (١٠) فمات منه فبكاه أتباعه أحرى بكاء ، فدخل شاور القاهرة إذ مات خصمه دخول الظافر المنتصر كما كان يتمنى ، وحكم السيف في رقاب أصحاب ضرغام كلهم وأقاربه وحواشييه الذين أمكنه العثور عليهم، وبذلك عاد إلى المكانة السابقة التي كان عليها من قبل ، ولم يكن تولى هذا المنافس أو ذاك بأمر ذي بال عند الخليفة (العاضد) حتى يكثرث به طالما أن هناك من سوف يكرس نفسه كالعبد لرعاية شئون مولاه الخاصة وشئون رجال المملكة .

وبادر شيركوه إلى مهاجمة مدينة « بليس » القريبة منه واعتبرها من ممتلكاته الخاصة ، وظهر من أعماله - ول ومن أقواله أيضًا أنه عازم - لئلا واتاه الحظ - على إخضاع بقية البلاد لسلطانه

رغم وجود السلطان (١١) والخليفة ، لكن مالبيث الفزع ان تسرب الى نفس شاور فقد خاف أن يؤدي استدعاؤه مثل هذا الضيف (١٢) الى الاضرار بصالحه الخاص وبصالح مولاة ، وأنه أدخل رجلا « أشبه بالمقاتل في المصيان ، وبالحمية الرقطاء في الصدر » ، وأن هذا الرجل سوف يجازى مضيقه أسوأ المجازاة ، لذلك أسرع ما وسعته السرعة لارسال رسل من ناحيته الى « عمورى » فى الشام يحملون اليه رسالة المواعدة من سيدهم الذى زودهم بالصلاحيات لينفذوا فى الدار بنزول والعمل شروط الاتفاق المزمع من قبل بين جلالة الملك والسلطان ضرغام وأن يقدموا - اذا دعت الضرورة - تنازلات أكبر مما سبق .

ما كاد الاتفاق يبرم ويؤكد بين الطرفين حتى قام الملك (عمورى) فى السنة الثانية من حكمه بالزحف على رأس كل جيشه ومضى الى مصر للمرة الثانية حيث انضم اليه هناك شاور بمن معه من العساكر المصرية ، وحاصروا معا شـيركوه فى مدينة « بلبيس » التى اعتصم بها كما لو كانت قلعته ، ولكنه اضطر بعد الحصار الطويل وتحت وطأة المجاعة الى تسليم الموضع ، وكانت الشروط التى اشترطها هى السماح له بالرجوع الى بلاده بجميع قواته دون أى مضايقة ، فأذن له بذلك ومن ثم أخلى المدينة وعاد عبر الصحراء الى دمشق .

- ٨ -

كان نور الدين فى هذا الوقت يذرع نـسـواحي طرابلس فى موضع يعرف بالمقاع وكان زهوه العظيم الذى أحسه يرجع الى انتصاراته ، فقلل اكترائه وتراخى بعض النـسـاء ، مما أسـفـر عن نكته فادحه كاد ألا يبرأ منها ، فقد قام فى هذا الوقت رهط

كبير من النبلاء من : «لاد» «كويقانيا» في رحلة الحج للعبادة ، وكان من بينهم واحد اسمه «جود فروي» ويلقب «بمارتل» (١٢) ، ومن أحد أخوة كوندت «نجرلايم» و «هيج التوزنيساني» الكبار المنعوت بالأسمن ، فلما «فرغوا من حجهم وفق العدة التجارية تابعوا سيرهم إلى أرض أنصليكية ، وهنا علموا أن قرر الدين لا يزال موجودا في ضواحي ضواحي معسكره في المكان الذي أمرنا إليه أنفا ، وكان الظن حاددا أنه من كل «ال» ، فكان يسمى قرائمه في الرابطة والاستقام ، ذلك جميع الصليبيون قرأهم وبعثوا جيشه بغارة لم تكن في الحسبان ، فأخذته الدهشة ووقع رهط كبير من رجاله في الأسر ، ولقي أكثر منهم حتفهم بالسيف .

لقد دارت دائرة البوار على رجاله فهلك معظمهم عن آخرهم ، أما هو نفسه فقد نجا وأن لم يشعر بالاطمئنان في نجاته ، وقد ترك وراءه متاعه بل وسيفه وخرح حافي القدمين ، وأمتطى إحدى دواب الحمل إذ كان قاب قوسين أو أدنى من الوقوع في أيدي قواتنا .

أما الصليبيون فقد عادوا منصورين إلى وطنهم ، محملين بالأسلاب والثروات الطائلة .

وكان قائد هذه الحملة هو «جيلبرت دي لاسي» وكان رجلا شريفا سامي المكانة ، ومقاتلا تمرس بالحرب ، وهو في الوقت ذاته قائد فرسان المعبد في تلك الأراضي ، ويعاونه الرجال العظماء المذكوران أعلاه ، وكذلك «روبرت مانزل» قائد العسكر الغاليين في تلك الحملة وطائفة أخرى من الفرسان .

- ٩ -

بلغ الغضب بنور الدين ذروته ، واضطرب أشد الاضطراب ، واستبد به القلق ، واستولى عليه اليأس بسبب هذه النكبة الفادحة ،

يحرق لدى العار الذي يلقاه والثأر للبلاء الذي حل به ويمن معه من النبلاء ، فراح يلتمس ابعون من الأقارب والأصحاب ، وقل أن كان هناك أمير من أمراء المشرق لم يستدعه نور الدين الى مساعده . إذ أخذ يلتمس المساعدة بالحملة وقطع العهد على نفسه بمكافأة الجديع ، وحشد على الوقت ذاته عسكره ، وجمع الامدادات البحرية من شتى النواحي ، فاستقر ذلك عن جيش كثيف وآلاف من الفرسان . جمعهم وحاصر بهم حصن دارم أحد معاقل الصليبيين العربية في امارة أنطاكية ، ونصب آلاته الحربية حوله بالأسلوب المنيذ ، واسرع يغير عليه في غضب جارف ، ولم يسمح للسكان الفرار من الراحة .

وسرعان ما تراسى الى القادة الصليبيين نبأ نشاطه فأسرعوا لحطتهم الى «دارم» بالمشاة والفرسان الذين تسنى لهم جمعهم وكان من بينهم «بوهيموند» الثالث أمير أنطاكية ، وريموند الصغير كونت طرابلس بن ريموند (كونت تولوز الصجيلي) « وكولمان » حاكم «كلبيكية» وهو أحد أقارب الامبراطور ، وكان له النظر في الشؤون الامبراطورية في تلك الولاية . ثم «قوروس» أحد أمراء الأرمن وقد بلغ من القوة شأوا كبيرا ، فساروا بالعسكر الذين هم على أهبة القتال وفي عزمهم رفع الحصار رغم قوة نور الدين .

غير أن الأمير (١٤) ومن معه من القادة البارثيين (١٥) قرروا بعد التشاور أنه من الأصوب رفع الحصار (١٦) والرحيل من تلقاء انفسهم ، فذلك أجدى عليهم من الخطرة بالتصدي للعدو الذي كان على وشك القدوم عليهم ، لذلك جمعوا أثقالهم وحرصوا على الارتداد سالمين ، غير أن الصليبيين قويت عزائمهم بما هيأته لهم مساعيهم من النصر فشرعوا في تعقب العدو غير مكثفين بانقاذ

المواطنين من الحصار الذى فرضه عليهم هؤلاء الأمراء العظام ،
فاقدموا غير مبالين بقواعد التكتيك الحربى وانطلقوا على غير
هدى ، وتفرقوا هنا وهناك يطاردون أعداءهم الأتراك الذين سرعان
ما استردوا شجاعتهم وبأسهم .

ثم وقع الصليبيون فى مأزق خطر حين وجدوا أنفسهم فى
موضع شديد الضيق كثير الوحل والمستنقعات ، وقد كر الترك عليهم
كرة عنيفة فرقوا فيها صغوفهم ، وهكذا أصبح الذين كانوا من قبل
يبتئون الفزع فى قلوب الترك المعوية يلهو بها الترك الذين أطبقوا
عليهم من كل ناحية ومزقوهم بسيفوفهم شر ممزق ، وفتكوا بهم أفتيح
فتك حتى لكانهم القرايين تقدم أمام المذبح ، ولم يستطع أحد منهم
استرداد شجاعته المفقودة ، بل لقد نسي كل منهم ميته ومكانة
آبائه فلم يقم أحدهم بمحاولة يدرأ بها النكبة التى نزلت بهم ، أو
يقاتل دفاعا عن الحرية وعن أمجاد أسلافه ، ولم يعودوا يكثرثون بما
يمليه عليهم الشرف ، فألقوا سلاحهم ، وراحوا يتذللون للعدو كى
يبقى على أرواحهم التى كان أجدى عليهم أن يبذلوها فى القتال
بشجاعة من أجل أرض آبائهم ليكونوا مثلاً تقتدى به ذرائعهم .

فلما رأى « توروس » الأرمنى أن الغلبة صارت للترك وأن
الهزيمة قد حاقت بالمسيحيين أجمع العزم فى هذه اللحظة الحرجة
على النجاة بنفسه والبقاء على حياته بالانسحاب من أتون المعركة
وكان من رايه منذ البداية ألا يجدوا فى مطاردة الترك ، كما أنه بذل
قصارى جهده فى ثنى الصليبيين عن محاولاتهم هذه فلم يستمعوا
له بل أخذوا بمشورة الآخرين الطائشة .

غير أن « بوهيموند » أمير أنطاكية و « ريموند » كبرت
طرابلس استنسما للعدو ، ومؤثرين الحفاظ على روحهما حتى ولو

كلفهما ذلك أن يجلبا على نفسيهما العار والملامة ، واقتفى أثرهما « كريدن » وإلى كيليكية ، و« هيج دى لوزنيان » المشار إليه من قبل وجوسلين الثالث كوثب الرما وغيرهم من سمرات الذلاء ، فصفدهم العدو فى الحديد كأخس العبيد ، وساقهم تجليلهم الفضيحة إلى حلب حيث زج بهم فى حبسها ، وصاروا تسلية للكفار .

تشجع نور الدين ومن معه بهذا النجاح وبالحظ الحسن الذى حظوا به بعدوا ثانية بها جمود الحزن المنيع الذى كانوا يحاصرون به من دن ، وانسم حصارهم لئلا هذه المرة بثقة أعظم من السابقة ، حتى أنه لم تنقض أيام قلائل إلا وقد تم الاستيلاء على المكان عنوة وقسرا .

وقد جرت هذه الحادثة فى اليوم الرابع قبل منتصف أغسطس من سنة ١١٦٥ م من مولد سيدنا ، وفى العام الثانى من حكم الملك عمورى الذى كان لا يزال موجودا فى مصر وقتذاك ، لأن مشاغله بها استلزمت وجوده هناك .

- ١٠ -

خلفت هذه التغيرات الكبرى والنكبات الفظيعة بصماتها على أوضاع الصليبيين وأحوالهم ، فتدهورت معنوياتهم النفسية غاية التدهور ، ولم يق الآن بخص من الأمل لهم ، فرأوا كلهم بقلوب يائسة يتوقعون أياما أشد أسودا عما قبلها حين وصل اليهم « تيرى كونت فلاندرز » وفى صدقة أخذت الملك وهى امرأة عتيقة تقية ، وكان معه طائفة كبيرة من الفرسان ، ففرح الجميع بمقدمه ، وتلقوه بالغبطة فقد بدى لهم وكأنه نجدة كرى أهديت لهم . وكان مجيؤه أشبه بالنسمة الرقيقة بعد القيظ اللافح ، وطمعوا أن يتمكنوا بمعاونته لهم من الصمود حتى يعون الملك والجيش الصليبي .

لكن واأسفاه ! فان هذه الحالة من الاطمئنان التى بدت اصفى ما تكون سرعان ما غطتها سحابة دكناء جاءت اليهم على غير انتظار فأحالت كل شئ الى ظلام دامس ، « وتحولت الشمس الى ظلمة ، والقمر الى دم » (١٧) ، فقد شمع نور الدين بأئفه فيها لنجاحه حتى لقد عزم على اغتنام الفرصة لمحاورة مدينة «بانياس» ليقينه التام بخلو المملكة ممن اعتادوا النفاذ عنها بسبب الملك على رأس معظم قوة المملكة الحربية ولمعرفته بوجود القادة السكبار فى أسرهم بحلب .

وبانياس مدينة قديمة كل القدم ، تقع عند سفح جبل لبنان الشهير ، وكانت فى الأزمنة الغابرة وفى أيام اسرائيل تسمى « دان » وهى الحد الشمالى للأراضى الاسرائيلية ، كما كانت « بير سبع » الحد الجنوبى لها ، ومن ثم فانه عند الكلام عن طول أرض الميعاد يقال . « من دان الى بير سبع » ، كما نقرأ فى انجيل لوقا ان فيليبس بن هيرودس (١٨) حاكم ربيع « ايطورية » وكورة تراخونيتس زاد فى رقعة تلك الناحية تكريما واجلالا للقيصر « طيبريوس » ورغبة منه فى تخليد اسمه هو ذاته فقد سماها قيصرية فيليبس ، كما انها تعرف أيضا ببانياس ، لكن جماعتنا اللاتين حرفوا الاسم كدأبهم فى أسماء المدن فسموها « بلنياس » .

وتتأخمها من الشرق أرض دمشق قرب الموضع الذى ينبع منه نهر الأردن ، وهذه هى المدينة التى ورد الكلام عنها فى الانجيل (١٩) حيث جاء « ولما جاء يسوع الى قيصرية فيليبس سأل تلاميذه قائلاً : من يقول الناس انى أنا ابن الانسان » . وهنا أيضا تسلم « بطرس » امير الحواريين مفتاح مملكة السماء من السيد المسيح مكافأة له على اعترافه الراضع .

ولقد حاصر نور الدين هذا الموضع فوجده خاليا من كل مدافع
عه ، وذلك لأن صاحبه الذى ورثه وهو « همدرى » الكونستابل
الملكى كان غائبا فى مصر برفقة الملك (عمورى) ، كما أن أسقف
هذا المكان كان هو الآخر بعيدا عنه - أما الأهالى فقد نقص عددهم
نقصا بيّنا بسبب ما جرى عليهم من القتل ، لذلك يصب نور الدين
مكائى الحرب وآلات القتال فى هذه اللحظة ذابها وأحرق بالبلد الذى
تهدم سورته وضعفت أبراج معظم نواحيه بسبب القذائف الحجرية
المستمرة مما جعل من كانوا بداخلها على الاستسلام بعد أيام قلائل
على أن يؤذن لهم بمغادرة المدينة بما ملكته أيديهم سائين من غير
سوء ، وهكذا تمكن نور الدين من أخذ البلد فى سنة ١١٦٧ من مولد
سيدنا .

وقد جرت هذه الحادثة فى السنة الثانية من حكم الملك
« عمورى » وفى اليوم الثامن عشر من أكتوبر (٢٠) .

وكان الكونستابل المبجل قد عهد ببياناس عند رحيله لمصر
الى واحد من خاضة فرسانه هو «وولتر دى كيسنوى» Quesony
الذى يؤكد البعض أنه أهمل الدفاع عن المكان ، كما أشيع أكثر من
هذا أنه تواطأ مع قسيس اسمه « روجر » من رجال الكنيسة وخانا
الأمانة، حين قبلا من العدو رشوة ليسلماه الموقع ففعل، فلما عاد الملك
من مصر استبد الذعر الشديد بالخائنين مخافة أن يأمر الملك
بإعدامهما ، وليس بين أيدينا النبأ اليقين عن هذا الأمر ، الا ما
نعرفه من أن المدينة استسلمت للعدو .

على هذه الصورة كان الوضع فى الشام .

وبعد أن تم للملك اخراج شيركوه على هذه الصورة من مصر وتنصيبه «شاور» سلطانا يكون له الحكم فى البلاد رجع شير الى القدس رجوع السند الطاهر حيث علم بنشأ الأحداث المحزنة التى جرت فى المملكة ، وعنى الرعم من بعض هذه الأسرار ما بلغته من قبل إلا أنه خصفى الآن الى بيان مفصل عن تلك المنكبات ، وعلم أن أهالى أنطاكية قد صاروا فى موقف يبعث على لاسى فراحوا يلتمسون منه المعونة ، ومن ثم نهض بدافع ما يكنه من الشفقة الأخوية والحب الصادق الى الاسراع الى أنطاكية المنكوبة ليقدم لها ما هى فى مسيس الحاجة اليه من العون ، واصطحب معه فى هذه المرة «كرنت فلاندرز» يرعاه بعطفه ، وما اكاب يبلغ أنطاكية حتى أخذ لنفسه صلاحيات أميرها فدير أمورهما فى صدق واخلاص ، وبذل لها من عنايته قدرا ربما كان أكبر مما يبذله فى العادة تجاه شئونونه الخاصة ، كما بسسط مظلة الرحمة البالغة والحكمة العظيمة على جميع الذبلاء والعامّة على السواء ، فأقام فى كل مدينة رجلا كفرا لادارة دفة جميع الأمور المتعلقة بأمالك الأمير ادارة أمينة دقيقة حتى اذا اطمأن باله الى حسن سير الأمور وانتظامها عاد أدراجه الى مملكته ، ومع ذلك فإنه استعان بأذاع الأمير (بوهيموند) وأصدقائه المخلصين فى متابعة الاهتمام بما يتعلق بتدبير الفدية يفتدون بها هذا الأمير ، وأنت جهود الملك النبيلة شمارها فعاد أمير أنطاكية فى صيف نفس السنة الى مكانته العظيمة ، حريته المساقاة بعد أن دشح قبرا كبيرا من المال بعد فاته حتى أسر العدو ما يقرب من سنة ، فلما قدر لبوهيموند أن يعود الى أنطاكية لم يركن الى الهدوء بل أبدى نشاطا كبيرا فى جمع الفدية

من أجل الرهائن الذين أسلمهم للعدو حتى لا يحاول بقاؤهم في
يديه .



وكان امبراطور القسطنطينية (مانويل) (٢١) قد تزوج قبل
قليل من هذا الوقت من « مارية » صغرى شقيقات الأمير « بوهيموند »
الذي أسرع اليه فرحب به الامبراطور ترحيبا بالغا وأدناه اليه
وأحسن معاملته كل الاحسان ، فأقام بوهيموند عنده بعض الوقت ثم
ع - الى أنطاكية محملا من جلالته الامبراطورية بالهدايا والتحف
الرائعة .

ربما بدى من العجب أن يقبل نور الدين - وهو من هو في
رجاحة عقله وبعد نظره - أن يطلق سراح أمير أنطاكية مع أنه كان
ينفر على الدوام من تحرير أسراه المسيحيين ، ولا يكف عن التباهي
دأنه قد أسر كثيرا من قومنا لاسيما ذوى المكانة الرفيعة منهم ،
وعندى لهذا الأمر تفسيران محتملان أولهما أنه كان يخشى أن يتدخل
الامبراطور (البيزنطى مانويل) بنفسه فيسأله إطلاق سراح الأمير
بلا فدية فلا يجزئ نور الدين حينذاك على رفض سؤال مثل هذا
الحاكم الرفيع الشأن .

وأما ثانى التفسيرين عندى فما أن نور الدين قدر أن يعتمد
أهالى أنطاكية ان طال حبس الأمير عنده - لاسيما وهو غائب - أن
يدفعهم حرصهم على مصالحهم الى التماس واحد آخر يولونه مكانه ،
وربما يكون هذا الآخر أقوى من بوهيموند فيكون بذلك خصما أقدم
حنه عذفا ، اذ لك دله ذكاؤه وأشدته فدايته الى أن الأخير له في أن
يسنمر بوهيموند في حكم مملكته أنطاكية حتى لا يدل محطه من قد يكون
أسد بأسا منه وأصعب مراسا فيصبح التعامل معه ان ذاك أثقل .

والرأى عندي أن هذه النظرية الثانية تفسر الدوافع الحقيقية
التي كانت تسيطر على نور الدين . وهو الأمير اللبيب القطن .

وكثيرا ما ترد الإشارة الى أن شيركوه الذى ألى على نفسه
الأن يحطم الصليبيين كان قد احتل فجأة وعلى غرة منهم قلعة لهم
قرب صيدا وتعرف بحصن صور ، ويعتبر معقلا حصينا لا يمكن
اقتحامه . لكن يقل أن الاسنيلاء عليه تم برشوة حراسه ، واتضح
صائق ذلك الثور لى أنه ما كاد الحصن يستسلم حتى فر جميع من
كانوا فيه الى ارض العدو . ولم يبق فيه غير كبيرهم الذى شاء
قدره أن يتم القبض عليه وتكون نهايته أسوأ نهاية فقد شنق .

وفى اثناء هذه السنة ذاتها (٢٢) امتدت يد الموت الى وليم ملك
صقلية نى الصيت المدوى وهو ابن الملك روجر .

كما حدث قرابة هذا الوقت أيضا أن أخذ شيركوه قلعة شبيهة
لتلك القلعة التى ذكرناها ، وكانت منيعة الجانب لا يمكن اقتحامها
وهى واقعة وراء الأردن على حدود بلاد العرب وقد سلمها لشيركوه
بعض الأخوة من فرسان الهيكل الموكول اليهم حراستها ، فبادر
الملك فى ساعته اليها فى طائفة كبيرة من الفرسان نجدة لها ، فلما
كان فى بعض الطريق وقد نزل على شواطئ الأردن جاءه الخبر بأن
هذا الحصن قد سقط فى يد العدو فتبذل خاطره ، وأمر بشنق حوالى
أثنى عشر رجلا من الفرسان الداوية كانوا هم المسئولين عن هذا
التسليم .

وهكذا وفى السنة الثالثة من حكم عمورى ابتلى الصليبيون
بكثير من المصائب ، وصارت المملكة كلها - بسبب خطايانا - تعاني
أشد الأخطار التى تهددها .

• خلت الأصول من نص لهذا الفصل (٢٢) .

• على هذه الصورة كان وضع قومنا يومذاك .

كما انتشرت في كل النواحي في هذه الآونة اشاعة تعددت مصادرها تقول ان شيركوه خرج على رأس قوة ضخمة من الفرسان الذين جمعهم من ممالك المشرق ومن الجهات الشمالية ، وأنه يستعد للاغارة على مصر مرة أخرى بقوة كبيرة ، ولم تكن هذه الشائعة نابعة من فراغ اذ كان شيركوه قد زار خليفة بغداد وهو أعظم حكام المسلمين وأخطارهم شأننا ، كما أنه يعتبر صاحب السلطان الأعلى بين الجميع ، فلما جاءه شيركوه وحياه التحية المألوفة حتى شرع يفصل له ضخامة ثراء مصر ، وأنباه أنها حوت كثرة عجيبة من كل رائع ونادر ، كما قص عليه ما عليه أميرها (الخليفة الفاطمي) من غنى فاحش وذكر له الأموال الكثيرة المتدفقة في خزائنه من الضرائب والمكوس التي يفرضها على البلاد ومن دخله المستوى الهائل ، وزاد على ذلك فقال ان أهل البلاد قد استناموا الى حياة الترف واستراحوا الى البلهنية فوهنت حميتهم لطول عهدهم بالسلم الدائم ، وراح يكرر على سمع الخليفة مرة بعد أخرى أن الأمير الحاكم الآن في مصر وأسلافه قد أقاموا خلافة منافسة لخلافته وخلافة أسلافه ، وأنهم تجرؤوا على القول بأن خلافتهم (الشيعية) هذه مكافئة لخلافة صاحب بغداد (السنية) التي لا يمكن أن يقارن بها شيء قط ، أضف الى ذلك أنهم بذلوا جهودهم في الدعاية لشريعة أخرى وتعاليم تمام المخالفة لشريعة خليفة بغداد وتعاليمه .

وأدت كثرة تكرار شيركوه لهذه الأقوال على سمع الخليفة (العاسى) الى استجابة الأخير لتنفيذ رغائمه ذكّبت الى جميع من كن على مثل مذهبه من أمراء المشرق أمرا إياهم أمرا حاسما لا رجعة فيه بجمع جيوشهم والسير وراء شيركوه لمساعدته .

فلما تراسى هذا الخبر الى سمع عمورى نادى بعقد اجتماع عام فى نابلس لرسم خطة تؤدى الى افساد خطط الخليفة (العاسى) وتام الملك فى حضور المطرك والاساقفة ورؤسائهم وغيرهم من رجال الكنيسة وكذلك البارونات والناس قاطبة شارحا لهم شرحا وافيا مدى الخطر الذى يهدد المملكة ، وسعى السعى الحثيث فى طلب معونتهم ، ومن ثم فانه نظرا لهذه الظروف الطارئة المحيطة بهم فقد انعقد اجتماعهم على أن يدفع كل فرد جزءا من عشرين من أملاكه العينية من أجل انقاذ المملكة ، ثم وضع هذا القرار موضع التنفيذ .

واستمرت الأخبار تترى بأن شيركوه قد زود بما يلزمه من الطعام لأيام طويلة ، وبكمية وفيرة من الماء انخرها فى القسرب والروايا ، وأنه بدأ سيره عبر الصحراء ، سالكا الطريق الذى سلكه بنو اسرائيل حين دخلوا أرض الميعاد ، وحينذاك حشد الملك كل ما استطاع حشده من الفرسان وأسرع فى الخروج لمواجهة شيركوه وصدده ، وظل يتقدم حتى بلغ موضعا يعرف بقادس بارنيه Kades Barnea فى الصحراء ، لكنه لم يجد خصمه هناك ، فبادر فى ساعته لقص أثره .

- ١٤ -

صدر الأمر حينذاك الى المتادين أن ينادوا بأن يخرج عسكر كل مدينة من مدن المملكة . فرسانا كانوا أو مشاة ، وتكون عسقلان

مركز تجمعهم ، حتى اذا كان اليوم الثلاثين من يناير بدأ الجيش
رحفه حاملا معه ما يحتاجه من المؤونة اللازمة للرحلة ،
واستطاع بخطى قرية أن يجتاز صحراء التيه المترامية الأطراف
الباقية بين غزة التي هي آخر مدن المملكة وبين أرض مصر عند
قلعة العريش القديمة بالصحراء ، وهذا أحصوا عسكرهم وتلبثوا في
انتظار بقية الجيش الذي تكامل بوصوله الى المدينة المعروفة الآن
بـ (٢٤) وان عرفت في الأزمنة القديمة باسم « بيلوزيوم » التي
سما وردت بهذا الاسم في سفر الأدياء .

اشتد الفزع بالسلطان شاور ان علم بحضور الملك عمري ،
وطار قلبه شعاعا عند ظهور الصليبيين الفجائي ، وساوره القلق من
العسكر الزامف وخاف أن يوجه هذا الزحف الحربى ضده هو ذاته
ومع أن المعروف عنه أنه كان حاكما ليبيبا قادرا ، واشتهر ببعد
نظره الا أنه أبدى في هذه المناسبة جبنا شديدا وجهلا فاضحا ،
ومع أنه كن يعلم بالسبب الذي حدى بنا للحضور الا أنه لم يطمئن
الى صدق ما علم ، وانتهى به الأمر أخيرا - وان جاء متأخرا جدا
وفى تردد - الى ارسال كشافته الى الصحراء يأتونه بالنبأ اليقين حول
حركات العدو ، فلما عاد اليه رسله أنبأوه بأن العسكر التركى قد
وصل الى « اطفيج » (٢٥) ، وان ذاك تعجب السلطان من شدة وفاء
الصليبيين وأثنى عليهم الثناء العاطر ، وبادر - اعترافا منه بوفاء
الجيش الصليبي تجاه حلفائه المصريين - فوضع رهن تصرف الملك
كل ما تملكه الدولة والخليفة من الأموال ، كما أظهر منذ ذلك اليوم
الحساسية القصورى في تنفيذ جميع رغبات الملك « عمري » الذي
اصبح ذا را على تحقيق كل ما كن في حاجة اليه بفضل هذه
الوسائل .

مر الصليبيون فى طريقهم بمدينتى بلبيس والقاهرة التى كانت بمبانيتها الفخمة تعتبر مقعد السلطة الملوكية وتمثل مجد مصر الرفيع الرائع ، فضربوا معسكرهم على اليسار من المدينة الجليلة الشهيرة الم. ماه بابلليون (٢٦) والمعروفة فى العربية باسم « مصر » ولم استطع الوقوف على اسمها الذى كان يطلق عليها فى الأزمنة القديمة ذلك لأن بابلليون كانت مدينة بالغة القدم فى الشرق ، وبكى التواريخ التى تؤرخ للعصور القديمة لا تشير الى أى مدينة بهذا الاسم منذ أن عرفت مصر فى الوجود ، ومن ثم فمن المحتمل أن لا تكون قد تأسست فى عهد الفراعنة الذين كانوا أول من حكموا مصر ، ولا زمن البطالمة الذين تولوا الحكم فيما بعد ، بل ربما كانت ترجع الى عصر الرومان الذين حولوا مصر الى ولاية رومانية .

أما فيما يتعلق بمدينة القاهرة فالمعروف أنها تأسست على يد جوهر (الصقلى) بعد أن تم له فتح كل بلاد مصر وهو قائد جيوش المعز لدين الله (الفاطمى) الذى كان له الحكم آنذاك فى أفريقية .

أما كيف حدث هذا الأمر فلذلك قصة نسردها فيما بعد .

يذهب بعض المؤرخين للجزم بأن « بابلليون » هذه هى مدينة « ممفيس » القديمة الرائعة التى طبقت شهرتها الآفاق ، والتى كثيرا ما وردت الإشارة إليها فى كتب التاريخ القديم وفى الأدياء والتى قبل أنها كانت عاصمة المملكة كلها وكثير من الولايات المجاورة ، وانها هى واسطة عقدها ، على أنه لا يزال يوجد حتى اليوم على بعد عشرة أميال وراء النيل الذى يجرى الى جوار بابلليون التى نتكلم عنها الآن ، أقول لا تزال توجد حتى اليوم أطلال مدينة جليلة

كبيرة الاتساع تشهد بعظمة مذبذبة ، ويصير سكان تلك النواحي على أن هذه هي ممفيس الدارسة .

على ذلك فمن المحتمل أن يكون أهالى « ممفيس » قد رحلوا عنها تحب ظروف الحاجة الملحة أو لأن هذا المكان (الجديد) كان نفع لهم ، ومن ثم نقلوا مساكنهم الى الضفة الأخرى من النهر ، وحدث فى ذلك الوقت - أو ربما بعد حين - أن تغير اسمها القديم الأصلي ، ونحن لا نشك فى أن مولاه الأمير العظيم (المعز لدين الله الفاطمى) كان قد أرسل مولاه جوهز الصمقلى مؤسس القاهرة على رأس العسكر لفتح مصر ، فلما تم له فى سنة ٣٥٨ هـ التغلب على كل البلاد وفرض الجزية على الأهالى أنشأ هذه المدينة قرب بابلليون وأصبحت المقر الأثير عند سيده واتخذ مقامه بها ، فلما انقضت ثلاثة أعوام على هذا الفتح غادر المعز « القيروان » التى كانت كرسى مملكته لسنوات عدة ، ثم بذل غاية اهتمامه ليجعل من القاهرة بلدا رائعا يلبق أن يكون عاصمة لدولته ومقرا لها .

وقد جرى هذا سنة ٣٦١ هـ أعنى فى العام العشرين من ولاية المعز - حسبا أقضنا فى ذلك بموضع آخر من كتابنا عن أمراء المشرق .

- ١٦ -

حينما ضرب الصليبيون معسكرهم على شاطئ النهر وعلى بعد أقل من مرحلتين من المدينة المذكورة أنفا عقدوا مجلسا من بينهم وطال الجدل فى الاجتماع ، ونوقشت فيه الآراء المختلفة مناقشة جدية حتى انتهى رأى بهم الى أن خير ما ينبغى عليهم عمله هو أن يسيروا لمواجهة شيركوه وقواته قبل اجتيازهم النهر ، كما رأوا

أن منعه من دخول المملكة (المصرية) أصوب من مقاتلتهم إياه بعد أن يكون عسكره قد شقوا طريقهم إليها ، وإن ذلك تصعب على الصليبيين العودة ثانية للعبور ، وهو أمر يؤدي بهم الى مقاتلته قتال اليأس .

وعلى الرغم من ذلك فقد نقضوا خيامهم وأغذوا السير الى الوضع الذى كانوا يتوقعون أن يكون العدو معسكرا عنده ، ويقال ان هذا الموضع كان بعد قرابة عشرة أميال عن المكان الذى كان جنودنا معسكرين فيه من قبل ، فلما وصلوا الى هناك علموا أن شيركوه - وهو القائد المحدث - قد اجتاز به بكل جنده تقريبا ، ولم يبق منهم الا ثرزمة قليلون فبادر رجالنا الى القبض عليهم وتقييدهم ولما شرع الصليبيون فى استجوابهم أفادوهم بأخبار عظيمة النفع لا سيما فيما يتعلق بعبور شيركوه للنهر وعن عدد عسكره .

وأماضت أقوالهم اللثام عن حقيقة كانت مجهولة لرجالنا تلك هى انه بعد اجتياز قوات شيركوه لصحراء جنوب سورية فاجأتهم زوبعة ارتفعت معها ذرات الرمل ارتفاعا عاليا ودارت فى الجو على غير توقع من أحد ، ثم انعقدت أمامهم كأنها كسف السحاب القاتمة أو الضباب الكثيف ، فلم يجرؤ أحد منهم على فتح فمه للكلام مع رفيقه ، وأغمضوا كلهم عيونهم ولم يستطيعوا فتحها ، فترجلوا عن جيادهم وانطرحوا على الأرض معتصمين بها وأنشبهوا أيديهم فى الرمال حتى لا تجرفهم العاصفة الهوجاء فترفعهم الى أعلى ثم تلقىهم أرضا ، ذلك أنه قد يهب فى الصحراء عواصف رملية كعواصف البحر فترتفع ثم تهوى كالسيل ، مما يجعل عبور هذه المضايق لا يقل خطورة عن ركوب ظهر الماء .

ثم عاد الجو تازية صحرا لطيفا بعد أن ظلوا (٢٧) أياما عدة هائمين على وجوههم هنا وهناك وقد ضلوا السبيل فلا يعرفون أى

الطرق يسلكون ، ولم يعد لهم من مطمع سوى البقاء أحياء فظلوا
هكذا حتى انتهى بهم الأمر الى الوصول الى ما ذكرنا بعد أن نفقت
جمالهم ، وضاع الجانب الأعظم من مئونتهم ، وهلك طائفة كبيرة
من رجالهم ، وتشرب أكثر منها في هذه الصحراء المضلة الشاسعة
التي لا حدود لها .

ولما اتضح أن شيركوه ورجاله قد عروا النهر قام جيشنا
بالتقسيم سلكا كل من الطريق الذي كانوا قد جاءوا منه ، وضمروا
معسكرهم على شاطئ النهر قرب المدينة التي غادروها من قبل .

- ١٧ -

أيقن شاور الآن أنه من المستحيل عليه أن يقاوم هؤلاء الخصوم
الذين دخلوا مملكته حتى بلغوا أقصاها ، وأنه عاجز عن طردهم
منها بعون يزفده به المليك ، ومن ثم بسذل غاية جهده
ليعرف أضمن وسيلة يمكنه بها استبقاء عموري في مصر فقد خشي
أن يحمله الضجر من المصاعب التي يلقاها على العودة الى بلاده .

والواقع أن شاور أدرك أن الوسيلة الوحيدة لاستبقاء الملك
في البلاد إنما تتمثل في أن يقوم من جانبه بمضاعفة الجزية التي
الغزم بدفعها له حتى تكون هذه الجزية كافية لسداد نفقات الملك
ذاته ونفقات بارونات .

لذلك عزم على أن يجدد الاتفاقيات القديمة ويعقد صلحا
جديدا بين الملك (الصليبي) وبين الخليفة (الفاطمي) وقد استصحب
الصليبيون هم أيضا هذه الشروط ، على أن يقرم هذا الصلح على
أساس ثابت لا ينقض ولا يتسحب ولا ينصم أجله بحال من الأحوال .

وما من سبيل الى ذلك الا بزيادة الجزية السنوية مع اضافة مبلغ معين من المال يكون منحة للملك من خزينه الخليفة ، لأن الأمر كما بدى للعيان كان أمرا لا يمكن انجازه بيسر بل يتطلب المزيد من الجهد والزمن .

وبعد مناقشة مطالب كل من الجانبين ورغباتهم قرر المسئولون عن اعداد الاتفاقية وعن ترتيب الشروط أن تدفع (مصر) للملك أربعة الاف دينار ذهبى منحة لا ترد ، يعجل بنصفها حالا ، أما النصف الآخر وقدره مائتا ألف دينار ذهبى فيرسل فى اوقات معينة حددها فيما بينهم ، وكانت الشروط كالتالى :

« يؤكد الملك عمورى بخط يده وبصدق من غير غش ولا سوء نية على أنه لن يغادر أرض مصر حتى يتم القضاء على شيركوه وجميع عسكره ، أو يخرجوا من البلاد عن بكرة أبيهم » .

ووافق الطرفان على هذه الشروط ، وأراد الملك أن يظهر رضاه عن الاتفاقية فمد يده اليمنى مصافحا نواب الخليفة ، كما اختار فى الوقت ذاته « هيج » صاحب قيصرية ، وكان شادا على جانب كبير من العقل والحكمة الرائعة وحسن التصرف لا يتوقعها أحد ممن كان فى مثل عمره ، وأرسله مع نفر آخرين ليحصلوا على موافقة الخليفة على العهد المتفق عليه لأن موافقة الوزير وحدها فى مثل هذا الموضوع بدت غير كافية .

- ١٨ -

ولما كان قصر هذا الحاكم (أعنى الخليفة الفاطمى) فريدا فى نوعه ويسير على تقاليد لم نألفها فى الغالب فى عالمنا (الغربى) فقد رأيت من الأوفق أن أدون بالتفصيل ما وقعت عليه من الأخبار

الموثوق بها والتي رواها من زاروا هذا الأمير (٢٨) العظيم ، وأن
وصف أحواله وعظمته وثراءه الفاحش ، وأبهته التي تفوق الوصف ،
ذاك أن الحصول على فهم دقيق لكل هذا لن يذهب هباء من غير
حدوى لقرائي .

لقد دخل القاهرة « هيچ القيصرى » وسفارته التي بعثناها
« إلى هناك » وفي صحبتته « جود فروى فولشر » أحد فرسان الداوية ،
كان دخولهم أياها في حماية حرس السلطان فلما بلغوا القصر الذي
يسمونه في اللغة المصرية بالمـ Cascare (٢٩) سار بهم الحرس
فى دهاليز ضيقة ليس فيها بصيص من النور، ووراءهم عدد كبير من
المراقدين حاملى السيوف ، كما رأوا عند كل مدخل زمرا من
السودان المسلحين الذين يبالغون فى اظهار توقيرهم للسلطان بكثرة
تحديثهم له .

ولما اجتازت السفارة طائفتى الحرس الأولى والثانية جئـ
بالرسولين جود فروى فولشر وهيچ القيصرى الى ساحة كبيرة
فسحة غير مسقوفة تآذن للشمس بالدخول ، وتؤدي الى ردهات
ذات أعمدة رخامية منقوشة برسوم بارزة ، تحمل سقوفا ذهبية ،
وحولها أرصديات من الأحجار المختلفة الألوان وتبدو فى هذا المكان
كل مظاهر الأبهة الملوكية التي أبدعتها يد الصانع الماهر مما يشير
الى روعة الصنعة . هذا الى أنها بلغت حدا من الإبداع تجعل
العين لا تستطيع الا أن تحلق فى دهشة من روعة هذا الجمال
النادر الذى لا يكمل المرء من التطلع اليه ، فهناك برك من الرخام
للمسك ملائى بالماء الصافى ، وهنا طيور من شتى الأنواع لانعرفها
فى عالمنا ، وهى أكبر حجما من الطيور التي ألفناها ذات أشكال
عجيبة وألوان متنوعة ، وتغريدها يختلف عما نألفه ، وكان طعام

كل منها يختلف عن طعام الآخر حسب أنواعها ، ان لكل نوع منها طعامه الخاص به .

وتقدم كبير الخصيان بهيج (القيصري) وبصاحبه من هذه الساحة الى مبان تز في روعتها تلك المباني التي تستنى لهما مشاهدتها حتى هذه اللحظة ، فقد كان ما وقعت عليه عيونهما خيرا اروع من كل ما شاهده العيون من مبان تبدو عادية ، فقد كانت هناك مجموعة من العيون التي تتنزل بين الفنانين ابداعا ، ويعجز خيال الشاعر عن تصورهما ، ان كانت أشبه بما يراه النائم في حلمه ، ولكنها مخلوقات موجودة في الواقع في بلاد الشرق وفي الغرب ولكن لم ير الغرب مثيلا لها أو يسمع عنها الا نادرا ، غير أنها كانت بلا جدال من الأماكن التي استمدت منها كاتنا « سولينوس » ما ذكره في كتابه .

- ١٩ -

وانتهى المطاف بهؤلاء السفراء المبعوثين الى القصر بعد اجتيازهم كثيرا من الممرات المتعرجة ، وسلوكهم طرقا يضل فيها المرء وتستلقت عجائبها انتباه الجميع حتى أكثر الناس استغراقا في تأملاتهم ، ولما بلغوا القصر وجدوا جماعات أكثر عددا وكثهم من حملة السلاح ، وأرتالا من الأتباع يدل مظهرهم وكثرة عددهم على عظمة مولاهم التي لا تقارها أية عظمة ، كما أن منظر المكان يدل دلالة صريحة على ما عليه الحاكم من انشاء الفادح الذي لا يماثله ثراء .

ثم سير بالمبعوثين الى القسم الداخلي من القصر حيث اظهر السلطان (شاور) التوقير الذي اعتاد اظهاره لمولاه ، فقد افتتح

على الأرض مرتين وقدم فروض الطاعة المهيئة كما لو كان يقدمها
 لآله معبود ، وذلك ترجمة عن اجلاله الذليل له ، ثم ركع على الأرض
 مرة ثالثة ثم أمسك بسيفه الذى يتلقفه والذى يتبلى من عنقه وألقاه
 على البساط ، وان دأب انزاحت فى سرعة عجيبة الستائر المرصعة
 بالجوهر والذهب وظهر العرش خلفها ، والخليفة سافر الرجبه
 جالس على تختة الذهبى ، وحوله طائفة من مستشاريه وعبيده ،
 وقد جرى منظره أكثر من منظر ملوكى ، فدنى السلطان (شار)
 منه بكل احترام وقيل فى مذلة قدميه وهى على عرشه ، ذاكرًا
 له الفرض من زيارة المبعوث (الصليبي) وفدوى شروط الاتفاق
 وحاجة الملكة (٣٠) الشديدة اليه ، كما شرح له أن فى قلب
 الامراض (٣١) ذاتها عدوا (٣٢) شديدا المراس ، وأوجز فى
 كلمات قلائل ما هو مطلوب منه كخليفة ، وما سيسقده الملك
 (الصليبي) لقاء ذلك ، فأجاب الخليفة بوجه طلق غير متجهم وفى
 مودة ظاهرة وقال انه مستعد للوفاء بنصوص الاتفاق الذى اتفق
 عليه الجانبان وارتضياه ، وأنه يفعل ذلك وفاء منه للملك (عمورى)
 بنفس راضية غاية الرضاء تقديرا منه له .

حينذاك التمس الصليبيون من الخليفة أن يحذروا هيج فى تأكيد
 ما قال بيده ، لكن حدث فى بادئ الأمر أن اضطرب رجال البلاط
 الذين يحيطون بالخليفة ، كما فزع من هذا الطلب مستشاروه وكبار
 حاشيته المسئولين عن تنفيذ خطط الخليفة ، وكان انزعاجهم ناجما
 عن أن مثل هذا الطلب شئ لا تتصوره عقولهم أبدا ، غير أن الخليفة
 استجاب بعد لئى وطول جدل وتحت الحاح (وزيره) المستمر ،
 فمد يده ولكن على مضض منه وكانت مقطوعة ، وزاد من فزع
 المصريين الذين دعشوا غاية النهشة من أن يتحدث شخص ما
 الى الخليفة بالصراحة ، أتى تحدث بها « هيج » معه إذ قال له :
 « مولاي ، ان العهد المصادق لا يخفى شيئا ، لكن اذا كان الأمراء

الكبار صادقين كل الصدق مع أنفسهم فيجب أن يكون كل شيء واضحا جليا ، وأن تكون الصراحة طابع ما يقبلون ، في رخص أو قبول الشروط المقدمة ، ومن ثم فانه اذا لم تبسط يدك عارية فاننا نكون مضطرين للظن بأن عندك اعتراضا أو تحفظا مرجعه النقص في الاخلاص » .

وأخيرا وضع الخليفة(٢٣) يده من غير قفاز في يد « هيج » وقد فعل ذلك على كره منه كما لو كان هذا العمل يقلل من هيئته الملوكية ، ورفت ابتسامة خاطفة أزعجت المصريين ثم راح الخليفة يردد كل ما يقوله « هيج » كلمة بعد الأخرى وهو يملأ صورة الاتفاكية ، وأقسم صادقا بالأمين ، أو سوء نية على ألا يشجبها .

كان الخليفة كما حدثني « هيج » شابا على جانب كبير من الخلق الكريم لم تنبت لحيته الا منذ وقت قريب جدا ، وكان طويل القامة ، أسمر البشرة ، رائع البنية ، وعنده زوجات كثيرات .

وبعد انصرف المبعوثين(٣٤) أرسل الخليفة اليهم الهدايا والتحف رمزا لسخائه الملوكي ، وكانت هذه الصلوات في كمها وكيفها مما زكت العطاء الخليفى أكر تزكية في نفوس السفراء الذين غادروا الحضرة الخليفية وهم في غاية السرور وعادوا الى ديارهم .

- ٢٠ -

اما وقد وصفنا عظمة الخليفة بناء على ما ذكره لنا أولئك الذين شاهدوا بأعينهم ما ذكره لنا فاننا فواصل الآن الخبر عن عظمته ، وأصل ذلك وتطوره بقدر ما نعرف ، ونحن نستمد هذا البيان من النظر في كتب تاريخ العصور السالفة ، وكذلك من

شهادات الكثيرون التى يوثق بها كل الشئ ، ذلك لأنه سرف يكون
من مستحيل - من غير الاستعانة بالتاريخ - أن نفصل للقارئ
هذه الأمور .



يطلق قوم مصر على أميرهم اسمين ، أحدهما هو « الخليفة »
أى -رريث لأنه يتنغل نفس مكانة نبيه العظيم وهى المكانة التى
لأبى « الخليفة » شمرت .

وأما ثانيهما فإنهم ينادونه « بمولانا(٣٥) أى مالك أمورنا ،
ويظهر أن الأصل فى ذلك يرجع إلى عهد « فرعون » حين جاء
يوسف(٣٦) الشهير واشترى إقليم مصر كله ، واضطر الأهالى
تحت وطأة المجاعة المزوعة لبيع كل ممتلكاتهم فقام يوسف وجعل
كل السكان والأراضى من أبنائها إلى أقصاها خاضعين لفرعون ،
وقال للمزارعين :

« عليكم أن تقدموا الخمس للملك ، أما الأربعة أخماس الباقية
فانى أذن لكم أن تقيموا بفلاحتها بتعيشوا عليها أنتم وذوكم
وصشاركم » .

لقد اشترى يوسف أولا أملاكهم ثم اشتراهم هم أنفسهم .

وهكذا ارتبط المصريون بمولاهم برباط وثيق غليظ أشد مما
ارتبط به سكان أى بلد بحاكمهم ، وهذا الأمر يفسر لنا لماذا هم
مرتبطون به ارتباط العبودية .

هكذا صار المصريون عبيدا لحكامهم حتى لقد رحوا ينادون
فيما بعد أميرهم بكلمة « مولانا » التى تنطوى على الاحترام ، وقد
ترسخت هذه الظاهرة فى أيام الفراعنة وانتشرت فى عصر البطالمة
ثم استمرت خلال عهد الرومان الذين أنزلوا البلد - كعادتهم فى

فتوحاتهم الأخرى - إلى مرتبة الولاية ، ولا يزال هذا الوضع القديم مستمرا مما يجعل في الواقع أمير مصر لا يتحمل أبدا أية مسئولية ولا يدرى شيئا عن الاضطرابات والفتن ، ومن ثم ينصرف تمام الانصراف إلى ما فيه متعته ، على حين أن حاكما كيوسف (٢٧) في العهد القديم يقوم بتصريف كل أمور المملكة معتمدا في ذلك على قوة السيف ومنفذا العدالة بدلا من مولاة ، ويسمى هذا الحاكم بالسلطان ، وكان يتقلد هذه الوظيفة (حينئذ) شاور الذي اليد كذيرا .

- ٢١ -

أما السبب في لقب الخليفة فهو كما يلي . ذلك أن محمدا نبي المسلمين (٣٨) عليه الصلاة والسلام (خلفه بعده مباشرة أحد أتباعه واسمه أبو بكر الذي خلفه هو الآخر عمر بن الخطاب ثم جاء من بعده علي ابن أبي طالب (٣٩) ، ونعت كل من هؤلاء الأربعة بالخليفة وكذلك من جاءوا بعدهم لأنهم جميعا خلفوا النبي ، وكانوا ورثته ، على أن خامسهم عليا كان محاربا أكثر من أسلافه وأعلم من معاصريه بالأمور الحربية ، ثم أنه فوق ذلك كله كان ابن عم محمد (عليه الصلاة والسلام) فرأى أن ليس من اللائق الاقتصار على نعته بأنه ابن عمه .

..... (٤٠)

.....

.....

ومما عني غيلة غالت السيادة إلى يد الحزب المناهض له . وأصبحت مملكة الشرق تحت سلطان خلفاء محمد (عليه الصلاة

والسلام) ، فلما صارت القوة فى أيديهم ألجموا جميع أصحاب
الرأى المعارض ، فلما كانت السنة المائتين والسادسة والثمانين بعد
موت الرسول قام رجل بارز يدعى « عبيد الله بن محمد بن جعفر بن
محمد بن على ابن الحسين بن الامام على » فخرج من مدينة سلمية (٤١)
بالمشرق ومضى نحو أفريقية حتى اذا فتح كل بلادها أعلن نفسه
المهدى (٤٢) وبنى مدينة عظمى سميت بنحته هي « المهديّة » شاءها أن تكون
عاصمة ملكه ولدا ضخما يفوق كل ما سواه من البلدان ، كما
أبناء سيطولا احتل به صقلية وخرب بعض أجزاء من ايطاليا ، وكان
هو أول من تجرأ من بين جميع من جاءوا من ذرية (الامام) على ،
ولقب بالخليفة يعنى « خليفة على » الذى هو الامام دون غيره ،
ثم قام واحد من ذريته واسمه « أبو تميم » ويلقب بالمعز فبعث قائده
حوهر الصقلى فاستولى على مصر وشيد القاهرة التى معناها
« الغالبة » لأنه شاءها أن تكون مقام سيده العظيم ومولاه « قاهر »
الجميع » .

وترك هذا الخليفة (المعز) مدينة القيروان الواقعة فى ولاية
أفريقية التى كان قد أقام بها أربعة من أسلافه ومضى الى القاهرة
المذكورة حيث اتخذها قاعدة لمملكته ، ولكنه لم يحدث منذ ذلك
الوقت حتى الآن (٤٣) أن تولى حكم مصر منافس لخليفة الشرق
الذى كانت له الرياسة على مدى سنين كثيرة .

وأذا أراد أحد أن يعرف المزيد عن هذه الأمور فليقرأ التاريخ
الذى راعينا الدقة الكبيرة فى كتابته وجمعت مادته من المصادر
العربية بالإنارة من الملك عمورى وبئر منه ، إذ أنه تاريخ يتعلّق
بأمراء المشرق وأعمالهم منذ زمن محمد (عليه السلام) أى أنه يعطى
فترة من التاريخ تبلغ خمسمائة وسبعين عاما ، أعنى حتى السنة
أبراهنة سنة ١١٨٢ من مولد المسيح .

حين جددت الاتفاقية(٤٤) ووافق الطرفان على بنودها كما فصلنا ذلك من قبل ، راجحاً يشمران عن ساعد الجد لانجاز العمل الذى بين أيديهم ، واستعدوا لمهاجمة العدو(٤٥) واخراجهم من كل أرحاء البلاد ، غير أن دخول الليل أتاح لهم لحظات من الراحة تستحق فيها أبنائهم . فلما أسفر الصباح وجدوا الموقف قد تغير بعض الشيء . لك أن شيركوه كان قد وصل خلال الليل وعسكر على الجانب الآخر من نفس النهر فى مواجهة عسكرنا ، وإن ذلك أمر الملك باحضار المراكب وجذوع أشجار النخيل الموجود هناك بكثرة وبنى من ذلك كله جسرا وأمر بجلب السفن وربط كل اثنتين منهما ببعضهما ببعض بالهلب ، ثم بسطوا عليها ألواح الخشب وهالوا عليها التراب ، فتم بذلك تدعيم الجسر بأبراج خشبية مزودة بالآلات الحربية ، واستمروا فى هذا العمل بضعة أيام حتى بلغوا وسط النهر ثم توقفوا خوفاً من أن يحول العدو بينهم وبين مد الجسر الى الشاطئء المواجه لها ، وتوقفت جميع أعمال المقاومة لشهر أو يزيد ، لأن الصليبيين أصبحوا عاجزين من جانبهم عن عبور النهر، كما أن الأعداء لم يجرؤوا على القيام بمثل هذا العمل تجنباً لغارة نشنها على مؤخرتهم .

هكذا كان الموقف فى مدينة القاهرة .

وبقى خلال فترة الهدوء هذه كان شيركوه قد أرسل طائفة من الرجال للاستيلاء - إن أمكن - على جزيرة مجاورة زاهرة يشتهى أنواع المتونة ، راجحاً من وراء ذلك أن يتمكن من منع الصليبيين من الاغارة عليها فيما بعد ، ولقد تم انجاز هذا العمل (من جانب شيركوه) على أحسن صورة ممكنة .

ما كاد الملك يسمع بخبر استيلاء العدو على الجزيرة حتى بادى فأرسل اليها « ميلون دى بلانسى » والكامل بن السلطان (شاور) على رأس فرقة من الفرسان ، فلما جاؤوها وجدوها وقد فرغ الترك حالا من احتلالهم اياها ، وانهم كانوا يسومون الأهالى المذلة ، فهاجمهم فى لحظتهم وشسبت معركة قاتل فيها كل من المجاذين قتالا ضاريا وانتهت أخيرا بانتصار الصليبيين بعون الرب ، اد ارغموا العدو وكنه على الانسحاب شطرالنهر الذى اتلعت مياهه الهادرة بعض من نجوا من القتل بالسيف ، وهلك فى هذا اليوم من عسكر العدو ورجاله بمختلف صور الهلاك خمسمائة نفس ، فلما سمع شيركوه بذلك تملكه الغضب واستولت عليه الشكوك القاتلة عن مدى النجاح الذى يمكن أن تحرزه حملته .



كانت الأمور تجري على هذه الصورة حين وصل الى ساحة القتال اثنان من رجال الملك من ذوى الرأى ، هما الكونستابل الملكى « همفرى » صاحب تورون و « فيليب » صاحب نابلس وكانا قد تخلفا عن مرافقة « عمرى » لأمر شخصية ، ثم ما لبثا أن لحقا بالجيش واتضما الى معسكرنا ، فهب العسكر للترحيب بهما وهم أشد ما يكونون غبطة وسرورا لما ذاع دين الناس من شجاعتهم وبراعتهم فى حمل السلاح والتمرس بأعمال الحروب منذ نعومة أظفارهما .

لذلك انعقد فى الحال مجلس للتشاور فى الخطة التى ينبغى اتخاذها ، وانتهى اجماعهم الى وجوب اغتنام فرصة سكون الليل فيخرج الأسطول كله دون أن يعلم العدو بخروجه ويمضى الى جزيرة واقعة أسفل المعسكر على بعد ثمانية أميال تقريبا ، وانفقوا على أن يخرج الجيش فى أول نوبة حراسة ليلية على العبارات فيجتاز النهر ، ثم يهاجم العدو تحت جنح الظلام ويصيبه بأكبر خسارة ممكنة .

وصدر الأمر بتنفيذ هذه الخطة ، وسرعان ما مضى الأسطول الى الموضع المتفق على مهاجمته والعدو فى جهل بخبره ، وسار الجيش فى أثر الأسطول الى الموضع المتفق على مهاجمته والسكون مطابق على الكون تمام الاطباق ، ربما لثوا أن وصلوا الى هناك وتم لهم الاستيلاء على الجزيرة .

وبينما كانوا يحاولون اجتياز آخر نقطة فى مجرى النهر وهم على ما هم عليه من التوفيق فى تنفيذ الخطة اذا بريح عاصفة تهب فجأة وتحول بينهم وبين اكمال غرضهم ، فاضطروا لأن يعسكروا حيث هم فى تلك الناحية من الجزيرة المراجعة للشاطئ الآخر ، وتركوا خلفهم بعض قواتهم لاتعام بناء الجسر وحراسه بعد تشييده وولت قيادة هذا الفريق الى « هيج دى ابلين » الفارس المغوار ذى البطش الشديد والذي كان قد تزوج من (أجنس) (٤٦) مطلقة الملك عمورى .

- ٢٣ -

كانت الجزيرة التى نتكلم عنها الآن تسمى عند الأهالى بالمحلة وهى ذات تربة شديدة الخصب تجود بشتى أنواع الثمار ، وقد تكونت من التقاء مياه النيل التى تتفرع عندها ولا تلتقى هذه الأفرع ثانية ، بل تمضى فتختلط بمياه البحر عن طريق أربعة فروع أما أولها الذى يواجه بلدنا الشام فيصب فى البحر بين مدينتين قديمتين هما تنيس (٤٧) والقرما ، وتقترب مياه هذا الفرع اقترابا شديدا فى جريانها من احدى هاتين المدينتين حتى لتكاد أن تمس مبانها ، ولكنها تبعد عن الأخرى بما يقرب من ثلاثة أميال أو أربعة .

أما الفرع الثانى فيصب فى البحر عند مدينة دمياط (٤٨) .

بأما الفرع الثالث فيصب عند سمثريو .

بأما الرابع فيصب في البحر عند مدينة رشيد (٤٩) التي تبعد
- الاسكندرية بأربعة أميال أو خمسة .

ولم يتسن لى أن اكتشف فرعاً أخرى لهذا النهر رغم ما قامت
به من استقصاء وبحث دقيقين ، وعندى أن نهر النيل هذا فريد فى
نوعه لأن القدماء يصفونه بالنهر السباعى الفروع « لأن له سبعة
شاهد تصب فى البحر ، وربما كان التفسير الوحيد الذى يخطر
بالفكر هو أن التغير اعنى وجه الاقليم ، كما بدل النهر مجراه كما
حدث فى كثير من الأنهار الأخرى ، على أنه يمكن أن يقال ان أهل
تلك الحقب البعيدة لم يفهموا حقيقة الموضوع أو ربما أن النهر قد
زادت مياهه أكثر من المألوف ففاضت فأغرقت الأراضى فكان ذلك
فيضانا لم تجر به العادة ترتب عليه شق مجار أخرى أكثر من هذه
الأربعة التى يخلفها البحر حين ترجع المياه الى مجراها الأصلية ،
فإن كان شئ من هذا القبيل لا يزال باقيا فأننا لم نحسبه فى عداد
الفروع لعدم امتلائها على الدوام بالمياه ، ولكن تلك الفروع هى
أشبه ما تكون بالسيول التى تحدث فى فصول معينة من السنة .

وعلى الرغم من الاستيلاء على الجزيرة إلا أن الفرع الأصغر
ظل كما هو ، فلما أشرق الصباح استيقظ العدو من نومه ليجد
خصمه قد رحل وأن الأسطول قد أبحر ، فذهب رجاله الى سلاحهم
تخوفا من هجمة صليبية عليهم يفاجئون بها على غرة ، فلما أسرعوا
الى التقدم وبشوا عساكرهم على طول النهر شاهدوا رجالا قد
استولوا على الجزيرة وأدركوا أنهم بادخلهم الأسطول أصعبوا
واتخذن من عبورهم هذا الفرع دس غيرهم ، ومن ثم نصبوا معسكرهم حيث
كان موقعهم هذا خلف الشاطئ بعض الشئ ، على الرغم

من أنهم بوضعهم هذا لم يعد لهم مجال للوصول الى النهر ، لكنهم كانوا مضطرين للذهاب بعيدا كى تشرب جيادهم .

صمم الصليبيون على تجربة حظهم حتى انتهاء فى اليوم التالى وأن يشقوا لأنفسهم طريقا بالسيف ان دعت الضرورة الى ذلك ، لكنهم لم يعلموا أن الكفار قد رحلوا اثناء الليل ، فلما تبليج الصبح ورأى عسكرنا أن العدو قد رحل عبروا هم النهر على عجل وأسرعوا بطاردته ، وحلفوا وراءهم المناف حيث تكن الخدله أسرع تقدما .

وخرج الملك غير مستصحب معه سوى نفر ضئيل من الفرسان وان كان قد بعث « هيج الابلىنى » والكامل بن السلطان على رأس قوة كبيرة من الفرسان الصليبيين والمصريين معا لحماية القاهرة والجسر الذى كان العسكر قد بنوه ، ولصد أى غزوة عدوانية مفاجئة ، وعهد الى رجال من رجالنا بحراسة أبراج هذه المدينة الرائعة وبجميع تحصيناتها . أما قصر الخليفة الذى لم يكن معروفا للصليبيين فقد أصبح مألوفاً عندهم ، لأن صاحبه الخليفة وكل أهل بيته أصبحوا يعتمدون فى سلامتهم اعتمادا تاما على قوات الملك ، وهكذا أصبح مفتوحا - أمام المسيحيين - قدس الأقداس بعد أن كان سرا مغلقا فى وجه الناس أجمعين ، وانكشف ما كان سرا من أدق الأسرار كانت عجائبه غير معروفة الا لنفر قليل .

كذلك بعث الملك بجيرار « دى بوجى » وابنا (٥٠) آخر للسلطان (شاور) الى الجانب الآخر من النهر على رأس قوة من الشعبين (٥١) ، وصدرت اليهم الأوامر بصد العدو ان (٥٢) هو حاول عبور النهر ، ولما كان الملك نفسه قد خلف وراءه - كما قلنا - معظم أثقال الجيش فقد راح يطارد العدو مطاردة فى عكس اتجاه جريان النهر لأن طبيعة تكوين البلاد كانت تجعل تعقب العدو أمرا من السهولة بمكان .

تقع مصر من أقصى حدودها التي يقال أنها على تخوم بلاد
 الأثيوبيين بين صحرارين رمليتين قضى عليهما أن تظلا فأجلتين
 إلى الآن ، كما أن أرض البلد نفسها لا تنتج أى نوع من الغلة
 إلا فى فصول معينة من السنة بفضل فيضان النيل ، إذا أن هذا النهر
 يحمل تربتها صالحة لانتاج الغلة أنى جرى ماؤه ، فهو كلما صادف
 سطحا مذهبنا فى البلاد انتشر فيه وأحاله أرضا خصبة منتجة ،
 وكلما زادت مساحة الأرض التى تروىها مياهه كلما كثر الزرع
 ونما .

وتجد المياه متسعا كبيرا لها فيما وراء القاهرة كلما اتجهنا
 نحو البحر حيث تكون الأرض مستوية كل الاستواء ، ولذلك كانت
 النواحي التى تفيض بالانتاج الوفير هى الجهات التى يروىها نهر
 النيل الخصب ، وتجد الفلاحة لمسافة مائة ميل أو أكثر تمتد من
 حصن فاقوس (٥٣) المواجه للشام حتى الاسكندرية القريبة من
 الحدود الليبية الصحراوية ، على أنه يوجد فيما بين القاهرة
 وقوص (٥٤) التى هى أقصى مدن جنوب مصر أراض تمتد حتى
 تحاور مملكة الأثيوبيين ، وتحملها التلال الرملية ، لكن النهر
 ينساب فى تلك النواحي هنا وهناك حتى يبلغ أقصى اتساع له
 (ويقدر بسبعة أميال أو ثمانية ، وقد تضيق الأرض التى على ضفتيه
 فتصل إلى أربعة أو خمسة أميال تبعا لاتساع مدى فيضان النيل ،
 وبهذه الطريقة فإن حدود المملكة تنكمش هنا أو تتسع هناك لأن
 الأراضى الزراعية التى لا يروىها النهر إنما هى أراض محكوم
 عليها بالمجذب الدائم بسبب حرارة الشمس القوية ، ويسمى هذا
 الاقليم الأعلى فى لغة المصريين بالصعيد ، ولم نتمكن من الوصول
 إلى أصل هذه التسمية وإن كان كاتبنا « أفلاطون » يذكر الاقليم

لنلميزه « كرتياس » فى حديثه عن سولون المؤلف العظيم . وربما كان أحسن من هذا كله أن نورد نص كلماته حتى يتأكد ما نقوله وهو أن مياه النيل تنقسم عند نهايتها الى فرعين .

وكانت توجد بالقرب من هذه الناحية مدينة عظيمة اسمها « سبس » (٥٥) تحكم حسب العادة القديمة بالقانون الساتيرانى . وقد كان الامبراطور «اماسيس» فى الأصل من هذه المدينة .

وهناك قسم آخر من هذه الناحية الى مصر يقع على مسيرة يوم من القاهرة ، ولكنه غير صالح للسكن وان كان ذا تربة خصبة بفضل فروع النهر التى تروى حقوله وبساتينه المثمرة ، ويسمى المصريون هذا القسم من البلد باسم « الفيوم » (٥٦) .

وتقول الأخبار القديمة ان هذا الاقليم كان أرضا قاحلة جدياء لم يعرف المحراث أبدا طريقه اليها ، وأنه كان مهجورا فلم يعرف الزراعة ولا الفلاحة منذ بداية العالم شأنه فى ذلك شأن بقية النواحي الأخرى من تلك الصحراء ، ولكن لما جاء يوسف (النبى) الى مصر وكان يستعد لكل شئ ويحيله الى ما فيه النفع لمصر فقد استكشف تلك الناحية وعرف انخفاض مستوى أرضها عما حولها من الأراضي وأدرك أنه لو أزيلت بعض الأكمات الواقعة بين المناطق الصالحة للسكن وبين هذا الجزء من الصحراء فى الامكان ان ذاك أن توجد الأرض بأحسن ما يمكنها ان بلغت مياه الري ، لذلك شيد السدود ومهد الأرض متيحاً لمياه الفيضان أن تغمرها وصارت المياه تجرى فى ترع شقت من أجلها بالذات فأخصبت الأرض بعد امحال واهتزت وربت وانتجت ما لم يكن معروفا من قبل .

وعلى الرغم من أنى لا أعرف اسمها القديم الا أننى اعتقد أن هذا الاقليم كان يطلق عليه فى العصور الأولى اسم « طيبة »

التي تزعم الأسطورة القديمة أنه جاء منها الطيبون الطاهرون الذين
توجوا بتاج الشهادة في « أجونيم » Agunum زمن « دقلديانوس »
و « مكسيميانوس » أوجستوس والذين يقال أن أول شهيد منهم هو
« موريشيوس » *

وهناك إشارة أخرى الى أن أحسن أنواع الخشخاش كانت
تسمى هذا ، ومن ثم عرفه المطيبون باسم « الخشخاش الطيبى » -

وإن أرض « جوشن » Goshen التي يقال أن يوسف
منحها لأخوته إنما هي هذا الجزء من مصر وهي تواجه التمام
بدء على الوصف الوارد في سفر التكوين ، وهو أمر يستطيع
القارئ اللبق أن يستنبطه من تلقاء ذاته من قراءته آياه ، وهذا القسم
من الأرض هو الذي يتأخم ليديا ويقع في أقصى الطرف الآخر من
مصر وعلى أبعد نقطة من شاطئ النهر ، وهو إقليم فسيح الأرجاء
يضم فيما يقال ثلاثمائة وستين مدينة وقرية *

وتعتبر المملكة بسبب طبيعة الإقليم شديدة الصغر كما قلنا
حتى أنه لا يمكن التحرك فيها الى اليمين ولا الى اليسار *

كانت الأخبار عن تقدم العدو تأتي الى الملك « عمورى » والى
الوزير (انفاطمي) من غير انقطاع ، وكان ينقلها اليهما كشافتهما
وقد استمرت المطاردة ثلاثة أيام بطولها ، فلما كان اليوم الرابع (٥٧)
- وهو السبت الذي يسبق اليوم الذي تنشد فيه فى الكنائس ترنيمة
« افرحى يا اورشليم » جاء الخبر بأن العدو قد أصبح قريبا منهم *

- ٢٥ -

عقد رجالنا مجلسا اقتضت الضرورة أن يكون قصيرا ، أن
كان واضحا أن هناك حاجة ملحة لسماع المنشورة الحكيمة التي

يعملها الاخلاص القوى وتتطلبها الظروف القاهرة التي لا يصح معها شيء من التسويف فاجمعوا رأيهم على وجوب القتال ، وصدقوا ان اوصى بأن يكون الحكم للسيف في هذه المسألة ، الا أن عدد الفرسان المدرعين بزرديات الحديد ثم يكن متكفئا بين الجانبين ، فقد كان عند شيركوه اثنا عشر ألف تركمانى ، منهم تسعة آلاف يلبسون الدروع على صدورهم والمغافر على رؤوسهم ، أما الثلاثة الآلاف الآخرون فقد اقتصر سلاحهم على الأقواس والسهام كما كانت امرته عبر هؤلاء عشرة آلاف أو أحد عشر ألف عربى يحاربون كمعادتهم بلزهاج ولا شيء سواها .

أما الصنوبيون من الناحية الأخرى فلم يكن لديهم من الفرسان سوى ثلاثمائة وأربعة وسبعين فارسا الى جانب من لا جدوى منهم من المصريين الذين كانوا يشكلون عبئا ثقيلا عليهم وعقبة كأداء أمامهم أكثر من أن يكونوا عوناً لهم ، كذلك كان عندهم من أصحاب الأسلحة الخفيفة الجند المسمون بالتركوبولية وهم من الخيالة ، وان كنت لا أعرف عددهم .

ولقد أخبرنى الكثيرون انه نى خلال الامتداد الهربى الكبير فى ذلك اليوم لم يكن لهذه الطائفة من المعسكر أى جدوى .

ما كان كل جانب من المحاربين يدرك اقتراب الآخر منه حتى رتب صفوفه حسبما تتطلبه الظروف ، ونظم رجاله كتائبهم وأشهرها أسلحتهم ، فأما كبارهم من أهل الرأى السديد الذى هو خلاصة تجاربهم القتالية السابقة فلم ييخلوا على الجند بالمشورة ودلوا لهم النصيحة وأثروا حميتهم وعدوهم بالنصر ، وأتتهم سوف يجنون ثمار نجاحهم فوزا عظيما ومجدا تليدا .

كانت ساحة القتال المتوقع وقوع المعركة فيها هي المنطقة الفاصلة بين الصحراء والأرض الخصبة ، وهي أرض غير ممهدة تكثر بها الكثبان الرملية وتتخللها الحفر مما لا يتسنى معها رؤية القادمين أو الخارجين إن كانوا على بعد منها ، ويعرف هذا الموضع باسم البابين « (٥٨) لشدة ضيق النهر الواقع في تلك المنطقة بين المرتفعات الموحدة على الجانبين . ويبعد هذا المكان عشرة أميال عن النيا ، ومن ثم عرفت هذه البقعة أحيانا بوقعة النيا .

كان العدو ليعد نظره قد احتل المرتفعات الموجودة على اليمين واليسار . ونظم كتائبه استعدادا للقتال ، وأدت تضاريس الأرض وارتفاعها وطبيعة الأرض الرملية الى أن يصادف رجالنا مشقة كبرى في الهجوم على هذا الموقع الذي تمكن شيركوه بمن معه من التركيز فيه ، واصطف الآخرون على الجانبين ، وسرعان ما أصبحت المعركة وشيكة الوقوع لوقوف كل واحد من الخصمين في وجه الآخر . ولم يعد ثم مناص من الحرب بينهما ، وحينذاك تقدم من كانوا مع الملك في شجاعة وعزم أكيد فأحدثوا برجال شيركوه وأعملوا السيف فيهم ، كما أن شيركوه ذاته لاذ بالفرار فانطلق خصمه في أثره يطارد من قريب .

وأما « هيج القيصري » فقد هاجم الجماعة التي كانت بقيادة صلاح الدين بن آخى شيركوه ، غير أن رجاله فروا عنه مما أسفر عن هزيمته ووقوعه في يد خصمه الذي أسر طائفة كبيرة من رجاله « هيج » وقتك بأكثر منهم ، وسقط في هذا الصدام النبيل « استاس شوليه » الذي كان سيدا شجاعا من منطقة « بنتيو » .

ازدهى النصر الكتابب التركية فضمت صفوفها بعضها الى بعض وأحدثت من كل جانب بالقوات الصليبية التي كان موكولا

اليها الحاقطة على المتاع والذخيرة ، وهاجموها هجوما ضاريا
أسفر عن تفرق جموعها وأنزل العدو البلاء بنا .

ولقد لقي « هيج » الذى هو من « كريونا » مصرعه فى هذه
المعركة ، وكان صقلى المولد ذا مجد أثيل وسيرة عظيمة .

على هذه الصورة كان اندحار القوات الصليبية وهلك الكثيرين
من رجالنا ، أما الذين نجوا من السيف فقد لاذوا بأذيال الفرار
فاستولى العدو على متاعهم وذخيرتهم دون أن يبدوا يأسا يوحى
فحمل كل ذلك معه .

أما القوات المشتتة هنا وهناك فى الأودية الصغيرة فقد حارت
حربا لا تدرى فيه مصيرها ، وكان المقاتلون أنفسهم هم الشاهد
الوحيد على ما جرى ، لأنه لم يكن فى قدرة أحد سواهم أن يرى
ما حدث ، على أن معركتهم هذه لم تكن بالمعركة الفاصلة فقد كن
النصر تارة فى جانب الترك وتارة أخرى فى جانب الصليبيين ، وكان
كل منهما يجهل ما حل بالطرف الآخر ، فبينما كان الواحد منهم
يرى نفسه وقد رجحت كفته فى ناحية إذا به لا يلبث أن يراها تشيل
فتلحقه الهزيمة فى موضع آخر ، ولقد جرح أخونا الموقر « رالف »
أسقف بيت لحم والمستشار الملكى الذى تولينا من بعده (٥٩) هذه
الوظيفة (٦٠) ، وكان جرحه شديدا وفقد كل متاعه .

ولقد ظلت نتيجة الواقعة غير معروفة وقتا طويلا دون أن يتبين
أحد الأمر الفصل الا عند انصرام النهار حين عاد الجند المشتتون
للقوف تحت راياتهم ، وسرعان ما انضم اليهم من كانوا قد انطلقوا
بعيدين عنهم ، وكان الدافع لهم الى ذلك هو خوهم من دخول الليل
وحرصهم على أن يكونوا مع الملك ، فعادوا من شتى النواحي وعاد
الملك وهو على وشك الانتصار من حيث كان يقاёл عسكره أما

غيرهم فكانوا يقاتلون هنا وهناك فتلاحقهم الهزيمة فى موضع
ويواتيهم النصر فى موضع آخر ، وبذلك استحال على أحد من
الجانبيين أن يزعم أن المعركة كانت فاصلة ، وانتهى الأمر
اخيرا بأن انسحب الملك وقتة ممن كانوا معه الى أحد التلال الذى
يرتفع بعض الشيء عن السهل فربطوا به ، ثم رفع « عمورى »
علمه ليتجمع تحته عسكره المشتتون ، ووقف هو يرقب توالى حضور
رفاقه ، فلما تجمعوا رأى الصليبيون الفريق التركى الذى كان قد
استولى على هتاعهم وقتك برهته دوى وأسروا غيرهم ٠٠ أقول رأوه
وقد ساءتة الفوضى وعنه الاضطراب وهو على التلين المواجهين
لهم ، ولم يكن هناك أى طريق يسلكه جيشنا ان هو أراد الارتداد
الا أن يمر بين هذين التلين اللذين يحتلهما العدو ،
وان أجمع الصليبيون عزمهم على الارتداد مهما كانت الظروف فقد
رتبوا صفوفهم وشرعوا فى التقدم فى بطاء بين العدو الذى كانوا
يرونه على يمينهم وشمالهم ، وساروا فى ثبات عجيب حتى أن
الكفار لم يجزؤوا على محاولة التصدى لهم بالأذى . ولما كان
رجالنا قد أوقفوا أقوى رجالهم وأحسنهم تسليحا حولهم فقد شقوا
طريقهم الى موضع معين من النهر وجدوا به مخاضة فعروه منها
سالمين ، واستمروا على هذا المنسق من التنظيم فى ارتدادهم طول
الليل فى نفس الطريق الذى سبق لهم أن تقدموا منه .

وصادفهم فى المنيا « جيرارد دى بوجى » ومعه خمسون
فارسا ومائة من التركبولية يعاونهم أحد أبناء السلطان واسمه
محيى الدين (٦١) الذى كان يقف على الشاطئ الآخر من النهر
لصد العدو ان حاول العبور ، والواقع ان الفسحة قد دبت فى
النفوس بوصول « جيرارد دى بوجى » لأن الملك كان يخشى أن
يهاجمه الأعداء وهو وحيد على إحدى ضفتى النهر ، كما أنه كان
جزءا على طائفة المشاة التى كانت تسير تحت قيادة الفارس الحكيم

الشجاع «جوسلين» صاحب سميسط . وكان أشد ما يبعث على الخوف أن يعترضهم العدو فجأة وهم بلا حراسة .

وظل الملك فى انتظار وصولهم الى « المنيا » مدة طالت حتى بلغت ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع أخذ المتأمة هى التجمع شيئاً فشيئاً وانضموا الى قواته ، ثم تابعوا الزحف بلا توقف حتى بلغوا الجسر الموجود أمام بابليون فعسكروا عنده ، وشرع الملك فى احصاء فرسانه فثنين له هلاك مائة منهم . وقيل ان هلكى العدو حين احصوا كانوا ألفا وخمسمائة .

- ٢٦ -

حينذاك جمع شيركوه كل من بقى من عسكره وجعلهم طائفة واحدة ثم زحف سرا دون علم الصليبيين مجتازاً بهم الصحراء وقاصدا الاسكندرية فأسرع أهلها لتسليمه المدينة وجاء فى الحال خبر هذا الزحف الى الملك الذى استدعى فى لحظته كبار مستشاريه ومعهم السلطان (شاور) وأولاده وعليه المصريين ، وشاورهم فى الأمر فى ما يتخذه من الاجراءات ، وبعد الحوار الطويل الذى يطول فى مثل هذه الأحوال التى هى موضع خلاف فى وجهات النظر تم الاتفاق على انزال الأسطول فى البحر لمضايقة العدو وتعطيله ، لأنه لم يكن فى داخل الاسكندرية مخزون من الحبوب ولا غيرها من مواد الطعام ، ومرجع ذلك اعتماد المدينة كلياً على ما تجلبه اليها السفن من صعيد مصر ، ومن ثم كان وضع الأسطول على هذه الصورة يسد فى وجوههم جميع منافذ المتاجرة مع من هم فى خارجها ، فلما فعلوا ذلك قاد الملك جيشه كله وضرب معسكره بين تروجة (٦٢) ودمنهوور فى موضع يبعد عن الاسكندرية ثمانية أميال وراح يطلق منه عيونيه لاستكشاف تلك الناحية ،

واعتساد ما يستطيعون اعتساد من المنقذات والمساكن ، مستهدفا من وراء ذلك قطع الطريق على أية نجدة تريد الوصول اليهم ومنع أى رسل يحاولون مغادرة المدينة لطلب النجدة من خارجها ، وزاد على ذلك بأن قام رجال الأسطول بسد كل المنفذ النهرية ، ولم يعد يسمح لأحد ما - مهما كان مجروفا عندهم - بركوب النهر الا بعد استنقضاء وتحذر دقيقين .

وانقضى شهر على هذه الاجراءات الاحتياطية انقطع خلاله عن المدينة وصول أى امدادات تموينية من خارجها ، وعم التذمر الناس قاطبة ، فقد قل الخبز عندهم وعدموا الطعام ، فلما وصل خبر ذلك الى علم شيركوه تسرب الخوف الى نفسه خوفا من أن يكابد جيشه هو الآخر المجاعة التى يقاسيها هؤلاء ، لذلك ترك ابن أخيه صلاح الدين ومعه ما يقرب من ألف فارس لحراسة المدينة ، أما هو فقد انسحب تحت جناح الظلام مجددا الصحرَاء ، وعلى الرغم من أنه كان قريبا كل القرب من قواتنا الا أنه دبر خطة فراره الى صعيد مصر الذى كان قد جاء منه منذ قليل .

ما كاد الملك يعلم برحيل شيركوه حتى بادى فتعقبه حتى بلغ بابلليون ، وكان جنده جميعا على استعداد للتقدم حين جاءه على غير توقع واحد من كبار رجالات مصر الأقوياء واسمه ابن عبد الرسول (٦٢) وأفضى اليه بما تكابده الاسكندرية من المجاعة القاتلة ، وزاد فأخبره أن له أقارب من ذوى النفوذ الكبير فيها وانهم أشبه ما يكونون بحكام لها ، وأنهم قادرون فى سهولة ويسر على توجيه سكانها الجوعى الوجهة التى يريد بها الملك حتى ولو كان فى ذلك تسليمهم المدينة اليه هى وجميع من بها من الترك ، فتأثر الملك بهذا الخبر وراح يستفسر من مستشاريه عن أحسن السبل التى يرون اتباعها ، ولما كانت رغبات الجميع واحدة بما فيهم السلطان

(شاور) ذاته فقد كروا راجعين الى الاسكندرية وحاصروها
بالجيشين معا .

- ٢٧ -

تعتبر الاسكندرية آخر مدن مصر الواقعة فى الاقليم الممتد
غربا نحو ليبيا ، وهى تقع على الحدود الفاصلة بين المناطق
الخشبة وبين الصحراء الجرداء ، كما يقع خلف أسوارها وعلى
تخومها الغربية مباشرة منطقة فسيحة لم تنعم قط بنعمة الزراعة
ولم يهتم بها أحد فيرعائها ، وقد جاء فى كتب التاريخ القديم أن
الاسكندر المقدونى بن فيليب هو الذى بناها فسميت باسمه ، ويذهب
« يوليوس سولينوس » للقول بأنها سئدت أيام الألبىاد الثانى عشر
بعد المائة فى أيام قنصلية « لوكيانوس بابيروس » بن « فوربوس »
وزمن « بتيليوس بن جايوس » ووضع حجر أساسها المهندس
« دنيوكريتس » الذى كن يقبوا المرتبة الثانية فى نظر الشعب
تمجيدا له .

ولا تبعد الاسكندرية كثيرا عن مصب النيل الذى يسميه
بعضهم بالفرع الهرقلى ، ويسميه البعض الآخر بالفرع الكانوبى .
على أن هذا الموضع الذى اشتق منه اسمه وكان أقرب الفروع الى
المدينة ضاع فيما ضاع من الأسماء ، ثم أطلق عليه اسم فرع
رشيد .

وتقع هذه المدينة على بعد خمسة أو ستة أميال من مجرى
النهر ، فإذا كانت أيام فيضانه جاءت مياها عبر كثير من القنوات ،
وتبذل العذاية الكبرى فى الاحتفاظ بمياه الفيضان هذه فى صهاريج
ضخمة أعدت خصيصا لهذا الغرض ليستعملها الناس على مدار

السنة ، وتصرف - كلما دعت الضرورة - فى قنوات تدنية لرى
السنتين الواقعة خارج المدينة .

والاسكندرية أصلح ما تكون التجارة الواسعة ، ولها ميناءان
يفصلهما عن بعضهما لسان من الأرض ضيق جدا ، ويقوم عنده
برج شاهق الارتفاع يسمى بفاروس ينسب الى يوليوس قيصر الذى
بناه للارتفاع العام به ولانشاء مستعمرة هناك .

وترد الى الاسكندرية من مصر العليا عبر النيل مختلف أنواع
الأطعمة وكميات هائلة من شتى صنوف البضائع ، وإذا احتاج البلد
الى شىء ما جاءت السفن الضخمة بأحمال كبيرة منه من البلاد
الواقعة وراء البحر مما ترتب عليه ذبوع شهرة الاسكندرية ، وأنه
يصل اليها كميات هائلة من مختلف أنواع البضائع التى تفوق غنى
حجمها الكميات التى تصل الى أى مدينة بحرية أخرى ، وإن كل
ما تحتاجه بلادنا من أنواع التوال والجواهر والتحف الشرقية
والمصنوعات الأجنبية إنما يرد من بلاد الهند وسبأ وبلاد العرب
والحبشة والسودان وكذلك من فارس وغيرها من البلدان المجاورة
لها ، حيث يتم نقل كل هذه السلع الى صعيد مصر عبر البحر الأحمر
الذى يعتد المنفذ لهذه الشعوب اليها ، ثم تفرغ السفن حمولتها
فى عيذاب (٦٤) الواقعة على ساحل هذا البحر ثم ينزلونها فى النيل
الى الاسكندرية ، ولذلك فإنه يتدفق عليها جموع غفيرة من أهل
الشرق والغرب معا وتصبح الاسكندرية سوقا عاما لكلا العالمين ،
ولذلك ذاع صيتها فى العالم القديم والحديث على السواء ، وإن
تجارت ذروة الشرف وكانت لها الصدارة بسبب الميالك الطوبانى
مرقص الابن الرومى لأمير الرسل الذى بعثته العناية الالهية
لكنيستها فيشر بها بين الناس وهداهم ، وزيادة على ذلك فقد ارتفع
صيتها إذ اختارها الأبسان الطوبانيان « أثاناسيوس »

و « كيريل » ، كما أبحا ثم دفنا فى ثرابنا بعد موتهما . وتعد كنيسة الاسكندرية ذاتى الكنائس الأربعة الكبرى ، كما أنها تعتبر الكنيسة الأم لكنائس مصر وليبيا ونيقياوليس وغيرها من الولايات .

ولقد أرسل الأسطول كله الى الاسكندرية ولكن كانت جميع وسائل الاقتراب منها موصدة فى وجهنا ولم يؤذن لأحد ما بدخولها .

- ٢٨ -

حينذاك علم من بقى من الصليبيين فى الشام بحصار الملك للاسكندرية وعرفوا انهم قادرون على بلوغ هذه المدينة فى ايام قلائل لو أنهم ظلوا مبحرين بلا توقف ومن ثم حملوا السلاح وتلهفوا على السفر سريعا ، وأوسقوا سفنهم بكل ما يلزمهم من الميرة . وفردوا قلاعهم مبحرين فرحين الفرحة الغامرة ، ورافقهم فى سفرهم هذا سلفنا « فردريك » رئيس اساقفة صور الذى أثارتة حماسة الآخرين وحبه الكبير للملك ، فمضى الى مصر على ظهر احدى السفن فى زمرة من أتباعه الأفاضل ، لكن سرعان ما داهمه مرض الدوسنتاريا الخبيث لشربه من مياه النيل ، وزادت عليه العلة حتى اضطر الى الرجوع الى بلده قبل استيلاء الملك على الاسكندرية .

احتشد ايام الاسكندرية الجيش المحاصر لها وجمع اعدادا كبيرة من السفن ، وأرسل القوم فى طلب الصناع والنجارين وكلفوهم ببذاء برج شاهق الارتفاع يمكن للواقف أعلاه أن يطالع كل نواحي المدينة ، كما أن الآلات التى تسمى بالنطاريات والتى ترمى بالأحجار الثقيلة الضخمة وضعت فى الأخرى فى أماكن استراتيجية حول الاسوار ، وشرعت ترمى من غير انقطاع كتلا صخرية ضخمة ثقيلة

الوزن فدكت الأسرار التى تصلها ، وبثت الفزع فى قلوب السكان بصورة لاقترة لأحد على احتمالها .

كانت البساتين المثمرة البهية المنظر والمحملة بكل أنواع الثمار والفاكهة والنباتات الطبية تحيط بالمدينة حتى لتبدو وكأنها غابة ملتفة ، وكان هذا المنظر البهيج يغرى من يمر بهذه الحدائق على دخولها ، فان دخلها طاب له أن يستريح بها ، ولقد اقتحمها عسكرينا فى جموع ضخمة وكان الحافز لهم على هذا الاقتحام أولا رغبتهم فى العثور على المواد التى تعينهم على بناء آلاتهم ، لكن سرعان ما تملكهم همة واحدة هى التخريب وانزال المصرة بأبلد قاندفعوا اندفاعا جنونيا فاجدثوا النباتات العطرية التى تصلح لكثير من الأغراض ، وما لبثت هذه الحدائق والبساتين أن سويت بالأرض ولم يعد ثم أثر الى ماكانت عليه من قبل ، وترتب على هذه الانتهاكات أن تعالت شكوى الناس المريرة وزادت من مرارتهم أنها جرت بعد عقد معاهدة الصلح التى تمت الموافقة عليها ، وأوا أنهم جوزوا على ما وافقوا عليه أسوأ الجزاء .

واستمر جيشنا فى حصاره الذى تضاعف عن ذى قبل . ولم يدع وسيلة تؤدى الى الأذى الا استعملها وتفنن فى أساليب جديدة لازعاج المحصورين ، ولم تترك الهجمات المستمرة للمدافعين المجاهدين فرصة يلتقطون فيها أنفاسهم ، أما الأهالى الذين اقتصر نشاطهم على ممارسة المتاجرة ولم يتعودوا على القتال ولم تكن لهم خبرة بالحرب فقد رأوا أن ما نزل بهم من مشقة غير معهودة إنما هو أمر بالغ الشدة ولايطبقون معه صبورا .

وأما الترك الذين ظلوا مقيمين بالمدينة فكانوا شرنمة قليلين لا يستطيعون الاطمئنان على أنفسهم ان هم ركنوا فى حماية أنفسهم

الى الأملى الذين ضعف عزمهم ووهى بأسهم ، لئذ كانوا نادوا
ما يبرزون للقتال ، فان عم قاتلوا لم يكن قتالهم بالذى يشجع غيرهم
على الحرب .

مهل ثمت حاجة لمزيد من القول ؟

لقد فت القتال الدائر رحاه كل يوم فى عضد الذس ، وأحزنهم هلاك
الكثيرين من اخوانهم وقياهم بالحراسة طول الليل ، وكانوا داء خيم
الظلام فزعوا من الظلام ، وفوق ذلك كله فقد أضنتهم شدة حاجتهم
للطعام ونذرتة عندهم مما أدى الى استيلاء اليأس على نفوسهم ،
فثبطت همهم حتى لقد نحاوا جانبا كل رغبة فى الحرية وأثروا أن
يسلموا المدينة وأن يكونوا رقيقا لأى من الناس مفضلين ذلك على
أن يموتوا هم ونسائهم وصغارهم خرثى فى بيوتهم ، وعم التذمر
الناس فى أول الأمر فكان مهمة ثم مالبث أن صار جهورا وعلائية
فصرخوا أنه يجب عليهم اتخاذ اجراءات معينة لتخلصهم من هذه
الكارث الفادحة وتؤدى الى رفع الحصار عنهم فتعود المدينة الى
ساق عهدا من الكرامة والحرية .

ما كان لهذا الشعور العام الذى استولى على الناس أن
يقوت انتباه صلاح الدين قبادر بارسال المعوثين من ناحيته فى
سرية تامة الى عمه (شيركوه) مع تقرير مفصل عما فيه الدنة من
حازق وشدة ، وأظهر حاجته الملحة الى الطعام وميل الأملى
للانقراض عنه هو ذاته ، وكان أعظم ما ألح به عليه هو أن يعث
اليه فى الحال بنجدة تنقذه ، ووجه همته أثناء انتظاره هذه النجدة
الى كبار رجال المدينة وأهلها على السواء فذكرهم بأن واجبهم
يقترضهم أن يداربوا حتى آخر رمق من أجل نسائهم وأطفالهم ،
وحثهم على الاقتداء بتقاليد أسلافهم ، وأنبأهم أن الغوث قريب ،

من النجدة على وشك الوصول ممثلة في دخول عمه شيركوه مصر
بخطرها الأعداء وينفذ الاسكندرية ، وأنه واصل على جناح
سرعة على رأس أعداد كبيرة من العسكر .

أما ما كان من الملك (عموري) فإنه لما كان مدركا تمام الإدراك
مدى القلق الذي يعانيه الأهالي فقد طالب بمضاعفة الحصار
استمراره ، وكان كلما علم بما فيه الناس من أحوال سيئة بائسة
كلما شدد من هجومه عليهم . كما استعد السلطان (شاور) من
حيته فلم يقصر في تحريض جميع القادة وبسط كفه بالمال في
الصرف على آلات البناء الخاصة ، وبذل المبالغ الكبيرة على كل
ما تتطلبه الحرب ، وغالى في أجور العمال ، وأجزل العطاء للفقراء
والمعوزين ، كما أهتم اهتماما خاصا بالجرحى وأولاهم العناية
الواجبة ، وسخى على المقاتلين لاسيما من اشتهروا بالشجاعة في
القتال .

- ٢٩ -

بينما كانت هذه الأحداث تجري أمام الاسكندرية كان شيركوه
يحارب في مصر العليا ، وتابع زحفه حتى اذا بلغ مدينة قوص حاول
الاستيلاء عليها عنوة ، وشن عليها هجوما خاطفا لكنه سرعان
ما أدرك أن جهوده في هذا المجال لن تثمر الثمرة المرجوة ، لما
يتطلبه انجاز هذا العمل من وقت طويل ، هذا بالإضافة الى أن وضع
أبن أخيه (صلاح الدين) المتأزم يفرض عليه الانصراف الى عمل
آخر ، ومن ثم قبل أن يتسلم من هذه المدينة ماتقدمه من المال وأن
يسرع في متابعة زحفه على رأس قواته الى مصر السفلى .

ولما وصل شيركوه الى بابلليون وجد أن الملك كان قد أرسل
« هيج دى ابلين » ليتولى حراسة القاهرة والجسر الذي بها ، أي

انه وجد الأمور على غير ما تصوره ولذلك : ث فى استقدام صاحب
قيصرية الذى كان أسيرا عنده ودعا الى حديث ودى - ولما كان
شريكوه رجلا نلق اللسان ، لطيف المعشر ، بشوش الوجه فقد بدأ
يتكلم اليه بكلمات تفنن فى اختيارها وقال له :

« انك أمير جليل القدر سامى الرتبة وعظيم النفوذ بين قومك .
وانى ما كنت أوثر أحدا من البارونات غيرك لو شئت لأحعله موضع
ثقتي وأأتمنه على سر يتلجج فى صدرى ، ولكن شاء حسن الطالع
وحده أن تكون انت دون سواك هذا الرجل ، وشاءت الحرب أن تقدم
لى فرصة ما كان يمكن الحصول عليها الا بشق النفس لأستعين
بخبرتك فى هذا الأمر الذى أنا فى حاجة ماسية اليك فيه ، وانى
لأعترف لك بصراحة أننى طموح للمجد شئى فى ذلك شأن الخلق
اجمعين ، وقد اجتذبنى ثراء مملكة مصر ، كما لا أكتفك أن نفسى
روادتنى أن تكون هذه المملكة لى فى يوم من الأيام اعتمادا على
طبيعة أهلها الذين لا حول لهم ولا قوة لذلك جئت الى مصر رغم
كثير من الأخطار وبذلت البذل الكبير ، ولقيت الصعاب الجمة ،
وجاء معى اليها نفر كبير من الفرس - ان ، تحدوهم نفس الرغبة
الجامحة التى تضطرم فى صدرى ، لكن آمالى لم تتحقق ، اذ انى
أرى الآن أن المقادير تحول منى وبين دخولى البلد ، فهل تراها
تسمح لى بالعودة اليه تحت ظروف أطيح ؟ انك كما أقبل رجل
على الهمة سامى القدر وقريب الى قلب الملك ، كما أنك نأقذ الكلمة
عنده مسموعا ، فهل لك أن تكون وسيط الصلح بينى وبينه ؟ ، ولعل
النجاح يتم على يديك فى هذا المسعى ، فامض الى الملك (عمورى)
وقل له : انذا (٦٥) نضيع وقتنا هنا سدى ، وهامى الأيام تمر دون
أن تتمخض عن شىء ، وهناك أميرا هامة تمتازم وجردنا فى ديارنا ،
كما أن تواجد الملك فى مملكته من ألزم الأمور ، ولكنه يبعثر جهوده
هنا من أجل غيره ، فلى انه تغلب علينا فلا بد له من أن يسلم كل

ثروات هذا البلد الى سسكانه المتعساء الذين حرموا الحياة فدعه يسترد أسراه الذين هم فى يدى الآن ، واطلب اليه أن يرفع الحصار ويرد على أعدائى الذين فى يده ، كذلك الذين سست عليهم المنافذ فى مدينة الاسكندرية ، وانى لمستعد من جهتى للخروج حالما اتسلم منه تأكيداً بعدم ازعاج عسكره لنا فى الطريق والتعرض لهم بما يضرهم » .

- ٣٠ -

بعد أن استمع « هيج » لهذا الكلام أخذ يدير فى ذهنه هذا العرض الذى تقدم به شيركوه ، ومضى يفكر فيه تفكيراً دقيقاً بما طبع عليه من الفراسة والفطنة ، ولم يساوره أدنى شك فى أن الصلح تحت ظروف الاتفاقية لابد وأن يكون خيراً للصليبيين ، لكنه تردد فى أن يقوم بنفسه باداء هذه المهمة مخافة أن تذهب الطنون بالبعض الى أنه يسعى لما فيه حريته هو ذاته أكثر مما يسعى لما فيه النفع العام ، لذلك رأى أن ربما كان من الأشرف له أن يقوم أحد غيره بالخطوة الأولى فى هذا الموضوع ، ولقد ذكر لى (٦٦) فيما بعد وأفضى الى مدرا بشعوره هذا واتمنى عليه .

ومن ثم فقد عهد بهذه المهمة الى أسير آخر هو « أرنولف » من تل ناشر وكان صديقاً للملك ، كما أنه كان قد وقع أسيراً فى نفس المعركة التى وقع فيها « هيج » الذى نتكلم عنه الآن ، وكلفه هيج بحمل الرسالة الى الملك (عمورى) فمضى (أرنولف) فى لحظته الى وشرج له بالتفصيل الغرض من حضوره ، فبار الملك الى عقد مجلس ياروزاته ، كما حضره السلطان (شاو) وولداه ، فبسط أرنولف عرض شيركوه وشرح طبيعة العرض ، فقابل الجريح فكرة الصلح بالاستحسان ، وتبينوا أن ليس فى الشروط المقدمة ما

مودة لاتشوبها شائبة ويبتسطون فى الكلام مع العسكر الذين كانوا يخافونهم منذ قريب ويعدونهم رسل الخطر والهلاك .

لم يكن الصليبيون أقل منهم لهفة وشوقا لدخول المدينة التى كانت هدفا لحملتهم منذ أمد بعيد ، وراحوا يتجولون فى شوارعها أحرار ، ويملاؤن نواظرهم من أبوابها وحصوننها ، وتجمعت من ملاحظاتهم الدقيقة مودة كانوا يستطيعون - بعد عودتهم الى ديارهم - أن يقصروا حنيا على نحوهم مختلف القصص فتلتذ بها ذان سامعيها .



ويشرف على هذه المدينة الرائعة برج شاهق الارتفاع يقال له « فاروس » يظاول النجم بنوره المشع المتبثق من كثير من المشاعل المنيرة التى تهذى السفن التى لا تعرف المنطقة حتى لا تضل طريقها ليلا ، وذلك لأن الاقتراب من الاسكندرية محفوف بالمخاطر الجسيمة ، بالاضافة الى أن البحر المظلم ملئ بكل ما ينطوى عليه من الأخطار، فتكون هذه المصاييح المتقدمة على الدوام والموجودة فوق هذا البناء تحذيرا للمبحارة لتتنجو سفنهم من العطب وتأمين خطر الجنوح ، وليبحروا بها سالمين .

ورفع على هذا البداء علم الملك (عمورى) خفافا رمزا لانتصاره ودايلا على الاستسلام الذى ظل الكثيرون يجهلونه حتى لحظتهم هذه وحينذاك - وقد رفرفت راية الملك - أصبح معروفا للجميع أن السلام قد استتب ، وعلى ذلك فان الكثيرين الذين كانوا يتخوفون فى بادئ الأمر من الاتفاقية وينظرون اليها نظرة الشك والريبة ويخشون الاستسلام للصليبيين فانهم - وقد رفرف السلام - لم يترددوا فى الاتصال بنا ، واجامأوا الى صدق عهودنا - على أن شيئا واحدا فقط هو الذى بدى غريبا كذا الغرابة وأعنى به أن جيشا قليل العدد استطاع

أن يدس في الاسكندرية مثل هذا العدد الكبير من الأهالي ومعهم كثير من الأغراب الذين تعاونوا تعاوننا صادقاً في الدفاع عن البلد ، وإن هذا الجيش (الصليبي) أرغمهم على الاستسلام المهين ، إذ لم يكن عند الصليبيين أكثر من خمسمئة فارس وأربعة آلاف أو خمسة آلاف من المشاة — أما المحصورون فكانوا يزيدون على خمسة آلاف رجلاً ، وكلهم من القادرين على حمل السلاح .

- ٣٢ -

حينذاك خرج صلاح الدين من المدينة ومضى إلى الملك وظل مقيماً في المعسكر الصليبي تآهباً للرحيل ، ولقى صلاح الدين كل مظاهر الاحترام في المعاملة ، وجعلوا له حرساً لحمايته من أي أهانة قد يتعرض لها من قبل أناس لا خلاق لهم .

أما السلطان (شاور) فقد سار على رأس عسكره في صفوف يتلو بعضها بعضاً ، واجتاز أبواب المدينة مزهواً وهو المنتصر ، تتقدمه الطبول ، وتنفخ أمامه الأبواق وكل آلات العزف ، ومشت حوله أجواق المغنين وسار أمامه الخدم الكثيرون وزمر من المنادين في زيهم الحربي ، ولكن القلق أفزع البعض إذ أدان نفراً فأمر بقتلهم وأطلق سراح الآخرين ، ذلك أنه وإن كان يأخذ المذنب بالشدة إلا أنه كان يضيف نعمه وصلاته على من يستحق النعمة والصلة .

ثم قضى أخيراً على أهل الاسكندرية بدفع مبلغ كبير من المال لم يحدد قدره ، ورتب طائفة لجمع الضرائب ، وعين الحباة من المدينة لجمع الكوس ، فلما جمعوا قدراً كبيراً من المال عهد شاور بأمر المدينة إلى عمال مخلصين له من خاصة أتباعه ، وعاد إلى معسكره تهبه نشوة المجد .

بعدئذ تشوق الجيش الصليبي الى دياره ، فاما الذين كانوا قد
نسموا عن طريق البحر فقد أعدوا ما يحتاجونه في رحلتهم ، وركبوا
السفن راجعين الى بلادهم مغتبطين بما هم فيه ، كما أمر الملك بحرق
الآلات وحزم الأمتعة ، ثم مضى في طريقه الى بابل يون حيث انضم
الى عسكره من كان قد تركهم هناك من قبل ، ثم أقر السلطان في
حكومة المملكة وأخرج العدو واسترد رجاله الذين كانوا في الأسر ،
ودخل عسقلان يوم الحادى والعشرين من أغسطس سنة ١١٦٧ ،
وكان ذلك في السنة الخامسة من حكمه .

انتهى الكتاب التاسع عشر

حواسي الكنايب القنصون : منبر

(١) هو أمالريك أو عمورى دى نيزل الذى ولى بطركية بيت المقدس خلفا للبطرك فولشير فى نوفمبر ١١٥٧ م ، وذلك باختيار خفى من الملكة الوصية ملينزد لمعرفة القوية به وصداقتها الراسخة ، وقد تم علو يده عقد قران « ماريا كومينا » فى كنيسة صور فى أغسطس ١١٦٧ م ، ثم أرسله الملك عمورى على رأس سفارة الى كل من الامبراطور فردريك ولويس السابع وهنرى الثانى ملك انجلترا ومرجريت الوصية على صقلية ، والى كونت فلاندرز ودى بلوا وذلك سنة ١١٦٩ م لكن لم يقدر اتمام هذه السفارة فقد هبت عليها ريح عاتية ردتها الى عكا . كما أن أمالريك البطرك هذا صاحب عمورى فى ديسمبر ١١٧٠ م فى زحفه على الداروم .

(٢) تولى « ايمرى » الذى هو من ليموجيس بطركية أنطاكية بعد نزاع ١١٦٩ م الدينى الذى تدخلت فيه البابوية ونجم عنه خلع البطرك « روبلف » لعدم امتثاله للحضور أمام المجمع فاختر مكانه « ايمرى » الذى كان كثير التدخل فى السياسة المحلية بالامارة ، كما كان صديقا حميما للمؤرخ الصليبي ميخائيل الاسريانى ، هذا الى جانب موقفه فى استدعاء الملك بلدوين حين مات ريموند أمير أنطاكية خوفا من تقدم نور الدين ، وقد تدخل بصورة مباشرة فى النزاع البيزنطى الأرمنى ، كما أدى طيش « أرناط » الى مطالبته « ايمرى » بمبالغ مالية ضخمة لم يكن فى استطاعته دفعها

هأمانه أرناط وسجنه وجرمه وجرسه حتى لقد لطح جراح رأسه بالعسس وأوقفه فى حمارة القيط وكبله بالحديد يوما بأكملة مما أغضب بلدوين ملك القدس وأرغم أرناط على إطلاق سراح الطيرك فأطلقه فمضى إلى القدس فرحب به حاكمها وأمه الملكة مليزند ، ولكنه كره العودة إلى كرسى بطركيته - ولما نودى ببوهيموند البالت أميرا شرعيا على البلاد عهد الملك بلدوين إلى « ايمرى » دى لينجويس « بحكومة البلد بعض الوقت مما أغضب الأميرة « كونسانس » فالتهمت من الامبراطور مانويل التدخل لصالحها كما يشير إلى ذلك وليم فى الترجمة اعلاه . راجع فى هذا أيضا

Michael Le Syrien, Ch. IX, p. 111 - 124

(٣) المقصود بذلك الأميرة « أجنس » التى تزوجها - بعد انفصالها من عمورى - أحد نبلاء المملكة وهو كونت هيج دى بلين صاحب الرملة .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨١ .

(٥) بلبس من المدن المصرية القديمة واسمها القبطى Beok والرومى Bēkos وأشار محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ٢ ، ج ١ ، ص ١٠٠ إلى تعدد أسمائها ، وقد وردت الإشارة إليها فى ابن خرداذبة وابن حوقل والمقدسى وفى صبح الأعشى ، ووصف المقرئى أهلها فى خطه بأنهم « أصحاب نعمة ويسار » .

(٦) المقصود بذلك عمورى ملك القدس .

(٧) راجع حسن حبشى . نور الدين والصليبيون حركة الامانة الاسلامية فى القرن السادس الهجرى .

(٨) فى الاصل « السلطان » وهى الكلمة التى دأب وليم الصورى على استعمالها للوزيرين شاور وضرغام .

(٩) من الأمور الجديدة بالملاحظة مساهمة رجال الدين المسيحي مساهمة فعالة فى حمل السلاح واستعماله ، وقد أشارت إلى ذلك الأمر المؤرخة أنا كومينا وأوردت فى كتابها « الكسياد » أمثلة عدة على هذه الظاهرة فى بيزنطة .

(١٠) وكان ذلك فى أغسطس ١١٦٤ م ، وانظر

Stanley Lane-Poole, Hist. of Egypt in the Middle Ages, Pt 177 — 178.

(١١) المقصود بلفظ السلطان « هنا الوزير شاور » انظر الحاشية رقم ٨

(١٢) المقصود بذلك نور الدين وأسد الدين شيركوه .

(١٣) يتكرر لفظ « مارتل » أى « المطرقة » فى كثير من الأسماء الفرنسية
هى العصور الوسطى ، ويعرف العرب من هؤلاء على وجه الخصوص « شارل
مارتل » فى معركة بواتييه عام ٨٣٢ م

(١٤) المقصود بذلك نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى راجع عن
سيرته وجهاده حسن حبشى : نور الدين والصليبيون .

(١٥) يريد المؤلف بهذا اللفظ « الأكراد » . وان كان المراد به الفرس
عامة والسلاجقة .

(١٦) المقصود رفع الحصار عن حارم . وتمثل أهمية هذا المكان فى
أنه قلعة شديدة الحصانة مجاورة لأنطاكية ولكنها داخلية فى أعمال حلب ،
وقد أشار الى «حارم» الجغرافيون المسلمون فى العصور الوسطى أدنال ياقوت
فى محممه ، وابن عبد الحقيق فى مراصده وأبى الفدا فى جغرافيته .
راجع ذلك بالتفصيل فى

Le Strange (G) . Palestine Under The Moslems, P. 449.

(١٧) فى هذا إشارة الى ما جاء فى أعمال الرسل ١٩/٢ - ٢٠ « وأعطى
عجائب فى السماء من فوق ، وآيات على الأرض من أسفل . دما ونارا وبخار
دخان ، تتحول الشمس الى ظلمة ، والقمر الى دم قبل أن يحيى يوم الرب
العظيم » ومثل هذا الكلام وارد أيضا فى يوثيل ٣١/٢ .

(١٨) ضببطت الأسماء وصححت فى العربية على ما ورد فى لوقا ١/٣ .
وانظر أيضا قاموس الكتاب المقدس ، حرره بطرس عبد الملك ، وجون
الكساندرطمس ، وإبراهيم مطر .

(١٩) راجع متى ١٣/١٦ - ١٩ . اما بقية النص فهى « فقلوا يوحنا
المعمدان ، وآخرون ايليا ، وآخرون أرميا أو واحد من الأنبياء . قال لهم .
« أنتم من تقولون أنى أنا » ، فاجاب سمعان بن بطرس وقال « انت هو
المسيح الحى » فاجاب يسوع وقال له « طوبى لك ياسمعان بن يودا . ان
لحما ودما لم يعلن لك ، لكن أبى الذى فى السموات وأنا أقول لك ايضا .
انت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيسة » .

(٢٠) يحدد المؤرخ الانكليزي ستيفنسون سقوط البلد بانثياس بسنة

١١٦٧ هـ .

(٢١) فيما يتعلق بزواج الامبراطور مانويل من مارية الأنطاكية تحت يوهيموند، راجع ماورد عن ذلك في الجزء الثالث من هذه الترجمة، ونزيد من في هذه الحاشية انه بعد وفاة « برتا سيليزباخ » حوالي سنة ١١٥٩ م حمل الامبراطور مانويل . مما كانت المسنة الخلية تحت سعرة الى حلقه . يجره انتصاره على « اللاتينيات » حرج لك له الاميرة « مارية » . ابنة خب سلة لانس رستية ريمرد الساي كرت طرابلس الذي رحب بهذا الأمر عظم ترديد وجهها أحسن جهاز و غلاه وتسابق الأمراء اللاتين في الشرق يبعث شدياً اليها ، ولكن سامويل حسمك عن الرد بلا أو نعم وظل صمته وترددت الشائعات سرا بما يمس أمها فشر ذلك الحدث على أمانة تأثيراً سيئاً وأصابها الاكتئاب والاحباط مما أغضب أخاها ريموند أشدد الغضب فلم يتورع عن سلوك أي طريق مهما كانت دناءته مما سبق لؤرخنا ولحم شرجه في الجزء الثالث من هذه الترجمة العربية . ولقد قام الامبراطور مانويل في الوقت ذاته بارسال سفارة سامية الى أنطاكية عقدت له على « الأميرة مارية » أخت الأمير ، وعلى الرغم مما كان في ذلك العمل من حرج وجرح ملك بيت المقدس الا أنه لم يجد بدا من الرضوخ لما جرى ، وراح يفلسف الأمر فعد ما حدث فاتحة خير تؤدي الى تأكيد المودة بين الفرنجة والبيزنطيين للوقوف في وجه المسلمين ، وسافرت الأميرة « مارية » الى القسطنطينية وعقد لها في كنيسة سنت صوفيا في حفل حضره وباركه بطاركة القسطنطينية والاسكندرية وأنطاكية . وعلى أية حال فقد كانت « مارية » هذه أول امرأة لاتينية فرنجية تعتلى العرش البيزنطي فكرمها أهل القسطنطينية الى جانب كراهيتهم للجنس اللاتيني عامة ، ومما زاد الطين بلة ان مارية اتخذت مستشارا لها البرونوسيبياستوس الكسيوس كومنين ، وما لأكته الألسن من اتخاذها اياد عشيقا لها بالاضافة الى ما هو عليه من التهور وعدم القنطة . مما أدى الى تأليب النفوس ضد الاميراطورة الوصية فحاكوا مؤامرة لاغتيالها راجع في ذلك

Ostrogorsky : Hist. of The Byzantine State (tr. by Hussey) ;

Runciman : Hist. of the Crusades. Vol. II, P. 359, Vasiliev :

Hist. of the Byzantine Empire, Vol. I. P. 276

(٢٢) أعنى سنة ١١٨٩ م .

(٢٣) خلت نسخة ولیم الأصلية (كما أشارت الترجمة الانجليزية) من
أى كلام كان المؤلف ينوى تصميمه هذا الفصل .

(٢٤) راجع ما سبق ، الحاشية رقم ٥ .

(٢٥) لطفيح أو Attasi من المدن المصرية القديمة بمركز الصف
في محافظة الجيزة ، راجع عنها محمد رمزي القاموس الجغرافي ، ق ٢ ،
ج ٣ ، ص ٢٥ .

(٢٦) بابليون ، ويقال ان اسمها الاصلى هو « باب اليون » ، وذكر
تاج العروس ان « اليون » حصن فتحه عمرو بن العاصي . انظر محمد رمزي
شرحه ، ح ١ ص ١٢٨ .

(٢٧) الضمير هنا عائد على شيركوه ورجاله بعد أن ظلوا هائمين على
وجوههم من العاصفة وهم فى طريقهم الى مصر .

(٢٨) المقصود بالآخر هنا الخليفة الفاطمى . ويلاحظ أن المؤلف لم يكن
دقيقا فى استعماله الألقاب الاسلامية المصديحة .

(٢٩) عقلت الترجمة الانجليزية على هذا اللفظ بأن قالت انه مستمد من
الاسم اللاتينى للقلعة وهو Castrum ، ونعلق نحن هنا فنقول انه
ليس هناك ما يشير الى أصل لاتينى لهذه الكلمة ، ولكن الأرجح أن تكون
كلمة Castrum تصحيفا لكلمة « القصر » العربية ، ونطالع فى بعض
المراجع اللاتينية أن هذه الكلمة مرادفة لكلمة Casa اللاتينية التى
يقصد بها البيت أو الكوخ . مما يرجح الأصل العربى للكلمة .

(٣٠) يقصد بذلك مملكة مصر .

(٣١) يقصد بذلك مصر .

(٣٢) هذه إشارة الى قوات نور الدين وشيركوه الموجودة فى مصر .

(٣٣) كان الخليفة الفاطمى المشار اليه فى المتن هو أبو محمد عبد الله
العاضد لدين الله وهو آخر الخلفاء الفاطميين فى مصر ، وتختلف المصادر
فى تقدير سنه حين ولى الخلافة فمنها ما يزعم أنه كان فى التاسعة من عمره

ومنها ما يصل به الى السابعة عشرة وثلث الأربعمائة ، ومن المعروف انه مات سنة ١١٧١ م مخلفا اثني عشر ولدا ، انظر عن بقية بيته
Casanova : Les Derniers Fatimides (in) *Mém. de la Mission*
Arch. t. VI, PP. 415 et seq

(٢٤) يلاحظ أن ولیم يستعمل في الإشارة الى هذه السفارة صيغة المفرد
حيثما وصيغة التثنية والجمع حيناً آخر .

(٢٥) تشير الترجمة الانجليزية (ج ٢ . ص ٣٢٢ . حاشية رقم ٤٢)
الى أن لقب مولانا هذا ظهر على منش كاسم تحلو به سبقة عن النص في المسند
الأقصى ، وقد قصد به الخليفة المستنصر (١٠٣٥ - ١٠٩٤ م) وتدل على الترجمة
الانجليزية على ذلك بقولها « انه من المحتمل جدا أن يكون ولیم الصوري
قد طالع هذا النص ذاته ، ثم تحيل القارئ الى المتحقيق الذي كتبه :

S.A.S. Husaini : Inscription of the Caliph al-Mostansir (in)
Palest. Deptt. of Antiquities. (1942), PP. 77 — 80.

(٢٦) المقصود بذلك النبي يوسف عليه السلام .
(٢٧) هذه رواية يظهر فيها الخيال والوضع مما لا يتلاءم مع التاريخ ،
وهذه سقطت من ولیم في محاولته تفسير الأحداث التاريخية ولمسنا نعرف
من أين استقى ولیم هذه الأخبار ، كما أن أخباره عن النبي يوسف مضطربة
أشد الاضطراب .

(٢٨) أورد المؤلف في المتن كلمات ننزه عنها نبي الرحمة عليه الصلاة
والسلام ، وقد حذفناها من الترجمة وحذفها لا يضير التاريخ الذي نحن
بصدده ، وكما كنا نود لو ترفع ولیم عما قال وهو من المؤرخين الكبار
القاتل الذين نظروا في كتب التاريخ ، وكان من اليسير عليه — وهو المبتق
الباحث والعارف بالعربية — أن يتبين في جلاء حقيقة الاسلام ونبيه ، ولكنها
زلة تؤخذ عليه ، وحسابه عند خالقه .

(٢٩) ترتيب الخلفاء الراشدين كما هو معروف كالآتي : أبو بكر فعمرو
فعثمان فعلي ، وليس كما ذكر المؤلف في المتن أعلاه .

(٤٠) هنا أسطر قلائل حذفناها لما فيها من ضلالة لا يليق صدورها من
مؤرخ كبير تفترض فيه العدالة التاريخية . والأسطر المحذوفة تصف الامام

عليها بما لا يرضاه على . وما كان الذى يقوله ولیم عنه فى تلك السطور الا من اسرائیلیات ابن سىأ . راجع فان فلوتن . الشيعة والاسرائیلیات فى عهد بنى أمية ، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن ومحمد زكى ابراهيم .

(٤١) تعرف مدينة سلمية عند الصليبيين باسم Saaminias وهي مركز من أكبر مراكز الشيعة ، راجع ماذكره عنها المحرّفون المسلمون أمثال ياقوت وابن عبد الحق واليعقوبى والاصطخرى وابى الفداء والادريسي والمقدسى مما جمعه Le-Strange op. cit P. 378

(٤٢) فسر المؤلف كلمة «المهدى» بـ «بنة الشخص الذى» أخضع كل شيء للسلام ، وعبد الطرق ويسرها للناس ، ، ولكن للملف دلالة التاريخية والدينية قديما وحديثا ، وقد ترجمت النسخة الانجليزية كلمة المهدى بـ Leveller أى النصف والمساوى بين الناس .

(٤٣) أى حتى سنة ١١٨٢ م وقت أن كان ولیم يختم هذا الكتاب .

(٤٤) Runciman : op. cit. II, P. 373. وانظر فى هذا الموضوع ماسبق وروده فى هذا الجزء عن سفارة هيچ .

(٤٥) المقصود بالعدو هنا شيركوه وقوات نور الدين محمود .

(٤٦) راجع عن اجنس وخبر طلاقها من عمورى وزواجها من هيچ دى ابلين ما سبق حاشية رقم ٣ .

(٤٧) تنيس من المدن المصرية القديمة المندثرة كما يشير الى ذلك محمد رمزى . القاموس الجغرافى ، ق ١ ، ص ١٩٧ ، وأشار الى أن ياقوت ذكر أنه تصنع بها الثياب الملونة والفرش ، ويكون ماؤها أكثر أيام السنة ملحا لدخول ماء البحر الأبيض المتوسط اليها فى أول الشتاء ، ويقول محمد رمزى أن تنيس كانت سنة ٢٠ هـ - وقت دخول العرب - أخصاصا من قصب ، وكانت تعرف الى صدر زمن بنى أمية بذات الأخصاص ، ثم بنى أهلها بها قصورا ، ثم دخلها أحمد بن طولون سنة ٢٦٩ هـ فبنى بها عدة صهاريج عرفت بصهاريج الأمير . أما القرما فمن أقدم الرباطات المصرية ، وكانت زمن الفراعنة حصن مصر من جهة الشرق لأنها فى طريق المغيرين على البلاد ، واسمها المصرى

القديم « بر آمن » أى مدينة الاله آمون ، ومنه اسمها العبرى « برمون » ،
والقبطى « برما » والعربى « الفرما » وسماها الروم « بيلوز » أى الأرض
الوحلة ، وقد ذكر ذلك بالتفصيل القاموس الجغرافى ، ق ١ ص ٩١ ، وزاد
فقال اندثرت ونعرف أنارها اليوم بذل الفرما على بعد ثلاثة أميال من ساحل
البحر الأبيض المتوسط ، وعندها أطلال قلعة كانت تعرف بقلعة الطينة ، كانت
منفى لمن يغضب عليهم الحكام .

(٤٨) دمياط من ثغور مصر القديمة على الشاطئ الشرقى لفرع النيل
المعروف بفرع دمياط واسمها المصرى القديم M. Meht أى بلد الشمال
وجاء فى القاموس الجغرافى ق ٢ ، ج ١ ، ص ٨ أنها كانت فى الأصل واقعة
فى الشمال من دمياط الحالية ثم نقلت الى موضعها الحالى من سنة ٦٢٢ .
(٤٩) رشيد من الثغور المصرية القديمة وكان اسمها Bolbitine

وأما اسمها القبطى فكان Raschit واللاتينى Rosetto وقد ذكرها ابن
حوقل فى مسالكه وقال ان بها أسواقا صالحة وحمامات ونخيل . انظر عنها
بالتفصيل محمد رمزى : شرحه ق ٢ ، ج ٢ ص ٣٠٠ .

(٥٠) الوارد فى الترجمة الانجليزية ، نقلا عن الأصل اللاتينى كلمة
ترجمناها الى أقرب لفظ لها وهو محبى الدين ، وقاس ابنه ابن شاور
والمعروف انه كان لشاور ولدان هما « طى » الذى قتل فى رمضان ٥٥٨ هـ ،
و « الكامل » الذى تولى الوزارة نيابة عن أبيه ، راجع العلفشيدى . صبح
الاعشى ٢١٨/١٠ - ٢٢٥ .

(٥١) يعنى بذلك الصليبيين والمصريين .

(٥٢) المقصود بالعدو هنا قوات تور الدين وشيركوه .

(٥٣) انظر ما قاله جوتيه وأميكينو عن « فاقوس » مما أورده محمد
رمزى فى قاموسه الجغرافى ق ٢ ، ج ١ ص ١١٦ وما بعدها ، ومنه نستفيد
أن « فاقوس » الحالية من مستجدات العصر العثمانى .

(٥٤) قوص من المدن المصرية القديمة واسمها Hat Hor أى قصر
الاله حوريس ، ويقال للمبلد « ربير قوص » أى « قوص الحارة » . وعرفت
منذ أواخر القرن الثالث باسم Diocletianopolis نسبة الى « دقلديانوس »
الطاغية ، الذى أسرف فى اضطهاد المسيحية والمسيحيين . وقد أشار اليها
الادريسي فقال ان بها جامعا وأسواقا عامرة جامعة ووصفها بكثرة الوافدين
عليها والخارجين منها . انظر ما كتبه الجغرافيون والرحالة العرب فى رمزى
شرح ق ٢ ، ج ٤ ، ص ١٨٧ .

(٥٥) لانعرف الداعى الى اقحام « سيس » وهى عاصمة الأرمن فى هذا الموضع ولا ندرى ما الذى يقصده المؤلف .

(٥٦) انظر تاريخها ونشأتها وتطورها فى محمد رمزى المرجع السابق
ق ٢ ج ٣ ص ٩٦ .

(٥٧) كان ذلك يوم ١٨ أبريل سنة ١١٦٧ م .

(٥٨) فيما يتعلق بالمنيا حيث جرت وقعة البابين راجع القاموس الجغرافى للمدن المصرية ، ق ٢ ، ج ٢ ، ص ١٨٢ وما بعدها ، و ص ١٩٦ .

(٥٩) تشير عبارة « من بعده » الى ان وليم الصورى عؤلف هذا الكتاب كتب هذا الخبر بعد ان صار مستشارا للملك عمورى ، ولقد رجح مترجما الكتاب الى الانجليزية (ج ٢ ، ص ٢٢٣ حاشية رقم ٤٥) ان وليم قد كتب ما بالمتن أعلاه بعد وفاة عمورى ملك بيت المقدس ، ولكنهما لم يبينا السبب الذى يحدهما الى هذا الترجيح .

(٦٠) أى وظيفة مستشار الملك عمورى .

(٦١) راجع ما سبق الحاشية رقم ٥٠ .

(٦٢) تروجة من البلاد المصرية القديمة ، نذكر معجم البلدان انها من ترى البحيرة من أعمال الاسكندرية ، وذكر محمد رمزى ، القاموس الجغرافى، ق ١ ، ص ١٩٠ انها اندثرت ومكانها اليوم كوم تروجة بمركز أبو المطامير بالبحيرة .

أما دمنهور فقد أشار رمزى . شرحه ، ق ٢ ، ج ٢ ص ٢٨٤ الى انها مذكورة فى قاموس جوتبيه باسم Demi n Hor أى مدينة الاله حور وكانت مسرحا لعمليات حربية هامة فى بداية الفتح الاسلامى ، وأورها ابن ممانى فى قوانينه باسم دمنهور الوحش ، وذكر رمزى انها قاعدة لاقليم البحيرة من عهد الفراعنة الى اليوم .

(٦٣) فى الأصل Ben Areselle وقد ترجمناها بابن عبد الرسول وهذا اجتهد منا ، لعل هناك من يؤكد أو يرشدنا الى الصحيح .

(٦٤) عيذاب : ذكر يا قوت في معجمه أنها ثغر على ساحل بحر القلزم تابع لمصر كما أشار رمزي شرحه ، ق ١ ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ أنها كانت مرساة شهيرة للسفن وكانت طريق الحج المصري في القرون الوسطى ومنها يجتازون الى جدة فمكة .

(٦٥) يقصد شيركوه بذلك نفسه والملك عموري ، ولعل فيما يذكره وليم في المتن أعلاه ما يبعث على التفكير أكان شيركوه - ان كان ما نقل عنه حقا - يريد الاستئثار بملك مصر فيما بعد دون رعاية لالتزاماته تجاه مولاه نور الدين ؟ ، أم أنه كان يريد التمويه على عموري حتى يخرج من حصر مع صمان سلامة الجيش النوري الشامي ؟ ، على أننا لا نستبعد صدور ذلك القول من شيركوه ، فمما كان من أحد من هؤلاء القادة الا وهو يسعى لما فيه صالحه ، وحسبنا في الاستدلال على موقف صلاح الدين حين تخلص من الخليفة الفاطمي ثم تجاهله لمولاه نور الدين ثم موافقه مع ابن نور الدين وأخيه قطب الدين مسعود .

(٦٦) تشير كلمة « لى » هنا الى وليم نفسه ، وهو بذلك يسوق لنا معلومات هامة لم يتسن لأحد سواه من المؤرخين الصليبيين أو المسلمين أن يلم بها ويمدنا بها ، فقد تلقاها هو من هيج ذاته مباشرة .

فصول الكتاب العشرين

الصراع حول مصر

- ١ - « هيرنليسيسوس » رئيس أساقفة قيصرية ، و « ايود » دى ساذت أماند الساقى الملكى يعودان من القسطنطينية وفى صحبتهما زوجة الملك المقبلة ، وفتويج «عمورى» فى كنيسة صور وزواجه .
- ٢ - أندرونيكوس « أحد أقارب الامبراطور يمضى بتيودورا أرملة الملك بلدوين الى بلاد العدو .
- ٣ - انشاء كنيستين احدهما فى تدمر والأخرى فى الجليل وتعيين أسقفين لهما . مجيء « ستيفن » مستشار ملك صقلية وأسقف الكديسة المنتخب فى بالرمو . وفاة وليم كونت نيفيرز اثناء وجوده معنا .
- ٤ - حضور رسل من جهة الامبراطور الى الملك فى طلب عقد اتفاق

معه، ارسال رئيس تدمامة صور رسولا الى القسطنطينية .
امضاؤه الاتفاقية المقترحة مع الامبراطور .

٥ - الملك يقود جيشا يغير به على مصر مناقضا بذلك شروط
الاتفاقية التى كان قد عقدها مع المصريين ويشن الحرب
عليهم .

٦ - حصار مدينة بلبيس والاستيلاء عليها . السلطان شاور يغرى
الملك ويعدده بدفع مبلغ كبير من المال له .

٧ - الملك ينصب معسكره أمام القاهرة فى انتظار المال الذى وعده
به شاور .

٨ - أسطولنا يبحر فى النيل وينضم الى القوات البرية . السلطان
(شاور) ينقض اتفاهه ويحاول المقاومة ويلتمس المساعدة
من الترك .

٩ - « ميلون دى بلانسى » يفسد تفكير الملك برأيه الشرير .
وصول شيركوه (الى مصر) تلبية لاستغاثة المصريين به .
الملك يتقدم عبر هذه الصحراء فلما لم يصادفه يعود
أدراجه الى مملكته من غير أن يحقق غرضه .

١٠ - شيركوه يستولى على مصر ويقتل السلطان . نهاية شيركوه .

١١ - صلاح الدين يخلف عمه شيركوه (فى قيادة الجيش) ويحكم
مملكة مصر .

١٢ - تعيين « برنارد » رئيس دير جبل الطور مشرفا على كنيسة
اللد ورحيل « فرديناند » رئيس أساقفة صور الى الغرب فى
طلب المعونة من الأمراء هناك .

- ١٣ - الامبراطور فى تشوقه لامضاء الاتفاقية يرسل أسطولاً الى الشام بقيادة بعض أتباعه النبلاء .
- ١٤ - الملك يزحف بجيشه على مصر ويصحبه البيزنطيون بقوات برية وبحرية .
- ١٥ - الملك يحاصر مدينة دمياط . الاغريق واللاتين يجهدون أنفسهم فى التحصن ولكن بلا جدوى .
- ١٦ - انتشار المجاعة فى المعسكر المسيحى . أسطولنا ينجو بمعجزة من الهلاك بالنار . ضياع جميع جهودنا هباء وأخيراً يتم رفع الحصار .
- ١٧ - استدعاء الحملة ثانية وعودة الملك الى دياره . ضياع معظم الأسطول البيزنطى فى العودة بسبب هبوب رياح أغرقته .
- ١٨ - دمار المدن القديمة اثر زلزال يكتسح فى الواقع الشرق كله .
- ١٩ - صلاح الدين يغزو أرضنا ويحاصر قلعة الداروم .
- ٢٠ - الملك يسرع الى هناك فى رهط قليل من الفرسان ويفتك بالعدو بكثير من قومه فى مدينة غزة فى أثناء زحفه .
- ٢١ - عودة صلاح الدين الى أرضه ورجوع الملك الى عسقلان بعد زيارته الداروم التى صار بعضها الآن خراباً . اغتيال الشهيد المجدد « توماس » رئيس أساقفة كانتربرى فى نفس هذا العام، ويكون اغتياله فى كنيسة .
- ٢٢ - الملك يزور القسطنطينية وفى معيته بعض نبلائه ويخفق عليه الامبراطور كثيراً من مظاهر الشرف .
- ٢٣ - ادخال الملك الى حضرة الامبراطور الذى يلقاه بالتجسلة

والاحترام العظيمين • المحادثات الكثيرة بينهما حول مسائل ذات أهمية خطيرة •

٢٤ - عودة الملك واشسرافه الى بلدهم محملين بالهدايا بعد أن تحققت أغراض الرحلة •

٢٥ - الملك يحشد الجيش في عودة رئيس أسقف صور من البلاد الواقعة فيما وراء البحر ومقتل وليم أسقف عكا في بلاد الروم •

٢٦ - « مليح » الأرمني - أخو توروس - ينضم بقواته الى نور الدين ويقصد في أرض أمطاكة فيسرع الملك الى هناك لكبح أعماله الشريرة •

٢٧ - صلاح الدين يحاصر قلعة الكرك الواقعة وراء الأردن وينجح في محاولته هذه ثم يعود الى بلده •

٢٨ - صلاح الدين يخرب كل الأراضي الواقعة وراء الأردن فيحصر الملك وجيشه في مكان يسمى بالكركم • عودة كونت طرابلس من الأسر •

٢٩ - وصف طائفة الحشاشين ووصف السفارة التي بعثوها الى الملك •

٣٠ - الاخوان الفرسان الداوية يذبحون مبعوث الحشاشين ويقترب على هذا الحادث وقوع اضطرابات عنيفة في المملكة • وفاة « رالف » أسقف بيت لحم •

٣١ - وفاة نور الدين الملك يقرص الحصار على باغياس ولكنه يبرم في النهاية اتفاقية وينسحب ، مرضه واسرعه الى القدس لكنه يموت في مدى أيام قلائل •

هنا يبدأ
الكتاب العشرون

الصراع حول مصر والتحالف مع الامبراطور مانويل

- ١ -

عاد في هذه الآونة الى صور وأرسي بها كل من «هيرنيسيدوس» Hernesius رئيس أساقفة قيصرية الطيب الذكر و « إيود Eudes دي سانت اماند » الذي كان في ذلك الوقت ساقى الملك وكان الاثنان قد أنجزا على أحسن وجه المهمة التي عهد اليهما القيام بها عند الامبراطور « مانويل » وتكللت سفارتهما بعد عامين بالنجاح لأنهما أحضرا معهما ابنة جون « البروتوسيباستوس » لتكون زوجة الملك المقبلة .

وما كاد الملك يعلم بوصولهما حتى أسرع الى صور ، وبعد استدعائه كبار رجال الكنيسة وأشهراف المملكة زف الى الأميرة

« مارية » التى كانت قد نالت نعمة المسح بالزيت المقدس والقرسيم الكنسى ، وتم الاحتفال بالزواج فى أنهى رائعة وتعظيم كبير ، وذلك يوم ٢٩ أغسطس فى كنيسة صور على يد البطررك «أماريك» الطيب الطيب الذكر ،وقد طلع الملك مدثرًا بالملباس الملكى فكان مرآة رائعة وقد وضع على مفرقه تاج أسلافه .

كان « البريسبياستيس » جون الذى تزوج الملك كما قلنا بانث هو الابن الأكبر لشقيق الامبراطور سزريل الذى أرسله رغبة « سزريل » فى طائفة من عليه القوم وكبار الانسراف من تربطهم به صداقته القربى ، وكان فيهم المبجل « باليولوجس » ، والسرى الأهمج « سزريل سباستيس » أحد زوى قرياه وكثيرون غيرهم (١) ، وعهد اليهم بمرافقة الملكة المقبلة والقُدوم بها فى أروع أبهة الى جلالة الملك ، وكلفهم بالحرص على استيفاء جميع المراسيم المقررة وملاحظة عدم التقصير فى شىء منها .

وكانت كنيسة صور هى الموضع الذى ستقام فيه الاحتفالات ، وكان رئيسها حينذاك هو المعظم « فردريك » الذى كان قد انتقل اليها من كنيسة عكا ، وبعد انقضاء ثلاثة أيام من تتويج الملك وحفلات قرانه تفضل « فردريك » على بوظيفة رئيس أساقفة كنيسة صور وهى الوظيفة التى كان ولیم قد تركها حين استدعائه لكنيسة عكا ، وقد فعل فردريك هذا العمل بتوجيه من الملك وفى حضور الكثيرين من الرجال الأمجاد .

- ٢ -

وفى هذه الأثناء ، وبينما كان الملك (عمورى) لا يزال موجودا فى مصر جاء كيليكية أحد كبار رجال بيزنطة واسمه « اندرونيكس » (٢) فى حاشية كبيرة من أتباعه زوى النفوذ الضخم ، وكان ذا صلة قرابة

بامبراطور القسطنطينية وظل مقيما بيننا حتى عاد الملك من مصر ،
والحق أن وجوده ، بيننا كان حدث غرطة كبيرة لنا ، ولكنه كان أشبه
بالحذية في الصدر وبالفأر في صيوان الملاص إذ رد جميل مصيفيه
أسوأ رد ، ودرهن على صديق المثل الذي قاله « مارو » لست أظن
للاغريق ولو حاءوا محملين بالهدايا وماكد الملك يعود (من مصر)
حتى تفضل عليه فأقطعه مدينة بيروت ، وأن ذاك يادر هذا الاغريقي
فدعى « تيودورا » أرملة بلدوين لمرافقته لزيارة بيروت ، وكانت
« تيودورا » تمتلك مدينة عكا التي كانت قد خذتها كصداق لها وقت
زواجها ، وكانت تيودورا هذه قد استضافت في بيتها « أندرونيكوس »
فترة طويلة حيث تقيم فقضى عندها فترة ليست بالقصيرة وحدث
في أثناء سفرته هذه أن اتصل بنور الدين ، ثم خان الأمانة فاختطف
الملكة وحملها معه الى دمشق من بلاد العدو ثم مضى بها فيما بعد
الى بلاد فارس (٣) .

- ٣ -

لم يجد في هذه الأثناء خلال هذه السنة جديد يستحق الإشارة
إلا ما كان من تشييد كنيستين وقت عيد الفصح وتعيين أسقفين لهما ،
وكانت أولى هاتن الكنيسيتين في وادي موسى الواقع وراء الأردن
في أرض مؤاب وعاصمة اقليم تدمر. ولم يحدث قط أن كان لهذه المنطقة
أسقف لاتينى منذ قدوم المسيحيين الى أرض الميعاد ، كما أنه لم يتسن
للأخرى - وهى كنيسة الجليل - أبدا أن حظيت بهذا الشرف ، فقد
ظلت طوال عهد البيزنطيين وهى لاتعدو أن تكون أبرشية ، وكذلك
كان الحال إزاء كنيسة بيت لحم كما هو معروف تمام المعرفة ، غير
أن ما كانت تنعم به بيت لحم من توقير باعتبارها البقعة التى ولد بها
سيدنا المسيح رفعها عن حدارة الى هذه المكانة السامية ، كما أنها

نالت كل ما تتمتع به الكاتدرائية من حقوق وامتيازات ، وكان ذلك زمن الملك بلدوين الأول على أعقاب تحرير المدينة المقدسة مباشرة (٤) .

كذلك حظيت مدينة الجليل هي الأخرى في نفس السنة التي نتحدث عنها ولأول مرة بهذا التقدير الذي هي أهل له بسبب ما كان لها من صلوات بخدام المسيح الخالدين المباركين الى الأبد وهم ابراهيم واسحق ويوقرب ، واختير « جيريكوس » أسقفًا لكنيسة تدمر وكان من قبل قيما على شيكل السيد ، كما اعتبر هذا الأسقف ذاته مطرانا لاقليم الكرك ، ونصب « رينالد » ابن أخى البطريرك فولتر ذى الذكر المحيد رئيسا لكنيسة الجليل ، فلما كان صيف العام التالى وصل «ستيفن» الى المملكة فى رهط قليل ، وكان رجلا رفيع القدر سامى المكانة ويعمل مستشارا لملك صقلية وهو الأسقف المنتخب لكنيسة بالرمو وهو شقيق « كونت ريترو دى بيرش » الذى كان شابا جميل المنظر موهوبا بطبعه ، وقد وقع «ستيفن» ضحية مؤامرات دبرها ضده رهط من نبلاء صقلية الذين نجحوا فى اخراجه من تلك البلاد فخرج من غير موافقة مليكها الشاب الذى كان لا يزال صغيرا ، وكذلك رغم أنف أمه ، لكن لم يكن لهما حول ولا قوة تمكنهما من منع ما جرى ، على أن « ستيفن » استطاع بصعوبة شديدة أن يتجنب أحابيل الذلاء ومكرهم ، ونجح فى الوصول اليذا بحرا لكن مالم يأت أن وافته منيته اثر مرض خطير اعتراه ولم يفارقه الا وقد فارق الحياة فدفن بالقدس بما يليق به من الاحترام ، وسجى جثمانه فى احدى كنائس هيكل الرب .

كذلك حدث فى نفس هذا الوقت أن وفد الى القدس من مملكة فرنسا فى زمرة من الفرسان الأشرف « وليم كونت نيفيرز » وكان أميرا اقطاعيا كبيرا من عائلة شريفة واسعة النفوذ ، وكان دافعه الى المحيى هو محاربة خصوم العقيدة تحت لواء المسيحية ، وذلك على نفقته الخاصة . غير أن الموت (٥) أحس الغيرة من نجاحه

فبكر اليه ، وهكذا حال سوء الحظ بين هذا الرجل الورع « وليم دى نيفيرز » وبين مشروعه الذليل ، فقدألت به وعكة شديدة طالت عليه فمات منها وهى على أول درجات حياة كانت تبشر بالأمل العريض فحزن الجميع على وفاته وذرّفوا عليه الدمع السخين .

- ٤ -

وجاءت فى صيف هذه السنة ذاتها سفارة (٦) امبراطورية فيها اثنان من بلاط امبراطور القسطنطينية هما «اسكندر» كونت جرافينا دُ وآخر اسمه « ميخائيل هيدر نتيس » الذى هو من أترانتو فأمر الملك بعقد اجتماع خاص لسماع ما يقولانه وما جاء من أجله، ودعى الملك الى هذا الاجتماع من أراد أن يكونوا حاضريه ، فشرع الرسولان فى شرح الدواعى وراء مجيئهما ، وحملوا الى الملك رسالة من صاحب الجلالة الامبراطورية عما قدما من أجله ، وكان فحواها ما يلى :

« لقد لاحظ الامبراطور أن مملكة مصر التى ظلت حتى هذه اللحظة الحاضرة قوية ويلدا فاحش الثراء قد وقعت فى أيدي جنس ضعيف ألف الاسترخاء ، كما أن الشعوب المجاورة لها هى الأخرى لم يفتها ماكان عليه حاكم مصر وأمرأؤه من الوهن وعدم الكفاءة مما يشير بوضوح الى انه يستحيل على هذه المملكة أن تستمر طويلا فيما هى عليه الآن ، وأنه لا بد أن تؤول حكومتها والاشـراف عليها الى غـيرها من الأمم ، وأن الامبراطور مؤمن بأن باستطاعته - بمساعدة الملك - أن يضمها اليه » (٧) .

لذلك فان الامبراطور أرسل من أجل هذا الغرض رسوليـه الى الملك .

ويقول البعض - وهذا أمر كبير الاحتمال - أن الملك كان هو

الباديء في التفكير في اقتراحه هذا الموضوع وعرضه على
الامبراطور على ايدى رسل انذهم اليه برسائل ألج فيها عليه أن
يسعفه من لدنه بالعسكر وبالأسطول والمال اللازم لانحاز هذا الأمر ،
على أن يكون للامبراطور (البيزنطى) لقاء ذلك نصيب في هذه
المملكة وفي جميع الغنائم التى يمكن الاستيلاء عليها .

كانت هذه هى طبيعة المهمة التى جاء بها الرسولان الى الملك
فلما تداخلى بين الطرفين على شروط الاتفاقية اضافونى «
الى اللجنة كواحد منهم وكان ذلك بأمر الملك ، ولما كنت أنا حامل
رسالة فقد كن على أن ازيىر الامبراطور وأنقل اليه قرار الملك وعزم
المملكة (٨) كلها ، وزيادة على ذلك فقد خولنى صلاحية الموافقة على
مايبرم من اتفاق بينهما (٩) ، كما طلب منى ذلك ولكن وفق الصورة
التى اتفق عليها . وعلى هذا الأساس انضمت الى المبعوثين
الامبراطوريين اللذين كانا فى انتظارى بطرابلس حسب التوجيهات
الصادرة من الملك ، وأبحرنا جميعا معا الى القسطنطينية فعلمنا أن
الامبراطور كان متغيبا اذ ذاك فى الصرب حيث كان أهلها ذاثرين
على حكومته التى اقامها لتحكمهم .



وبلاد الصرب اقليم جبلى واقع بين دلماشيا والمجر والليريا ،
غنى بالغابات الكثيفة مما يجعل اقتحامه أمرا عسيرا أشد العسر ،
ولقد قام الصربيون بالثورة اعتمادا منهم على استحالة دخول أحد
بلادهم لشدة ضيق الممرات الموصلة اليها .

وتقول الأخبار القديمة أن هذا الشعب كله يرجع فى أصله الى
المثقيين الذين طردوا الى تلك الناحية ، وفرض عليهم العمل فى
محاجر الرخام وفى المناجم ، ويقال أنه بسبب هذه العبودية اشدت
اسمهم (١٠) .

والصرب قوم غُلُظ لا يعرفون النظام وهم يسكنون الغابات ويقبضون شئ الجبال ، لا يدرون شيئا عن الزراعة لكن عندهم قطعان كبيرة من الماشية وأسراب ضخمة من الدواب التى توفر لهم الكميات الهائلة من الألبان والأجبان والزبد واللحم ، ويطلق على رؤسائهم اسم « سوباتى » .

ه كانوا يخضعون للامبراطور فى بعض الأحيان ، كما كانوا فى أحيان أخرى ينسلون من معاقلهم الجبلية ويعيثون فسادا وتخريبا فى كل النواحي المحيطة بهم ، وكانوا مدفوعين الى ذلك بما فطروا عليه من البطش وما طبعوا عليه من حب القتال ، وقد أدت اعتداءاتهم التى لا تحتمل وما أوقعوه بجيرانهم الى اقدام الامبراطور (مانويل) اقداما بطلوليا على الزحف عليهم بجيش كثيف ، وتمخض زحفه هذا فى النهاية عن نجاحه وفل شوكتهم وأسر زعيمهم الأكبر .

ولقد تسنى لى ولمن معى أن نقابل الامبراطور بعد عودته من حملته هذه وبعد أن تغلبنا على الكثير من متاعب الطريق ، وكان لقائنا اياه فى المدينة المسماة « بوتيللا » فى ولاية « بلاجونيا » قرب المدينة القديمة التى كانت تعرف باسم « جستنيانا » الكرى وهى مهبط رأس احكم الناس وأسعدهم طالعا والذي لم يقهر وهو الامبراطور « جستنيان » ، ولكنها أصبحت تعرف الآن باسم « أوكريدا » . وقد استقبلنا الامبراطور فى هذه المدينة استقبالا كريما وحبانا بلطفه الامبراطورى فأخبرناه بالدافع الذى دفعنا للقيام بهذه الرحلة وتلك السفارة ، وشرحنا له شرحا دقيقا مضمون المعاهدة فأصغى لكل ما قلناه بنفس راضية وتقبله قولا حسنا ، وأعلن موافقته على جميع ما كان قد تم الاتفاق عليه ، وبعد تبادل الطرفين الأيمان الغليظة وافق الامبراطور بما له من الصلاحية على الشروط كما ارتضاها المبعوثون وصادق عليها ، وأخذنا كتبنا امبراطورية تتضمن نص الاتفاق فى

صورته الكاملة ، وأذن لنا بالسفر بعد أن حملنا كثيرا من الهدايا حسب العادة المتبعة ، وهكذا نجحت سفارتنا في انجاز ما جاءت من اجله ، وحينذاك شرعنا في رحلة العودة في الأول من أكتوبر .

- ٥ -

في هذه الأثناء وبعد مغادرتنا مباشرة وقبل أن تعود سفارتنا لتخبر الملك المساعدة التي رعتنا بها الامبراطور سمعت في أرجاء البلاد شائعة تقول أن شاوور سلطان مصر دأب على أن يسعت في السر بالكتب الى نور الدين ملتمسا منه مد يد المساعدة اليه ، وادعى له أن كل مشاركة من جانبه في عقد أى اتفاقية سلام معنا انما تمت على كره منه ، وعلى غير رضائه ، وأنه راغب في الانسحاب من الاتفاق الذي كان أبرمه مع الملك (عمورى) وأنه سوف يشجب هذا الاتفاق ويستقل عن الملك نهائيا ان تأكد تماما من مساعدة نور الدين له .

ويقال ان هذا الخبر أسخط الملك كل السخط وحقله ان يسخط . ولذلك جمع خيالاته وفرسانه من كل نواحي المملكة وغادرها على جناح السرعة الى مصر .

على أن هناك من راحوا يزعمون أن هذه الأقوال التي نسبت الى شاوور ان هى الا افتراءات افتريت عليه وأنه برىء منها كل البراءة ، وأنه لا يستحق أبدا مثل هذه المعاملة من جاذب الملك ، انه مخلص في حفاظه على الاتفاق والرفاء بما تضمنه ، كما أكد هذا البعض أن الحرب القائمة ضده ان هى الا حرب ظالمة منافية للحق الالهى ، وما هى الا ذريعة يتذرع بها البعض للدفاع عن مشروع عدوانى ، ومن ثم فإني رأيتهم أن الرب العالم بأسرار القلوب ، المطلع على ما فى الضمائر قد قبض عنا رحمته ولم يهيئ لنا النجاح فى خطتنا الظالمة .

ويقال ان « جيلبرت الأسالى » رئيس الاسبتارية بالقدس كان أكبر المؤيدين - ان لم يكن هو المخطط الأول - لهذه الحملة الكريهة، وكان « جيلبرت » رجلاً طموحاً سخى اليد ولكن لا يقر له قرار ولا يثبت على رأى ، وانه بعد استنفاده جميع أموال الاسبتارية اقترض مالا كبيراً صرفه كله على الفرسان الذين جمعهم من كل ناحية ، وبهذا تراكمت الديون على طائفته تراكماً أثقل كاهلها حتى لم تعد هناك أى امكانية فى اقبالها من عثرتها واسنوض بها من كوتها ، وحمله الناس على التنحى عن وليفته فى رئاسة الاسبتارية سخاها، مثقلة ديون تبلغ مائة ألف قطعة ذهبية ، ويقال انه صرف كل تلك المبالغ الضخمة على أساس تفاهمه مع الملك على أن تصح بلبيس التى كانت تعرف قديماً ببلوزيوم بكل ماحولها من الأراضى ملكاً دائماً لهذه المنظمة وذلك حين يتم للملك فتح مصر واخضاعها .

أما فرسان الهيكل فنهجوا عكس هذا المنهج تماماً اذ رغبوا أن يساهموا فى هذه الحملة ، وربما كان مرجع ذلك عندهم أنها كانت حملة مخالفة لما تمليه عليهم ضمائرهم ، أو لأن رئيس المنظمة المناقسة لهم كان كما يظهر هو المخطط لهذا المشروع ومنفذ ، ومن هذا كان رفض الداوية مرافقة الملك أو امداده بقوات من عندهم ، ذلك أنهم رأوا أن اعلان الحرب على بلد صديق لنا يثق فى صدق يميننا انما هو عمل خاطيء ومخالف لنصوص الاتفاقية ، وفيه تحد للحق والعدالة ، لأن مصر ظلت وفية مخلصه لما أبرمته معنا ، ومن ثم فهى لا تستحق مثل هذه المعاملة .

- ٦ -

أتم الملك كل استعداداته وجمع كل ما يحتاجه للحرب ، ولذلك فانه ما كاد يبدأ شهر أكتوبر من السنة الخامسة من حكمه حتى كان قد حشد قوات المملكة للزحف على مصر ، وبعد مسيرة استغرقت

عشرة أيام عر الصحراء الفاصلة وصل الى بلبس حيد شرع فى الدال فى القيام بعمليات الحصار واستطاع فى دى ثلاثة أيام أن يشق طريقه بالسيف فيها فاستولى عليها بالحرب ، فلما كان الثالث من نوفمبر كان عسكره قد ملكوا المدينة تماما .

ما كاد يتم الاستيلاء على المكان حتى حكم الملك السيف فى رقاب الكثيرين من الأهالى دون مراعاة لعمر أو جنس ، فأما الذين شاء القدر لهم النجاة من الموت فقد كتب عليهم أن يفقدوا حريتهم وأن يقعدوا فى ربة الأسر البغيض وهو أمر يراه الشرقاء أقبح من أى صورة من صور الموت ، وكان من بين كبار الأسرى فى بلبس ومن أصحاب المكانة الرفيعة ففهيها محبى الدين (١١) أبسن السلطان ، وكذلك أحد أبناء اخوة الأخير ، وكانا مسئولين عن المدينة وقيادة القوات الموجودة هناك .

ما كاد باب المدينة يفتح حتى اندفعت منه القوات فعم الهرج واختلط الحابل بالنال ولم تراع حرمة أى شئ فتوغل العسكر فى البلد حتى أقصى نواحيه ، واقتحموا البيوت الخاصة وجعلوا الأصفاك فى أيدي كل اللاتئين بها الذين ظنوا أنهم ناجون اذ اعتصموا بها فخانهم ظنهم واقتيدوا الى الموت الشنيع ، وعرضوا على السيف فى الدال جميع الذكور الذين دم فى مقتبل العمر القادرين على حمل السلاح ، وقل أن نجا من بطشهم الشيوخ ولا الأطفال ، ولم يهتموا كثيرا العامة الأسطاء ، وغنموا كل ما رغبوا فى غنيمته ، وقسمت بالقرعة باعتبارها أسلابة .

لم يدرك السلطان ماذا يفعل حين وافته أنباء هذه الانتهاكات ، وتحير لا يدرك أى الطرق يسلك ، ثم أخذ الأمور بقدر ما يسمح له الوقت والطروف المحيطة به ، ولم يجد يدرك أى تعمد الى تهدئة ذاترة

الملك بتقديم مبلغ من المال اليه ، أم تراه يلتزم من الزعماء المجاورين ممن على دينه المجيء لمساعدته طوعاً أو مأجورين ، فتبين له فى النهاية أن الأمر يتطلب اجراء سريعاً فعزم فى الحال على أن يسلك الطريقين معا فى آن واحدة ، ومن ثم أرسل سفارة الى نور الدين تسأله النجدة فاستجاب له نور الدين واستدعى اليه شيركوه الذى أشرنا اليه من قبل وعهد اليه بقيادة طائفة من الجيش وأيده بالكثير من كبار خاصته ليشاركوه تبعة الأمر ثم أمر بتجهيز الذخيرة اللازمة للزحف ، وأعد عددا كبيرا من الابل لحمل المتاع وبعث بالحملة الى مصر .

- ٧ -

سعدان فرغ الملك من تسميره بلبيس زحف بكل عسكره نحو القاهرة فى ببطء شديد فلم يقطع فى عشرة أيام الا ما يستغرق يوما واحدا فقط ، فلما بلغ غاية زحفه نصب معسكره أمام القاهرة وأعد آلات القتال ، ومدت الستائر المجدولة من الحبال ، ووضع كل ما يمكن أن يجدى فى عمليات الحصار ، وكانت هذه الاستعدادات المقامة وراء الأسوار تنبئ عن هجوم وشيك الوقوع مما أوقع الفزع فى القلوب ورفضت هلعاً ، وقد أصبح شبح الهلاك يهدد الناس .

وفى الزايفون على بواطن الأمور ، العارفون بما وراء أفعال الملك هذه أنه تلكاً فى الهجوم عن قصد حتى تتوفر للسلطان (شاور) فسحة طويلة من الوقت فيقدم المال الذى يحمل المعسكر على الانسحاب ، أى أن الهدف الذى يسعى اليه الملك هو أن يبتز المال من السلطان ، وقال هؤلاء الناس انه كان يفضل أن يأخذ رشوة كبيرة فينسحب بدلا من أن يدع هذه المدينة نهبا لعصابات قومه كما حدث فى بلبيس ، وسيفصل شرح هذه الحادثة فيما بعد . ولقد حاول السلطان خلال هذه الفترة بشتى الطرق المتقرب الى عمورى عن طريق رجال من

خاصة أهل بيته هو ذاته ومن خاصة أقارب الملك نفسه ، ولم يدع
أى وسيلة مهما بلغت من المكر إلا اصطنعها فنجحت عروضه فى
النهاية فى التأثير على الملك الذى كان شرها كل الشراعة فى حبه
للمال .

كان المبلغ الذى وعد به شاور كبيرا جدا قل أن تكفى جميع
موارد المملكة (١٢) للوفاء به حتى ولو أضيف اليه ما يمكن استغلاله
من كل بلادها ، إذ يقال أنه وعد بلبيس بلطاني خاصة ذرية إلفا ، من
ولده وابن أخيه وانسحاب القوات الصليبية إلى ديارها ، رأت ككشف
القناع فيما بعد أنه قدم هذا العرض وهو يدرك أن ليس فى
قدرته سداده ، لكنه عرض به لأشياء لا لكى يمنح الملك من
الزحف الفجائى على مدينة القاهرة التى لم تكن على استعداد مطلقا
للمقاومة مما يجعل الاستيلاء عليها أمرا يسيرا ان هى فوجئت
بالغارة تشن عليها إذ كانت تعوزها وسائل الدفاع .

ويعتقد الذين كانوا موجودين إذ ذاك أنه كان من الممكن حدوث
هذا الأمر (١٣) لو أن جيشا كان قد تقدم إلى القاهرة فى أعقاب
استيلاء الملك على بلبيس ، فقد كان المصريون حينذاك فى الواقع فى
أشد حالات الفزع وذل عليهم خبر المذبحة التى حدثت منذ قريب
نزول الصاعقة ، وأقزعتهم النكبة التى لم تكن متوقعة أشد الفزع ،
وكان هذا رأيا محتملا كل الاحتمال لأن سكان القاهرة كانوا قد
استناموا للتراخى لطول البلهنية التى كانوا يتقبلون فى أعطافها ،
ولأن أعمدة الدخان كانت لا تزال تتصاعد فى الناحية المجاورة ، وكانوا
هم أنفسهم حزائى على هلاك أصحاب لهم لا يحصيه العدد ، وعلى
ذلك فقد كان متوقعا فى هذه الظروف أن تغارقهم شجاعتهم وترث
حيال صمودهم خوفا من أن يلاقوا المصير الذى لقيه الآخرون .

هكذا كان الوضع في نواحي القاهرة .

ثم وصل في هذا الوقت الأسطول الذي كان الملك عند مغادرته المملكة (١٤) قد أحر أن يبحر بأقصى سرعة ، وكانت الرياح طيبة ، ودخل النيل من فرعه المعروف بالفرع « الكاريبي » ، واستولت القوات البحرية في لحظة على « نينس » (١٥) وهي مدينة موشلة ثم التقدم وتقع على شاطئ النهر وسلمت إلى العسكر لينهيوها ويسلمون .
ثم حارب الأسطول المضى قدما متضم إلى الملك ولكن المصريين سدوا عليه النيل بقواربهم وأغلقوا كل طريق للعبور فيه ، وإذا ذلك بعث الملك بهمفري صاحب تورون مع طائفة منتقاة من الفرسان لاحتلال الشاطئ الآخر من النهر أن أمكنهم احتلاله عسى أن يظل هناك منفذ ولو واحد على هذا الجانب مفتوحا أمام المخير ، ويبدو أنه كان في مقدور همفري ورجاله انجاز هذا العمل من غير شقة لولا انطلاق شائعة في هذا الوقت بالذات تشير إلى اقتراب شيركوه منهم مما اضطرتهم لتغيير خططهم ، فصدر الأمر للأسطول بأن يخرج إلى البحر في الحال ويكر راجعا إلى دياره فأطاع الأسطول الأمر الصادر إليه ، غير أن واحدة من شوانيه ضاعت بسبب عدم اتخاذ الحذر الواجب اتخاذ .

لم يكف السلطان (شاور) وقومه في الوقت ذاته عن بذل كل جهدهم لإخراج الملك من بلادهم ، ولقد تم لهم بالحيلة ما عجزت القوة عن الاضطلاع به ، واستعاضوا عن ضعف قواتهم بركونهم إلى أساليب المكر ، ذلك أنهم ما كانوا يعدونهم بالمال حتى طالبوا باطالة فترة السماح التي يدفعونه فيها لهم ، وكانت حجتهم في طلبهم هذا أن مثل هذا القدر الكبير من المال لا يستطيع توفيره من مصدر واحد ، ومن ثم فلا بد لهم من فترة أطول قبل وضع الاتفاق موضع التنفيذ ،

وان لم يمنعهم ذلك من أن يدفعوا فى الحال مائة ألف قطعة ذهبية لقاء إطلاق سراح ابن السلطان وابن أخيه ، ثم قدم شاور رهائن عما تبقى من المال فكانت الرهائن ولدى أخيه الصغيرين ، وكانا شابين .

حينذاك رفع الملك الحصار وسحب قواته الى موضع أبعد من موضعه هذا بما يقرب من ميل ضرب عنده معسكره على مقربة من حديقة شجر البلسم حيث بقى المعسكر مرابطين هنا لمدة ثمانية أيام تسلم الملك خلالها من السلطان رسائل كثيرة ، ولكنها غير مرضية ، وانتهى به الأمر أخيرا الى نقل معسكره ثانية الى موضع يعرف بسرياقوس (١٦) .

كان السلطان فى هذه الأثناء يبعث برسله الى كافة أرجاء البلاد فى التماس المساعدة ، فاستطاع أن يجمع كل ما أمكن جمعه من السلاح ، ثم طالب المساعدة ممن حوله ، كما أمر بتزويد القاهرة بكل مواد الاعاشة ، وقام بنويات يتفقد فيها المدينة وراح يعمل على تقوية كل المواضع الضعيفة فى التحصينات ويتدبر كل طريقة للمقاومة واستطاع بكلماته القوية أن يدعو شعبه للحرب حفاظا على أنفسهم وصونا لحريتهم ودفاعا عن حريمهم وذودا عن أبنائهم ، ووضع أمام أعينهم صورة حية للنكبة التى نزلت بمدينة مجاورة لهم ، ووصف لهم مرارة الأسر وقظاظلة الوقوع فى نير الغالب وهى قظاظلة لا تحتمل ، بالإضافة الى سوء حالة من فى القيود .

- ٩ -

كان فى جيش الملك شخص من أسرة شريفة ولكنه لثيم الخلق خسيس الطبع لا يرعى فى الله الا ولا نمة ولا يوقر أحدا ، واسمه «ميلون دى بلانسى» قدخل برقع الحياء ، وكان ميالا للمخاصمة

مفتابا ، بارعا كل البراعة فى اثاره المشاكل ، ولما كان يعرف تمام المعرفة شراة الملك للمال فقد عمل على تغذية جشعه بدلا من أن يقدم له العظة الحسنة والنصيحة الطيبة ، فدأب منذ البداية على اغرائه بتكريس كل جهده نحو هدف واحد هو أن يبتز من الملكة المصرية المبلغ الذى ذكرناه من قبل ، ثم يعقد بعد ذلك اتفاقا مع السلطان والخليفة دلا من محاولته الاستيلاء على القاهرة وبابلين بحد السيف ، ويقال انه فعل ذلك عن ايمان منه باستمالة أخذ المينة عبوة بل رجاء فى أن يخدع الفرسان وغيرهم ممن كانوا يتحرتون لأخذ الغنائم ، ومن ثم يحيل كل ما تتمخص عنه هذه الحملة العظيمة الى مال ينصب فى الخزانة الملكية ، ان جرت العادة أنه اذا فتحت مدينة من المدن فى بلد ما فان الغنائم والأسلاب التى تقع فى حوزة الجيش تكون أكبر مما لو أن هذا البلد استسلم مباشرة للملك أو الأمير تبعا لشروط اتفاقية لا يستفيد منها سوى السيد وحده .

ففى الحالة الأولى فان سنة الحرب تتيج لكل جندى أن يستحوذ على كل ما تضعه الصدفة فى طريقه وبذلك يتضخم ما يملكه الجندى المنتصر ، أما فى الحالة الثانية فان النفع كله يعود على الملك وبذلك ينصب كل ما يتحصل عليه بهذه الطريقة فى خزينة الملك وحده ، وعلى الرغم مما يبدو من أن كل ما يزيد فى ثروة الملك وأصحاب المكانة العليا يعود بالنفع غير المباشر على رعاياهم الا أن الانسان يسعى على الدوام فى اصرار الى الحصول على مكاسب تؤدى الى زيادة ما يملكه .

ولقد أدى هذا الأمر المتناقض الى مشاحنات خطيرة ، الا أن الأغلبية طالبت أن يكون السيف هو الفصيل وأن يكون كل شئ نهبا مباحا ، لكن الملك ومن حوله رفضوا هذا الرأى وكانت لهم الغلبة فى النهاية وتحقق ما أرادوه .

وبينما كان الجيش معسكرا فى القرية التى ذكرناها من قبل
التى تبعد عن القاهرة خمسة أميال أوستة كان هناك سبيل لا يقطع
من الرسل يتردد بين الجانبين ، ولم يكف السلطان عن إرسال
مايفيد بأنه غير مدخر جهدا فى جمع المبلغ الذى وعد به ، والتوسل
الى الملك فى الوقت ذاته بأن لا يضيق ذرعا بالتأخير ، ولكن عليه
أن يتمسك بالصبر ، كما نصحه ألا يزيد من اقترابه من المدينة حتى
لا يتسرب الخوف الى الشايقة والنس الذين كانوا محبذين كل
الاضمندان الى اتفاقية الصلح التى أبرمت منذ قليل ، ولقد نجح
شاور بهذه الآمال الكاذبة فى استغلال سلامة طوية الصليبيين
فنبذوا ظهريا النصيحة الحق ولم يستمعوا الى التحذيرات الأخرى
الصداقة التى اقترحها عليهم آخرون وكانت خيرا مما اقترحه
شاور .

لكن حدث أن شاعت الشائعة فجأة بأن شيركوه على مقربة
منهم وأنه على رأس جيش من التركمان لا يحصيه العد ، فما أن
طرق هذا النبا سمع الملك حتى قوض خيامه وجمع متاعه وأثقاله
وعاد الى بلبيس حيث جهز نفسه فيها بما يستلزمه الزحف من مواد
ضرورية ، ثم عهد بحماية المدينة الى قوة من الخيالة والفرسان ،
وزحف يوم ٢٥ ديسمبر عبر الصحراء ضد شيركوه ، فلما تقدم
بعض الشيء فى الفيافي وافاه الكشاف الموثوق بهم العارفون
بالملاحية تمام المعرفة بأن شيركوه قد عبر النيل بعسكره ، فاضطره
هذا الخبر الى أن يغير خطته ، وإن كانت قوة العدو لابد وأن
تتضاعف بهذه الامدادات فقد أدرك الملك مدى الضرر الجسيم الذى
يلحق به ان هو تريت أكثر من ذلك ، ولكنه رأى فى الوقت نفسه أن
الاشتباك فى القتال ضد شيركوه ليس بمأمون العاقبة عليه ، كما
أن السلطان (شاور) لم يظهر منه ما يفيد التزامه بالاتفاقية ، ولم
نكن نحن بقادرين بحال من الأحوال أن نفعل ذلك ، وقد استطاع

شاور بسياسة المماثلة الذكية الدقيقة أن يطيل في أمد الموقف مما
أتاح للترك أن يقتربوا ولسم يعد أمامنا مندوحة من الرحيل ،
وعادت القوات الى بلبيس حيث انضمت اليها الكتيبة التي كانت
بقية بها لحراستها ، فلما أطل اليوم الثانى من يناير أخذ الجيش
الصليبي طريقه عائدا الى فلسطين •

- ١٠ -

شعر شيركوه فى هذا الوقت أن الوقت قد حان لتنفيذ غرضه
أن لم يعد أى عائق بينه وبين تحقيق رغباته مادام الملك قد رحل ،
وإذ ذاك أمر بوضع خطته التى أعدها موضع التنفيذ فنصب
معسكره قبالة القاهرة حتى يبدو وكأن عودته ليست تنطوى على
قصد عدوانى ، وبدأت حكيمته فى تمسكه بالصبر فبقى حيث هو
بضعة أيام لم يبد خلالها أى مظهر يدل على ما يضمه من شعور
معاد أو نية سوء ، وهكذا استطاع بمكره الذى لا يجارى أن يخفى
هدفه الحقيقى حتى أن السلطان شاور كان يمضى كل يوم مع رهط
كبير من أتباعه لزيارته فى معسكره ثم يعود الى المدينة بعد أدائه
التحية المألوفة ، وبعد أن يصله بالهدايا العظيمة •

كان الأمن الذى يصاحب هذه الزيارات المتتالية يوحى بالأمل
فى أن يسفر الأمر عن غد أفضل ، وزاد من أطمئنانه ما كان يلقاه
من شيركوه من حسن الاستقبال واستمر ذلك أياما عديدة ، لكن
وأسفاه •• لقد خدعه هذا الأمان المصطنع فوثق كل الثقة بحسن
نية الترك واطمأن اليهم حين أخذه شيركوه - وهو سيد المتأمرين -
على غرة منه ومن حيث لا يحتسب ، وأصدر أوامره سرا الى
أعوانه أنهم إذا رأوه خارجا بنفسه فجر اليوم التالى كعادته فى
الذهاب الى الشاطئ فى الوقت الذى اعتاد السلطان المصرى

شاور زيارته فيه كل يوم . . . أقول انه أسر الى أعوانه ان راوا ذلك ان يثبوا على شاور ويفتكوا به . ومن ثم فانه ما كان شاور يمضى الى معسكر شيركوه فى الساعة التى اعتادها لتحيته حتى وثب عليه رسل الموت تنفيذًا للأوامر الصادرة اليهم من شيركوه وطرحوه أرضاً وأنهلوا عليه طعنا وفصلوا رأسه عن جسده (١٧) .

شاهد أولاد شاور مصرع أبيهم بأعينهم وسرعان ما امتطوا جيادهم وأسرعوا نحو القاهرة وميلوا أمام الخليفة وركعوا أمامه يلتمسون منه الحفاظ على أرواحهم ، ويقول انه وعدهم بالحياة ان هم قطعوا كل اتصال سرى بالترك فوعده ان يستجيبوا لما طلبه ، لكنهم ما لبثوا ان نقضوا عهدهم حيث أرسلوا الرسل فى الخفاء الى شيركوه يفارصونه فى الصلح ، فلما علم الخليفة بذلك أمر بقتلهم فقتلوا بالسيف .

كان الملك (عمورى) حينذاك قد غادر البلاد كما غادر شاور هو الآخر الدنيا ، فوق ذلك كله موقع الغبطة من نفس شيركوه اذ تحققت رغباته ودانت له المملكة فزار الخليفة لأداء فروض الاحترام .

واستقبله الخليفة أجل استقبال وخلع عليه منصب السلطنة . وهكذا أصبح شيركوه سيد مصر كلها ، وصارت له القوة بفضل السيف .

فيالجشع الرجال الأعمى الذى هو أشد وأنكى من كل جريمة نكراء !! .. وبإلخساسة القلب الشره الطامع !!

لكم تدفعنا الرغبة الجامحة فى التملك حين تسيطر علينا الى حال من الفوضى ، وتنزع منا الهدوء لتلقينا فى ظلام القلق !
لقد كانت جميع مصادر مصر وثروتها الضخمة كافية لسد

حاجاتنا ، وكانت حدود مملكتنا معها آمنة مطمئنة ، ولم يكن هناك
 من عدو نخشاه من الناحية الجنوبية ، كما كان البحر يعتبر ممرا
 آمنا يرفرف عليه السلام لمن يسعون للمجىء إلينا ، وكان قومنا
 يدخلون أرض مصر آمنين غير خائفين ، مطمئنين في استبضاعهم
 ومتاجرتهم ، كما أن المصريين كانوا من جانبهم يجلبون إلى
 المملكة (١٨) - زراعات الأجنبية والبضائع العربية التي لم تكن تهرسها
 من قبل ، وكان حثيثهم يقدم زراعاتنا ، وزماننا على ذلك
 فإننا بددنا من الأحرار الطائفة ينالون كل عام حيا يسر حراواتنا
 ويزيد من دخل كل شخص ، أما الآن فقد انقلب الحال رأسا على
 عقب وتغير كل شيء إلى ما هو أسوأ « كيف أكثر الذهب - تغير
 الأبريز الجديد » (١٩) - وما قد صدر « عدى للذبح ، ومزماري لصوت
 الباكين » (٢٠) .

اننى حينما قلبت ناظرى لم أر إلا ما يدعو للفرح والاضطراب
 فلم يعد الحر كما كان من قبل معبرا آمنا ، وأصبحت جميع
 الأراضي التي حولنا تخضع للعدو ، وشرعت الممالك المجاورة لنا
 تنأب للقضاء علينا ومحدونا من الوجود .

ان جشع رجل واحد جلب علينا كل هذه البالاي ، كما أن طمعه
 الذي هو أس جميع الشرور قد عكر صفو سمائنا ، وهو صفو
 كانت تظللنا به العناية الربانية من قبل .

لكن دعونا نتابع قصتنا .

لقد لقي السلطان (شاور) وولداه مصرعهم الذي لم يكونوا
 يستحقونه بسبب سلوكنا المعوج ، واذ ذاك ألت السلطة العليا في
 مصر إلى يد شريكه فراح يحكم حسب هواه ، لكن لم يقدر له أن
 ينعم طويلا بهذه المكانة الرفيعة ، فلم يكده يقيم فيها بعض السنين
 حتى تارق هذه الدنيا بكل ما فيها (٢١) .

ما أن مات شيركوه حتى تولى الأمر من بعده السلطان صلاح الدين وهو ابن أخيه نجم الدين ، وكان هذا الحاكم الجديد رجلا شديد الدكاء ، وبطلا مغوارا فى الهيجاء ، ومعتاضا الى أقصى حدود العطاء ، ويقال أنه فى مستهل حكمه (وقد زار الخليفة ليؤدى واجب الولاء المفروض له عليه) ضرب مولاة بصولجان فى يده ضربة جندلته أرضا فقتله ، ثم حكم السيف فى جميع أولاد الخليفة حتى لا يكون ثم سلطان فوق سلطانه ، وحتى ينفرد هو بالحكم خليفة وسلطانا فى آن واحد ، ولما كان المصريون ينظرون بعين الكرامية للترك فقد خشى صلاح الدين أن يأتى يوم يكن فيه بمضرة مولاة الخليفة فيأمر الخليفة بقتله ، لذلك احتاط للأمر كل الاحتياط وأعد العدة لاحباط قصد كهذا القصد ، فامضى فى الخليفة ما كان هذا الخليفة كما قيل يعتزم امضاءه فيه هوداته كوزير له (٢٢) .

ولما مات الخليفة استولى صلاح الدين لنفسه على بيت المال وعلى جميع الخزائن الخليفية وساس كل شىء وفق هواه ، وبسط يده كل البسط لاسيما على خاصة جنده ، فلم تمض أيام قلائل حتى كانت جميع الخزائن خاوية مما اضطره للاقتراض من الآخرين والاستدانة وتراكمت الديون (٢٣) عليه حتى أثقلت كاهله .

على أنه يقال أن بعض أبناء الخليفة الراحل نجوا سرا على يد رجال أخلصوا نيتهم لأبهم الخليفة ، وقد رادوا من وراء ذلك أنه إذ أتىح للمصريين استرداد سلطتهم على الحكرمة وجدوا فى واحد من هؤلاء التاجين الوريث الذى يحمل اسم الخليفة ويتولى مكانه وتجربى فى عروقه نفس دماؤه .

بعد عودة الملك الى مملكته لم يجد شئ ذوبال خلال الفترة الأولى من تلك السنة سوى وفاة « رينيروس » Raynerus أسقف اللد الطيب الذكر . وتولى « برنارد » رئيس دير جبل الطور مكانه .

فلما كان الربيع التالى الذى هو مستهل السنة السادسة من حكم عمورى أدرك عقلاء المملكة أن خضوع مصر للترك كان ضربة اليمية وجهت اليها ، وأن موقفنا أصبح من الناحية العملية أسوأ مما كان عليه ، فقد استطاع نور الدين - أشد خصومنا لدادة لنا - بخروجه من مصر بأسطوله الضخم أن يحاصرنا بصورة فعلية وأصبح فى قدرته حصار جميع المدن الساحلية برا وبحرا بجيشيه ، وزاد من خوفنا أنه أصبح قادرا على قطع الطريق على الحجاج ومنعهم من الحج إلى الديار ، بل وألا يأذن لهم بالسير بتاتا ، لذلك رأى أن الظروف المحيطة بنا تفرض إرسال سفارة من كبار رجال الكنيسة الدارزين إلى أمراء الغرب ليفصلوا لهم تفصيلا واقيا الأحوال المفجعة التى تمر بها المملكة ، وما ابتلى به الشعب المسيحى من بطوى فادحة ، ويصوروا لهم المصائب التى تهدد اخوانهم ، واتفق الاجماع على أن تناط هذه السفارة إلى الموقرين « هرنيسوس » Hernesius رئيس أساقفة قيصرية ووليم أسقف عكا ، وكانا على جانب من الرأى المصيب والبلاغة ، فقبل اختيارهما بالرضا من الجميع فأبحرا مزودين برسائل من الملك ومن جميع الأساقفة إلى كل من « فردريك » امبراطور الرومان ولويس ملك الفرنجة ، وهنرى ملك الانجليز ، ووليم ملك صقلية ، وكذلك إلى الكنتات الأفاضل فيليب كونت فلاندرز ، وهنرى كونت تروى ، وثوبولد الثانى كونت شارترز ، أو بمعنى أدق إلى جميع كبار رجال الغرب .

على أنه حدث فى الليلة الذالية لبحارهما أن هبت فجأة عاصفة عاتية وراحت سفينتهم تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال وتتقاذفها الأمواج هنا وهناك ، وتحطمت مجساديفها ، وتمزقت أشرعتها ، فعاد المبعوثان بعد ثلاثة أيام فرعين أسد الفزع وقد كتبت لهما النجاة بعد ياس من النجاة إذ لم يكونا من العرقي . ومن ثم جهزت سفارة ثانية بدل الأولى تتألف من فردريك رئيس اساسة حور الذى قبل الأيام بها بعد الصبح وتوسل من ملك والنسب . كما انضم اليه أسقف باريس وكبير رجال الدولة وهو « جون » فسادف الزندان ومائتهما من الطين من رجب . ما سملين بعد رحلة موفقة ، لكنهما لم يحرزا توفيقا كبيرا فى البسة النى وكلت اليهما ، وقد مات الأسقف فى باريس فى أعقاب وصولهما الى فرنسا ، أما رئيس الاساقفة فقد عاد بعد عامين من بقائه فى الخارج دون أن يحرز شيئا من النجاح .

- ١٢ -

وانتهى الصيف دون حدوث شيء ذى بال يستحق الذكر .

فلما كان مستهل الخريف التالى أرسل الامبراطور (مانويل) - المهتم بتنفيذ اتفاقه - الأسطول الذى وعد به وغاء المعاهدة التى كان قد أبرمها مع الملك باقتراح ورغبة منا (٢٤) ، وانه لمحمود كل الحمد من هذه الناحية فقد نفذ الاتفاق تنفيذا دقيقا وبمعظمة الامبراطور بل أنه كان بذلك قد أوفى بأكثر مما كان قد وعد به .

كانت هذه القوة البحرية (البرنطية) تتألف من مائة وثمانين سفينة حربية مجهزة بالحرب وصفين من المشركين . تعرف هذه السفن بالمشيديات وقد صمدت للقتال على رءى الخصى .

وكان هناك الى جانب هذه الشوانى ستون سفينة من السفن الكبيرة المسلحة على أحسن صورة وكانت معدة لنقل الجياد ومجهزة بسند واسعة فى مؤخرتها ليسهل شحنها بالخيل وانزالها منها ، كما كانت بها جسور يمكن للرجال والخيل على السواء الصعود عليها أو النزول منها الى اليابسة ، كما كان هنا أسطول يتضمن فيما يتضمن عشر قوارب أو عشرين من القوارب الكبيرة الحجم المعروفة بالمرامين (٢٥) المعدة لحمل شتى أنواع الميرة ، وكانت هذه السفن هى الأخرى تحمل كثيرا من صنوف السلاح زيادة عن معدات الحرب وآلات القتال .

وجعل الامبراطور قيادة هذا الأسطول العامة فى يد واحد من كبار أشرافه وذوى قرباه هو الذوق الكبير « الكسيسوس كونتستفانوس » ، وأردفه بتدليل آخر اسمه « موريس » كان أثيرا عند مولاه الامبراطور وموضع ثقته ، كما كان هانويل يعتمد على خبرة هذا الرجل اعتمادا كبيرا كما يستدل على ذلك مما حدث فيما بعد من أنه وكل الى « موريس » هذا النظر فى جميع شئون الامبراطورية .

كذلك أشرك الامبراطور معهما فى القيادة اسكندر كونت كونفرسانا وهو من أشراف أبوليا ، وكان الامبراطور يخصه بصافى وده لما كان يظهره الكونذ من التعلق الصادق به .

هكذا عهد الامبراطور الى هؤلاء الثلاثة الكبار بقيادة العسكر الامبراطورى حين أرسله الى جزئا هذا من الشرق ، فلما قارب شهر سبتمبر على الانصرام دخل الأسطول حيناء صبور بعد رحلة لايمه المتفرق فيها ، ثم تابع إبحاره الى عكا حيث ألقى مراسيه فى المارّة هادئة بين النهر والميناء .

، ما كانت سنة ١١٦٩ من ميلاد المسيح وهى السنة الثامنة والستون من تحرير مدينة القدس والسنة السادسة من حكم الملك عمورى قام الملك بتنظيم شئون مملكته ، وخلف بها طائفة من الفرسان بعد أن عهد اليهم بالقيام خلال غيبته بحماية المملكة من تغديات وعطام نور الدين الذى كان لايزال يتحرك فى أرض دمشق ، كما أنه أحرى الحاربيين من اللاتين والاعريق بالتجمع فى عسقلان فى الخامس عشر من أكتوبر ، وكان الأسطول قد أبحر من ميناء عكا قبل ذلك ببضعة أيام قاصدا الديار المصرية .

وتحرك الجيش يوم ١٦ أكتوبر (٢٦) ، واتسم سيره بالحركة البطيئة وعلى مهل حتى يتجنب خيالته الاجهاد الذى لامبرر له ، وتقدم العسكر فى يسر بضعة مراحل وكثر استفادتهم من مواضع التوقف التى لا ينقصها الماء حتى بلغوا مدينة الفرما القديمة فى اليوم التاسع (من زحفهم) وأرادوا أن يسلكوا الطريق الساحلى ، ولكن جد جديد فرض عليهم أن يسلكوا الطريق الداخلى رغم طوله فقد انفجرت بعض السدود الموجودة بين السهل والبحر المجاور من جراء استمرار ضرب الأمواج لها فشقت المياه لنفسها طريقا عبر الحواجز المواجهة لهذه السدود ، فلما لم تجد ما يصددها تدفقت فأغرقت الطريق ثم اجتاحت السهل الواقع فى الخلف ، وتكونت فى بادئ الأمر بركة صغيرة مالبثت أن اتسعت اتساعا كبيرا وغاضت حتى اتصلت بالبحر الذى جلب اليها كميات ضخمة من الأسماك ، ثم جاءت مقادير كبيرة منه لم يكن يدور بخلد أحد من قبل أن يأتى مثلها ، ولم يقتصر نفعه على المدينة القريية فحسب بل جاوزها حتى بلغ الأماكن النائية .

ولما كان البحر قد أغرق القطر على طول الساحل فان
المسافرين الذين كانوا يعتزمون الذهاب الى مصر عبر الطريق
الساحلى وجدوا أنفسهم مضطرين أن يزيدوا فى سفرهم عشرة أميال
أى أكثر يدورون فيها حول هذه البركة قبل أن يصلوا ثانية الى
الطريق .

ولقد أوردنا هذه التفاصيل لجدة هذا الحادث العجيب ، ولأن
استمرار طغيان البحر جعل هذا الاقليم الصحراوى مغطى بمياه
كما كثر تردد أصحاب القوارب اليه بعد أن كان من قبل اقليما
معرضا لحرارة الشمس المحرقة .

ولما أصبح هذا الاقليم الآن غزير الانتاج فقدا متلاً بشبابك
الصيادين وأخرجوا منه عالم يكونوا يعرفونه من قبل .

أما مدينة الفرما (٢٧) التى أشرنا اليها من قبل فخالية الآن
من السكان بعد أن كانت فى القديم غاصة بهم ، وهى تقع على
مشاريف الصحراء قرب الفرع الكاريبى أول فروع النيل الذى تصب
مياهه فى البحر (الأبيض المتوسط) ، ومن ثم فهى واقعة بين النهر
والبحر والصحراء ، كما أنها على مسافة ثلاثة أميال من مصب
النيل .

وحين بلغ جيشنا الفرما وجد الأسطول قد سبقه منذ قليل
فجاء العسكر فى الحال بمن يحتاجون اليهم من المجدفين ، وتم نقل
الجيش بأكمله الى الضفة الأخرى بعد أن جعلوا تنيس على يسارهم ،
وكانت « تنيس » فى الزمن الخابر مدينة عظيمة ، أما الآن فانها
لا تعدو أن تكون قرية صغيرة ، ومن هنا تابع الجيش زحفه قدما
مسافة تقرب من عشرين ميلا عبر طريق واقع بين أحد المستنقعات
وبين الشاطئ حتى أفضى به الزحف بعد مسيرة يومين الى
دمياط .

وتعتبر دمياط واحدة من أقدم مدن مصر وأعظمها ذكرا ،
وهي واقعة على شاطئ النيل كما أنها أقرب ما تكون إلينا عند
النقطة التي يصب فيها النيل في البحر عبر شرعه الثاني الذي
يعد عنها مسافة ميل واحد ، ولقد بلغ جيشنا دمياط يوم السابع
والعشرين من أكتوبر وعسكر في موضع بين المدينة والبحر في
انتظار وصول الأسطول (البيزنطى) الذى حل هياح الحسر
والرياح المضادة دون وصوله ، وظل الحال على هذا المنوال ثلاثة
أيام انكسرت بعدها حدة الأمواج فاغتنم الأسطول مواتاة الريح له
ودخل النهر وأرسى في ميناء شديد الهدوء على الساحل فيما بين
المدينة والبحر .

وكان على الشاطئ الآخر برج عال يقف وحده شاهدا قد
قام على حراسته حراسة يقظة طائفة كبيرة من الرجال المسلحين ،
وتمتد من هذا البرج الى المدينة سلسلة حديدية تقف سدا منيعا
دون الوصول الى الداحية العلوية من النهر فكانت عقبة كئداء فى
وجه قواتنا ، غير أن جميع السفن الذائلة من القاهرة وبابلليون
استطاعت أن تمضى اليهم دون أى عائق . فلما اتخذ الأسطول
موضعه مرت الفوات عبر البساتين والحقول الواقعة بين معسكرهم
وبين المدينة ذاتها ، ونصبت خيامها فى موضع كان أقرب ما يكون
الى دمياط التى كان الوصول الى أسوارها سهلا ميسرا ، غير أن
هذه القوات تزيئت فى هجومها ثلاثة أيام ، وهنا علموا صدق المثل
القول « اذا تم اعداد كل شئ ففى التسرييف الدائمة » ، فقد قدم
من أعلى الصعيد بمصر جيش لا يحصيه العدد من الترك ، كما
جاء الكثير من السفن المشحونة بالرجال المسلحين مما أرغم جيشنا
على التوقف بلا حراك لا يستطيع عمل أى شئ فى الوقت الذى

يرى فيه المدينة التي كانت خالية تماما قد ازدحمت ازدحاما شديدا وغصت بالمحاربين ، وسرعان ما دین رجالنا استحالة الاستيلاء على دمياط من غير الاستعانة بالآلات الحربية ، والعدد التي ترمى بالمدفعية . هذا على الرغم من أن المدينة كانت تبدو حين وصول الصليبيين وهي مرشكة على الوقوع في أيديهم عند أول هجوم يشهده عليها .

لذلك اختير العمال وجهزت المواد الملائمة واستطاعوا بعد ذلك المزيد من الجهد الشاق والعرق أن يقيموا برجاً عاليا ذا سبعة سوابق يستطيع الناظر من أعلاه أن يرى المدينة بأكملها في وضوح .

كما نصبت آلات مختلفة الأنواع منها ما كان لرمى الأحجار الضخمة لك الأسوار ، ومنها ما كان لحماية الذين يضعون الألغام إذ كانوا يتخذون من هذه الآلات مخاضاً تخفيهم عن العيون ولكنهم يستطيعون الاقتراب من التحصينات فيحرقون أسفلها الذنفاق مما يؤدي إلى انهيار الأسوار حيث لا يوجد تحتها ما يسندها .

فرغ رجالنا في هذه الأثناء من تمهيد مدخل المدينة بصورة تجعل الآلات التي تم بناؤها قادرة على الارتكاز على الأسوار ، واستمر المحاربون الموجودون في البرج المتحرك يواصلون ضغطهم على المحصورين ويواصلون رميهم بوابل من السهام والأحجار من غير انقطاع إلى جانب الأسلحة الأخرى التي تسعفهم بها مساحة المكان الضيق ، كما راح الذين في آلات الرمي يطوحون في الوقت ذاته بالصخور الضخمة ويتنافسون في حماسة طاغية لك الأسوار وما جاورها من الدور .

ولما رأى أهل البلد محاولات الصليبيين هذه حاولوا مقابلة المقاومة بالمثل ، وجمعتهم رغبتهم في مواجهتها جهوداً بما

يوازونها مكرًا على أن يشيدوا برجًا عاليًا في مواجهة برجنا
وشحنوه بالرجال المسلحين الذين كان عليهم مقاومة محاولتنا من
آلة مشابهة للآلة التي عندنا ، وردوا على هجماتنا بمثلها رداً مؤثماً
ورفعوا آلاتهم إلى أعلى في مواجهة آلاتنا ، ولم يدخروا وسعاً في
بذل ما فيه القضاء على جهننا ، وأسعفتهم حاجتهم في الدفاع عن
أنفسهم فأمدتهم بالمهارة ، كما أسعفهم الظرف الطارئ الذي هم
فيه بالقوة فازدادوا بأساً .

وأما الذين ظلوا حتى هذه اللحظة وهم يشعرون أنهم ليسوا
قادين على الصمود والمقاومة فقد أجبرتهم الحاجة الملحة إلى ابتداع
خطط لم يكن يدور بالظن أنهم قادرين على ابتداع مثلها ، بل أن
اغبى الناس فيهم راحوا يبتكرون من الوسائل ما يضمن لهم
السلامة ، وعلمتهم التجربة القاسية صدق المثل القائل « الحاجة أم
الاختراع » .

لكن في نفس اللحظة التي كان ينبغي على الصليبيين فيها أن
يشدوا الحصار عن ذي قبل إذا بهم يبدون من الجبن وعدم
الاكتراث الشيء الكبير ، وينسب البعض هذا التغير السلوكي إلى
الخيانة ، ويعزوه آخرون إلى التهاون واللامسؤولية ، فقد وضج
التراخي جلياً على رجالنا كما وضحت عليهم دلائل التكاسل ، كذلك
اتضح أن من كانوا يتصرفون بروح تفصح عن الخيانة لأمانتهم
أمروا بأسناد أحد الأبراج الحديثة البناء إلى السور وجعلوه في
مكان شديد الانحدار ، وكان بهذا القسم من المدينة كثير من النواحي
التي كانت الأسوار فيها أكثر انخفاضاً وأقل احتمالاً مما يتيسر معه
الاستيلاء عليها وعلى هذا القسم ، لكنهم وضعوا الدرج المتحرك
في الناحية التي هي أضعف وأشد تحصيناً ، وهي ناحية تجعل
وضع الآلات الحربية فيها أمراً شديداً الصعوبة ، وزيادة على ذلك
فإن التدمير الذي يقع من هذا الموضع لن يصيب أهل البلد ولا

مبانيهم ولكنه يصيب كنيسة أم الاله الطاهرة الواقعة لصق الأسوار
مباشرة .

وليس من شك في أن الامتناع عن مهاجمة دمياط في أعقاب
وصولنا الى هناك مباشرة انما كان صادرا عن نية فاسدة وقصد
لثيم ، فقد كانت المدينة في الواقع حينذاك مهجورة تماما ليس فيها
من أهلها سوى الضعاف المسالين الذين يجهلون جهلا تاما كل
شيء عن الحرب وأساليبها ، فلو كان الصليبيون هاجموها هجوما
عنيفا في الحال - وهو أمر كان يذبحى عليهم القيام به - لسقطت
المدينة في أول هجوم عليها ، ولكن الذي جرى هو أنهم أتاحوا
فرصة للمحصورين يلتقطون فيها أنفاسهم ، فكانت أعدادهم خلال
ذلك تتزايد بكثرة بسبب توالي امدادهم بالمقاتلين الشجعان البواسل
مما أسفر عن أنهم أصبحوا قادرين على مقاومة هجماتنا ليس فقط
في داخل المدينة ذاتها ، بل وأيضا خارجها في ساحة القتال .

- ١٦ -

في هذا المنعطف من الأحداث الجارية حاق بالصليبيين خطب
جديد أضيف الى الخطوب التي حاقت بهم من قبل ، ذلك أن الاغريق
الذين كانوا قد قدموا في أعداد كبيرة في الأسطول أخذوا الآن
يكابدون النقص في الطعام فقد نفذ كل ما كان عندهم من الخبز حتى
آخر لقمة منه ، ولم يعد لديهم في الواقع أى طعام يسدون به رمقهم،
وحدث أن مزرعة من نخيل التمر قريبة من المعسكر اجتثت
لاستعمالها في أمور أخرى ، فلما اجتثت انطلق الاغريق الجوعى
يلتمسون القطع اللينة الصغيرة التي تنمو بالأطراف حيث تظهر
الأغصان والتي تمد الغصون بالعصارة ، ولما كانت هذه الأجزاء
صالحة للأكل فقد اتخذوها كنوع من الطعام رغم تفاهة قيمتها

الغذائية ، لكنها كانت على أية حال تخفف قرصات الجوع الذى ادى بهؤلاء الناس الى الاجتهاد فى البحث عن شئ يأكلونه ، كما أن تلهف البطون المخاوية أنكى مهارة أصحابها فى الكثف عما يسد احتياجاتهم ، ولقد طلوا بضعة أيام يعيشون على هذا الطعام بينما تغلب غيرهم على جوعهم - وان كانوا أقل منهم حرمانا - بالشوفان والزبيب والقسطل .

أما الصليبيون فكان عندهم ما يكفيهم من الخبز وغيره من شتى صنوف الطعام ، وكانوا يندون جانيا بعضا مما فى أيديهم ويبدخونه مخافة أن تضربهم هم أيضا المجاعة . يضاف الى ذلك أنهم كانوا لا يدرون على وجه التحقيق كم سيطول مكثهم فى دمياط وان كانوا يتوقعون أن يكون بقاؤهم فيها طويلا .

تمددت أن سقطت الأمطار غزيرة فى هذا الوقت ، واشتدت العواصف العنيفة بصورة جعلت من هم أفقر منهم غير قادرين على اصطناع أى وسيلة لمنع الماء من التسرب الى داخل خيامهم ، ولم يكن الأغنياء أحسن حظا لأن قساطرطيلهم تشربت بمياه الأمطار الغزيرة ترسلها عليهم السماء مدرارا فكانوا يحفرون الخنادق حول خيامهم فتتحول اليها المياه فيكون فى ذلك بعض الوقاية لهم .



ثم ألت بهم داهية دهياء مرة أخرى ، هى أنه كانت قد رست هنا على مقربة من المدينة السفن المختلفة الأنواع التى جىء بها من البحر الى النهر ، ولما رأى أهل البلد أن الريح تهب من الجنوب وأن مياه النيل تتدفق فى عنف شديد اغتتموا هذه الفرصة لتنفيذ خطة دبروها فى لحظتهم إذ أخذوا قارباً من الحجم الحادى وطلّوه

كله بالأخشاب الجافة وبالقار وبكل مادة قابلة للاشتعال وتزيد النار ضراما وأوتدوا ذلك كله ثم دفعوا بالقارب وما يحمل الى النهر فحملته الأمواج من تلقاء ذاتها ورمت به أسطولنا وسرعان ما أذكى هبوب الريح الجنوبية النار ، واصطدم القارب المشتعل بسسفن الأسطول التي كانت متلاحقة الى بعضها ، واستحلت ست من السفن الحارقة الشراعى التي رهاها ، وكان الشراعى المتزايد من النيران على كل واحد من تلك السفن الحارقة الذى ينادى - حين رأى الحريق ، ساقى الى البحر وسحق نفسه تحت قدميه وقتما انقلب الى البحر ، جواش رايقط البهارة وروح فيهم صرخت من كثرة رغبة رطلبهم فى ان تارات مفعورة من يمدوا يدهم على اطفاء النيران فشب النار التغلب عليها اذ فحسسلوا كل قارب عن الآخر فحمت النار المستعر ، وكان البحارة يمدعون الى انقاذ كل سفينة تمسك بها النيران بسبب الشرر المتطاير والمواد الملتهبة التى تسقيها الريح ، وكان الفضل فى اخمادهم هذه النيران راجعا الى النهر الذى كان قريبا منهم كل القرب .

لبدت المدينة بضعة أيام وهى عرضة لهجمات كان النصر فيها تارة فى جاذب الصليبيين وتارة أخرى فى جانب أعدائهم كما يحدث غالبا حين لا تكون هناك وقعة فاصلة ، وكان الصليبيون هم الذين يتحدون عدوهم للقتال رغم انه لم يكن يحارب الا اذا دفع للحرب دفعا .

كان المحصورون اذا ما خالجهم الشعور بالثقة انطلقوا من باب سبرى فى الخلف فى مواجهة معسكر الاغريق وشنوا هجماتهم على غير انتظار على ذلك القصد من الجيش ، ومن المحتمل انهم ربما كانوا قد سمعوا بان الثورات الاغريقية كانت أقل من قواقتنا بأشبا ، أى ربما كانوا قد علموا نبا المجاعة الشديدة التى يكادها

اليونان بصورة تجعلهم أقل قدرة على صد الهجوم عليهم إن أغار عليهم مغير . لسكن على الرغم من هذه النكبة إلا أن القسائد « ميجالدوكس » وغيره من البيزنطيين كانوا يفتنمون الفرصة كلما وانتهم فيحاربون حربا تنطوى على البطولة والشجاعة مما يحمل الجيش على الاقتداء بقواده ، فيهاجمهم المرة تلو المرة ببسالة معدومة النظير ويحمي موقعه بقوة .

على أن قوة المحصورين كانت تتضاعف عددا بالامدادات الكبيرة المتواصلة القادمة اليهم برا وبحرا ، مما ترتب عليه أن سكان البلد - رغم انحصارهم داخل مدينة محاصرة كانوا مصدر قزع كبير لأعدائهم أكثر مما كان الصليبيون لهم .

وأخذ الناس (٢٨) يتهايمسون فيما بينهم - ويعلب عليهم شعور واحد - هو أن جهدنا ليس سوى جهد ضائع ، وأجمعوا رأيهم على أن الخروج بهذه الحملة كان بغير رضى الرب ، حتى لقد أشاح بوجهه عنا فى غضب ، وقال الناس أن الرجوع من حيث جئنا أجدى لنا من أن نفنى فى مصر جوعا أو نهلك بسيف الكفار . ومن ثم عقد اتفاق تضمن بعض الشروط السرية ، ويرجع الفضل فى عقده الى مجهودات مشتركة من جانب بعض قواتنا وطائفة من الرلاة الترك وكان أبرز الساعين فى إبرام هذا الاتفاق وأحد أسمه « الجاولى » Javelino . ووافق البيزنطيون على هذا الاتفاق .

وحينذاك نادى المذاوى معلنا باقرار الصلح واستتباب السلام .

- ١٦ -

حينذاك انطلق الأهالى والحلفاء الذين كانوا قد قدموا لمساعدتهم ترفرف عليهم راية الأمن وجاءوا الى معسكرنا ، كما سمح بمثل ذلك لمن شاء من جنودنا الذين أكثروا من التردد على المدينة والمعسكر



من غير عائق يعوقهم وهم مطمئنون البال، وأخيرا راح الجانبان يتاجرا -
 في حرية مع بعضهما ، وأذن للجميع بالبيع والشراء كيفما أرادوا
 ومتى شاؤوا ، وظل المسيحيون يترددون على السوق ثلاثة أيام
 يتبايعون مع الكفار ثم استعدوا بعد ذلك للمغادرة فهدموا آلاتهم
 الحربية وأحرقوها ومضى الجيش البرى فى أعقاب ذلك فى صحبة
 الملك الى فلسطين ، وقد اضطرتهم المستنقعات أن يسلكوا نفس
 الطريق الذى سلكوه فى قدومهم ، حتى اذا كان الحادى والعشرون
 من ديسمبر بلغوا عسقلان ، ونظرا لقرب عيد الميلاد فقد أسرع الملك
 الى عكا التى وصلها عشية ميلاد السيد .

أما الذين ركبوا السفن فقد أبحروا تحت ظروف سيئة ونذر
 لا تبشر بالخير اذ ما كانوا يبدعون رحلتهم حتى هبت عاصفة عاتية
 هاج معها البحر هيجانا لم يستطيعوا دفع أخطاره ، فحطمت
 الأمواج سفنهم وألقت بها على الشاطئء وعطب معظمها ولم يبق
 من ذلك الأسطول الضخم الذى كان قد جاء الينا سوى بضع سفن
 سليمة بعضها كبير وبعضها صغير كانت هى القادرة على العودة .

وعلى الرغم من أن رسل الامبراطور بذلوا كل ما فى وسعهم
 لانعام المهمة التى نيّطت بهم الا أنهم اضطروا للعودة مغلوبين على
 اخرهم بقلوب ملؤها الحزن والأسى فزعا من المصير الذى يذترهم
 وخوفا من أن ينسب إليهم جلالة الامبراطور المثل السيئ الذى كنت
 اليه حملتهم فى الوقت الذى لم يكن لهم يد فيه ، وعلى الرغم من
 أن هذه النتيجة دأها ترجع الى مشيئة القدر التى لا حفر لهم منها
 الا أنه كان من الممكن أن ينسب الامبراطور - وهو فى سورة غضبه -
 هذه الخاتمة الى همال منهم أو سوء سياسة وتصرف من
 جانبهم .

واننى لأذكر اى قمت بعد عودتى بتحقيق دقيق وتقص عميق
واستفسار كبير من انك وبعض كبار رجال المملكة لماذا تتمخض
حملة كهذه الحملة الكبيرة عن خاتمة كهذه الخاتمة التمهية -
انها كانت تسير بتوجيه من كبار الأمراء المسئولين .

ولقد كنت منصرفا خلال هذه السنة الى مسائل الشخصية
اذ ذهبت الى رومة قرارا من عداوة يضممرها لى رئيس أساقفتى ،
وهى عداوة (٢٩) ظالمة باطلة ، فلما رجعت من رومة حاولت
تقصى ما وراء هذا الموضوع ، واستتمعت الى كثير من الآراء
المتضاربة التى حاولت منها أن أصل الى الحقيقة الثابتة لأن نتائج
الحملة كانت أبعد ما تكون عما كنا نطمع فيه ، واستعملت الحذر
الشديد لاننى كنت قد أليت على نفسى كتابة تاريخ هذه الأحداث
فوجدت أن الاغريق لم يكونوا بمنجاة من اللوم اذ أن الامبراطور
كان قد وعد وعدا لامعز فيه بارسال المال الكافى لسد حاجات هذا
الجيش الكبير ، لكن ثبت زيف هذا الوعد ، ذلك أنه منذ اللحظة
التى وصل فيها نوابه الكبار الى مصر كان المفروض أن يكونوا
قادرين على سد كل احتياجات الآخرين من المنحة الامبراطورية .

الا أن هؤلاء النواب أنفسهم وقعوا تحت وطأة الحاجة
الشديدة وشرعوا يلتمسون المال يشترون به الطعام لأنفسهم ويدفعون
منه رواتب عساكرهم فلم ينجدهم أحد قط بما أرادوا .

-- ١٨ --

فلما كان يونيو من صيف العام اثنى (١١٧٠ م) اغتنى نوري
السنة السابعة من عهد الملك عمروى صرب الشرق زلزال مروع كان
أشد هولا من أى زلزال تعيه أذهان من لازالوا أحياء فقد تحطمت
هذه مدن شديدة التحصين وترجع الى عصور سحيقة القدم واستحالت
أطلالا ، كما هلك من كانوا فى بيوتهم عن كرة أديمهم سوى

تغير قليل جدا . ولم تكن هناك ناحية في المنطقة كلها لم تصبها خسارة في الممتلكات والأرواح ، فحسب الحزن على كل موضع ولم تخل ناحية من النواحي من جنائز لأموتى ، ودفن بفعل الزلزال أكبر شيء على كل من بلادنا والشام وقينيقيا ، وهى مدن ذاعت شهرتها على مدى العصور لما لها من التاريخ القديم ، كما اذثرت فى نواحي سهل البقاع وأنطكية وغيرهما من البلاد مدن أخرى كانت لها الصدارة فى وقت من الأوقات ، وكانت هذه المدن سيدة مدن كثير من الممالك ، وانهارت الأسوار الهائلة والأبراج الشديدة المنعة فى كل هذه النواحي واستحالت أنقاضا ، ولحق الدمار بكثير من الكنائس وشتى أنواع المباني وكان دمارا مروعا لم يمكن معه ترميم الا بعض أجزاء منها رغم ما بذل فى سبيل ذلك من جهد كبير ومال عظيم ، وكان من بين المدن الأخرى التى مسها الضرر فى هذه الولاية ذاتها مدينة « جبلة » و « اللانقية » وهما أشهر مدينتين على الساحل ، وكان من المدن التى أصابها النكبة « بوريا » المعروفة وحلب وشيزر وحماة وحمص وغيرها من المدن الداخلية التى كانت فى حوزة العدى ، ناهيك بالحصون والقلاع التى دمرت فقد كانت من الكثرة بالدرجة التى لا يحصيها العد .

ولما كان يوم ٢٩ يونيو (سنة ١١٧٠ م) وحوالى الساعة الأولى من النهار ضرب زلزال عنيف فجأة مدينة طرابلس الكبيرة المزدهمة بالسكان جاء تقريبا على كل من اكان وراء أسوارها واستحالت معه المدينة كلها الى أكوام من الحجارة وأصبحت مقبرة جامعة لمن هلك من سكانها .

كذلك كان الزلزال مدمرا فى « صور » أشهر مدن عذد الولاية وبلغ تدميره حدا تهاوى معه العديد من الأبراج الضخمة ، لكن لم تحدث خسارة فى الأرواح

ولقد وجدت في كل من اقاليمنا واقاليم العدو قلاعاً وحصوناً نصف مدبرة مفتوحة الأبواب لا يمنع العدو شيئاً من أن يأتيها من أي جانب فيذيقها بأسه وعدوانه . لكن لم يجرؤ أحد قط على إيذاء غيره مضافة أن يحل به غضب الرب وتصيبه نقمته وانشغل كل امرئ بهموه الخاصة وأصبح يزرع تحت عبء أموره الذاتية ، ولم يعد ثم حد يفكر في الاضرار بجاره .

تم الصلاح بسعى من الجميع لم يشذ عنه أحد ، وإن ظل لفترة قصيرة ، وأدى خوف الجميع من الغضب الإلهي إلى عقد الاتفاقية ، فقد توقع كل شخص أن تنزل به نعمة الله من السماء عقاباً له على خطاياهم فتحدث كلهم أعمال السوء ونبتوا لبعضاء .

لم يكن غضب الرب أمراً مؤقتاً كما يحدث عادة ، إذ أن تلك البزة المروعة ظلت ثلاثة شهور أو أربعة بل وأكثر وهي تحدث ليلاً ونهاراً وتكرر ثلاث مرات أو أربع مرات ، ومن ثم كانت كل حركة يحس بها الفرد تبعث الفزع في نفسه ، ولم يعد هناك مكان يستشعر فيه المرء الأمان حتى أن اليرعى الباطن أذناء النوم (وقد أقرعه ما جرى في اليقظة) كان يوقظ المنائم فيهب واثباً وجلاً من هذه الأحوال التي شاهدها في يقظته .

وقد شاعت رحمة حافظ الجميع المعطوفة أن تكتب النجاة من هذه الأحوال للأحرار العليا من ولايتنا وأعنى بها فلسطين .

- ١٩ -

وهي ديسمبر من هذه السنة ذاتها (اعنى سنة ١١٧٠ م) في العام الثامن من حكم الملك عموري انتشرت شائعة قوية بين الناس تقول ان صلاح الدين يوشك أن يغزو بلادنا ، وجاءت الأخبار من

مصادر متعددة أنه قد فرغ من حشد قواته من كافة أنحاء مصر
ودمشق أيضا ، وأنه زاد في عدد جنده زيادة كبيرة بتجنيد رجلا
من المقتين الوسطى والدنيا قاصدا الزحف على قلعة الداروم
لذلك ما كان هذا الخبر يطرق سمع الملك حتى هب في لحظته إلى
عسقلان ، حيث جاءه الخبر اليقين من مصادر موثوق بها حملها
إليه قومه أن هذا الأمير الكبير القوي قد حاصر قلعة « الداروم »
على مدى يومين بجيش ضخم أقوى من كل جيش سبق أن جمعه
من قبل ، ولم يسمح أن كانوا بداخل الحصن بلحظة يلتقطون قريبا
أنفاسهم بسبب ما أنزله بهم من الأهوال الجسام ، إذ يمطرهم
بسيل مستمر من السهام فأتخنهم جراحا ، ولم يبق منهم غير رصاص
قليل كان قادرا على حمل السلاح دفاعا عن هذا المكان ، وكان قد
وضع المئين تحت السور فتهاور فافتحمه رجاله بالقوة ، واستولى
صلاح الدين على قسم من الناحية مما حمل أهالي البلد على أن
يلتسوا ملاذا في أحصن مكان عندهم ألا وهو القلعة ، غير أن
العدو كان قد شق لنفسه طريقا بالقوة في القسم الأسفل من أحد
الأبراج وأضرم النار في مدخله ، وإن لزال المحاصرون يدافعون
عن القسم الأعلى .

هذا هو التقرير الذي جاء إلى ملك ، وكان كل ما فيه صدقا .

كان قائد قلعة الداروم (٣٠) وحاميتها هو النزيل «أنزلم دي
Anselme De Paris» ، وكان رجلا تقيا يخشى الله ، وأضافه
وحاميتها صنديدا ، رئيس من شئت في أنه أي قاتل الهجر على
الحسن لما كان شاك في وقوعه في يد العدو .

فأضرب قلب الملك بالحرزن العميق واستدعى الغضب الساعى
حين علم بهذا الموقف الحرج فجمع في الحال الخدعة وقوات الفرسان
من كل النواحي رغم قصر الوقت وقرب العدو منه ، وخرج من

عسقلان في الثامن عشر من نفس الشهر مغذا السير الى غزة ، ورافقه في خروجه البطرك المعظم حاملا الصليب المبجل الواهب الحياة ، كما صاحبه اثنار ، من أصحاب القداسة هما مستثاره اللكي « رالف » أسقف بيت لحم وبرنارد أسقف اللد ، كما خرج معه رهط قليل من نبلاء المملكة ، فلما أحصى من معه من المحاربين كانوا مائتين وخمسين فارسا وقرابة ألف من المشاة .

وأقصى العسكر ذى غزة ليلة ليلاء لم يغمض لهم فيها جفن ، ومرت الساعات عليهم ثقيلة بطيئة ، وقد أزعجهم ماحاق بهم من قزع مقيم ، فلما أشرقت شمس اليوم التالى بدعوا سيرهم من غزة ، وانضم اليهم الاخوان من فرسان المعبد الداوية الذين جاءوا الى هنا ليشاطروهم المحافظة على المكان ، فلما التأم شملهم سساروا جميعا الى قلعة الداروم .

واعتقد أن هذه القلعة واقعة في « أدوم » (٢١) Edom وراء مجرى الماء المسمى بنهر مصر الذى هو الحد الفاصل بين فلسطين والاقليم الذى أشرنا اليه آنفا ، وكان الملك عمورى قد شيد قبل سنوات قلائل هذه القلعة على أكمة قليلة الانحدار فوق الأطلال القديمة التى لاتزال بعض أنقاضها باقية حتى اليوم ، ويحكى سكان هذه النواحي القدماء - كما أفضوا إلينا - أنه كان فى الأيام الغابرة دين يوزانى فى هذا الموضع ، كما أن الاسم الحالى وهو الداروم ومعناه بدت الاغريق يثدير الى هذه الحقيقة .

كان الملك قد أمر كما قيل أن يشيد فى هذا الموضع قلعة متوسطة الأبعاد ، تغطى مساحة لا تزيد عن رمية حجر واحد وتكون مربعة الشكل ، روبرم عند كل ركن من أركانها برج كان أحدها أكبر من بقية الأبراج وأكثرها أمنا ، على أنه لم يكن لها خندق ولا قصيل يحميها .

وتقع الداروم على بعد خمسة أميال تقريبا من البحر وأربعة أميال من غزة ، وقد قام نشر قليل من زارعى الحقول المجاورة لها بالاتحاد مع بعض التجار وكونوا مستعمرة صغيرة ، وشيدوا على مقربة من القلعة قرية وكنيسة واستقر المقام بهم هنا ، وكانت بقعة تشرح النفس قد وفرت لأناس من الطبقات الدنيا كثيرا من أسباب الحياة ، وكان الملك قد شيد هذه القلعة سعيا لحدود ، كما كان فى ذهنه أيضا أن يستطيع من هذا المكان أن يتيسر له الأمر فى جمع الضرائب السنوية لكاملة غير منقوصة ممن ينزلون بهذه القرى التى يسميها قومنا بالضياح أو الدساكر Casalia

كذلك تم فرض مبلغ معين يجبى من المسافرين فى ذلك الطريق .

- ٢٠ -

انطلق جيشنا بعدئذ من غزة ، وبينما كان واقفا على مرتفع منحدر بعض الشيء يمتد بطول الطريق اذا به يرى عسكر العدو الذى بثت أعداده الكثيفة الفرع فى نفوس عسكرنا فاضرعوا فى الانضمام بعضهم الى بعض أكثر مما جرت به العادة ، فأتت جموعهم الكثيفة الى عوق تقدمهم فلم يرحلوا مكانهم هذا ، فلما رأهم الكفار على هذا الموضع هاجمهم محاولين صدع شملهم ، لكن الصليبيين استطاعوا بفضل الزب أن يتجمعوا ويضموا صفوفهم أكثر من ذى قبل وصدوا هجمة العدو عليهم ، ثم أسرعوا فتابعوا زحفهم قاصدين الموضع الذى كان جيشهم كله متوقفا عنده وناصبا فيه خبأه ، وعاد السيد المارك الى القلعة وعسكر الباقون فى الخارج بجوار القرية الواقعة على الأطراف ، وقد حدث ذلك حوالى الساعة السادسة من النهار بعد أن جرت طوال ذلك اليوم مناقشات فردية

وبعض اشتراكات ساهمت فيها جماعات ، وأبدى رجالنا شجاعة فائقة سواء فى الهجوم أو الصدا ، ولما أوشك الليل أن يسدل طنبه أخذ صلاح الدين يستعد للزحف بدواته وسار بهم قاصدا غزة ، ولكنه أقام تلك الليلة قرب النهر ليستجم حتى ان تنفس الصباح زحف على مدينة غزة وتوقف أمامها .

لقد كانت غزة القديمة الوجود العاصمة الكبرى لفلسطين ، وتزد الاشارة اليها كثيرا فى كل من التواريخ الدينية والعلمانية ، كما أن المباني الفخمة الكثيرة التى تزال موجودة تدل على مجدها الغابر ، ولقد ظلت ربحا طويلا من الزمن فقرا بلقعا لا يسكنها أحد مطلقا ، ثم جاء أخيرا بلدوين الرابع الطيب الذكر ورابع ملوك القدس فجمع قوة المملكة وحشد مواردها وشيد على أحد أجزاء الأكمة حصنا يدعى منيعا (٣٢) ، فلما فرغ العمل عهد به الى الاخوان الداوية ومنحهم اياه ملكا خالصا لهم لا يذاعهم فيه مزارع .

على أن القلعة لم تشغل كل التل الذى شيدت عليه المدينة كما قلنا ، غير أن الأهالى الذين قاموا للاقامة هنا رأوا تأمين أنفسهم فحاولوا حماية بقية التل بصور وأبواب ، وكان هذا السور قصيرا وأبعد ما يكون عن القوة .

لما تسامع سكان التل بخبر اقتراب العدو قرروا الاعتصام بالقلعة مع نسائهم وأولادهم فمضوا اليها مخيمين بها وتخلوا للعدو عن الجزء الباقي من المدينة الذى ظل بلا مدافع عنه ، ان كان عملهم قاصرا على فلاحه الأرض وليس لديهم من السلاح ما يدافعون به عن أنفسهم ، ولا يعرفون شيئا عن فنون القتال ، وقد أراد « ميلارد دى بالانسى » وكان واحدا من كبار رجال المملكة - وان يكن مطبوعا على الشر - أقول انه أراد أن يشجعهم على المقاومة فأنكر

عليهم الاستسلام ورفض الخضوع وأمرهم بالدفاع عن ذلك الجزء
الضعيف من المدينة .

وحدث أن كان بغزة جماعة قوامها خمسة وستون شابا
مسلحين بالأسلحة الخفيفة ، وكانوا أبطالا من بلدة يسمونها
« المحمرة » قرب بيت المقدس ، وكانوا قد وصلوا نرى تلك الليلة
بالذات الى غزة فى طريقهم للانضمام الى الجيش فأمرهم « ميلون
دى بلانسى » بالوقوف عند باب البلاد الخارجى حيث استقبلوا فى
الدفاع عن بلدهم وحريتهم ، وأفسدوا بحد السيف محاولات العدو
لاقتحام البلد عنوة ودخولها بالقوة ، ولكن الكفار اقتحموا المكان
على حين فجأة من ناحية أخرى تقع بين القلعة وبين الباب الذى
أشرنا اليه حالا ، وباغتوا من الخلف النفر القلائل الذين كانوا
مستبسلين أحسن استبسال فى الدفاع عن البوابة ، وأحرق الكفار
بهم من كل جانب ، ولما كان هؤلاء الشباب قد أخذوا على غرة فلم
يعد فى مقدورهم الصمود طويلا ، فهلكوا بحد السيف غير قليل
منهم أشختهم جراحهم ، الا أن العدو لم يعد سالما هو أيضا من هذا
الصدام فكان انتصاره دائما .

حينذاك حاول أهل البلد مرة ثانية اقتحام القلعة لكنهم لم
يستطيعوا دخولها وسدت أمامهم أبواب النجاة إذ أصبح الترك وراء
الأبواب وأعملوا مذبحة شرسة لم يبقوا فيها على أحد ، ثم سرعان
ما اندفعوا بعدها الى المدينة فاستولوا على البلد ولم يبقوا على ذكر
ولا أنثى ، حتى الأطفال الرضع لم يسلموا من الأذى فقد لاقوا
مصرعهم بالحجارة .

لكن ذلك كله لم يكن كافيا لاطفاء فورة غضب الغزاة الأتراك
فقد نجح من كانوا قد لجأوا الى البرج فى ابقاء الأعداء بعيدين عنهم ،

ولم يكن بأيديهم من سلاح يدافعون به عن أنفسهم سوى الحجارة
يقذفونهم بها وبعض الأسلحة الأخرى ، ومن ثم بقي الحصن
سليماً بفضل الرب .

حين تم للعدو الاستيلاء على الساد والفتك بأهله عاد اثنى «الداروم»
ودخلها دخول الظافر المنتصر ، فلاقاهم فى بعض الطريق طائفة من
خيالتنا تقدر بخمسين رجلاً كانوا مغذين السير للانضمام الى
قواتنا دون أن يأخذوا حذرهم فهلكوا على بكرة أبيهم رغم محاولتهم
البائسة لانتقاذ أنفسهم ، وكانت محاولتهم هذه محاولة اتسمت
بالبراعة فى القتال بالسيف .

- ٢١ -

أخذ الترك فى اعداد صفوفهم للقتال حسب الأصول الحربية،
وقسموا قواتهم الى اثنتين وأربعين فرقة ، وصدرت الأوامر الى
عشرين منها بالزحف عبر الطريق الساحلى الواقع بين « الداروم »
والبحر . أما البقية الباقية من هذه الكتائب فقد كان عليها أن
تسلك الطريق البرى ، حتى اذا جاوزت القلعة انضم العسكر كلهم
بعضهم الى بعض ، وصاروا مجموعة واحدة .

واستعد الصليبيون هم أيضاً من جهتهم للقتال حين عرفوا
أن العدو راجع اليهم لمحاربتهم ، وعلى الرغم مما كانوا عليه من
قلة العدد الا أن ثقتهم كانت كبيرة فى أن تكلاهم رعاية الرب ،
وتهياؤوا للحرب بعد أن توجهوا بقلوبهم الى العناية الالهية يسألونها
العون ، فأمدهم الرب بالأس والشجاعة الفائقة ، وكانوا على ثقة
تامة من أن العدو راجع لقتالهم ، لكنه فى الواقع كان يعتزم شيئاً
آخر غير ما ظنوه ، فلم يعج يمينا ولا يسارا بل اسرع فى سيره مبهماً
وجهه شطر مصر .

وجاء الرسل الثقات الى الصليبيين يعلمونهم أن العدو قد رحل وليس في عزمه الرجوع ، وإذ ذاك جمع الملك هو الآخر جيشه وارتد الى عسقلان في رعاية الرب ، تاركاً وراءه في «الداروم» طائفة من الرجال لاعادة ترميم ما تصدع من القلع. التي كانت نصف مهدمة ، فلما فرغوا من ترميمها عادت أمنع مما كانت عليه من قبل وقد حصنها بعناية ، ويقول من في المملكة ممن تسنى لهم رؤية كثير من الحملات بها أنهم لم يشاهدوا ولا يذكرون أنهم شاهدوا مثل هذا الجيش التركي في كثافته ، والذي تقول الأخبار عنه أن عدد فرسانه وحدهم قارب الأربعين ألفاً .



وحوالى هذا الوقت بالذات وفي اليوم التاسع والعشرين من ديسمبر أقيم احتفال في مدينة كانتربرى الشهيرة بانجلترا في ذكرى استشهاده «سنت توماس» (٣٢) العظيم رئيس أساقفة تلك المدينة الذي كان من أهل لندن ثم صار رئيس شمامستها أيام «ثيوبولد» رئيس أسقف كانتربرى المجيد الذكر ، ثم استدعاه هنرى الثامن ملك انجلترا فيما بعد لمشاركه في تحمل مسئولية الأمور بالمملكة ، فأبى - وقد صار مستشارا للملك - غاية الوفاء ، وتجلى ما هو عليه من الحكمة والمقدرة في إدارة شئون المملكة ، ثم أمر الملك - بعد وفاة الأب المبارك ثيوبولد - بأن يتولى «توماس بيكيت» أمر كنيسة كانتربرى مكافأة له على خدماته ، فدافع في حماسة لا تعرف الخرف عن حقوق الكنيسة ، ووقف في وجه الظلم والانحراف مما ترتب عليه اضطرابه للفرار الى فرنسا ليتحاشى اضطهاد الملك هنرى له ، وتحمل في فرنسا مرارة النفي سبع سنوات في صبر عظيم يستحق الثناء الجميل عليه ، فلما عاد بعد هذه الغيبة التي فرضت عليه فرضاً . وبينما هو ينتظر السلام الذي وعد به إذا بيد الاثم تمتد اليه فتغتاله بسيوف شرذمة من الأشرار في نفس الكنيسة التي وليها بارادة الرب ، ذلك أنه بينما كان يصلى من أجل مضطهديه

إذا به يقع صريحا فى خسة ، واستشهد ، وكان دمه تاجه الذى ترح به ، ولقى ما يلقاه الشهيد من خاتمة رائعة • ولقد شاء السيد رحيم أن يتم على يد هذا الشهيد وفى نفس الكنيسة وكذلك فى كل أرجاء الولاية من المعجزات الكثيرة التى كانت شبه يومية ما يذيل معه أن زمن الرسل قد عاد حقا •

— ٢٢ —

ولما كانت السدنة التالية وهى السابعة (٣٤) من حكم عمورى استدعى اليه جميع نبلائه وبسط أمامهم احتياجات المملكة التى كان يراها تنبئ تحت وطأة كثير من الأهوال ، فأعداء الملة المسيحية لا يتزايدون فى الكثرة والبطش فحسب بل وفى القوة والثروة أيضا ، كما أن مملكتنا كانت تعاني من جانب آخر نقصا تاما فى القادة الألباء الحنكين العقلاء ، ذلك أن الجيل الجديد الذى حل محل الجيل القديم وأخذ مكان كبارهم كان جيلا ترعرع فى الحمى الخسيس ، ولم يتمخض حلولة محل الرجال العظام عن أمر ذى بان فبدد أصحابه ما ورثوه من أسلافهم بطرق شائعة ، مما أسفر عن تدهور المملكة تدهورا ملحوظا بات فيه ضعفها واضحا حتى لأغنى الناس • لذلك التمس الملك من نبلائه أن يحضروه النصيحة فى كيفية معالجة هذه الأوضاع الشريفة وكيف يتسنى له انقاذ المملكة مما آلت اليه ، فلما تشاوروا فيما بينهم ما هم فيه أصفق ردهم على قولهم : إن سقوط المملكة الى هذا الدرك الباعث على اليأس سقوطا لم تعد معه قدرة على مهاجمة أعدائها ، أى تحمل الصمود لمغاراتهم إنما نجم عن خطايانا ، ثم نصحبوا بوجوب التماس النجدة من أمراء الغرب للقضاء على هذه المتاعب ، ولم يكن لديهم اقتراح لأى خطة انقاذ أخرى ، ومن ثم فقد قرروا باجماع الآراء إرسال سفارة مؤلفة من أصحاب المكانة الرفيعة الى أمراء الغرب ، يشرحون لهم مشكلات

المملكة ويسألونهم مد يد المساعدة والعون لها ، كما عهدوا الى هؤلاء المرسل بزيارة الباياء وأمرأء الغرب البارزين ، وهم امبراطور الرومان وملكوك فرنسا وانجلترا وصقلية والاسبان ، وكذلك زيارة غيرهم من الأدياق والكونتات الكبار ، يناشدونهم الوقوف الى جانبهم وتأييدهم فى القضاء على الأخطار الفادحة التى تهدد المملكة. وزادوا على ذلك فاتنقروا على وجوب ايقاف امبراطور القسطنطينية على مدى الموضع المتردى الذى تجتازه المملكة ، فمانويل أقرب رب الناس الينا وأغنى من كل أحد سواه ، وهى بذلك قادر على امدادنا فى يسر ما بعده يسر بالنجدة المرجوة . كذلك تقرر أن يكون المبعوث المرسل الى الامبراطور رجلا حكيما فصيح اللسان رفيع المكانة حتى يستطيع بحذقه وكفاءته أن يجعل تفكير هذا الحاكم العظيم متسقا مع رغباتنا .

وبينما كانوا يجهدون أنفسهم حول اختيار الشخص الملائم لأداء هذه المهمة والسفارة الخطيرة كان الملك يتشاور مع غيرهم من أشد مستشاريه التصاقا به ، ثم قام فبسط أمام الجميع خطة ارتآها وتبنّاها ، وأوضح لهم أن سفارة لها هذا الأمر من الأهمية لا يمكن أن ينهض بها الا واحد فقط ، هو ذاته ولا أحد سواه ، وأضاف أنه مستعد لتحمل جميع المخاطر والصعاب حتى يزيح عن المملكة هذه الغمة الكبيرة ، وتملك الاعجاب العظيم نبلاء المملكة مما قال وان ذهلوا لاقتراحه واحتجوا بأن المهمة عسيرة كل العسر ، مضافا الى ذلك أن المملكة ستتحس بالوحشة لغيبته ، ولكن عزمى رد عنهم قائلا : « فلذلك المملكة فى يمين الرب الذى أنا . » وقد آليت على نفسى أن أذهب وما من أحد بقادر على أن يتنسى عما اعتزمته . »

فلما كان اليوم لعاشر من مارس خرج الملك فى رحلته مصحبا بحاشية كبيرة تليق بالجلالة الملكية ، ومعه عشر شوانى ، وفى

مديته « وليم » اسقف عكا ونبلاؤ المملكة ، التالية اسمائهم ، وهم :
« جورموند » صاحب طبرية ، و « جون » صاحب أرسوف ،
و لمرشال الملكى « جيرارد دى بوجى » ، و « روهارد » محافظ القدس
و « رينيه دى نيفيز » .

أما « فيليب » النابلسى الذى كان قد استقال من وظيفته
كترئيس لفرسان الدواوية فقد بعثوه أمامهم برا .

وإذ كانت العناية الالهية ترعى الملك فقد تمت الرحلة
بالتوفيق ، ووصل سالما الى مضايق « أبيدوس » ومدخل البسفور
المعروف عند العامة بذراع سنت جورج . أما الامبراطور العظيم
وهو الملك العاقل والعلم المفرد الذى هو أهل لكل ثناء فقد استولت
عليه الدهشة حين علم بأن ملكا قويا وحاكما لمملكة عظيمة شهيرة
محبوبة من الرب يخالف العرف ويوشك أن يزور امبراطوريته ،
وكان تفكيره فى بادئ الأمر يتمثل فى دهشته من الدافع الذى يحمل
الملك على القيام برحلة صعبة غير مألوقة كهذه الرحلة ، ثم مالبت
أن فاض قلبه غبطة حين تصور أى عطف كبير لا مثيل له يحبوه به
الله ، وهو عطف يؤدى الى تمجيده ورفعته قدره وتشريفه ، فليس
فى صفحات تاريخ امبراطوريته حدث كهذا الحدث المفضل ولم يحدث قط
أن ملكا من ملوك بيت المقدس - وهو المدافع عن الأماكن التى شهدت
الام السيد وقيامته وحامى هذه المراضع - أن قام بزيارة أحد من
أسلافه الأباطرة ، لذلك رأى أن يستعد لوصول أدب (عمورى)
وأن يقدم له الاحترام العظيم ، فاستدعى اليه ابن أخيه « دنا
» البروتوسيدياستوس وهو واحد من أبرز كبار رجال القصر السامى
والذى تزوج الملك (عمورى) ابنته ، وعهد الامبراطور الى هذا
البروتوسيدياستوس باستقبال ضيفه الملكى ، كما كلفه بأن يتأكد من
احتراف جميع المدن والمواضع التى يمر بها الملك الاحتفاء الرائع
اللائق به بما يتفق ومراسيم الامبراطورية الثابتة منذ زمن طويل

وأنه حظى بالتعظيم الذى لا مثيل له . كذلك كلفه أن يشير على الملك كابر له أن ينتظر حتى يحضر اليه ممثلو الامبراطور الذين سيرافقونه فى دخوله المدينة الملوكية .

وأطاع هذا الأمير (٣٥) الجليل أوامر الامبراطور فذهب انت فى حاشية من الدلاء فى مدينة «جاليبولى» المطلة على البسفور والتى لا تبعد كثيرا عن مضيق «أبيدوس» . ولما كانت الريح غير مواتية فلم تسمح لسفينة الملك بالذهاب الى المدينة الامبراطورية مما حمل الملك على النزول الى البر من سفينته ، وتابع مع حاشيته الرحلة على ظهور الجياد الى مدينة «هرقلية» الواقعة على نغس الساحل حيث كان الأسطول راسيا فى الميناء ، واستفاد من اعتدال هبوب الريح وتغيير اتجاهها فأبحر وبلغ المدينة قبل الملك الذى ركبته مرة ثانية ووصل الى القسطنطينية بعد رحلة ناعمة .

- ٢٣ -

كان القصر الامبراطورى فى هذه المدينة المعروف بقصر قسطنطين يقع على شاطئ البحر مواجه الشرق ، وكان للطريق المؤدى اليه من ناحية البحر رصيف عجيب من الرخام الرائع ، كما كانت السلالم المؤدية الى اثناء وتماثيل الأسرود والأعمدة منحوتة كى من الرخام وتحلج على القصر روعة ملوكية ، وكان هذا المدخل خصصا فى العادة لاستعمال الامبراطور دون غيره حين يريد الصعود الى القسم العلوى من القصر ، لكنهم خرجوا على هذه القاعدة الردية حين ميزوا تلك (عمرى) عن سواه فخصصوا لاستعمال هذا المدخل كمظهر من مظاهر التقدير والتبجيل له هو وحده دون سواه .

ثم مضوا بالملك وهر في حاشيته وبعض كبار رجال القصر السامى وساروا به فى أبهاء متذوعة وحجرات مختلفة الأنواع حتى انتهوا به الى القسم العلوى من القصر حيث كان الامبراطور مع كبار نبلائه ، وقد أبدلت على صالة الاجتماع الامبراطورية الستائر الرائعة الصنع ، المحلاة بالأشغال اليدوية التى لا تقل فى قدرها عن القماش ذاته ، حتى يمكن أن يقال عنها ما قاله « ناسو » من أن « الصنعة فاقد المادة » .

وكان كبار شخصيات الامبراطورية فى استقبال الملك خارج هذه الصالة ، ثم ساروا به الى ما وراء هذه السجوف ، ويقال انهم فعلوا ذلك حتى تظل هيئة السدة الامبراطورية محفوظة ، ويظل حسن تقدير الملك تجاه الامبراطورية باقيا ، كما يقال ان الأخير (الذى لم يكن حوله سوى أعظم رجال بلاطه) نهض فى ود محبيا الملك ، وهو أمر لم كان قد جرى فى حضور كل رجال البلاط لعهده المجتمعون تنازلا عظيما من جلالته (٣٦) الامبراطورية . وما كان الملك يدخل الصالة حتى رفعت الستائر ، وبدى الامبراطور لمن كانوا فى الخارج جالسا على عرش من الذهب مرتديا الملابس الامبراطورية ، والى جواره الملك (عمورى) على عرش آخر فخم ولكنه دون عرش الامبراطور درجة .

وإلى الامبراطور فى رقة بالغة مظاهر التحية المونة وقبلة السلام اكار نبلائنا ، وتعطف فاستفسر عن راحة الملك ورجال حاشيته ، وعبر بالكلمة والاشارة تعبيراً واضحاً عن سعادته القصوى بحضورهم ، وكان قد أمر خدام القصر السامى وموظفيه باعداد أجنحة خاصة بالغة الروعة فى داخل القصر نفسه لنزول الملك وحاشيته ، كما أعدت بالمدينة وعلى مقربة من الملك دور خاصة منفصلة تليق بمكانة كل واحد من النبلاء المرافقين له ، ثم انسحب

الضيوف من الدسرة الامبراطورية كى يرافقوا الملك ويكونوا فى خدمته، ثم اذن له بالانصراف الى حيث ينزلون بعد أن حدد الملك الذى الذى يجب أن يعودوا فيها اليه .

كان الرسل يعقدون كل يوم وفى ساعات معينة اجتماعات عامة ، تارة مع الامبراطور وتارة فيما بينهم ، يتناقشون فيها حول الهواضيع التى دفعتهم للحضور الى هنا . وزيادة على ذلك كله فانهم أولوا كل الاعتبار للاجراءات التى يمكن بها انجاز الغرض الذى جاءوا من أجله حتى يعودوا الى وطنهم وقد تكللت مساعيهم بالنجاح . وكان الملك يشرح الأسباب التى حملته على القيام بهذه الزيارة ، ويبسط احتياجات مملكته ، وكن يفعل ذلك تارة فى محادثات ثنائية بينه وبين الامبراطور حيناً ، وحيناً بحضور كبار شخصيات البلاط الامبراطورى ، وقد ركز بالذات على ماسسوف يحظى به الامبراطور من المجد الحالد ان قام بحملة لاختضاع مصر ، وأثبت بالبراهين الايجابية امكانية تحقيق هذا المشروع من غير عسر . واجتذبت الامبراطور كلمات الملك فأصغى الى مقترحاته بأذن واعية ووعده وعداً أكيدا بتنفيذ كل رغباته .

وفى أثناء ذلك راح الامبراطور يغدق على الملك ونبلاء أسرته الهدايا التى تناسب وعظمته الامبراطورية ، هذا بالإضافة الى انه فى زيارته المتكررة لم يم كن لا يتوقف عن السؤال عن راحتهم وصحتهم . كما أصدر أوامره بأن تفتح لهم - كما تفتح لأهل بيته - جميع الأماكن حتى ما اكان منها من أسرار قصره . وكذلك حجراته المحرمة الا على خادمتيه . وشملت هذه الامتيازات أيضاً المراضع المغلقة فى وجه العامة والنخائر الذادرة التى جمعها أسلافه الأباطرة ، بل انه أباح لهم رؤية مخلوقات القديسين وأثار سيدنا عيسى المسيح الغالية كالصليب والمسامير والحربة (المقدسة)

والاسفنجة وقصبة الغاب والتاج النوكى والثوب الكتانى والخفين .
ولم يحجب عنهم رؤية شئ من الانبياء السرية والموقرة التى ترجع
الى ايام الاباطرة الامجاد : قسطنطين وتيودوسيوس وجستتيان ،
والتي كانت محفوظة فى الخزائن الخاصة الموجودة بالحجرات
المغلقة .

وكان الامبراطور يدعو الملا، ويطانته بين أونة وأخرى وكذلك
فى الأعياد وساعات الفراغ ليروحوا عن أنفسهم بشئ صنف
التسلية التى تهيوها لهم الحفلات ذات الطابع اللائق بمكانة العاهلين
الرفيعة ، وكانوا يأتونهم أحيانا بمختلف الآلات الموسيقية التى
تنساب منها الألحان العذبة لاندخال البهجة والسرور على نفوسهم ،
ثم يأتونهم بفرق من المغنيات والممثلين ، كل ذلك مع المحافظة التامة
على الذوق الجميل والتقاليد ، كما أمر الامبراطور بأقامة الألعاب
العظيمة الرائعة التى تشبه ما نسميه نحن بالروايات المسرحية أو
السيرك ليشاهدها الناس الذين يعيشون فى المدينة .

كل ذلك كله على شرف الملك .

— ٢٤ —

وبعد اقامتهم فى قصر قسطنطين بضعة ايام ورغبة من
الامبراطور فى التغيير الذى يخلصهم من الرتابة المملة فقد أمر أن
ينقل محل اقامته - وفى صدقة الملك - الى القصر الجديد المسمى
بقصر « بلاشرناى » (٣٧) ، وهنا أيضا راعى الامبراطور كل قواعد
الضيافة مراعاة تامة ، فاستضاف الملك عمروى بضعة ايام فى
قصره الخاص للترحيب به ، حيث خصصت له بعض أجنحة ،
واخذ يتباحث معه على انفراد فى أكثر الحجرات سرية فى قصر
اسلافه الامبراطورى ، كما صدرت الأوامر بأن تعد لحاشية الملك

أماكن تتوفر فيها الراحة وتليق بمكانتهم ، وأن يراعى فى هذه الأماكن ألا تبعد كثيرا عن هذا الحضر ، وتدين - كما هو الحال من قبل - للخدمة الداخلية رجالا لم يكن لهم من عمل سوى التأكد من توفير كل وسائل الراحة التى لا تقتصر على الضروريات فقط بل تتجاوزها أيضا الى وسائل المتعة الزائدة عن الحد .

وكان الملك لايسير الا وحوله الحرس سواء أكان ذلك فى داخل المدينة أو خارجها ، وقد زار الكنائس والأديرة التى كان منها بالبلد ما لا يحصىه العد ، وشاهد أقواس النصر والأعمدة المزينة بالرسوم التذكارية ، وكان مرشده فى جولاته هذه رجلا من كبار النبلاء الملمين بكل هذه الأشياء المأما تاما ، فكان اذا سألهم عن طبيعة ما يراه والغرض من كل منها تقدم لشرح ذلك له أكبرهم مكانة وأكثرهم معرفة بها، وفصلوا له القول تفصيلا .

كذلك ركب الملك فى هذا الوقت ذاته البسفور ووصل الى مدخل البحر الأسود الذى تبدأ من عنده مياه البسفور تشق طريقها الى البحر الأبيض المتوسط ، وبهذا أتيج له - وهو المطبوع على حب الاستفسار عن كل شئ ومعرفة سببه - أن يزور أماكن كانت مجهولة لديه ، فلما أشفى غليله بما رأى وبما سمع عاد أدراجه الى المدينة مواصلا مفاوضاته الودية مع الامبراطور ، مدفوعا الى ذلك برغبته الملحة الصادقة فى أن تتكلم بعثته بالنجاح .

وبعد أن أمضى فترة مناسبة من الوقت انتهت المواضيع الهامة الى خاتمة سعيدة ، وانتهى الاتفاق الى معاهدة ارتضاها هو والامبراطور ، ثم أكداها كتابة وختماها بخاتميهما . وحينذاك استأذن الملك فى الرحيل فأذن له ، فأخذ أهبطه للسفر مشيعا بأمانى الجميع الطيبة ، وأغلق الامبراطور عليه وعلى من معه من كومه

ما يفوق كل ما كان أغدقه عليهم من قبل وما يعجز اللسان عن
إيفائه حقه من الثناء ، فقد وصله الامبراطور بأثقال من الذهب
وأحمال من الملابس الحريرية وكثير من السلع الأغنية الصنع كما
نال من معه - حتى أصغرهم مكانة - هدايا لا تحدر لها .

كذلك سخا « جون البروستاتيوس » السخاء العظيم على
كل أفراد البعثة ، وأذكى هذا العمل روح المنافسة بين الأمراء
الآخرين فراحوا يتنافسون في تقديم الهدايا الرائعة الى الملك ،
وكانت هذه الهدايا على جانب كبير من دقة الصناعة .

فلما تاهب الأسطول للابحار ركبته الملك وقد أنجز مهمته وسافر
الى القسطنطينية لمسافة ميلين عبر البسفور الذي يعتبر عادة الحد
الفاصل بين أوربا وآسيا ، ومر في ابخاره بمدينتي « سستوس »
و « أبيديوس » الشهيرتين بموطن « لياندر » (٣٨) و « هيرو » ثم دخل
البحر الأبيض المتوسط ، وكانت الرحلة طيبة فأرسل يوم الخامس
عشر من يونيو سنة (١١٧١ م) عند مدينة صيدا .

- ٢٥ -

حين عاد الملك الى مملكته بلغه أن نورالدين لا يزال على رأس
جيش ضخم في ناحية بانثياس ، فدخلت الرهبة قلب عموري أن
يشن نور الدين الغارات من هناك على بلادنا لذلك استدعى اليه
بارونات المملكة ، وسار بهم في أرض الجليل حتى يتجنب بقدر
الامكان مثل هذا الهجوم ، ثم عسكر قرب النبع الشهير الواقع بين
الناصره وصفورية ، ولما كان هذا النبع شديد القرب من وسط
المملكة فقد كان من اليسير عليه أن ينتقل منه الى أى مكان في
القطر يجد نفسه راغبا في الانتقال اليه ، ولهذا السبب الذي ذكرناه

حالا نجد ان عمورى واسلافه من قبله اعتادوا جميع جيوشهم فى تلك البقعة .

وواكب هذا الوقت رجوع سلفنا «فردريك» رئيس اساقفة صور من سفرته (٣٩) التى كان قد قام بها نائباً عن المملكة بقصد التماس المعونة والارتداد من امراء الغرب ، وهى سفرة استغرقت منه عامين فى بلاد ماوراء البحر عاد أثرها دون أن يقدر له التوفيق فقد كان الفضل التام من نصيب جهوده ، ولم يحصل على شىء مما سألهم اياه نيابة عدا ، كما أرسل قبله كونت ستيفن (٤٠) (أكبر أولاد ثيوبولد الثانى كونت بلوا وشارترز وترو) الذى هو من أسرة شريفة ولكنه كان يهوى حياة أبعد ما تكون عن الشرف والاستقامة وكان الملك (عمورى) قد بعث فى طلبه بناء على اشارة رئيس الأساقفة ليزوجه ابنته ، فلما وصل الكونت الى المملكة شرح له الملك الموضوع بروح طيبة ، لكن على الرغم من أن العرض كان قد عرض من قبل على «ستيفن» ووافق عليه الا أنه عاد الآن فرفضه ، وبعد أن قضى عدة شهور فى المملكة عاشها عيشة فسق وفجور قرر الرجوع برا الى وطنه ، فمضى أولا الى أنطاكية ثم يمم وجهه شطر «كيليكية» ، وبعد أن جهزه سلطان قونية بالحرس يحرسونه فى الطريق سافر برا الى القسطنطينية ، ولكن شاء سوء طالع (وهو لا يزال فى كيليكية وعلى مقربة من المصيصة) الا أن يقع فى كمين نصبه له الأمير «مليخ» الأرمنى القوي أخو «توروس» (الثانى) إذ خرج عليه رهط من قطاع الطرق وثبوا عليه وسلبوه كل ما كان معه من غل وثمين وجردوه منه ثم استطاع بعد لئى من توسلاته الملحة اليهم أن يحملهم على أن يتركوا له جوادا هزيلا يستعمله ، ومضى الى القسطنطينية على هذه الصورة المزرية فى قليل من اتباعه بعد أن كابد أهوالا كثيرة .

وقد لاحقته كراهية جميع أهل انشراق .

ووصل فى هذه السنة ذاتها الى المملكة للحج والعبادة رجل آخر اسمه أيضا الكونت ستيفن ، وهو ابن وليم كونت الساؤون ، وعلى الرغم من أنه كان يحمل نفس اسم سابقه الا أنه كن يختلف عنه تمام الاختلاف ، فقد كان رجلا متواضعا طاهر الذيل ، اهدى للاحترام العظيم ، وكان فى صحبته ابن أخته هنرى الصغير دوق برجنديا ، لكنهما لم يقيما فى المملكة الا فترة قصيرة عادا بعدما الى ديارهما غير أنهما تروقفا فى القسطنطينية حيث اهتم بهما الامبراطور اهتماما كبيرا وصرفهما محملين بالمهدايا الجمّة .

ولما كانت السنة التالية وهى العاشرة (٤١) من حكم الملك عمورى لقي وليم أسقف عكا الطبيب المذكر خاتمة عجيبة لا يستحقها اذ كان الملك قد أرسله من القسطنطينية الى ايطاليا ، وطاف فى سفره بكل هذا الاقليم محاولا جهد ما أمكنه اتمام هذه المهمة الموكول اليه القيام بها ، فلما كان فى طريق عودته الى عكا عزم على زيارة الامبراطور بقاء على اتفاق سابق بينهما فوصل الى « أدرنة » احدى المدن الشهيرة فى « تراقيا » الصغرى ، وهناك أحس الأسقف وليم بالانهاك الشديد من طول رحلته ، ولما حانت ساعة الظهيرة تناول طعامه ثم رقد ليريح جسده المرهق ، وكان بصحبته فى سفره هذا واحد من رجاله اسمه « روبرت » كان وليم قد رسمه من قبل قسيسا وجعله من ملازميه ، وكان « روبرت » هذا يقيم فى نفس الحجرة التى كان يستريح فيها الأسقف . وكان روبرت قد أفل من مرض طويل عانى منه شدة كبيرة ، لكن حالة من الجنون الفجائى اعترته فاستل سيفه وطعن به الأسقف النائم طعنة أصابته بجروح قاتلة تعالى منها صراخه ، فأدرك من كانوا فى الخارج أن سيدهم دعانى سكرات الموت ، فاندفعوا لنجدة ولكن الباب كان محكم الاغلاق من الداخل مما استدعى معه دخولهم اليه . غير أنهم فتحوه عنوة فوجدوا مولا-

قد أظله حمامه ، وأنه أقرب للميت منه الى الحي وان كان قلبه لازال ينبض نبضات واهية ، فكان أول ما فكروا فيه هو الإمساك بقاتله واسلامه مقيدا بالحديد ليلقى الجزاء الذى هو أهل له حسب ما تقضى به القوانين التى تحرم قتل النفس ، ولكن الأسقف منعهم بالمهمة والاشارة وتوسل اليهم من أجل نجاة روحه أن يَغفروا للقاتل جرمه ، ثم أسلم الروح وهو يستعطفهم ألا يجعلوا ما اقترفه الشاب جريمة تؤدي الى هلاكه .

وقد حدث هذا يوم ٢٩ يونيو .

ولم نستطع حتى الآن أن نقرر بسهولة ما الدافع لروبرت على اقتراف تلك الجريمة الشنعاء ، وان قال البعض أنه كان يعاني مرضا لازمه طويلا ، وعلى الرغم من شقائه هذه الا أن نوبة خبل فجائية عنيفة اعترته فجعلته غير مسئول عن جرمه الشنيع .

ويذهب البعض الآخرون الى عكس ما ذهب اليه هؤلاء اذ يؤكدون ارتكابه جريمته بسبب ما كانت تنطوى عليه نفسه حينئذ من كراهية سوداء نحو مولى معين من موالى الأسقف كان يعتمد كثيرا على عطف مولاة الشديد عليه فكان يسئ معاملة روبرت اسوأ معاملة .

وفى الثالث والعشرين من نوفمبر نصب مكان وليم فى استديا عكا رجل اسمه « جوتيفاس » وقد تم ترسيمه كاهنا ثم شماسا فى نفس الكنيسة .

- ٢٦ -

ومات فى هذه الأثناء الشريف المنجل والعالى القدر «توروس» الذى طالما أشمرت اليه كأمير قوى للأرمن ، واذ ذاك قام أخوه

« مليح » الذى كان من أشد من حملته الأرض على ظهرها فطمع فى !حتجان الميراث لنفسه، فمضى من أجل تحقيق هذا الغرض الى نور الدين والى عليه الحادا عنيقا أن يمهده بطائفة من الفرسان يستطيع بهم اغتصاب أملاك أخيه قسرا ، وكان وجوه أمراء تلك البلاد قد بعثوا بعد وفاة « توروس » فى طلب « توماس » ابن أخت « توروس » « ومليح » ونصبوه حاكما من غير معارضة على اماره خاله بأجمعها ، وكان توماس لاتينى الأب لكن كانت تنقصه الشجاعة والحكمة اللازمات ليلتلاءم مع هؤلاء الذين استدعوه .

واستطاع « مليح » أن يحصل من نور الدين على عدد كاف من الفرسان بعد أن قدم لنور الدين شروطا محددة مرضية له كل الرضا ، فكان « مليح » بعمله هذا أول واحد من بنى قومه يشذ عن عادات أسلافه اذاستعان بالعدو فادخل جيشا من الكفار الى الامارة ثم غزى أرض أجداده بالقوة وأخرج ابن أخته وسيطر على الاقليم كله ، وكان أول عمل قام به بعد أن صارت البلاد فى قبضته هو انتزاع كل ما فى أيدي فرسان الهيكل من ممتلكاتهم فى « كيليكية » على الرغم من أنه كان ذات يوم أحد أفراد هذه المؤسسة ، ثم عقد مع نور الدين والترك حلفا قل أن يحدث مثله حتى بين الأخوة ، ثم طرح جانبا شريعة الرب فجب ملته وكفر بها ، ولم يدع ضررا يستطيع إلحاقه بالمسيحيين الا أنزله بهم فألقى فى الحبس من شاء قدرهم أن يتعوا فى يده فى ساحة القتال أو حين اجتياحه الحصون ثم حماه الى بلاد العدو فبعوا بيع العبيد ، وسرعان ما دلت الجرائم التى ارتكها هذا الوغد ضد المسيحيين على أنه واحد من الداعين . دفع أمير أنطاكية وكبار رجال الامارة الى حمل السلاح ضده على الرغم من أنه كان من أخطر الأخطار وأغريها أن يحارب المسيحي مسيحيا من أهل ملته مما يعنى فى الواقع حدوث حرب أهلية . لكن لما كان من المستحيل أن يسكت هؤلاء المسيحيون

عن المصائب التى نزلت باخوانهم على يد « مليح » فقد أعلنوا حرا
عليه واعتبروه عدوا للمملكة .

فلما علم الملك بالاضطراب السائد فى ذلك الاقليم أسرع بقوته
الى اماره أنطاكية لرغبته فى أن يساهم بدوره فى كل ما يمكن أن
يؤدى الى اقرار السلام ، فلما بلغها أنفذ من هنا مبعوثيه الشخصيين
الى هذا النقي « مليح » الذى لا يراعى الرب أبدا ، وأفصحوا له
عن رغبة الملك فى عقد حوار معه هو ذاته متى شاء وأنى شاء ،
فتظاهر « مليح » بغبطته اذ يتلقى هذه الرسالة ، ولكن الواقع هو
أن باطنه كان يخالف ظاهره تمام المخالفة - وتعددت مرات ارسال
الملك المبعوثين اليه رجاء دفعه الى اتمام هذا اللقاء الكبير ، لكن
قبين له فى النهاية أنه كان مخدوعا بحيل هذا الرجل الخسيس ،
وادرک أنه لا يستطيع تحقيق شىء ما عن هذا الطريق ، واذ ذاك
جمع كل أفراد هذه الامارة ونزل بهم وبجيشه على بلاد عدوه غازيا
وأضرم العسكر النار فى ما وجدوه فى سهل « كيليكية » من المحاصيل
لأن السير فى الطريق الجبلی كان أمرا بالغ المشقة ، كما حاول
العسكر الاستيلاء بالقوة على القلاع التى مروا بها ، لكن نجاه
على حين فجأة رسول من الرسل يحمل اليه انباء سيئة تشير الى
أن نور الدين محاصر مدينة « تدمر » عاصمة المنطقة العربية المعروفة
ايضا باسم « الكرك » وكان الخبر صحيحا .

قلق الملك لهذا النبأ قلقا بليفا ، فاستأذن من أمير (أنطاكية)
وأسرع وفى أثره أتباعه وحدهم ، لكن حدث أن قام أمراء مملكته
قبل وصوله اليها بعمل حاسم مفيد هو أنهم جمعوا كل قوى المملكة
الحربية وعهدوا بالقيادة العامة الى الكزنس تايل « همفري » وتشرف
« رالف » أسقف بيت لحم بحمل الصليب ، وكانت القوات تنوالى
دون ابطاء وتسرع فى شجاعة الى المكان المحدد حين قابلهم رسول

يحمل اليهم خبراً تأكدت صحته ، ألا وهو أن نور الدين رفع الحصار عن الناحية (٤٢) دون أن يمسيها بسوء وأنه عاد الى دياره ، وقرتب على ذلك أن وجد الملك عند بلوغه المملكة كل شيء عكس ما كان يتوقع ، وإن الهدوء سائد والأمن مستتب على خير ما يجب .

- ٢٧ -

فلما كانت السنة التالية وقد هلت طلائع الخريف استعد صلاح الدين لغزو ديارنا بقوات كثيفة وعدد ضخم من الفرسان واجتاز الصحراء على رأس عسكره الذين جمعهم من كل أرجاء مصر ووصل الى الناحية المسماة بكنة الأتراك .

ولما كان الملك يتوقع مجيء صلاح الدين فقد جمع جيشه الخاص وخرج وفي صحبته البطرك المبجل - أملاً صليب المسيح الموقر الواهب الحياة ، ثم نصب معسكره قرب « بيرسبع » ليسهل عليه مواجهة الخصم المتقحم ، ثم جاء الخبر بأن قوات صلاح الدين لا تبعد أكثر من ستة عشر ميلاً عن معسكر الملك ، ولكن عمورى لم يكن واثقاً تمام الثقة من أن التترك قد وصلوا في الواقع الى هذا الموضع ، غير أن الخبر كان صادقاً إذ كان صلاح الدين قد اقام معسكره هناك لوفرة الماء به حيث يمكن التزود به بسهولة .

وبعد أن تشاور الملك مع نبلأته صمم على أن يغير طريقه تجنباً للاضطدام بالتترك ، ومن ثم زحف العسكر والناس جميعاً نحو عسقلان بدعوى التنقيب عن لعدو الذي كانوا قد نجحوا في تجنب الالتحام به وقت أن كان على مقربة منهم .

ثم تابعوا زحفهم من عسقلان الى « الداروم » وعادوا على أعقابهم الى نقطة البداية الأصلية بعد أن أضاعوا الجهد والمال .

فى هذه الأثناء سار صلاح الدين عبر سهول أدوم Idumea ودخل بجيوشه منطقة البقاع حيث حاصر قلعة هناك كانت تعد من أحصن قلاع هذا الإقليم كله وأهمها ، ثم أغار عليها غارة شعواء بقدر ما يسمح له موقعها ، إذ كانت واقعة على سفح التل على بقعة متحدرة ، هذا الى جانب ما كانت عليه من المناعة بفضل أسوارها وأبراجها وأسدحكاماتها ، وكانت القرية التى توجد بها هذه القلعة خارج الأسوار ، وهى على سفح التل فى بقعة شديدة الانحدار ، شاهقة الارتباع مما يجعلها آمنة من الغارات والهجمات عليها بالآلات الحربية أو رميها بالأقواس ، وكان سكانها جميعا مسيحيين ولذلك كان فى الاستطاعة الاعتماد عليهم والثقة بهم ، ويضاف الى ذلك أن القلعة كانت مجهزة أحسن تجهيز بالسلاح والذخيرة ، ويقوم على حراستها رهن كنف للدفاع عنها .

ظل الكفار مثابرين فى الهجوم على هذا المكان بضعة أيام دون أن ينالوا ما يشتهون ، حتى إذا ما أيقنوا أنه موضع عزيز لا يمكن اقتحامه أصدر صلاح الدين أوامره بالرحيل عنه وعاد الى مصر بجيشه عبر الطريق الصحراوى .

- ٢٨ -

وبما كانت السنة التالية التى هى العاشرة من حكم الملك عمورى استعداد صلاح الدين للمرة الثانية لغزو المملكة ، وإن كان يترك أنه لم يكن فائدة كبيرة من جراء قتاله لقواتنا فى العام المنصرم فقد سعى هذه المرة لتعريض فشله فجمع من كافة أنحاء مصر ومن غيرها جيشا كبيرا من المقاتلين ، وحاول أن يخفى عن الجميع تحركاته فتقدم عن طريق الصحراء وأنزل أكبر الاضرار

السكان (٤٣) ، ووصل في شهر يوليو الى نفس البقعة التي كان
و اجتازها بعسكره في السنة الماضية .

غير أن خبر زحفه بلغ مسامع الملك عمورى فخرج على رأس
زهرة قوات المملكة الحربية ، وانطلق في الصحراء ليقابل الأمير
المارق ، ولكنه علم - كما علم في العام السالف - أن صلاح الدين
قد ترك الناحية الى اقليم البقاع فانصرف عن قصده خشية أن يصل
خبر خروجه الى صلاح الدين فيعود من ناحية أخرى ويهبط تخريبا
في المملكة ، لذلك سلك عمورى الطريق الجبلى وتخبر مكانا ملائما
ثم ارتد الى الكرمل، وليس الكرمل هذا هو جبل الكرمل الساحلى الذى
كان مسكن « الياس » بل هو قرية نقرأ فيما نقرأ عنها أن
« نبال » (٤٤) الأرعن كان يعيش فيها . ولقد كان الملك حكيما في
اختياره هذا الموضع لوفرة مائه بسبب وجود بركة قديمة به .
فساحة الاتساع ، تستطيع أن تمد الجيش كله بفيض وافر من
الماء .

وزيادة على ذلك فإن « الكرمل » كان قريبا من الاقليم الواقع
فيما وراء الأردن ولا يفصله عنه سوى الوادى الشهير الذى يعتبر
الحد الفاصل بين الاقليمين ، كما يقع فيه البحر الميت ، ومن ثم كان
فى استطاعة جيشنا الحصول على كثير من أخبار تحركات العدو
والتحقق من أوضاع قوات صلاح الدين .

على أن توقف الملك عن الاضطراب من تلك الناحية للأسباب
التي ذكرناها أتاح الفرصة لصلاح الدين ليفقد سد فى الاقليم كله
حسما يهوى ، فلم يترك شيئا صادفه خارج المتعة الا جعله طعمة
للنيران ، وأمر باجتثاث الغابات وقطع الكرو ، وتدمير القرى حتى
إذا أذن شهر سبتمبر على الانتهاء عاد الى مصر بعد أن اجتاحت
الاقليم كله اجتياحا طائفا .

كذلك عاد ريموند الصغير كونت طرابلس في هذا الوقت تقريبا الى ارض أسلافه بعد أن قضى سنوات في الأسر (٤٥) في الغربية ومقيدا بالسلاسل ، ثم أطلق سراحه في النهاية ، وردت إليه حريته بعد دفع فدية قدرها ثمانون ألف قطعة ذهبية ، فرحب الملك بعودته أجمل ترحيب وادار فرد عليه الاقليم الذي ظل عموري نفسه يدير شؤونه طول فترة غياب ريموند ، ثم زاد فوائضه من الخزانة الملكية بالصلوات الكثيرة مساعدة منه له في دفع بدئيه وأضاف الى ذلك قيامه بحدث نبلائه وكبار رجال الكنيسة على نهج نهجه مع ريموند .

- ٢٩ -

والت بنا في هذا الوقت تقريبا كارثة فاحشة كان لها أضخم العواقب على المملكة والكنيسة معا . ومازلنا نعاني منها حتى الآن بل وربما سنظل حزاني بسببها الى الأبد ، وأرى أن فهم هذه المسألة يتطلب منا الرجوع الى الوراء قليلا لبداية القصة . ذلك أنه كان يعيش في ولاية صور وفي أبرشية « طرطوس » أمة من الناس يملكون عشر قلاع وما يلحقها من المدن ، وكان عدد هؤلاء الناس - كما سمعنا - يقرب من ستين ألف نسمة أو أزيد من ذلك قليلا ، وكانوا اذا أرادوا أن يولوا أحدا عليهم اختاروا بالتصويت ولم تجر عادتهم على توليته بالوراثة ، وكانوا يقدمون من يختارونه بناء على مزاياه فاذا تم انتخاب هذا الزعيم نعتوه بشيخ الجبل ، وهو لقب يؤثره على سواد من القابب التعظيم ، وأسماها له أمرهم من غير جدال . وأطاعوا طاعة عمياء لا يابهن مديا بشيء مهما كانت صغريته . ولا يكثرثون بأي مشقة في سبيل تنفيذ أوامره ، وينفضون نهوضا صادقا بما يكلفهم به وينصاعون اليه انصياعا قد يكون فيه الخضر الجسيم عليهم ، والمثال على ذلك أنه اذا حدث أن استوجب أمير ما كراهية هؤلاء القوم أو أسخطهم قام الشيخ فنارول واحدا من أتباعه

أو أكثر ننجرا فيبادر من وقع عليهم الاختيار بتنفيذ ما وكل اليهم القيام به في الحال - سال غير عابئين بنتائج ما هم مقدمون عليه أو أكثرين بعدم نجاتهم أو عودتهم سالمين ، بل يتحمسون كل الحماسة لعملهم ايماننا منهم بضرورته ويتربقون الفرصة المناسبة التي تمكنهم من تنفيذ أمر شيخهم ، وكان هؤلاء القوم يسمون بالحشاشين ، ولا يعرف أحد من النصارى ولا المسلمين مما اشتقت هذه التسمية .

ولقد ظل هؤلاء الحشاشون أربعة قرون من الزمان وهم يتبعون شريعة المسلمين وسننهم اتباعا دقيقا ، وإذا ما قورنوا بغيرهم من الأمم الأخرى بدوا وكأنهم مخادعون ويظنون في أنفسهم أنهم وحدهم الذين يراعون الشرع . لكن حدث في أيامنا هذه أن اختاروا لهم شيخا ألعيا فصيح اللسان ذكيا غاية الذكاء . وكان عند هذا الرجل - على عكس أسلافه - كتب العهد الجديد وشرائع الرسل ، وكان دائم النظر فيها . كما حاول في ذات مرة أن يتبع نامرس المسيح الصديح ويأخذ بالعقيدة الرسولية .

وقد حماه تعاليم المسيح وتلاميذه الرائعة السمحة على نبذ العقائد التي رضعها منذ صغره ، ثم راح يلقن أتباعه هذه التعاليم حتى أخرجهم من تعاليم ملتهم فهدم أمكن عبادتهم التي اعتادوا الصلاة فيها ، ومنعهم من الصيام وأباح لهم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، ثم دفعته أخيرا الرغبة في الوقوف التام على أسرار دين الرب إلى إرسال مندوب منه إلى الملك يدعى « عبد الله » ، وكان عبد الله هذا قطنا فصيحاً ألعى الفؤاد ، محافظاً على تعاليم مولاه ، وحمل معه إلى الملك اقتراحات سرية يتلخص أخطرها في أنه إذا تعهد فرسان المعبد الذين لهم قلاع منيعة مجاورة لأراضى الحشاشين أن يردوا على الحشاشين الألفى قطعة الذهبية إلى كان قرمه يدفعونها لهم سنويا وأن يكلاؤهم بنظرة أخوية فإن كافه أهل الطائفة سرش يعتنقون ملة المسيح وينتصرون .

استقبل الملك رسول شيخ الجبل بالغبطة ، واذ كان عمودي رجلا ذكيا فقد وافق على كل المطالب التي عرضها عليه ، بل انه ائسى استعداداه - كما يقول البعض أن يعرض الداوية من خزينته الخاصة المبلغ الذى يتألبهم به الحشاشون وقدره ألفا قطعة ذهبية ، لذلك استبقى الملك عنده رسول شيخ الجبل فترة طويلة لاستكمال تفاصيل الاتذرن ثم رده الى مولاه لوضع التسمسات النهائية للاتفاقا ن ، ثم بعث معه مرشدا يبله على الطريق ويحرسه . وتمكن عبد الله . . وهو فى حراسة الدليل ومن بعثهم الملك لمرافقته - أن يجتاز طرابلس ، حتى اذا أوشك على الدخول الى بلده باغته ومن معه الفرسان الداوية ، ووشوا عليهم بسيفوفهم وقتلوا هذا المبعوث الذى لم يكن يدور قط بخانه حدوث شىء من هذا القبيل ، حتى انه سافر دون أن يأخذ الحيطة الواجبة ثقة منه بما فى يده من كتاب أمان زوده به الملك ، واطمئنا الى ايمان أمتنا ، وبذلك عرض الفرسان (الداوية) أنفسهم للرمى بتهمة الخيانة .

أثارت أخبار هذا الفعل الدنيء ذئرة الملك وجن جنونه . فاستدعى اليه البارونات وبين لهم وهو فى سورة غضبه أن خيلته الأمانة انما ترقى الى اعتبارها اهانة باللغة تلحقه هو ذاته ، ثم طلب اليهم أن يشيروا عليه بالرأى الواجب عليه اتخاذه ، فاتفق رأيهم جميعا على أنه لا يمكن التفاوضى عن هذا الجرم البشع لأن الكرامة الملكية بدت فى ظل هذه الجريمة معدومة تماما ، وأن ما جرى جلب العار الذى لايمحى أبد الدهر وعد مغمرا فى حسن نية المسيحيين الطيبة ووفائهم الحميد ، وزيادة على ذلك فمن المحتمل جدا أن تفقد الكنيسة فى المشرق ازدهارها الذى يرضى الرب ، الذى كانت تعد نفسها له .

وإذ ذاك اتفق الجميع على انتخاب اثنين من النبلاء هما
« زيهردى هاميدون ، Sieher De mamecūn وآخر اسمه « جورشو
تيرتو » Godechaux ليكونا رسولين خصوصيين يطالبان «ايود دى
سنت أماند » رئيس فرسان المعبد بتقديم الترضية الكافية للملك
وللمملكة معا عن هذه الأفعلة النكراء المدنسة .

ويقال ان أحد الاخوان واسمه « وولتر دى ميزنيليو »
Walter Maisnilio وكان أعور شريرا خسيس النفس أوكما يقال
« كانت روحه فى منخاريه » (٤٦) هو الذى دبر هذه الجريمة لكن
بموافقة الفرسان ، وزاد البعض فقالوا ان رئيس المنظمة - رغبة منه
فى الإبقاء على هذا الرجل بعيدا عن أن ينال جزاء اثمه - بعث
الى الملك بكتاب مع رسول من قبله يخبره أنه أنزل العقوبة على هذا
الأخ المذنب ، وأنه على وشك إرساله الى البابا ، وأنه نهى الجميع
- نيابة عن البابا - أن يصيبوا أو يصيب أحدهم الأخ المشار اليه
بأدنى سوء ، وأضاف الى ذلك ملاحظات أخرى أملت عليها عليه روح
التعالى والغرور ولكن ليس من الضروري أن أسجل هذا فى كتابى
هذا تلك الملاحظات .

وذهب الملك بنفسه الى صيدا بشأن هذا الموضوع ، فوجد
رئيس الفرسان مع كثير من الاخوان وفيهم هذا المجرم ذاته ،
فتساور (عمورى) مع من جاءوا فى رفحته ، ورأى أن يأخذوا بالقوة
ذلك الرجل المتهم بهذه الجريمة من المنزل حيث يقيم ، فسحبوه
وأرسلوه مكبلا بالقيود الى صور حيث زج به فى الحبس .

لقد كادت الجريمة التى اقترفت ضد رسول الحشاشين أن
تؤدى بالمملكة كلها الى خراب حقيقى وصدع لا يمكن رأيه .

على أن الملك أصبح قادرا على الاحتفاظ بشرفه سليما بعد اعلان براءة ساحته عند شيخ الجبل الذى هلك مبعوثه على هذه الصورة الكريهة ، كما اتسم تعامله مع الداوية بالاهمال المنير مما أدى الى بقاء الموضوع معلقا حتى وافاء أجله . ومع ذلك فإنه يقال أن عمورى كان معتزما أن يحدث الموضوع مع ملوك الأرض وأمرائها بعد أن يبيل من وعكته الأخيرة وذلك عن طريق إرساله مبعوثين من جهته ذوى المراتب الرفيعة حتى يلقي الأمر الاستنام الجدير به .

كذلك وقع فى الربيع التالى موت المستشار الملكى الأخ الموقر الطيب الذكر « رالف » أسقف بيت لحم ، وكان رجلا سمح الطباع المعيا ، ولما وورى التراب فى احتفال مهيب فى ساحة كنيسة برزت مشكلة اختيار خلف له ، وبينما كانت هذه المشكلة قيد البحث فى نفس الكنيسة شبت مفارقات جمة بسبب تصارع آراء الناخبين واختلاف بعضهم عن بعض ، وهى اختلافات كان من الصعب حسمها ولم يمكن البت فيها باتا حاسما حتى السنة التالية من حكم (بلدوين الرابع) ابن الملك عمورى وخليفته من بعده .

ولقد كلف هذا الاختلاف فى الآراء كنيسة بيت لحم أموالا طائلة .

- ٣١ -

وفى شهر مايو (اعنى بعد قرابة شهر واحد من ذلك الوقت) مات نورالدين المضطهد الكبير للاسم المسيحى وللملة المسيحية ، وقد وافاه الموت بعد حكم امتد ثلاثا وعشرين سنة ، وكان أميرا عادلا شجاعا فظنا ، وهو من الاتقياء الورعين حسب مفهوم بنى

جنسه • ولما علم الملك بوفاته استدعى جميع قوات المملكة وحاصر مدينة بانيس ، فماكان من أرملة نور الدين - وكانت أمراه دين معظم النساء فى عزيمتها الا أن أرسلت فى هذه اللحظة الى الملك عمورى كتابا تطالبه فيه برفع الحصار عن أهل بانياس ومنحهم هدنة مؤقتة على أن تدفع له ازاء ذلك قبرا كبيرا من المال ، غير أن الملك تظاهر فى بادئ الأمر بأنه رافض عرضها وأظهر عزمه على مواصلة حصار بانياس ، ولم يكن ذلك الا رغبة منه فى اتران أكبر قدر من المال منها ، ولذلك ظل يعدد يتابع القتال قرابة خمسة عشر يوما ويحارب فى عنف وضراوة كبد فيها العدو خسائر فادحة بفضل ما تحت يده من آلات الحصار وغيرها ، لكنه أدرك أخيرا أن قدرة الأتراك على المقاومة كانت فى تزايد مستمر مما أيقن معه الا أمل له فى النصر •

على أن مبعوثى هذه السيدة المنجلة (٤٧) ظلوا فى هذا الوقت ذاته يتابعون الملك ويلاحقونه ملحين عليه بطلب السلام ، فاستجاب الملك لهم بعد لآى وقبل المال المعروض عليه ، كما أطلق الأعداء (المسلمون) من جانيهم عشرين من الفرسان الأسرى الصليبيين ، وحينذاك رفع الحصار عن بانياس وإن كان العزم مجمعا على القيام بمشروعات أكبر فيما بعد •

وبينما كان الملك عمورى فى طريق عودته الى دياره شكى لمن حوله ما يحسه من المرض يدب فى أوصاله ، وأحس أنه أبعد ما يكون عن العافية فسرح عسكره وواصل هو سيره مع خاصة أتباعه الى طبرية ، وقد شعر بالدوسس نظاريا تفكك به فتكنا ذريعا ، ولما كان يخشى تزايد العلة عليه فقد تابع طريقه من هنا على ظهر جواده إذ لا زال به من البأس ما يكفى لذل بعض الجهد ، ومر فى طريقه بالناصرية ونابلس الى بيت المقدس حيث تزايدت عليه علة ، وتدهورت صحته ، ثم

اعتبرته حمى شديدة على الرغم من أن الدوسنطاريا استجابت لمهارة
المطيب فزاييلته ، ولما رأى نفسه يشكو بضعة أيام من الحمى التي
لا تحتمل فقد أمر باستدعاء المطبيين من الاغريق والسريان وغيرهم
من الجنسيات الأخرى المعروفين بحذقهم فى العلاج ، وأصر على
أن يسقوه دواء ملينا ، فلما رفضوا طلبه هذا أمر أن يجيئوا له
بالمعالجين من اللاتين ، وسألهم ما سأل الذين جاءوا قبلهم ، وأضاف
الى ذلك أنه مهما كانت النتيجة فإنه متحمل عاقبة ما يحدث ،
فجهزوا له من الدواء ما يحقق سؤله فى يسر ، وسقوه بعض
المسكنات - لكن حدث قبل أن يستطيع أن يأكل ما يبعث القوة فى
جسده الذى وهن من جراء العلاج العنيف أن عاودته الحمى التى
اعتادت أن تننابه واستسلم لقدره ولفظ أنفاسه الأخيرة يوم ١١
يوليو سنة ١١٧٤ م بعد حكم دام اثني عشر عاما وخمسة
أشهر (٤٨) .

وكان عمره يوم مات ثمانية وثلاثين عاما . وقد دفن الى جوار
اخيه وإلى جانب أسلافه . ويقع قبره أمام الجلجثة .

وكان عمورى رجلا حكيما حسيقا ، أهلا لإدارة دفة أمور
الحكومة فى المملكة ، ويرجع الفضل الى الحاحه علينا فى أن كتبنا
هذا التاريخ عن أعماله هو ذاته وأعمال أسلافه .

هنا ينتهى الكتاب العشرون

حواشي الكتاب العشرين

Chalandon : Comnènes, II, P. 536.

(١)

(٢) كان « أندرونيكوس » هذا حاكما من قبل لمنطقة كيليكية ، تم بلغ الامبراطور مانويل عنه من الأمور السيئة ما حملة على صرفه عن حكومة هذا الاقليم ، وكان من بين ما رمى به عند مانويل - وهو حق - صلته بالاميرة « ثانيا » اتصالا مستهجنا ، ثم جاء الى القدس فأعجب به عموري فأقطعه مدينة بيروت لكنه لم يحفظ للملأ يده ، فاتصل بالاميرة اتصالا أغضب الجميع وذهبت اليه في بيروت وعاشرها بما لا يليق فكتب مانويل سرا الى عموري في شأنهما فوقف العاشقان على الكتاب وكانت أمور انتهت بما أساء اليه ففر الى بعض البلاد الاسلامية ، راجع تفصيل هذه الأحداث في Ch. Diehl - Figures Byzantines (2ème) Serie, PP. 86 -- 134

(٣) راجع الحاشية السابقة ، وسيرد في ثنايا هذه الترجمة كثير من الأمور المتعلقة به .

(٤) انظر الجزء الثاني من هذه الترجمة العربية ، ص ٢٨٢ وما بعدها .

(٥) كانت وفاته سنة ١١٦٨ في عكا .

(٦) كان هذان المبعوثان من أهل « تورانتو » في جنوب ايطاليا ، وقد يبدو عجيبا أن يستعين الامبراطور « البيزنطي » بغير أبناء بلده وبالابطالين

في مثل هذه الأمور الهامة الخطيرة ، لكن ميله الى اللاتين يبرر هذه الخطة منه ، وكان ايتاره الغربيين من أكبر العوامل التي أثارت سخط البيزنطيين على حكومتهم ، ومما زاد الطين بلة زواجه من أخت « بوهيموند » مما أدى الى قيام « أندرويكوس سرجي » : ١٥٠١ بعد بالثورة على الحاكم الشرعى الصغير « الكسيوس بن مانويل » وأمه الوصية مما ترتب عليه قيام فتنة داخلية صحبتها مذبحه مروعة راح اللاتين ضحيتها ، كما استغل الفرصة النرمونديون فتحركوا في جنوب إيطاليا .

(٧) يتضح لنا من مسالعه ما كنبه شالاندون أنه بعد مراجعته النص اللاتيني الذى كتبه وليم أصبح يعتقد أن مانويل كان يسعى « لأخذ بعض مملكة القدس » ، لكننا نميل للمقول بأن المؤلف كان يقصد بكلمة المملكة « هنا مصر وليس بيت المقدس راجع Chalandon : Conunenes, II, P. 536.

(٨) المقصود بالمملكة « هنا بيت المقدس .

(٩) أى بين عمورى ملك بيت المقدس ومانويل امبراطور بيزنطة .

(١٠) أى أنهم « عبيد » .

(١١) سماه وليم فى الأصل وكذلك الترجمة الانجليزية باسم Mahazi

بن شاور وراجع ، ص ٨٨ ، حاشية رقم ٥٠ .

(١٢) يقصد بالمملكة هنا « مصر » .

(١٣) أى الاستيلاء على القاهرة .

(١٤) المقصود بالمملكة هنا بيت المقدس .

(١٥) سبقت الإشارة الى ذلك .

(١٦) - ياقرس - بكسر السين من المدن المصرية القديمة ، ويرجح

محمد رمزى ، شرحه ق ٢ ، ج ١ ، ص ٣٥ أنها كانت فى أول مشيها عزبه أنشأها « سرياقوس » والى « أتريب » فسميت باسمه .

(١٧) قال بهاء الدين فى المحاسن الميوسقية أن الذى قام بهذا العمل هو

صلاح الدين نفسه وقد أخذ بهذا الرأى المؤرخ الانجليزى ستافلى لين نول : Lane-Poole History of Egypt in the Middle Ages

حيث يقول ان صلاح الدين وحريثه صعدا على المتخلص بن شاور ، ذلك فى اللحظة اعتاد المضي فيها للسلام على « شيركوه » فلما حاذب هذه اللحظة وثب عليه صلاح الدين ورجال كانوا معه وانزلوه من فوق دابته وقيدوه رتلوه ، وان الخليفة برحما جرى ، وطلب أن يأتوه برأس « شاور » . راجع فى ذلك كتاب لدولة الفاطمية فى مصر للدكتور ايسن فؤاد سيد

(طبعة سنة ١٩٩٢) حيث يعرض لهذا الموضوع بناء على ما ورد فى التاريخ
الباهر لابن الأثير ، ص ١٤٠ ، والذامل فى التاريخ ٢٢٩/١١ - ٢٤٠
والروضتين لأبى شامة ٣٩٦/١ ، ٤٣١ ، وابن واصل . مفرج الكروب
١٦١/١ - ١٦٢ .

(١٨) أى مملكة بيت المقدس .

(١٩) مراشى أرميا ١/٤ .

(٢٠) أيوب ٣١/٣٠ .

(٢١) يستفاد مما ورد فى الأصل لوليم الصورى أنه يرى أن « شيركوه »
قد « انتحر » - ولكن الواقع أنه مات فجأة يوم السبت ٢٢ جمادى الآخرة
سنة ٥٦٤ هـ (مارس سنة ١١٦٩م) لأنه كان يكدر من الأكل اللدسم ، راجع
الروضتين لأبى شامة ٤٠٥/١ ، ٤٣٨ ، وابن الأثير التاريخ الباهر ١٤١ ،
والكامل ٣٤١/١١ - ٣٤٢ ، والمقرئى : اتعاظ الحنفا ٣٠٤/٣ - ٣٠٥ .

(٢٢) قد يفهم من النص أن الخليفة المعاضد كان يعتزم قتل صلاح الدين ،
ومن ثم بادر الأخير فسبقه فقتله قبل أن يغدر هو به ، ولكن الصواب
غير ذلك فقد ظل صلاح الدين وزيرا للمعاضد من جمادى الآخرة سنة ٥٦٤
حتى مطلع ٥٦٧ ، عند ما قطع الصلاح الخطبة للفاطميين فى السابع من
الحرم من هذه السنة ، ولم تمض على ذلك أيام قلائل الا ومات الخليفة
المعاضد كمدا ليلة عاشوراء من السنة ذاتها فاقام الصلاح الخطبة للخليفة
العباسى المستضىء . راجع ذلك بالتفصيل فى كتاب د . أيمن فؤاد سيد
الدولة الفاطمية فى مصر « ص ٢٣٤ - ٢٤١ ، اعتمادا على المصادر التالية :
التاريخ الباهر لابن الأثير ١٥٦ ، والكامل فى التاريخ ٣٦٨/١١ ، والروضتين
لأبى شامة ٤٩٢/١ - ٤٩٣ ، ومفرج الكروب لابن واصل ٢٠٠/١ - ٢٠٢ ،
واتعاظ الحنفا للمقرئى ٣٢٥ - ٣٢٨ .

(٢٣) ليس بين أيدينا من المراجع ما يشير الى انقال كاهل صلاح الدين
بالديون الا أن يكون ذلك إشارة الى كثرة بذله الأموال على من معه من الجند
كما تتطلبه الحرب .

(٢٤) هذه إشارة صريحة الى مكانة مؤلفنا ولیم الصورى عند أكبر
عاهل مسيحي فى ذلك الوقت وهو مانويل امبراطور الامبراطورية البيزنطية .

(٢٥) سبق التعريف بالدرايين ، وانظر درويش الدخلى السفن
الاسلامية ، ٤٦ - ٤٨ .

(٢٦) في الأصل « ١٦ أغسطس » ، والصحيح ما أوردناه في المتن أعلاه ، ويلاحظ أن الترجمة الانجليزية نصت على خطأ ولیم وان أشارت اليه في الحاشية فقط .

(٢٧) راجع محمد رمزي : القاموس الجغرافي تحت كلمة « الفرما » .

(٢٨) المقصود بالناس هنا : الصليبيون والمسيحيون الذين يقومون بالحصار .

(٢٩) علقت الترجمة الانجليزية « ج ٢ ، ص ٣٦٩ ، بالحاشية الى عدم تقديم ولیم الصوري أى بيانات عن مصاعبه مع رئيس أساقفته ، وان رجحت أنه ربما كان بعض هذه المصاعب راجعا الى أن الملك عموري طالب رئيس الأساقفة بزيادة راتب ولیم كرئيس شمامسة حتى تعينه هذه الزيادة على القيام بالمهمة التي وكلها الملك اليه ، وهي الاسهام في التاليف التاريخي وكتابة تاريخ لعموري وعهده .

(٣٠) عرف المقدسي « الداروم » التي تعرف عند الصليبيين باسم « Daroma » داروما بأنه لفظ يطلق على الاقليم الواقع حول « بيت جبرين » أو « جبريل » المعروف في الحوليات الصليبية هو الآخر باسم Eleutheroptolis على ان الداروم عند كل من ياقوت وابن عبد الحق قلعة يصانقها المسافر بعد مغادرته غزة في طريقه الى حصر ، وهي تبعد مسافة فرسخ عن البحر كما يشير الكاتبان ذاتهما الى أن صلاح الدين خربها حين استيلائه على الناحية سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) ، ويفسر كل من ولیم الصوري وجاك فيتري اسم الداروم بأنه Domus Graecorum المشتق من « دار الروم » ، ولكن Le-Strange : Palestine Under The Moslems, P 437. يذهب الى تخطئة هذين المؤرخين فيما يقولانه ، إذ يشير الى أن كلمة « الداروم » يقصد بها في الحبرية « الاقليم الجنوبي » .

(٣١) أيدوميا أو ادوم Edom . وقد يقال لها أيضا Idumean . هي موضع يشرف على طريق القوافل التجارية في العصور الوسطى الواسعة بين حصر وبلاد العرب والشام ، وقد ذكر Le Strange : op. cit. P. 384 أنها هي المعروفة « بالمشراة » وذلك في عرض كلامه عن أذرع ، وكان لى سترانج ينقل هذا عن اليعاقبة .

(٣٢) راجع الجزء الثالث من هذه الترجمة العربية ، ك ١٧ ، ف ١٢ ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٢٣) هو نوماس بيكيت Thomas Beckiet رئيس أساقفة كانتربري الذي قتل يوم ٢٥ ديسمبر ١١٧٠ م وقد أعلنه البابا اسكندر الثالث شهيدا في عيد فصح ١٠٧٢ م .

(٢٤) هذه زلة قلم من المؤلف اذا الصحيح أن يقال « السنة التاسعة » .

(٢٥) اقصود بالأمير الجليل هنا « الأمير حنا البروتوسيباستوس ابن أخى مانويل » .

(٢٦) أن ما ذكره وليم في هذه الأسطر حول هذا الموضوع بما جاء في Chalandon : Commènes II, PP. 547 — 149

(٢٧) تطلق كلمة « بلاشيرناى » Blachernae على بناءين أحدهما هو القصر الامبراطورى بالقسطنطينية الواقع على القرن الذهبى ، وثانيهما على الكنيسة الملحقة به ، وكان من يستحوذ على القصر تكون له السيادة فى العاصمة ، لذلك نرى جستنيان يسعى اليه ابان نضاله من أجل الحكم ، كما أنه كان القصر الذى نعام فيه الاحفالات الكبرى وما أكثرها كما نستدل على ذلك مما كتبه

Ch. Diehl La Société Byzantine à l'époque de Commènes, PP. 13 — 25.

وقد اذله بريقه بقيام المملكة اللاتينية الصليبية وما بلى ذلك من أحداث دامية وقد لعب هذا القصر دورا كبيرا فى تاريخ بيزنطة حتى زمن متأخر من العصور الوسطى . أما الكنيسة المعروفة بهذا الاسم أيضا فملحقة بالقصر وهى كبيرة الاتساع عظيمة القدر يدل على ذلك أنه عقد بها مجمع أغسطس ٧٥٤م بشأن الخلاف حول عبادة الايقونات كما شهدت بعد ذلك ستة قرون تقريبا (أعنى سنة ١٣٥٤ م) الاحتفال بتسلم « ماتيو كانتا كوزينوس » التاج الامبراطورى .

(٢٨) الوارد فى الاخبار اليونانية القديمة أنه كان هناك شابان « لياندر و ليندور Leandros من أبيدوس الذى عزم على زيارة صديقه هيرودس Herod من أمم سينوس فركب النحر وهو مضيق المسفور الفاصل بينهما ، واشتد الموج شدة عنيفة فلم يعبأ لياندر وأبى الا اتمام رحلته وأخذ يصارع المياه الصاخبة حتى صرعه الموج فمات شهيد صداقته » .

(٢٩) هذه هى السفرة التى قام بها فردريك رئيس أساقفة صور الى ملوك الغرب وأمرائه وكبار حكامه للاستنجاد بهم ضد المسلمين فلم تنفع .

(٤٠) هو حفيد سبيه ستيفن كونت دي بلوا الذي التقينا به في كثير من المواقع في هذه الترجمة في الحرب الصليبية الأولى ، راجع فهرس الاعلام في نهاية هذا الجزء .

(٤١) في الأصل «الثامنة» وهو خطأ يصححه تسلسل أحداث عهد هذا الملك ، فقد جرى هذا الحادث في سنة ١١٧٢ م ، وقد انتهت إلى هذا الخطأ النسخة الانجليزية فأشارت إليه في الحاشية وان لم تصححه في المتن .
(٤٢) المقصود بالناحية هنا منطقة البتراء والكرك .

Stevenson . Crusaders in the East, P 35 et seq (٤٣)

(٤٤) جاء وصفه في صمويل أول ٢/٢٥ بأنه « كان قاسيا وريء الافعال » ، واما امرأته - واسمها أبيجابيل - فكانت جيدة الفهم وجميلة الصورة » . وانظر الملحق الذي وضعناه في آخر هذا الجزء .

(٤٥) كان أسره في حارم سنة ١١٦٤ م ، ثم أطلق سراحه في الثامن عشر من اكتوبر سنة ١١٧٢ م وليس في سبتمبر سنة ١١٧٣ م كما يستفاد من المتن أعلاه ، وهذا خطأ لم تتبينه الترجمة الانجليزية فأهملت الإشارة إليه ، أما عن حارم فراجع هذا الجزء ص ٨٣ ، حاشية رقم ١٦ .

(٤٦) الإشارة هنا الى ما جاء في اشعيا ٢٢/٢ « كفو الانسان انذى في أنفه نسمة » .

(٤٧) المقصود بها عند المؤلف أرملة نور اللدن .

(٤٨) فيما يتعلق بهذه الأحداث والتعليق عليها راجع
Stevenson : Op Cit., P. 213 et seq.

ارغام بلدوين الأجدم على تولى حكم القدس

- ١ - أوليات حكم بلدوين الرابع سادس ملوك القدس وصفة حياته والاشارة الى عمره ومظهره .
- ٢ - تاريخ تدشينه وتتويجه .
- ٣ - النكبة الفادحة التى منى بها أمام الاسكندرية الأسطول الذى أرسله ملك صقلية فى السنة الأولى من حكم بلدوين الرابع . كونت طرابلس يطالب بالوصاية على المملكة وعلى الملك باعتباره أقرب الناس اليه .
- ٤ - مقتل « ميلون دى لانسى » فى عكا و وفاة فرديك رئيس أساقفة صور .
- ٥ - وصف كونت طرابلس وذكر أسلافه الذين انحدر منهم

«كيفية أخذه الوصاية على العرش • تعيين مؤلف هذا الكتاب مستشارا ملكيا •

٦ - صلاح الدين يتولى شئون مدينة دمشق وبقيّة اقسامها استجابة لطلب أهلها • كونت طرابلس ينهض لصدّه حتى يفسد عليه مخططاته •

٧ - لماذا أصبح العدو أكثر جرأة على الصليبيين •

٨ - صاحب الموصل يسرع مساعدة ابن أخيه فيتغلب عليه صلاح الدين ويمتلك الاقليم كله • قيام كونت طرابلس بعقد اتفاقية معه وتسلمه الرهائن •

٩ - موت « ميخايل » أسقف بيروت ورفع مؤلف هذا الكتاب الى مرتبة مطران صور •

١٠ - الملك (بلدوين الرابع) يغزو أرض الدماشق ويخربها • موت « هيرنيسديوس » رئيس أساقفة قيصرية •

١١ - الملك يعاود الهجوم على بلاد العدو ويعيث فسادا فى واد اسمه وادى البقاع •

١٢ - هزيمة امبراطور القسطنطينية هزيمة نكراء فى قونية •

١٣ - وليم الصغير مركز مؤتمرات يصل الى فلسطين ويقترب بانث الملك •

١٤ - وصول كونت فلاندرز الى المملكة وكان مجيؤه منتظرا منذ أمد بعيد •

١٥ - اتباع الكونت يخدعون ويغرونه على عدم الانحسان لآراء أشراف المملكة •

١٦ - قدوم سفراء امبراطور القسطنطينية ومطالبتهم الصليبيين بتنفيذ الاتفاقية التي كان االك (عمورى) قد عقدها مع مولاها ، ويلحون على تنفيذها فى الحال واسناد حنة على مصر .

١٧ - معارضة الكونت (فلاندرز) لهذا المشروع العظيم مما أدى الى عدم تنفيذ الاتفاقية .

١٨ - رجوع مبعوثى الامبراطور الى ديارهم ومتابعة كونت فلاندرز سيره الى أنطاكية . زواج « بليان » من أرملة الملك عمورى .

١٩ - أمير أنطاكية وكونت طرابلس يعاونان كونت فلاندرز فى حصار حصن حارم ، ولكن تفشل جهودهم .

٢٠ - صلاح الدين يصل من مصر على رأس قوات كثيفة ويهاجم المملكة ويضرب معسكره أمام عسقلان فيخرج بجميع قوات المملكة لصدده وتنشب معركة هامة أمام المدينة .

٢١ - الترك يخربون كل الناحية ويحرقون المدن والنواحي القاصية .

٢٢ - الملك ينهض من عسقلان ليصد العدو . استعداد الجانبين للقتال وتأهبهما للمواجهة .

٢٣ - نشوب معركة تدور فيها الدائرة على صلاح الدين فى مدحورا مجللا بالعار .

٢٤ - الجو الماصف والبرودة غير المعتادة تنهكان طاقة الناريين الذين فروا من المعركة وموت أعداد كبيرة منهم ، ووقع غيرهم فى الأسر ثم عودة الملك الى بيت المقدس مظفرا .

٢٥ - القوات المحاصرة لقلعة حارم فى أنطاكية تتخلى عن مهمتها وتعود الى ديارها .

٢٦ - عقد مجمع كنسى عام فى رومة وقيام الملك ببناء حصن فيما وراء نهر الأردن فى ظروف غير ملائمة . تسليمه هذا الحصن بعد الفراغ من بنائه الى الداوية .

٢٧ - قيام الملك بغزو أرض العدو ونكبته بخسارة فادحة ، وموت همفري كونستابل الملك هناك .

٢٨ - صلاح الدين يقوم بمهاجمة بلدة صيدا وحينذاك يجمع الملك قوة المملكة الحربية ويخرج لصدده .

٢٩ - وقوع معركة بين الجانبين وهزيمة الصليبيين وسقوط الكثيرين منهم فى الأسر .

٣٠ - صلاح الدين يحاصر الحصن الذى تم تشييده منذ قريب ويستولى عليه بالقوة ويخربه ، وحينذاك يصل الى سورية « هنرى كونت ترويه » وبطرس أخو ملك الفرنجة .

هنا يبدأ
الكتاب الحادى والعشرون

بلدوين الرابع الأجدم
يتولى حكم بيت المقدس
رغم أنفه

- ١ -

كان بلدوين الرابع سادس (١) ملوك القدس اللاتين ، وهو ابن الملك عمورى الطيب الذكر الذى كذا نكتب عنه منذ قليل ، وأما امه فهى الكونتيسة « أجنس » ابنة جوسلين الصغير كونت الرها الذى كثيرا ما وردت الاشارة اليه فى الصفحات السالفة .

كان الملك عمورى حين استدعوه لاعتلاء عرش أسلافه بحق الوراثة قد قام بتطليق زوجته « أجنس » كما أشرنا من قبل انصياحا

للكنييسة وبضغط من « أمالريك » الطيب الذكر الذى كان اذ ذاك بطرك القدس والذى حذى حذو سلفه « فولشر » فى هذا الشأن ، وكانت الحجة - وهى حقيقة ثابتة - هى شدة قرابة الدم بين الاثنين (٢) . ولقد شرحت هذا الموضوع شرحا وافيا تحريت فيه الدقة حين فصلت (٣) عهد الملك عمورى .

وكان الملك (عمورى) شديد الحرص على تعليم ولده (بلدين الرابع) ، وقد عهد الى (يوم كنت رئيسا لشمامسة صور) برعاية هذا الغلام الذى كان يقارب التاسعة من عمره يومذاك ، وكلفنى بالقيام بتعليمه الفنون والآداب ، وأن أكون مؤدبا له فقبلت هذه المهمة ، واستجبت للاحاح عمورى والى تعهده لى باضفاء عطفه على ، وقمت أنا من جانبى ببذل قصارى جهدى فى تكريس نفسى من أجل هذا التلميذ الملكى وهو تحت اشرافى ، وأوليته الرعاية التامة الجديرة بمن هو فى مثل مكانته الرفيعة ، ولم أَل جهدا فى تثقيفه خلقيا وعلميا .

وحدث فى ذات يوم من الأيام وهو يلهو مع أترابه المماثلين له قدرا ومكانة ، وقد أخذ كل واحد منهم - كعادة من هم فى مثل عمره - يقرص الآخر ويخدشه بأظافره ، أن راحوا يصيحون من الألم إلا در رغم أن رفاقه لم يعفوه من القرص والخدش ، فقد تحمل ذلك فى صبر كأن لم يكن يشعر بشيء ما مطلقا ، وأخبرنى رفاقه أن هذا الأمر تكرر حدوثه منه مرارا عديدة ، فأرجعت ذلك الصبر منه الى قدرته الكبيرة على التحمل وليس الى انعدام الاحساس بما جرى له ، فلما ناديته وسألته عن جليلة الخبر تكشف لى أن سـد الظاهرة هى خـدر تام يعتري ذراعـه الأيمن ويده فلا يشعر معه مطلقا بالقرص أو الوخز والعض ، فساورنى القلق وتذكرتـ

حكمة الحكيم القائل « لاشك أن العضو الفاقد الاحساس يستنفذ كثيرا من صحة البدن ، كما أن من لا يدرك أنه سقيم فهو فى خطر » .

وعلم والد الصبى بحالة ولده ، واستشير الطبيبون ، وتكرر استعمال الكمادات والتدليك بالزيت ، بل والأدوية السامة ولكنها لم تجد نفعا ولم تساعد . ولقد عرفنا بمرور الوقت أن هذه كانت دلائل مرض من أخطر الأمراض ولا يرجى الشفاء منه ، وقد اتضح ذلك للعيان فيما بعد كل الوضوح .

ولا يستطيع الانسان ان يملك عينيه أن تسبحا بالدمع وهو يتكلم عن فداحة هذا الخطب الكبير اذا ما كاد يقترب من سنوات نضجه حتى اتضح أنه يعاني من الجذام الخبيث وأخذت حالته تزداد سوءا وصحته تتدهور يوما بعد يوم ، وكانت أشد هجمات المرض تنتاب على وجه الخصوص أطرافه ووجهه حتى ان أتباعه الخالص كانوا يتألمون عذبا عليه حين ينظرونه ، لكنه رغم ما كان به كان يظهر تقدما فى الدراسة يبشر بمزيد من التفاؤل فى تعلمه .

كان بلديين (الرابع) بهى الطلعة بالنسبة لعمره ، وقد يز أسلافه فى ركوب الخيل ومعاملتها ، الى جانب تمتعه بذاكرة واعية كل ادعى ، وميل للحديث ، ولم يكن ينسى أبدا الجميل الذى يسديه اليه احد ما ولا الاساءة التى تلحقه من الغير ، هذا بالإضافة الى شدة المثبة بينه وبين أبيه لا فى طاعته فحسب بل أيضا فى سماته ، فكانت له نفس مديته ، وببرة صوته ، الى جانب ذلك كله الحاد ، وان تلجلىح لسانه فى بعض الأحيان .

كذلك شابه أباه فى شدة ميله لسماع التاريخ واتباعه المشورة الصادقة .

كان بلدوين قد قارب الثلاثة عشرة عاما من عمره حين مات أبوه ، وكانت له أخت من أمه تكبره في العمر اسمها « سيبيللا » نشأت في دير « سنت لازار » في بيثاني (٤) تحت رعاية السيدة « ايفيتا » خالة أبيها التي هي رئيسة راهبات هذا الدير .

ولما مات الملك عموري اجتمع نبلاء المملكة من مدنيين ودينيين في مجلس اتفقت فيه آراؤهم اتفاقا كريما على تدشين ولده وتتويجه حسب العادة في كنيسة القيامة في اليوم الخامس عشر من يوليو ، اعنى بعد أربعة أيام من وفاة أبيه ، وقام باتمام مراسيم التتويج « اماريك » بطرك القدس الطيب الذكر ، وعاونه في اتمام هذه المراسيم رؤساء الأساقفة وغيرهم من اكبار رجال الكنيسة .

وكان على كرسى الكنيسة الرومانية المقدسة حينذاك البابا اسكندر الثالث ، كما كان « ايمرى » بطرك كنيسة أنطاكية الطاهرة و« اماريك » بطرك القدس ، وفردريك رئيسا لأساقفة صور .

وكان بالقسطنطينية الامبراطور العظيم النقى مانويل ، وعلى الامبراطورية الرومانية فردريك ، وعلى الفرنجة الملك لويس . أما في انجلترا فكان يحكمها « هنرى بن حوفرى » كونت أنجو ، كما كانت صقلية تحت حكم وليم الثانى بن وليم الكبير . أما أنطاكية فيحكمها بوهيموند بن الأمير بوهيموند بن روبرت جيسكرد ، وأما طرابلس فيحكمها فى يد ريموند الصغير بن الكونت ريموند الكبير .

ولما كانت السنة الأولى من حكم الملك (بلدون الرابع) وفى مستهل أغسطس قام وليم ملك صقلية بتجهيز أسطول مؤلف من

ماتت سفينة بعث به لغزو الاسكندرية . فبحر الأسطول الى مصر
بمن عليه من العسكر العظيم من البرسان والمشاة ، لكن حدث في
أثناء وجوده امام تلك المدينة لخمسة أو ستة أيام وبسبب الإهمال
الذى بدى من جانب القادة الزعماء أن منى الخيالة والمشاة
بخسائر فادحة قتلاً وأسرا ، مما حملهم على الرجوع وقد ضربت
الفوضى عليهم بأجرانها .

وكانت أمور مملكتنا في هذه الأثناء في يد « هيون دى
بلانسى » الذى شبت العداوة بينه وبين بعض بارونات المملكة الذين
دبت الغيرة في نفوسهم منه لما يتمتع به من السلطة واستثارة به
من دونهم ، ولم يكونوا قادرين على التغاضى عن الحقيقة القائلة
بأنه يتجاهلهم تجاهلاً تاماً ولا يستدعيهم أبداً للمشاورة بل يفرد
بالأمور وحده ، كما أنه كان يعامل بعضهم معاملة تنطوى على
الاهانة والاستهانة بهم ، هذا الى جانب أنه حال بين البعض الآخر
تماماً وبين الاتصال الشخصى بالملك الى جانب تفرده بتبشير
المملكة فلا يسألهم الراى ولا المشورة .

وحدث في هذه الأثناء أن جاء كونت طرابلس الى الملك وطالبه
(فى وجود البارونات الذين شاعت الصدفه أن يكونوا حاضرين ،
أن تكون له الرضاية على المملكة ، مؤكداً له - بشيعة النسي
البارونة بينهما تجعله الوصى النزعى على الملك الذى - رأى -
لم يبلل من الرشد ، وقال ان الرضاية عليه من حقه لأكثر من سبب
لأنه فقط اقرب الناس الى بلدوين الرابع بل وأيضاً لأنه كان
واقرب رعاياه المخلصين اليه ، وأضاف الى اثنين التبيين -
ثالثاً قويا مقنعاً هو أنه لما أخذ أسيراً فإنه أمر - وهو -
شعبه الوفى بما له من الطاعة فى أعناقهم - أن يسلموا كل أملاكه

وحصون وقلاعهم الى الملك عمورى والد هذا الصبى (بلدوين الرابع) وأن يضعوا كل شئ رهن أمره وفى رعايته الملكية ، كما أنه كان قد أضاف توجيهها بأن أنه إذا قضى القدر بأن يلقى منيته فى الأسر فإنه يعتبر الملك المشار اليه (عمورى) وريثه الوحيد ولا وريث له ، سواء باعتباره أقرب الجميع اليه .

وطالب الكونت (الملك بلدوين والأمراء الحاضرين هذا الاجتماع) أنه بناء على أياديه الحسنة هذه فإنه يسأل رد هذه الأفضال بحق الشرف أكثر من أى مطمع له فى نفع يجنيه فى قابل أيامه .

على أنه تأجل اجابة مطالب كونت طرابلس هذه بحجة أنه لم يكن حول الملك فى هذه اللحظة بالذات غير نفر ضئيل من بارونات المملكة ممن ينبغى التشاور معهم ، وأنه ستخرج اليهم الدعوة فى الوقت المناسب ليجتمعوا بأسرع ما يمكن للمشاورة واعطاء الجواب الملائم - بمعونة الرب - على كل هذه المسائل .

فلما علم الكونت يردهم هذا عاد الى امارته .

والواقع أن الجميع كانوا يذكرون طلب الكونت ، وكان ممن وقفوا الى جانبه الكونتسابل الملكى « همفرى » صاحب « تروى » وبلدوين وأخوه بليان وريثو صاحب صيدا وجميع الأساقفة .

- ٤ -

كان « ميلون دى بلانسى » الذى تكادنا عنه حالا من أكر اشراف اقليم شماندا الواقع وراء الجبال ومن مملكة هنرى كونت « تروى » ، وكانت تربطه أحسن العلاقات بقريبه الملك عمورى الذى عينه « سنكالا » لياكته . وحدث أنه لما مات همفرى الصغير ابن

همفري صاحب تورون فان عموري زوج أرملة ستيفاني - وهي ابنة فيليب النابلسي - من « ميلون » الذي أصبح بفضل زوجته هذه هو المتصرف في كل الأراضي الواقعة وراء الأردن وفيما يعرف بالشموبك (٥) . إلى أنه كان لستيفاني هذه من زوجها الراحل ولد وبنيت صغيران . وكان « ميلون دى بلانسي » يعتمد اعتمادا كلياً على الصداقة الوثيقة التي تربطه بوالد الملك الحالي ، ومن ثم لم يكف عن اظهار اذرائه لبارونات المملكة حتى من يشاؤنه قدرا ، ولا يقيم لهم وزنا ، هذا الى جانب أنه كان رجلا متفترسا ، يزدهيه الكبر ، فاذا تكلم تكلم بعبارات طنانة تفصح عن عنجهية فيه .

وقد أراد التغلب على غيره الآخرين منه فعهد الى نكرة من غمار الناس ساقط الحياء اسمه « روهارد » حارس قلعة القدس ، وتظاهر بأنه يمثل لتوجيهات هذا الرجل اتافه وأنه تابع لما يشير به عليه ، منفذ لأوامره .

لكن الواقع كان عكس ذلك ، فكان لروهارد اللقب الرفيع لا انجوهر ، بينما مضى « ميلون دى بلانسي » تحت هذا القناع يصرف شؤون المملكة حسب هواه الشخصي مع تظاهره بأنه ترك في يد « روهارد » كل شيء . وها كان كلامه هذا الا وراء لأنه جسد كل ما يريد اذور المملكة من يده رغم ارادة الآخرين ، كما أنه ان يزوج ابنته . في وقت هذا اذور مزيداً من اعدائهم في الكراهية نحوه . ثم وصلت الأمور في النهاية الى ما كان مستود حين دمرت طائفة من الناس سرا على قتله ، فلما علم بخبر هذا التآمر استخف بما عام و استمر في ظنائه دون أن يتخذ من الاذنين ما ينبغي عليه اتخذه حذراً . جاء يوم كان فيه موجودا بعدا فاذا بواحد في الطريق العام يطعمه في غيش الظلام طعنة لفظ معبأ أنفاسه لكن بعد أن لقي من المعاملة أسوأها وأحقرها .

واختلفت آراء الناس في مصرعه فقال بعضهم أنه اغتيل لشدة
 زلاء الملك ، وذهب غيرهم مذهباً ثالثاً فقالوا ترى كل المخالفة
 فقالوا أنه كان يرتب في السر خطوات الاستيلاء على زمام السلطة
 الملوكية ، وقالوا أنه كان قد بعث بالمرسل إلى أصدقائه ومعارفه في
 فرنسا يحثهم على المبادرة للحضور إليه حتى يكون قادراً بفضل
 مساعدتهم له على الاستيلاء على المملكة .



لكنني لم أستطع أن أعرف على وجه اليقين أي هذه الآراء
 كان هو الأصديق ، وإن كان المعروف جيداً أنه أرسل « بليان »
 صاحب يافا (شقيق ذلك المدعو روهارد المشار إليه آنفاً) إلى البلاد
 الواقعة وراء البحر برسائل وهدايا ملوكية وأن القوم (في المملكة)
 كانوا يتربصون كل يوم عودة باليان هذا .

وفي غضون هذا الوقت بالذات وفي اليوم الثلاثين من شهر
 أكتوبر ذاته (١١٧٤ م) مات سلفنا الطيب الذكر ، العالى القدر ،
 الكريم الأصل « فردريك » رئيس أساقفة صور ، وقد وافته منيته
 وهو في نابلس حيث أمسكه بئس المرض العضال حيناً من الوقت فعاقبه
 عن الحضور فحمل جسده بما يليق به من التوقير والاحلال إلى
 القدس ودفن في هيكل السيد الذي كان هو من قبل سادنا لكنيستته .



كذلك حدث في هذا الوقت أيضاً أن اجتمع بالقدس بارونات
 المملكة وكبار رجال الكنيسة عند الملك (بلدوين الرابع) حين رجع
 (ريموند) كونت طرابلس ليقف عليه أجواب الذي وعده به رداً
 على التماسه الذي سبق له أن قدمه بشأه الوصاية (٦) ، وكرر نفس
 عروضه ملحاً على وجوب الاستجابة إلى ما طلبه ، وبعد نقاش

استمر يويين متالين وافق الملك والجميع على سؤاله وجاءوا بالكونت (ريموند) الى كنيسة القدر المقدس وسط هتافات الجماهير المتوية وعهدوا اليه بكل شئون الحكومة وصلاحياتها وما يتعلق بالملكة ، على أن يكون قائما للملك .

ولما كان اسم الكونت (ريموند) سوف يتردد من الآن فصاعدا في ثنايا الأحداث التي نعرض لها في كتابنا هذا فاننا نرى انه من المناسب أن نسجل - لصالح الأجيال التالية - الأخيار الصديقة التي وصلت اليها . ولقد هذا (٧) نهدف من وراء ذلك امتداحه ، ولكننا نوجز ما تسمح به الضرورة فنذكر من يكون هذا الكونت ومن تكون أسرته .

كان كونت ريموند - موضوع كلامنا هنا ابنا لريموند الكبير الذي شغل مركزا قياديا هاما في جيش السيد المسيح ، كما يرجع الفضل الى ما بذله من جهد ومثقة في عودة مملكة النورق لخدمة المسيح ، وقد اسهبنا في ذكر هذه الحقائق وقصصناها بدقة حينما تناولنا أخبار أولئك القادة الكبار الذين جاءوا مع الحملة الأولى ، وكان لهذا الكونت الكبير ريموند الطيب الذكر ولد اسمه « برترام » وهو الذي آل اليه حكم كونتية طرابلس بعد موت أبيه واغتيال ابن أخيه راييم جوردان ، ثم كان لبرترام هذا ولد اسمه « يونس » خلف أباه في حكم الاسارة شرعا ، وتزوج من « ماريانا » أرملة - ذكرنا سابقا - قياييب ملك فرنسا فأنجبت له ابنتهما ريموند التي خلفته في حكم طرابلس ، وتزوج لان ريموند من « هيديرنا » Hédère ابنة بلديون ثاني ملوك بيت القدر وهي التي صارت أم ريموند الذي نتكلم عنه الآن ، والآن خلف أباه كونتا لطرابلس بعد موت ريموند الكبير عند باب مدينة طرابلس اذ باغته نحر من الحرسين وقتلوه غدرا (٨) .

ومن ثم كان هذا الكونت من ناحية أمه ابن خالة الملكين عموري وبلدوين (الرابع) الذين كانوا أولاد أختين شقيقتين .

أما من جهة الأب فكانت صلة القرابة أقل من هذا ، لأن جدت من ناحية أبيه وهى « سيسيليا » التى أشرنا إليها حالا كانت أخت الملك فولك والد الملكين بلدوين وعموري اللذين كانا من أم واحدة ولكن لأن أمهما التى كانت أخت الملك تزوجت أول ما تزوجت من فولك الكبير كونت أنجو ، ثم هجرت زوجها بعد أن أنجبت منه فولك الصغير وفرت الى فيليب ملك الفرنجة ، فولدت فيمن ولدت « سيسيليا » هذه وعدة ذكور ، وكان فيليب الذى سحرته الكونتيسا (برترادا) بجمالها قد انفصل عن الملكة زوجته الشرعية التى كانت قد أنجبت له طفلين هما لويس وكونستانس ، وكان هذا الانفصال مخالفا لقانون الكنيسة ومن ثم كان الكونت والملكاز اللذان ذكرناهما تربطهما ببعضهما وشيجة قريى متينة من كلا الجانبين .

كان الكونت (ريموند) رجلا نحيل البنية ، شديد النحافة ، ربعة القوام ، متوسط الطول غير مفرطه ولا حادره ، أسمر البشرة . وأما شعره فتطويل مرسل أمليل للسواد ، وله عينان نفاذتان ، وكفان عريضان ، الى جانب ما كان يتمتع به من سرعة الحركة وعنفيا ، ورعاية الجايش وبعد النظر ، واقتصاد فى مأكله ومشربه أكثر من أى رجل عادى ، مع سخاء يده على الأغراب وقبضها بعض الشيء عن قومه ، وهذا بالإضافة الى حظه الوافر من التعليم الذى ناله أثناء وجوده أسيرا فى يد العدو بعد أن بذل فى ذلك جهدا كبيرا . وساعده على ذلك ما كان عليه من حضور البديهة والذكاء . وكان يشبه الملك عموري فى « رحيه الشنيد للمعرفة يضربها فى بطون الكتب »

والمؤلفات • ولم يكن يكف عن القاء الأسئلة اذا ما حضر مجسده أى شخص يتوسم فيه القدرة على الاجابة •

ولقد تزوج فى نفس السنة التى ساهم فيها فى حكومة المنكة من « اسكيفا » • Eisekiva وهى امرأة ثرية كل اشرا ، وكانت أرملة « وولتر » أمير الجليل (طبرية) الذى أنجبت منه عبد أولاد . ولكنها لسبب لا ندره لم تنجب قط للكونت بعد زواجها منه وان قيل أنه كان يحب أولادنا كما لم كانوا أولاده هو ذاته •

والآن - وبعد هذا الخروج القليل عن موضوعنا - هيا بنا نعود الى ما كنا فيه فنقول انه فى اثناء الصيف المنصرم (٩) ودع هذه الدنيا الطيب الذكر « رالف » أسقف بيت لحم وصاحب ديوان مراسم المملكة ، ولما كان الملك حريصا على ضرورة وجود أحد يعهد اليه بالمراسلات الملكية فقد استجاب لنصيحة باروناته فعينني فى هذه السنة فى هذه الوظيفة وبوأنى مكانة المستشار •

- ٦ -

حدث فى اثناء هذه السنة ذاتها أن قام كبار رجالات دمشق واستدعوا سرا صلاح الدين بن نجم الدين (أيوب) الذى خلف عمه شيركوه فى مملكة مصر ، وكان حاكمهم الشرعى حينذاك هو الملك الصالح (اسماعيل) بن نور الدين الذى لم يكن قد بلغ سن الرشد وكان قد اتخذ من حلب مقرا له ، لذلك عهد صلاح الدين بأمر مصر الى أخ له اسمه « سيف الدين » وأسرع فاجتاز صحارى سورية الجرداء وبلغ دمشق ليأخذ الحكومة فى يده ، وبعد انقضاء أيام قلائل من تسليم الأهالى مدينة دمشق له تقدم نحو منطقة البقاع طمعا منه فى ضم جميع بلاد هذه الناحية الى سسلطانه من غير

قتال ، ولم يذهب رجاؤه هذا ، بدأ أن ما لبث سكان تلك النواحي أن خضعوا له وفتحوا له أبوابهم عن طيب خاطر منهم .

ولقد شذ صلاح الدين عما يفرضه عليه واجب الولاء والوفاء نحو مولاه فاستولى على جميع مدن الأقاليم ونسي هليوبوليس المسماة بهذا الاسم في اليونانية والمعروفة الآن باسم « مالبيك » Maibec وفي العربية ببعلبك . كما استولى على مدينة حمص المعروفة باسم « كميليا » ، وضم اليه شيزر المعروفة بقيصرية الكبرى ، وكان يعتقد أن أخذه هذه المدن سوف يضمّن له دخول حلب ورواق الأمير الشاب (١٠) في قبضته عن طريق بعض الخونة ، ولكن حدث حادث حال دون تنفيذ ذلك الأمر .

على تلك الصورة كان الوضع وقتئذ في هذا الصقع من ذلك الإقليم .



في هذه الأثناء أخذ الملك يلتمس النصيحة المجدية عما ينبغي عليه عمله في هذه الأزمة الطارئة والتغييرات الهامة التي جرت على الساحة ، وراح يشاور نلاءه مشاويرات طويلة حتى انتهى القرار بهم بموافقة اجماعية على أن يبادر الكونت بالزحف على « البذاع » على رأس عسكر من عسكر المملكة وكونتية طرابلس ، وأن يبدأ . كل ما في طاقته للحدولة دون تقدم صلاح الدين ، وكانت هذه خطة حكيمة بسبب القلق الذي يثيره في نفوسنا أي زيادة في قوة صلاح الدين وسلاطته لما تحمله من الخطر الكبير على صالح المملكة ، ذلك لأنه كان رجلا حكيما الرأي ، بطلا في الحرب ، وكريما فوق حد الكرم ، وزيادة على ذلك فإنه لمؤنا السبب (١١) ذاته لم يكن ماضع ثقة من رجالنا النبلاء الذين كانوا أبعد منه نظرا لأنه من الثابت أنه ليس هناك . حتى يومنا هذا — من وسيلة أحدى على الأمراء في اكتساب قلوب رعائهم أو غيرهم من بسط اليد كل

الأسطى ، وأنه ما من شيء أدمى لاستجلاب مودة الأغراب وميلهم إلى الرجل من هذا السخاء لاسيما أن جادت به أيدي الأمراء ، لذلك كان كبار زعمائنا على حق فى التخوف من أن تؤدى مضاعفة أملاك صلاح الدين واتساع رقعة مملكته إلى زيادة قوته فيتحرك ضد المملكة بقوات أكبر تزيد من مضايقة مملكتنا عن ذى قبل ، لكن ذهبنا إلى إخراج الرياح كل الجهود التى بذلناها لكبح جماحه .

وهنا نحن اليوم نرى بعين مغلوبة بالدموع أن مخاوفنا قد تأكدت ، فقد تحرك ضدنا تحركا عنيفا برا وبحرا ، ولا بد من أن نفقد كل أمل فى الصمود ما لم تتداركنا رحمة السماء وتعطف علينا .
 وأنه لمن العقل والحكمة أن تساعد الملك الصبى الذى لم يشب بعد عن الطرق ، لا أن نكتفى بانظهار العطف عليه ، بل علينا أن نشجعه ليكون ندا قويا لعدونا اللدود صلاح الدين لتفشل خططه ويقل خطر هجماته على المملكة .

- ٧ -

أما وقد وصلت إلى هذه النقطة فالواجب يقتضى أن أعدد قليلا من سياق قصتي دون أن يكون هذا البعد عشوائيا ولكن لأقدم شيئا ذا قيمة ، ذلك أنه كثيرا ما ثار هذا السؤال - ومن الحق أن يثار - رهي لماذا استلماح أجسادنا وهم يمل هذا عددا أن تتعدد مرات صمودهم الأطول فى ساحة القتال فى عواصم ترواح العربى الذى هو أكثر منزم عددا ، وكيف أن العناية الذاتية مكنت فئة قليلة أن تعذب فئات العدى الكثيرة وتطاعها حتى يصبح اسم « المسيحي » مثير رهبة ورعب فى نفوس أمم تعرف الرب . وتزق على ذلك اعلاء مجد السيد بفضل أعمال آبائنا . أما رجال اليوم فتلق بهم الهزائم وتتغلب عليهم - وهم الكثيرون - قوات ان قيسدت بهم كانت

دونهم عددا ، والحق أنهم بأعدادهم الفائقة أموا بعض هجرات
على خصوم لهم كانوا أقل منهم بأسا لكنها لم تثمر شيئا بل غالبا
ما اضطروا للاستسلام والخضوع .

ان أول سبب يظهر لنا (ونحن ندرس بتأن وروية ظروف
إيماننا هذه ونتطلع الى عون الله مدبر كل شيء) هو أن أسلافنا
كانوا أهل دين ، وقوما قد فاضت قلوبهم بخشية الرب ، أما اليوم
فقد حل محلهم جيل شرير وأبناء خطاة ومتظاهرون باعتناق العقيدة
المسيحية لكنهم يحلون كل حرام دون مراعاة للحق ، وأنهم في
ذلك كالذين قالوا (١٢) للسيد ان لم يكونوا أرذل منهم « أبعد عنا ،
وبمعرفة طرقك لا تسر » .

فلا عجب إذن ولا مشاحة في أن يمسك الرب رحمته عن هؤلاء
أظهرا لغضبه عليهم بسبب أثامهم ، وما أشبه هؤلاء الرجال برجال
جيلنا الحالي لاسيما المقيمون منهم في انشراق ، فان حاول المرء
أن يرسم صورة قلمية أمينة لأخلاقهم أو بلفظ أدق يرسم صورة تبرز
رذائلهم الذميمة فانه واجد مادة عالية كالتلال ، وموجز القول انه
سيجد لديه أخيرا كتاب هجو أكثر من أن يكون ما يكتبه تاريخا .

وهناك سبب آخر يلوح أمامنا ألا وهو أن حماسة الايمان كانت
تسير الرجال الموقرين الأرائل الذين جاءوا الى بلاد الشرق في
الزمنة السالفة ، وكانت تروج في نفوسهم الانفعال الروحي لخدمة
الدين ، هذا بالإضافة الى تمرسهم بقنون القتال ، فقد خبروا الحرب
وتعودوا استعمال السلاح ، على حين كان أهل الشرق على النقيض
منهم بسبب تقلبهم أمدا طويلا في احضان السلام المستمر مما أدى
الى فقور عزيمتهم عن القتال ونسيانهم الحرب ، ولم يعودوا يألفون
القتال واستكانوا الى ما هم فيه من الاسترخاء ، فلا عجب إذن أن

تمكنت فئة من أهل القتال من أن تغلب بسهولة على الكثيرين ، وحق لها أن تفخر بأنها كانت صاحبة اليد العليا في النصر الذي أوتوه .

ولعل الذين هم أخبر منى بالقتال يدركون أحسن منى أنه إذا ما التحمت قوتان أحدهما قادرة على استعمال السلاح بفضـل ممارستها الطويلة له والأخرى غير مبررة عليه وتقصها المثابرة كانت الخيبة للأولى على الثانية .

وهناك سبب ثالث لا يقل عن سابقه أهمية وفعالية أر : يفرض نفسه على فرضا ، ذلك أنه في الأزمنة الغابرة كان لكل مدينة حاكمها الخاص بها ، وإذا أخذنا رأى أرسطوطاليس فإن هذه المدن لم تكن تعتمد الواحدة منها على الأخرى ، كما لم يكن ثمت عوامل واحدة تحركها كلها ، بل كانت هناك في الغالب أمور مخالفة تماما لكل واحدة تحركها ، فإذا نازعت خصوما يخالفونها تمام المخالفة وكانت لها مثلها العليا التي تتصارع مع مثلها هي ذاتها كان الخضر أقل ، وكان الذين يخشون حلفاءهم بما لا يقل عن خشيتهم المسيحيين يحدون فيما بينهم لدفع الخطر المشترك أو يقومون بتسليح أنفسهم لتقديمنا . أما الآن وقد شاء الله ما شاء فإن جميع الممالك المجاورة لنا قد أصبحت تحت سيطرة رجل واحد ، فنرى منذ قريب أن (عبد الدين زنكي) ذلك الوحد الذي يفض الاسم المسيحي لخصه الله والذي هو والد نور الدين المترقى منذ قريب أقول اننا نرى أن هذا قام أولا بفتح كثير من الممالك الأخرى ، واستولى بالقوة على الرها التي كانت أزمى مدن الميديين الكبرى وأخذها بكل قواها وقتل جميع من وجدهم فيها من مؤمنيه المصدقين .

ثم جاء ابنه نور الدين (محمود) فأخرج صاحب دمشق عن أرضه بسبب خيانة أهلها أكثر من إخراجهم بقوته ، وتلى ذلك

استحوذته على المملكة لنفسه وضمها الى أملاكه التي ورثها عن أبيه ، كما استطاع نور الدين أيضا وبفضل مساعدة ، بيركزيه الكبيرة له أن يستولى على مملكة مصر القديمة الغنية وأن يجعلها ملكا خالصا له بنفس الطريقة التي فصلناها في معرض حديثنا عن الملك عموري .

تمكنا فان جميع الممالك التي حولنا صارت كما قلنا تدين بالطاعة لحاكم واحد بلا شريك له وتعمل وفق مشيئة رجل واحد فحسب وتآتمر بأمره هو دون سواه ، وتصبح مستعدة أن تحمل السلاح ضدنا ولو كانت نكارة لحمله ، ولم يكن ثم واحد من رجالنا يملك الحرية في اظهار معارضته الشخصية أو تجاهل أوامر مولاه والا اضير ، وهاهو ذا صلاح الدين الذي تعدت الاشارة اليه كثيرا من قبل كان رجلا من عامة الناس وسوادهم ، ولكن انضم له الحظ فبواه نزوة العلياء فاستطاع أن يأخذ من مصر ومما جاورها من الأمصار كريات كثيرة من أنقى الذهب الأريز (١٣) . كما أن هناك ولايات أخرى كانت تمدّه بأعداد لا يحصىها العد من الخيل والمحاربين الثرهمين لاذهب طالما أنه من أيسر الأمور لمن توفرت عنده هذه السلعة اجتذاب الرجال اليه .



نكون شيا نتابع موضوعنا .

ربما بدى من المتنبول عند جميع الذين حضروا ذلك الاجتماع (١٤) أن يبذلوا كل محاولة ممكنة لمعارضة هذا الرجل الذي سبق أقرانه في تقديمه السريع واستتاع أن يبله نزوة الانتصارات بلوغا يرضى طموحه ، وكان هناك شعور عام أنه كلما ازداد قوة وباسا كلما دل ذلك على أنه أصبح عدوا خطيرا لنا ، ومن ثم قام الكونت (١٥) فحشد العسكر من كل ماحوله وخرج وثنى

صحبته بارونات المملكة مغذين السير الى اماره طرابلس وهناك
نزل في ذلك القسم من الأقليم المعروف بأرض جالف Galifa
وضرب معسكره قرب مدينة عرقة .

— ٨ —

بينما كانت هذه الأحداث تجرى عندنا اذا سمع (١٦) ابن نور
الدين واسمه قطب الدين (وهو أمير شديد البأس ويعتبر واحدا
من أقوى الشبرقيين في الجيش البارشي) قد جاءه الخبر بعثت
أخيه (١٧) وبكل الأحداث التي تترت على تلك الوفاة . وحيث
قام صلاح الدين غير عابئ بقوانين الانسانية فوقف في وجه
مولاه (١٨) الشمرعى متناسيا وضعه السوء وجاهدا أيادي
أبيه البيضاء عليه وأفضل والد ذلك الملك الصبي ، لذلك جمع قصب
الدين حوله قوة كبيرة من الفرسان الأقرباء ممن على شاكلته وغير
الفرات بهم زاحفا ضد الخونة ليكون عوناً لابن أخيه .

ولقد كان هذا الأمير العظيم حاكما على المدينة المعروفة
بنينوى الموعلة في القدم والتي يقال ان النبي يونس دعى إليها
فأدرجت منذ زمن بعيد في قماش من الخيش (١٩) والرماد . وقد
شيدت على مسافة غير بعيدة عن نينوى القديمة مدينة جديدة عرفت
بالموصل قامت على أنقاض نينوى القديمة ونزلت ذراري سكانها في
السابقة واحتفظت بالمنزلة الرزية الفريدة في أن تكون عاصمة
بلاد « آشور » ، فلما جاء الأمير (قطب الدين) ضرب معسكره في
السهل المحيط بحاب .

لم يكن صلاح الدين في هذه الأثناء بإمكانه فتح فرضه على
على بصرى التي هي أهم مدن بلاد العرب الأولى ، وكذلك حال

بعديك ، وقد استسلم له سكان البلدين طواعية ولم يلق كيدا ، ثم
مضى فحاصر بلدة حمص المحروقة باسم « كامبلا » .

لم يتأخر المواطنون عن تسليم الجزء الأسفل من المدينة ذلك
أن الذين ظلوا على ولائهم للملك الصغير كانوا قد ارتدوا الى القلعة
لواقعة على تل مرتفع بعض الشيء والتي كانت قد حصنت من
قبل تحصينا قويا وجهزت بالسلاح وزودت بالم ذخيرة أحسن تزويد .

كذلك تسلم صلاح الدين بعض المدن الأخرى الواقعة في هذه
الولاية وهي حماة وشيزر وسائر الناحية الممتدة من هنا حتى حلب
ذاتها . وقام الأهالي بتسليمه هذه البلاد .

في هذه الأثناء كان اللاجئين الى قلعة حمص قد أرسلوا الى
كونت طرابلس والى قواتنا العسكرية في الموضع الذي ذكرناه من
قبل مؤملين أن يؤدي الوضع المضطرب في هذا الجانب أو ذاك
للاستنجاد بهم وتقديم الشروط المرضية لهم ، وكلفوا هؤلاء الرسل
بأن يلتبسوا منهم المبادرة بالحضور من غير إغراء ، وأن يقطعوا لهم
العهد على أن كل مساعدة يقدمونها لمقارعة هذا الخصم المؤذي
لا يمكن أن تقابل إلا بما هي جديرة به من التقدير .

يضاف الى ذلك أنه كان محتجزا في هذه القلعة ذاتها الرهائن
الذين كن الكونت قد أسلمهم الى نور الدين والد الأمير الشاب
(الصالح اسماعيل) نظير إطلاقه سراح الكونت وثك قيده ، وكان
تسليمهم اليه تأكيدا لضممان بذعه فدية لا تقل عن ستين ألف قطعة
ذهبية ، كما كن يوجد في هذه القلعة ذاتها الرهائن الذين كان
« رينو حارثيه » صاحب صيدا قد قدمهم مقابل فك أسر أخيه
« استاس » .

ولما كان الصليبيون يبذلون غاية البذل سعيا للحصول من لقائهم على هذه الغلبة على وعد باطلاق سراح من بها من الرهائن فانهم أسرعوا الى هناك بجميع عسكرهم بكل ما وسعته السرعة ، لكن تبين لهم عدم امكانيتهم الركون الى أى وعد يعدهم به الكفار الذين كانوا يطمعون أن يتم رفع الحصار به غل جهود الأمير السار اليه ، فلما أمعن المسيحيون التفكير فى الموضوع وقلوبه على شتى الوجوه وقتا طويلا رأوا العودة الى المعسكر الذى كانوا قد تركوه منذ قليل .

أدى ارتداد الصليبيين الغاضب بسبب زهو صلاح الدين الى شروعه فى الانتداب من حلب مشمنا عليها سلسلة من الهجمات ضايق بها قوات الزعماء مضايقة شديدة فى محاولة منه لدفعهم الى القتال ، وأخيرا بعد كثير من أمثال هذه التحديات التقى الجانبان فى قتال عنيف انتهى بانتصار صلاح الدين انتصارا حمل المواصلة على الهروب ، ويقال أن ذلك كان من جراء خيانة بعض قرومهم لهم إذ عملت الرشوة الكبيرة فيهم حملها ، وأن ذلك رجع صلاح الدين الى حمص واستولى على قلعتها . بعد أن سبق له أخذ المدينة ذاتها .

ثم بعث (صلاح الدين) من حمص رسالة الى الصليبيين يخبرهم فيها من الكونت ألا يتدخل فى تقدمه وهو منتصر ، ويسأله أن يرد حق راندا . مع أن راندا الدين وغيره ممن هموا لمساعدته ، وحسب رغبته فى ألا يرغب الكونت هذا المطلب رفضا تكور فيه لأنه له ومن غير أن يدفع له ثمنا الى أن يعرض على الكونت وعلى راندا « أن يرد إليهما رهائهما من غير أن يكلفهما مالا » . فاستجاب الكونت لهذا الرجاء . عادت الرهائن حسيما اتفق شأنها فى المعاهدة ، كما أعاد صلاح الدين بقية الذلاء الذين كانوا قد شاركوا فى هذه الحملة ، فردهم وقد فاضت أيديهم بكرمه وبذلك انفض المعسكر وعاد الجميع الى ديارهم .

ويقال أن « همفري دى تورون » كونستابل الملك كان الرسيط
 فى هذه المفاوضات ، ودارت حوله الشبهات بأنه كانت ترتبطه
 روابط صداقة متينة بصلاح الدين ، ولا شك أن عمله هذا كان ضارا
 بمصالحنا فأن كسب مودتنا هذا الأمير (٢٠) الذى كان الواجب
 يقضى بمقارنته الى أقصى حدود المقاومة حتى لاتزداد عنجهيته
 ضدنا زيادة قلح بنا الأذى .

حينئذ عادت القوات التى كانت قد غادرت المملكة فى الأول
 من يناير سنة ١١٧٥ ورجعت الى بلادها فى الأول من مايو من نفس
 السنة .

- ٩ -

وفى الخامس والعشرين من إبريل من السنة (١١٧٥) مات
 « مينارد » Mainard الطبيب الذك أسقف بيروت ، وقد وافاه
 أجله فى صور بعد أن لازمه المرض طويلا .

فلتقر وتسكن روحه فى هدوء .

وكانت كنيسة صور قد ظلت سبعة أشهر محتالية خالية من
 رأس يدبر شؤونها ، إلا أنه فى هذا الشهر ذاته اجتمعت رغبات كبار
 رجال الدين والشعب وكذلك الملك على استدعائى بفضل انه وليس
 بميزة خصصت بها لأن أقوم بالاشراف على تلك الكنيسة . وبعد
 بضعة أيام أعنى يوم الثامن من يونيو (١١٧٥ م) وشيئة الرب
 تسلمت أنا الذى لا أستحق - هدية التكريس فى كنيسة القيامة
 على يد « أغالريك » بطرك بيت المقدس .

وفى حالى هذا الوقت بالذات وبينما كان صلاح الدين مستمرا -
كل الانشغال فى منطقة حلب جاء الخبر الى الملك بلدوين (الرابع)
ان قد خلت أرض دمشق من الجيش وليس لها من صاحب ، وأنها
عرضة للنهب والسلب ، وفريسة هينة لأى تخريب يزله بها من
يقاتلها ، فلما علم الملك بلدوين بذلك جمع طائفة من الفرسان وعبر
بهم الأردن ، ومر خلال الغاية القريبة من مدينة « بانياس » والتي
سميت باسمها ، ودخل سهل دمشق جاعلا جبل لبنان على يساره
وكان الريق اذ ذاك زمن الحصاد فانتشرت جنودنا فى السهول
والوردان وانطلقوا على هواهم الى كل ناحية يضرمون النيران فى
الزروع النامية وفى الكيمان المغموعة فى الحقول وكذلك فيما حصد
الفلاحون وخزنوه فى البيار وكان الفلاحون حين علموا مقدما
بقدومنا ارتدوا بنسائهم وصغارهم الى الأماكن التى هى أكثر
أحصينا ، ومن ثم فقد أصبح كل الأقليم رهن مشيئة قواتنا التى
اندفعت حتى باغت « داريا » (٢١) وهى قرية فى السهل المجاور
لمدينة دمشق ولا تبعد عنها أكثر من أربعة أميال ، وتقدمت قواتنا
من هناك الى Bedegne الواقعة عند « ج جبل لبنان » وكانت
المياه الصافية المتدفقة من هذه المرتفعات قد خلعت على المكان اسم
« بيت اللذة » فاستولى عليه رجالنا عنوة رغم استبدال أهله فى صعدنا ،
فأمرغوا من هذا غادروه مقتلين بالغنمة الوفيرة والأسلاب
الجمعة ، وانطلقوا أمام عيون الدمامقة عائددين الى ديارهم
فى أنفسهم ، آمنين على ما معهم .

وصف قريته فى كتابه « تاريخ المشرق »
رئيس أساقفة بعلبك الملقب بـ « هراقل »
رئيس شمامسة القدس وتم ترسيمه بما يلائم هذا الترسيم .

وفى السنة الثانية من عهد الملك بلديون الرابع وفى اليوم الأول من شهر أغسطس (سنة ١١٧٥ م) وإبان الوقت الذى كان فيه صلاح الدين لا يزال مسغولاً بدأ هو فيه أمام حلب قام الملك باستدعاء كبار رجال المملكة ، كما جمع فرسانه وأغار ثانية على أرض العدو ، وبعد أن اجتاز منطقة صيدا ارتقى الجبال الواقعة بين أرضنا وأرض العدو فبلغ « المصاراة » وهى موضع خصيب تتوافر به المياه الغزيرة الجارية ، ولا ينقصه شيء مما يرجوه المزم ، ثم نزل من هناك ثانية إلى سهل يعرف بسهل « بكار » حيث وجد الناحية تفيض بالبن والسلولى حسبما نقرأ فى الكتب المقدسة ، ويظن البعض أن هذا هو الاقليم الذى كان يسمى فى القديم باسم « انطورية أو الجيدور » (٢٢) التى يخبرنا عنها انجيل لوقا أن فيليبس هيرود الكبير كان طرخانا بها كما أنه هو ذاته كان من أرض الطراخونيين النجاة ، كذلك نجد فى الأزمنة البعيدة - وربما فى أيام ملوك اسرائيل - أن هذا الموضع كان يسمى بغابة لبنان لأن السهل يمتد حتى يبلغ سفح جبل لبنان ، وهو اقليم مستحب لخصب تربته ومائه الصفى وأزدهام مساكره بالسكان وطيب مناخه أما الجزء الأدنى من هذا الوادى فتقوم فيه مدينة لاتزال حتى اليوم محاطة بالأسوار ، كما تشهد جبايتها التى تسمى حديثاً باسم « أميجارا » على ما كانت تتمتع به فى القديم من العظمة .

ويظن بعض دارسى الآثار أن هذه هى « بالميرا » (٢٢) أو تدمر التى كانت فى الغابر من أكبر مستعمرات فينيقيا ، وهى التى أشار إليها « أوليان » الصورى فى مختصره الجديد فى فصله المعنون بالاحصاء .

لم يكد عسكرينا يصلون الى دنا الموضع حتى أخذوا في الانسحاب في كافة أرجاء الاقليم دون أن يترنسبهم معترض . فأضرموا النيران في كل ما صادفوه ولم يتصد لهم أحد نظرا لفرار الأهالى الى الجبال التى كانت جميع الطرق المؤدية اليها مسدودة أمام هؤلاء العسكر ، ولما كان النذير قد وصل الى سكانها قبل وصولنا فقد اصطحبوا معهم الجانب الأكبر من قضعانهم وأغنمهم وساقوها الى مناطق المروج القسيحة الواقعة فى وسط الوادى حيث يتوفر المرعى الخصيب .

حينذاك كان كونت طرابلس قد مر عبر سهل « جبيل » بالقرب من الحصن المعروف بحصن « المنيطرة » وذلك حسب ترتيب سابق ثم تقدم فجأة برجاله الى اقليم « بعلبك » فى نفس الوادى ، وجاء الخبر من هناك بأنه يحرق كل شىء يصادفه فى طريقه ، فما كاد قومنا يسمعون بخبر تقدمه حتى بادروا بالذهاب الى تلك الناحية . ولما كان الكونت لا يقل عنا تشوقا للقتال فقد التحمت القوتان فى موضع قريب من وسط الوادى .

وكان شمس الدولة - اخو صلاح الدين - مقيما فى دمشق حاكما لها ، فما كادت تبلغه هذه الأخبار حتى جمع فى الحال عسكره وتأم يعاونيه أهل البلد بمداولة ضد الكونت ، ورتب شمس الدولة صفوفه للقتال واستعد للزحف علينا . كذلك قامت قواتنا من ناحيتها بالاستعداد للقتال على أكمل وجه وجاءوا لصد شمس الدولة بعزيمة نافذة ، وأبدى كل من الجانبين المتقاتلين همة بجزائية ، لكثيرون من هؤلاء وهؤلاء ، وجرح أكثر منهم ، ووقعت فى الأسر أعداد غفيرة من الطرفين . وانتهى الأمر أخيرا - بفضل الله الى فرار العدو ، كما أن شمس الدولة هرب فى قبة قلاية من أتباعه الى الاقليم الجبلى المنحدر . أما المسيحيون فقد عادوا محملين

بالأسلاب والغنيمة الوفيرة ويسوقون أمامهم قطعان الماشية ، ولكن
فقد المنتصرون رهطا قليلا من رجالهم الذين وإن كانوا لا يدرون
المسالك إلا أنهم جازقوا بأنفسهم مجازفة كريمة فاقترحوا المستنقعات
للنهب ، ولم يأتهم خبر رجوع العسكر الصليبي المفاجيء .

وهكذا عاد الملك بكل من معه بمشيئة الرب سالمين الى صور
وجاءوا وقد فضت ايديهم بشتى صنوف الغنائم وما بينهما قطعان
الماشية والأغنام كدليل ساطع على ما أصابوه من نصر .

كذلك عاد كونت طرابلس محملا بالغنائم الكثيرة ، وقد ملأت
النبطة نفسه ، وانطلق على رأس جنوده الى بلادهم سالكين نفس
الطريق الذى جاءوا منه .

وحدث فى نفس هذه السنة أن استرد « رينو دى شاتيون »
حريته وهو الذى تولى امارة انطاكية بفضل زواجه من « كونساتانس »
ارملة أميرها السابق « ريموند » ، وكان « أرناط » هذا قد أقام
فى الأسر المريع بحلب أعواما طويلة ، ثم جمع له اصدقائه فيما
دينهم مبلغا كبيرا من المال افتدوه به فأطلق سراحه وسراح
« جيرسولين » بن جوسلين كونتاتها ونال الملك الذى رجع الغنم
فى اصابته من العسر ورده الى حريته الى المساعي الدائمة التى
بذلها كل من اخته الكونتيسة « أنجنس » زوجة « رينو » الصيداوى
وأم الملك .

وفى هذه السنة ذاتها وفى اليوم الثانى من شهر مايو رجع
كل من « أودو » أسقف صيدا المنتخب الذى كان من قبل مرقل
القداس فى كنيسة صور ، و « ريموند » أسقف بيروت المنتخب .

وفي هذا الوقت أيضا لقي مانويل امبراطور القسطنطينية - نو الذكرى العطرة - والمحب الصادق للمسيح والذي عمت افضاله الناس جميعا ، اقول انه لقي نكبة فادحة فى قوتية (٢٤) ، فقد كان مدفوعا بحبه الذى يستحق الثناء عليه لمحاولة نشر الاسم المسيحى وذلك بمجاهدته الجنس التركى الشرس ومهادنة كديرهم الصعب المراس سلطان قوتية ، غير أنه هزم أسوأ هزيمة بسبب خطايانا ، ولم تقتصر هذه النكبة عليه هو وحده بل جاوزته الى القوات الامبراطورية التى كان يقودها بنفسه ، وكانت هذه القوات كثيفة العدد جدا كثفة تجاوز كل خيال، وقد منى (الامبراطور مانويل) فى هذه المعركة بخسارة فادحة فى الرجال الذين كان من بينهم رهط من أقاربه تنبغى الاشارة اليهم ، اذ كان منهم ابن أخيه « يوحنا البرتوسيباسديريس » وكن رجلا بالغ الكرم عظيم الأريحية ، ودى الديو مزوج (٢٥) الملك عمرى اذته « مارية » . وبينما كن « يوحنا » هذا يقاتل العدو أروع قتال اذا به يسقط صريعا! مثخنا بجراحه ، لكن الامبراطور نجح فى لم شتات معظم جيشه واستطاع الوصول به الى وطنه سالما فى بدنه ، ولكنه أصيب بخيل شديد فى ذمته ، ويقال ان السبب فى هذه المأساة يرجع الى تهور الضمباط الامبراطورين المرحول اليهم قياة الكتائب أكثر مما يرجع الى قرة خصمه وشدة بأسه ، ذاك أن (البرنابدين) ساررا المدعى بان ان يأخذوا الحيلة الكافية وسلكوا به دروبا خطيرة ضيقة كان من يدانعدو ، مؤثرين ذلك على طرق فسيحة فى انحاء كانت تصلح لحذف الجيش ونقل أمتعته الكثيرة . ثم انه المذبذبة التى يقال انها كانت فوق الوصف ، لذلك كان من المستحيل على الجيش غير الظروف أن يقاوم العدو أو يضايقه ، ويقال أن الامبراطور حزن حزنا عميقا أثر على معنوياته من جراء ما وقع فى ذلك اليوم الذى

حمل أسراً الذكريات له حتى أنه لم تعاوده قط بعد ذلك أبداً بشأسته ولا مره : **النس كُن سمة بارزة فيه** ، ولم يعد أحد يراه بعدئذ ضاحك السن أو يبدو فرحاً أمام شعبه ، كما لم يتأت له بقية أيامه أن يتمتع بالصحة التي كان يتمتع بها إلى حد كبير قبل هذا الحادث .

وموجز القول أن ذكرى هذه الهزيمة كانت تلاحقه على الدوام وتركت في نفسه أثراً السيئ عليه ، ففقد طمأنينة الروح وما كان يتمتع به من راحة الفكر وهدوء النفس .

ولما كانت السنة الثالثة من حكم الملك بلديون الرابع ، وفي أوائل أكتوبر وصل إلى ميناء صيدا المركيز ولیم المنقّب بذى السيف الطويل (٢٦) وهو الابن الأكبر لولیم مركيز دى مونترفرات ، وكان حضوره استجابة لدعوة وجهها إليه الملك وجميع برونات المملكة من دينيين وعلمانيين . ولم تك تمضى أربعون يوماً على وصوله حتى كانت أخت الملك الكبرى قد رُفّت إليه ، وكان زواجاً تمت ترتيباته والاستعدادات له في العام الماضي حينما كان ولیم مدعوا للمجيء من أجل هذا الموضوع نفسه الذى أكده الملك ذاته والبارونات بأيديهم ، وتسلم « ولیم » مع زوجته مدينتى يافا وعسقلان البحريتين بكل ملحقاتهما والكونتية كلها أيضاً حينما اتفق عليه في ذلك الوقت .

غير أن هناك فريقاً من الأمراء عارض أفرادهم هذا الإجراء ولم يحجموا عن المجاهرة برأيهم ، وأن كانوا هم ذاتهم من بين الذين قد وافقوا على توجيه الدعوة إلى ولیم وأن لم يعطوا الموضوع ما هو جدير به من الرعاية ، أما الآن فقد غيروا رأيهم كما هو الشأن في قلب الأمراء والطبائع .

كان المركيز (ولیم) شاباً أميل للطول ، بهي الطلعة ، أشقر الشعر ، وكان سريع الغضب مع شدة كرمه وصراحته وعظيم

أقدامه ، ولم يحدث قط أن أخفى أى غرض يسعى اليه بل كان يجاهر به ويعلمه صراحة ويبدى ما فى نفسه . وكان نهما فى مأكله مسرفا فى الشراب وأن لم يبلغ ذلك به ، حدا يضيق معه حده . وقد تدرب على استعمال الأسلحة منذ مطلع شبابه ، واشتهر عنه ، أنه كان خبيرا بفن الحرب .

وكان وضعه الدنيوى رائعا كل الروعة وقل أن كان هناك من يساويه .

وكان أبوه قريبا للويس ملك فرنسا فهو خاله . وأما أمه فهى أخت امبراطور الرومان العظيم « كونراد » وعمه « فردريك » الذى هو الآن - منذ وفاة عمه الطيب الذكر - يحكم الامبراطورية الرومانية بحزم . وهكذا كانت تربط هذا المركزين بهذين الحاكمين الأمجدين درجة واحدة من صلة القربى .

لكن لم يكد يمضى على زواجه هذا ثلاثة أشهر حتى داهمه مرض عضال لازمه شهرين بلا انقطاع ، فلما كان شهر يونيو التالى - وكان الملك يقاسى المرض الشديد هو الآخر فى عسقلان - مات المركز (وليم) تاركا زوجته وهى حامل ، فنقلوا جثمانه الى بيت المقدس ودفن فى احتفال مهيب فى بهو كنيسة القرويين الاسبتارية ، وقام الكاتب الحالى (وليم الصورى) بأداء مراسيم الجنازة .

وتزوج فى هذا الوقت « همفري » صاحب تورون كونستابل الملك باللبدى « فيليبا » Philippa ابنة « ريموند » أمير أنطاكية وأخت « برهموند » الثالث الذى له الحكم الآن فى هذا الامارة ، كما أنها كانت أيضا أخت « هاريا » امبراطورة القسطنطينية .

وكانت « فيليبيا » قد تزوجت من قبل باندرونيكوس (٢٧) أحد أقارب الامبراطور (البيزنطى) لكنه طلقها واقتزن سرا وبصورة مزرية بتيودورا أرملة الملك بلديون ، وكان هذا العمل من جانبه عملا مشينا فاضحا بعيدا عن العفة ، وما كاد همفرى الذى أثمرنا اليه حالا يرجع بفيليبيا الى بلده حتى اعتل علة لم يبرأ منها ، وما لبثت زوجته هى الأخرى أن مرضت مرضا خطيرا أفضى بها الى الموت بعده بأيام قلائل .

- ١٤ -

وفى الشهر الثانى من السنة الرابعة من حكم الملك بلديون الرابع ، وفى أول أغسطس أرسى بميناء عسكا « فيليب كونت فلاندرز » وكان القرم يترقبون وصوله منذ وقت بعيد ، وعلى الرغم من أن الماك كان لا يزال طريق الفرائس الا أنه أمر بان يحملوه فى حدة من عسقلان الى بيت المقدس حين سمع بوصول « فيليب كونت فلاندرز » وغمرته الفرحة حتى انه أرسل بعض باروناته وكبار رجاله الدينيين للترحيب به واستقباله الاستقبال اللائق به ، فلما وصل الكونت الى القدس حيث كان الملك لا يزال طريق الفرائس من جراء مرضه الخطير سلمه السلطة ووكّل اليه تصريف شدة أمور المملكة من غير معارضة بتوجيه من البطريرك المعظم والأساقفة ورؤسائهم والرهبان ورؤساء الأديرة ومقدمى الاسيترارية والداوية وجميع وجوه العلمانيين ، وأصبح من حق (فيليب كونت فلاندرز) شرعا - فى السلم والحرب وفى الداخل والخارج على السواء -

الإشراف الأعلى على كل صغيرة وكبيرة ، ويكون له حرية التصرف
فى أموال الخزنة وعائدات المملكة •

وبعد أن تشور الكونت (فيليب دى فلاندرز) مع أتباعه أجاب
القرم بأنه لم يحضر الى المملكة بقصد امتلاك السلطة ، ولكنه جاء
ليكرس نفسه لخزنة الرب التى هى هدف زيارته • كما قال انه لم
يكن من خطته ان يتحمل أية مسؤولية ، بل العكس هو الصحيح
فانه أراد أن يكون حرا حتى يعود الى بلده اذا تطلبت مصالحه
هناك هذه العودة ، وليقيم الملك انذاك بتعيين أى شخص آخر يذتاره
كمدير لمملكته ، أما هو (أى فيليب) فما عليه الا طاعة هذا الشخص
سعيًا لما فيه صالح المملكة ، شأنه فى تلك الطاعة كثنائه حيال مولاه
ملك فرنسا •

فلما عرف الملك أن فيليب (الإلزامى كونت فلاندرز) رافض
رفضًا باتًا ذلك الشرف الذى سقناه اليه قام عن طريق داريوناته
يسأله فى الداح مرة أخرى أن يقبل تولي قيادة جميع القسوسات
المسيحية فى الحملة التى نزمع (٢٨) القيام بها ، وهى الحملة التى
كانت المملكة قد اتفقت عليها مع امبراطور القسطنطينية منذ وقت
بعيد ، وهاهو ذا الملك يرجوه أن ينهض بأمر معارك الرب ضد
المحمريين ، نظم يكن رد الكونت (فيليب دى فلاندرز) على هذا
الرجاء الا كرده عما سلف •

حينذاك قام الملك فأقر « رينو دى شاتيون » (أرناؤ) أمير
أنطاكية السابق فيما على المملكة وقائدا عاما للجيش كما كن الرضيم
قبل وصول (كونت فلاندرز) ، وكان « رينو » رجلا قد برهن عن
صدق إخلاصه وحزمه الرائع ، واكلوا اليه فى حالة عجز الملك
عن مباشرة الأعمال شخصيا أن يقوم هو نفسه وفى علانية بتدبير

شئون المملكة ، وخولوه حق التصرف فى جميع الأمور ، على أن يعاونه الكونت فلاندرز .

فلما علم الكونت بما تم بشأنه قال انه لا يرى ثمت ضرورة لهذا الاجراء ، بل يحبذ عكس ما اتفقوا عليه ان يجب تعيين أحد ما يتولى امر الحرب فيكون له فخارها أن انتصر ، وعليه عارها أن هزم لا قدر الله . فقلنا له - نحن الذين كان الملك قد بعثنا اليه - أن الملك لا يستطيع أن يعين شخصا تكون له نفس الصلاحيات . دون أن يجعل هذا الشخص ذاته ملكا ، وهذا ما لم يفكر فيه الملك ولم يفكر فيه نحن أيضا .

هكذا كان الموقف حين أباط الكونت اللثام عن السر الذى يخفيه فى صدره ولم يحاول اخفاء ما كانت ترمى اليه خططه ، ذلك انه لاحظ فى استغراب أن لم يفتحه أحد ما فى موضوع الزواج من قريبة الملك « سيبيلا » . فلما سمعنا هذه الملاحظات عجبنا من دهاء هذا الرجل ومن خططه الخبيثة ، ذلك لأن هذا الكونت الذى طالما استقله الملك أحسن استقبال يحاول الآن أن يتحدى قواعد الضيافة وقوانين القرابة ، فيخلف الملك .

- ١٥ -

وأرى أنه من الضرورى أن نتوقف قليلا عند هذه النقطة حتى يفهم قراؤنا فهما تاما الخطأ الدنيئة التى كان الكونت يسعى لتحقيقها ، والواقع أن ما نسوقه عن هذا الموضوع لم يقتصر على ما جمعه من روايات الأشخاص الدثيرين بل وأيضا من اعترافه هو ذاته .

وكان يصحب الكونت في حجا هذا رجل واسع النفوذ هو المحامي « بيثون Bethune » الذي كان قد اصطحب معه ولديه اللذين كانا قد بلغا مبلغ الرجال ، يقال أن هذا المحامي راح يحمل الكونت على الاعتقاد بأنه يستطيع أن يستغل الموقف في المملكة أكبر استغلال لمصلحته الخاص ، وكان يساعده في هذا الاتجاه كونت « وليم دي هاندفيل » الذي كان ينسجبه في نفس الرحلة ، وقد ادعى « بيثون » هذا أنه صاخب اقاربات كثيرة فسيحة ورثها في بلاد الكونت (فيليب كونت فلاندرز) ووعد بالتخلي عنها للكونت لتكون ملك يمينه الى الأبد بحق الوراثة اذا استطاع الكونت فيليب دي فلاندرز أن يرتب زواج ولدى المحامي من قريبتى الملك عمورى الذى كان قد خلف ابنتين احدهما هي أرملة الماركيز (دى مونتفرات) والأخرى التى كانت تعيش مع أمها الملكة فى نابلس والتى كانت قد بلغت سن الزواج ، فوافق الكونت على هذا العرض وشرع يبذل جهده لاتمام ذلك القران (٢٩) .

لكن لنرجع الى ما كنا فيه .

لقد عرفنا الغاية التى كانت تستهدفها مطامع الكونت ، ولذلك فقد كان ردنا عليه هو وجوب رفع المسألة أولا الى الملك ، ثم موافقة الكونت فى اليوم التالى بالجواب الذى يراه جلالته وذلك بعد أن يشار من حزنه ، فاما كان الصباح وعقد أول اجتماع بصدد هذه المسألة رجعا الى الكونت بالجواب التالى :

« لقد جرت عادتنا التى تتفق وعرفنا الذى دأبنا عليه منذ زمن بعيد أن لا يعقد قران أرملة (أى سيدة) لاسدما التامل قليل انقضاء عام واحد على وفاة زوجها ، لأن هذا لن يكون حزنا صادقا عليه ، وان الأمر فيما يتصل بهذه السيدة هو أنه لم ينقض أكثر من ثلاثة أشهر على وفاة

(زوجوا) المركيز (دى سونتفرات) ، ومن ثم فانه لا يجوز أن يذهب الظن بالكونت مذهب السوء ان لم نستطع عقد قرانها لمخالفة هذا الزواج حينذاك لعادات هذا الزمن وتقاليده بلادنا . على أنه سوف يلقى عطف وتأييد الجميع اذا ما قدم هذا الطلب المشار اليه من جاء منه هذا الرجاء ، ان مما لا مشاحة فيه هو أن الملك فى هذه الحال - كما فى جميع الأمور الأخرى - يجب أن تحكم أعماله نصيحة الكونت ، ويتطلع لأن يحقق مطالبه بما يتفق وشرفه ، ومن ثم فعلى الكونت أن يأخذ المبادرة ويسمى لنا شخصا يكون جديرا بهذه النصاهرة ، وسنكون مستعدين أن نعمل - فى هذا الموضوع الحالى - وفق الرغبة العامة » .

رأى الكونت فى هذا الرد جرحا وامتهانا لكرامته ، وأجاب بأن العقل يقتضيه ألا يستجيب الى ما طلب منه الا اذا أقسم جميع البارونات أولا بالالتزام باقتراحه من غير جدال ولا نقاش ، لأن أى نبيل عالى القدر سيرى نفسه فى أهدم ان هو قوبل بالرفض بعد ان يكون قد كشف النقاب عن اسمه .

فكان ردنا على هذا القول أنه مما يجرح كرامة الملك وكرامتنا نحن أيضا أن نقبل زواج أخته من نكرة عندنا نجهل كل شيء عنه حتى اسمه .

فلم يكن من كينت فلاندرز الا التراجع عن خطته ، مع اظهار شدة حنقه وكبير غضبه حين اتضحت له نية الملك ونية جميع البارونات .

كانت توجد فى هذه الأثناء ببيت المقدس سفارة امبراطورية
 (بيزنطية) تتألف من أبرز الرجال وأعيانهم شأننا ، هم : المجل
 « أندرونيكوس » الملقب بأجيلوس ابن :خت الامبراطور ، والمعظم
 يوحنا ، وكان رجلا من عليّة القوم وأرفعهم مكانة . ثم « اسكندر
 كونت كرنفرسانا » نى أبوليا وهو من النبلاء السمرات ،
 و « جيورجيوس السينائى » من رجال السلاط الامبراطورى وقد
 أرسلهم الامبراطور (مانويل) سفارة (٢٠) من لدنه الى الملك بعد
 أن رأى أن الوقت قد حان لتنفيذ الاتفاقية (٣١) التى كانت قد عقدت
 بينه هو ذاته وبين عمورى ، ثم تجددت بالتالى بنسب الشروط مع
 الملك بلدين الحالى (الرابع) الذى كان هو الآخر يعقد أحدا لا كبيرة
 بفضل معونة الرب على مجيى (فيليب الالزاسى) كونت فلاندرز .
 ومن ثم عقد مجلس عام فى مدينة قدس الأقداس الظاهرة لبحث هذا
 الموضوع حضره جميع بارونات المملكة ، فرحب الجميع أفرارا
 وجماعات أعظم الترحيب بما تتمخض عنه مشورة* الكونت
 ومعاونته هو ومن معه للمملكة حبة الله من دفع تتسع به رقبتنا
 الاتساع المنشود حتى يتم القضاء المبرم على خصوم المسيح ، غير
 أن الكونت فيليب انصرف عنا - كما ذكرنا من قبل - من غير سابق
 انذار ، وخبرنا نفسه لثمنساريج* اخرى ، فالتفت أماندا* تبيست
 هاء -

وعلى الرغم من ترايب الكونت الا أن السمرات (البيزنطية)
 أصدروا على وجوب تنفيذ الاتفاقية وقالوا أنه من المحتمل أن يرد
 التراخى فى تنفيذ الاتفاقية الى طريق محقوف بالخطر وأن قومهم
 الاغريق لا يرون من ناحيتهم أى سبب لعدم المضى قدما فى تنفيذ

الاتفاقية واخراجا الى حير الوجود وأبدوا استعدادهم للوفاء
بالباقى بجميع شروط الاتفاق .

وبعد ان استمعنا الى كلام السفراء وناقشنا الموضوع معهم
قررنا أن نضع المسألة برمتها بين مدى الكونت (فلاندرز) ، فبعثنا
اذاً فى طلبه ، فلما جاء بسطنا أمامه الاتفاقى المعقود بيننا وبين
الامبراطور ، وعرضناه مكتوباً ومختوماً بخاتم الامبراطور الذهبى .

فلما تفحص الكونت الوثيقة فحسب دقيقاً وفهم محتواها
فهما تماماً - سالناه رأيه فأجاب انه غريب عن هذه الديار ، غير
عارف بنواحيها لاسيما بنواحي مصر التى يقال انها تقع على
مسافة بعيدة جداً من جميع الأقطار الأخرى ، ولها ظروفها المغايرة
كفيضان المياه على شواطئها فى موسم معين من السنة فتغمر
الأرض تماماً . وأما نحن فأعرف منه بطبيعة ذلك القطر وبأنسب
الأوقات لدخولها ، وأضاف الى ذلك أنه سمع من الكثيرين ممن
زاروا مصر أن الفصل الحالى من السنة ليس بالوقت المسجع على
غزوها لاسيما والشتاء على الأبواب ، وأرض مصر مغطاة بمياه
فيضان النيل ، هذا بالإضافة الى ما سمعنا من أن جموعاً حاشدة
من الترك قد مضت الى مصر ، ثم أن هناك ما يشغل باله أكثر من
سواه ويخيفه أشد الخوف ألا وهو أنه سيكون هناك ندرة رثية فى
التموين أثناء زحفهم على مصر ، بل وحتى بعد وصولهم اليها ،
الأمر الذى سوف يترتب عليه أن تضرب المجاعة الجيش .

وأتركنا من هذه الاعتراضات أنه كان يتلمس الأعذار التورية
التي تدرج احكامه عن النهوض بالحملة .

ورغبة منا فى التغلب على هذه العلة فقد عرضنا عليه أن
نقدم له ستمائة جمل لنقل المؤونة والسلاح وغير ذلك من المتاع عن

طريق البر ، كما وعدناه بامدادته بما هو فى حاجة اليه من اسفن لحمل الذخائر والآلات الحربية وكل مستلزمات القتال ، ولكنه رفض كل هذه العروض رفضا باتا ، وزاد على ذلك فصرح بأنه لن يمضى الى مصر معنا تحت أى الظروف مخافة أن تنزل المجاعة به هو وعسكره على غير توقع . ثم أضاف الى ذلك أنه اعتاب أن يقرر عسكره فى بلاد غنية وأنه لا يمكن حرمانهم من هذا الأمر ، لكن اذا تسنى لنا أن نختار بلدا آخر يكون زحف اسجيش فيه أكثر يسرا والجهد المبذول فيه مؤديا الى انتصار الاسم المسيحى وقهر أعداء المسيح فانه هو ورجاله يرحبون باتخاذ الاستعدادات للمسفر .

- ١٧ -

على أنه لم يكن من الأسلم ولا الأشرف لنا أن ننسلخ من هذه الاتفاقية ، وكان المبعوثون الامبراطوريون - وهم رجال من الطبقة العليا المتميزة - قد قدموا الى القدس ومعهم مبلغ نقدية ضخمة ، وأعلنوا كما قلنا انهم صادقو النية فى تنفيذ شروط الاتفاق المبرم بيننا وبين الامبراطور ، وأخبرونا بأنه ترسو الآن فى ميناء عكا سبعون شونية هى رهن اشارتهم . هذا الى جانب غيرها من السفن الأخرى الكافية للرحلة (الى مصر) والاغارة (عليها) حسبما اتفق عليه من قبل .

كان عدم وفائنا بالاتفاق الذى رصنا أنفسنا به يبدو أحض ما يزرى بالشرف ، الى جانب ما ينطوى عليه من الخطر الحقيقى ، ورأينا أنه حتى لو قبل المبعوثون الامبراطوريون تأجيل الحملة الى وقت آخر فانه يكون عملا يجافى العقل ، ومن الخساسة أن نفقد مساعدة الاحباطور الذى استعد لمعاونتنا الآن . وزيادة على ذلك فقد خشنا غضبه التى قد تسفر عن عواقب وخيمة تحقيق بالملكة ،

لذلك عزمنا - برضاء من الطرفين - أن نرضى بالحملة طبقا لشروط الاتفاق والاجراءات التي اتخذت من قبل ، وان نمضى قدما فى الاستعدادات التى اتفق عليها منذ وقت بعيد مع الامبراطور .

فلما علم كونت فلاندرز بقرارنا اشتد غضبه وأعلن أن الأمر كله مدبر لاهنته ، وبعد نقاش طويل حول وجوب رضوخنا لرغبته بعض الشيء تأجل سفر الحملة مرة ثانية حتى ينتهى شهر أبريل ووافق الاغريق ورجالنا على هذا التأجيل .
واستقرت الأمور على هذه الصورة .



ظل الكونت ما يقرب من خمسة عشر يوما مقيما بالقدس اتم فيها عباداته ثم ظهر حاملا سجع النخيل الذى هو رمز لاتمامه شعائر حجه ومضى الى نابلس معلنا عزمه على الرجوع نهائيا ، لكنه بقى هناك بضعة أيام أرسل لنا بعدها فى القدس بالمحامى بيثون مع آخرين من زمركه وكانوا مكلفين بأن يذكروا لنا - نيابة عن الكونت - ما انتهى اليه من استعداداته لتابعتنا متى شئنا ، سواء اكنا نقصد مصر أم غيرها من البلاد ، وقد بدى لنا أن كثرة تغييره لأرائه أمر يدعو للسخرية وساورنا الاحساس بأن الكونت لابد وأن يكون مصابا بانفصام الشخصية ، لأنه لم يتمسك قط بمشروع مدد ، لكن ما كدنا نتسلم الرسالة المتضمنة لقراره هذا حتى شرعنا فى تداول الرأى مع الاغريق فى غير اكتراث به ، وتبين لنا أنه لم يكن فعله مطابقا ، بل كان على المعكس من ذلك يبدل قصارى جهده لوضعنا موضع الخطيء حتى يكون قادرا لأن يكتب للأمراء البلاد التى وراء الجبال أن تمة تأجيل الحملة إنما تقع على اكتافنا وكان قد أرسل الى هؤلاء الأمراء الرسل المذكورين من قبل أملا فى أن ينصرف الاغريق عن رجائنا ، وان ذاك تقع على رؤوسنا جريته التى اقترفها فنحمل عنه وزر حسنه شئ نفسه .

حينذاك توجهنا بالخطاب الى الاغريق طالبين منهم أن يؤكدوا لنا عما اذا كانوا لا يزالون حريصين على اتفاقهم الأصلي ، مؤيدين لمرافقتنا في الزحف على مصر شرط أن يصبحنا الكونت فكان رده علينا أنه على الرغم من أن الوقت قصير جدا للقيام بالتجهيزات اللازمة لجيوشهم الا أنهم سوف يرافقوننا في الخروج اذا ما انقسم الكونت (فلاندرز) قسما يؤكدد بيده أنه ماض معنا ، وأنه مرسر عسكري حتى ولو أصابه مرض هنا أو في أثناء زحفه ، أما هم (أعني البيزنطيين) فسوف يخرجون معنا اذا قطع الكونت على نفسه العهد بالعمل بكل ما من شأنه أن تؤدي هذه الحملة الى نشر المسيحية دون غش أو اضرار سوء ، واذا ضمن الكونت لهم عدم الاخلال بأي شرط من شروط الاتفاقية بالمشورة أو المساعدة ، وإذا حمل بنى جلدته على أن يقسموا نفس اليمين باحترام الاتفاق .

وقال (البيزنطيون) أنهم سوف يذهبون معنا رغم ما يرون في قلب الكونت من أمور تنطوي على الشكوك وتدل على ما ضاع عليه صاحبها من مناقضة للخلق القويم ، وستكون مصاحبتنا من أجل اعلاء شأن المملكة الغالية عند الرب وللعمل على زيادة مجد الامبراطور (البيزنطي) .

حينذاك قسم المحامي (بيثون) ومن جاء معه و عازر يقسم على الشروط كما وردت أعلاه ، ومع ذلك شانهم كانا غرا راعيا أن يشمل ذلك القسم كل الشروط ، كما انهم لم يوافقوا بان يذعن الكونت اليمين ، ولما أصبحنا غير مكتوفين لمستمرر الحوار من غير الوصول الى هدف فقد فضضنا الاجتماع وأخلفنا

الموضوع الذى طال النقاش حوله الى وقت آخر يكون أكثر سلامة
واذ ذاك استاذننا مندوبو الامبراطور فى السفر وعادوا الى دارهم .



بعد ان رحل السفراء الامبراطوريون شرع رسل الكونت
(فيليب الالزاسى) يتساءلون عن السبب الذى أدى الى عدم قيام
الحملة المتفق عليها فى الحال وقالوا : « ترى أى مشروع يمكن أن
ينهض به الكونت بمعونة الملكة له حتى لا يبدو فى عيون الناس
متراخيا كل التراخى ؟ أو ممضيا وقته بلا عمل ؟ » وأخيرا عزم
الذين بينهم القرار الأخير على أن يتحركوا ويزحفوا الى أنطاكية
أو نابلس ، فقد يمكن انجاز شئ ما هناك يرد عليهم كرامتهم ويؤدى
الى تقدم المسيحية . والقى البعض دعة معارضة الكونت (دى
فلاندرز) لارسال الحملة الى مصر على كاهل كونت طرابلس الذى كان
عزفا كل العزوف عن الحملة على مصر ، ذلك أن الاثنين كانا
يسعيان سعيا حثيثا الى استمالة كونت فلاندرز اليهما بوجهانه
كيفما أرادا ، ويستطيعان بمعاونته المساهمة فى بعض الخطط المؤدية
الى اتساع رقعة أراضيها ، لكن حنط مساعهما وخاب أملهما لأن
الرب لم يشأ أن يتيح للكونت فرصة القيام بأى عمل يستحق التدوين
وصرف عنه تأييده لأنه قيل (٣٢) « تسربلوا بالتواضع لأن الله
يقاوم بطر المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة » .

ورغم هذا كله فقد قطع الملك على نفسه العهد أن يتعاون مع
فيليب (دى فلاندرز) ويمده بمساعدته ، فأمدد عند رحيله بمئة من
خاصة فرسانه وبقوة قوامها ألفان من العسكر المشاة .

على هذه الصورة كان وضعنا حوالى مستهل أكتوبر
(١١٧٧ م) حين نهض الكونت (فيليب دى فلاندرز) على رأس

قواته الى طرابلس وفي ع. حيث كوتتها ورئيس الفرسان الاستثنائية ورهط كبير من فرسان الداوية ميممين وجههم شطر اماره طرابلس .

فى هذا الوقت نفسه أيضا تزوج بموافقة الملك ، بليان ، دى ابلين أخو بلدوين صاحب الرملة من الملكة « مارية » أرملة الملك عمورى وهى ابنة جون المروتوسياستوس الذى ترددت الإشارة اليه كثيرا من قبل ، وتسلم « بليان » مع مارية مدينة نابلس التى أدت الى أن يطلق عليها حين الزواج اسم « بآننة الزواج » والتي كان لبليان حرية التصرف فيها طيلة حياة امرأته .

- ١٩ -

قام فيليب كونت فلاندرز بدخول أرض العسدر على رأس عسكره بعد وصوله الى طسرابلس مع كونتها وبعد اتخاذ كل الاستعدادات اللازمة لهذا العمل ، وأقاموا بعض الوقت قرب مدينتى حمص وحماة مما أسفر عن تكبد الأعداء بعض الخسائر ، ذلك لأن صلاح الدين كان قد رحل الى مصر بعد أن أنجز غرضه فى تلك الناحية وبعد عقده الصلح مع ابن نورالدين ، وهو صلح تم حسب شروطه التى وضعها ، وكانت الاستعدادات التى اشترى إليها من قبل بدت فى نظره مثيرة الى وشك قيام الحملة التى كانت تبتدئه منذ زمن طويل وما صاحبها من الترتيبات التى تمت حذو وقت بعيد لذلك فانه أخذ معه ك' القوات التى تسنى له جمعها من أى ناحية وركز قوته الكبيرة فى الفرسان فى النواحي الاستراتيجية التى خير اليه أن ربما تشهد أحداثا هامة ، وترتب على ذلك أن رجد الكونت وقواته الاقليم خليا من المدافعين عنه ، مما ساعده على احتياح الناحية والنعت فيها كيف شاء من غير أن يلقى مقاومة، الا أن البلدان

الحصينة وقلاع المدن كانت مزودة أحسن تزويد بالذخيرة والميرة ومجهزة بالرحاس والسلاح الكافى للدفع عنها .

ولما علم امير أنطاكية أن الكونتين (٣٣) قد دخلا أرض العدو أسرع للانضمام اليهما سالكا طريقا آخر حسبما اتفق عليه بينهم من قبل ، وكانت القوات التى انضم بعضها الى بعض متفقة هسى الأخرى فى الهدف وراوا أن أحسن خطة تمليها عليهم ظروف الموقف المحيط بهم انما تكون فى قيامهم بحصار حصن حارم الواقع فى خالسيس (٢٤) التى تسمى الآن بارتاح ، وكانت تلك الناحية من قل مدينة عظيمة لكنها تدهورت الآن حتى أصبحت مجرد حصن صغير كل الصغر ، وتقع المدينة والحصن على بعد اثنى عشر ميلا من أنطاكية .

فلما صاروا أمام «حارم» نصبوا معسكرهم حولها وأحدثوا بها من كل ناحية ، وحالوا بين من بها وبين الخروج ، كما سدوا كل الطرق فى وجه من يريد الاقتراب منها أن أراد مساعدة أهلها ، وبذيت فى الحال الآلات الحربية مديبة الرؤوس وجميع ما هسى ضرورى لفرض الحصار ، واذ توقع المسيحيون استمرار هذه العمليات حتى النهاية فقد قاموا هم أيضا ببناء أكواخ من خشب الصفصاف ، ولما كان الشتاء على الأبواب فقد سبوا معسكرهم بأرض من الخراج الآرية للمحافظة على أمتعتهم . ثم بعد هياذ الأمطار المندبة ، كما قام فى الوقت ذاته سكان المدن المجاورة ، الجماعات المسيحية فبدأوا غاية شجنتهم فى حياض الضريبة من أنطاكية ومن الأماكن الأخرى الموجودة فى حاورها .

كان حصن حارم من أملاك ابن نور الدين ، وكان هو الحصن

الوحيد في تلك الناحية الذي اذن صلاح الدين لابن زرار الدين بالاحتفاظ
 به ، و بعد استكمال سد جميع المداخل المؤدية الى الحصن من شتى
 الجهات قام الصليبيون كعادتهم بتقسيم أنفسهم الى جماعات راحت
 تتناوب مهاجمة الحصن وترمي الأسوار رميا موصولا من الآلات
 والعدد ، دون أن يتركوا للمحاصرين لحظة واحدة يلتقطون فيها
 أنفاسهم .

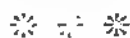
- ٢٠ -

على هذه الصورة كان الوضع في أنطاكية .

وعلم صلاح الدين في هذه الأثناء أن الكونت (فيليب دي
 فلاندرز) وجميع الحيش المسيحي قد تقدموا في أرض أنطاكية
 أما هو فكان في هم - قيم في انتظار زحفهم عليه في مصر ، وأن ذاك
 خيل اليه - وكان محققا فيما تخيله - أنه سيكون أما على نفسه وعلى
 من معه أن هو قام بمهاجمة بلد خلا من عسكره إذ لابد أن يحدث
 حينئذ أن يؤدي المهجوم الى ارفع - سام الأعسداء على رفيع
 حصارهم عن حارم فان أصبحوا على متابعتهم حصار الحصن استقطاع
 من احراز النصر على من تركوهم وحدهم في المملكة .

لذلك قام بحشد الجنود الكثيرة من العسكر من كل ناحية
 بتجهيزهم أحسن جهاز بمرتبه اعاده - وزوهم بالسياسات
 وشدنى ما يستعمل عادة في القتال ، ثم رحل بجيشه ذاك من مصر
 مرتضى له بعد اجتيازه النيه الكري من دقة - يبلغ مدينة العريش
 التي أصبحت الآن جزيرة من الاس فترك بها بعض أهله
 الثقيلة وطائفة من العسكر ، غير مستتبب معه سوى الجند المسلح
 تسليحا خفيفا كما اقتصر على أخذ أعظم المقاتلين المدربين على

الحرب ، ومر بهم على قلعتينا : الداور ، وخرمت ، وكانت الأخيرة مدينة عظيمة الشهرة ، فأرسل كشافته ربيئة أمامه ثم ظهر هو فجأة أمام عسقلان .



كان النذير قد جاء الى الملك قبل بضعة أيام بخبر تقدم صلاح الدين ، فأسرع الملك بلدوين بحشد ما كان لا يزال موجودا بالمملكة من قواته وعسكر بهم أمام المدينة قبل أن يبلغها العدو . وكان كونت طرابلس - كما قلنا - قد غادرها على رأس مائة من فرساننا اصطفاهم من بين الكثيرين ، كما كان قد تركها أيضا رئيس الاستبارية مع رفاقه ورهط كبير من فرسان الداوية ، وكان بقية هؤلاء الأخيرين قد مضوا الى غزة تحسبا منهم لقيام صلاح الدين بمحاصرتها باعتبارها أول مدينة يبلغها من المدن التي في أيدينا .

ولما كان الكونستابل الملكي « همفري » قد داهمه المرض الشديد كما قلنا فإنه لم يكن تترك يد الملك الا القليل من العسكر ، فلما علم أن العدو يمرح كيف شاء في صورة عدوانية وأن قواته قد انتشرت في السهول المجاورة لأرضنا فقد خرج مستعينا بالله على رأس جنده استمدادا للقتال بعد أن ترك طائفة قليلة لحراسة المدينة .

وكن صلاح الدين قد حشد حشوده كلها في مجموعة واحدة قرب المدينة . فلما تقدم الجيوش الصليبي وشاهد كثافة أعداد عسكر خصمه أثار كبار أهل الخبرة مشاؤون الحرب بوجوب بقاء القوات في مواضعها الحالية فذلك خير له وأجدى عليها من المخاطرة في قتال لا تؤمن عواقبه . لذلك ظل الصليبيون بمنأى من هجمات العدو حتى دخل الليل وان لم يخل الامر من وقوع مناوشات فردية على فترات متقطعة ، وذلك لقرب كل من الجيشين من الآخر .

ولما انصرم النهار عاد الصديون بسلام الى المدينة مرة ثانية ذلك لانهم وجدوا أنه نظرا لزيادة أعداد جيوش الخصم فقد بدى لهم أن قضاء قواتهم الضئيلة ليلتها على المعسكر أمر لا يخلو من الخطر ولا تحمد عقباه ، فكان هذا العمل من جانبهم باعثا الخيلاء والزهو على نفس صلاح الدين وجماعته حتى أنهم لم يطيقوا صبرا على البقاء على ما هم عليه من التنظيم بل تفرقوا هنا وهناك معجبين بسطوتهم ومتباهين بآسهم ، وشرع صلاح الدين فى اقتطاع بعض الأراضى المقترحة لمن معه من الجند الذين بنوا وكأئنا قد تم لصاحبهم النصر وكأنهم قد حققوا كل ما حرجوا من أجله ، فعربدوا ما شاءوا أن يعربدوا غير أخذين الحيطة لأنفسهم وتفرقوا شرادم صغيرة يعيشون فى كل نواحى الاقليم .

- ٢١ -

ونذهب بنا الظن الى أن الأعداء لابد وأن يقضوا الليل فى نصب معسكرهم أمام المدينة حيث كانوا فى أمسهم أو يعملوا على الاقتراب منها رغبة فى استكشاف نواحيها ، لكن جرى الأمر على عكس ما كنا نظن ، إذ لم يمنحوا أنفسهم ولا جيادهم قسطا من الراحة بل انطلقوا فى جماعات راحت كل منها تفتش ضاحية من المضواحي حسبما يترأى لهم ، وكان من قوادهم رجل اسمه « جاولى » (٣٥) وهو محارب بأسر لا يحجم عن اقتحام الهالك ، وكان هذا الرجل أرمنى الأصل والرس وانخرط فى سلك « الأمم » ، ولم يكن يتورع عن سلوك أى طريق يسر كان مخرجاً .

وتتقدم هذا الرجل بالمعسكر الذين كان يقودهم الى حية « الرملة » الواقعة فى السهل ، فوجدها خالية من سكانها فأضرم نيب النار ، إذ كان أهلها قد هجروها بسبب ما استولى عليهم من البربر . لعدم تحصينها ، كما كان بعضهم قد انضموا الى حملة بلويز

الذاهبة الى : « لان كذاك شئى آخرون منهم - وفيهم الضعفاء والنساء والاطفال الى « يافا » ، وانطلق غير هؤلاء وهؤلاء الى حصن مذبح بين الجبال يسمونه « كفر سلام » (٣٦) .

فلما فرغ « جاولى » من حرق الرملة زحف بكل عسكره الى مدينة « اللد » المجاورة التى سرعان ما استولى عليها جيشه بعد تقسيمه اياها أقساما ، ثم راح بعد ذلك يهاجم الأهالى ويرميهم بوابل هتان من شتى أنواع السهام والنبال والسهلح ، واستمر على مضايقتهم مما حملهم جميعا على الفرار الى كنيسة الشهيد المبارك القديس جورج .

حينذاك استولى الفرع القاتل على المسيحيين حتى رأوا ألا أمل لهم الا فى الفرار ولم يقتصر الخوف الذى تملك النفوس على من كانوا فى السهل حين كان العدو ينطلق معربدا من غير أن يلقى أى مقاومة ، بل جاوزهم الى سكان الجبال ، حتى ان أهل بيت المقدس أنفسهم استعدوا للهجرة من المدينة الطاهرة ياسا منهم من مناعة تحصيناتها ، ثم ما لبثوا أن لاذوا بأذيال الفرار بأسرع ما يمكن الى الارج السسمى ببرج داود وخلفوا وراءهم المدينة بأكملها ، وكان بعض قطاع الطرق قد تقدموا حتى بلغوا الموضع المسمى بكالكاليا ، وانتشروا فى كائنة أرجاء السهل ، ثم أصبحوا الآن على رءسك ترك هذه الأرض المنبسطة والصعود الى الجبال .

بدى هذا الاقليم الآن مهجورا موحشا كيوم أن غضب لرب « فغطى ابنة صهيون بالظلام » (٣٧) ، الا أنه « حتى فى غض لرب يمسك رحمته ، ولم ينس حذانه » (٣٨) لكنه تعطف وساعدنا (٩) ، و « عند كثرة الهموم فى داخل الانسان فان تعزيته تلذذ نفس الانسان » (٤٠)

بينما كانت هذه الأحداث تجرى فى تلك الناحية ، من البلاد جاءت الأخبار الى الملك أن طائفة من رجال العدو المـ ساريين قد انتشروا هنا وهناك فى أرضه واستولوا على ما انتشروا فيه ، فما كان من بلديين الا أن خلف مدينة عسقلان واستعد للخروج لصـد العدو لادراكه أن مجابهة مايسفر عنه القتال مع الذـصم مهما بلغ من الخطورة المجهولة أهون من تعريض شعبه لـشـتى صـنـوف الاغتصاب والحرق والمذابح ، واستقر رأيه على أن يزحف على طول انشاطىء عسـاه يبلغ ناحية السهل التى يعسكر فيها صلاح الدين فبـاغـته مباغـتة لا يـتـرقـعها . ومن ثم خرج الملك فى الحال بكل جنـده من الفرسان والمشاة وهـو على أتم الاستعداد لمحاربته ، وانضم اليه فرسان المعـب الذين كانوا متخلفين فى غـزة ورتبوا صفوفهم وتـهيـأوا لصـد العدو ، ثم تقدموا لا يشغلهم سوى الثأر لما نـزل بهم من الأهوال كما أن منظر المحرائق التى طالعتهم فى كل ناحية والمذابح التى لقيها احـوانهم أمدتهم بحماسة الالهية فأسرعوا وكأنهم رجل واحد فإذا بكتائب العدو أمامهم وعلى مقربة منهم ، وكادت الساعة اذ ذلك حوالى الثامنة ديارا .

على أن صلاح الدين علم فى أثناء هذه الفترة أن المسيحيين حذروا من التقدم يحدوهم الأمل فى محاربته فضاف من الاستيـاك معهم فى القتال الذى كان يبدو من قبل أنه كان يتطلع اليه ، لذلك نفذ رسـله لـاستدعاء عسكره الذين كانوا مبشرين فى جهات شتى ، وحـازل بواسطة دق الطبول والتمـخ فى البـواق وبالعـطـات كما هو العـل فى مثل تلك الأوقات أقول حاول بواسطة ذلك كله تشـجـيع رجاله على القتال وإثارة حميتهم بكلامه اليهم .

وكان مع الملك (بلدوي ، الرابع) حل من « ابود » Fudes
 دى سانت أماند رئيس الفرسان الداوية وثمانون من أخوانه ، والأمير
 « رينو » وبلدوين صاحب الرملة ، وأخيه « بليان » و «رينو» الصيداوى.
 وكونت « جوسلين » خال الملك وسنكله ، وكان مجدوعهم بما فيهم
 أصحاب الرتب الحربية ثلاثمائة وخمسا وسبعين ، وكانوا جميعهم
 مسترشدين بالمصليب الحى العظيم الذى كان يحمله « البرت » أسقف
 ديت لحم ، ويعتمدون قبل كل شىء على العون تأتيهم به السماء .

وتقدمت جموعهم هذه كلها فى صفوف حربية تتحرك شوقا
 لمصادمة العدو الذى أخذت قواته تتوافد فى هذه الأثناء على صلاح
 الدين من مختلف النواحي التى كانت تذرع الأرجاء وأقدمت تنشد
 الغنائم وتتسلع الديران ، فكان رجوعها عاملا على زيادة قوته زيادة
 ضخمة ، والحق أنه لولا الرب (٤١) الذى لا يتخلى قط عن أسلموا
 أنفسهم له ثقة منهم به لحاق اليأس بالصليبيين ولهلكوا ولم يؤتهم
 النصر ولم ينعموا بالحريسة والأمان ، فأعدوا صفوفونهم
 للقتال ورتبوا القوات التى ستأخذ المبادرة بشن الهجمة الأولى وكذلك
 الذين سوف يأترون لمعاونتهم .

- ٢٢ -

أخذت صفوف المقاتلين فى الاقتراب بعضها من بعض ، وشدت
 معركة لم تكن فى البداية معركة فاصلة ، غير أن رحمة السماء المنهلة
 على المسيحيين شددت من عزائمهم فضاعفوا ضغطهم فى عنف أخذ
 يتزايد شيئا فشيئا حتى أخضى فى النهاية الى انكسار سكر صلاح الدين
 بعد أن جرت عليهم مذبحه فظيعة لم تجد قواته ازاءها بدا من
 الفرار .

ولقد أردت أن أتأكد من صحة هذه الأقوال الخاصة بهذا الموضوع ففقت باستقصاء دقيق عن عدد عسكر العدو ، ووجدت، بناء على ما بلغنى من الثقات الكثيرين أن الذين اقتحموا أرضنا كانوا ستة وعشرين ألف فارس من حملة السلاح الخفيف ، بالإضافة الى راكبي الابل ودواب الحمل ، وكان من هؤلاء ثمانية آلاف من الجند العظام الذين يسمونهم فى لغتهم بالغاوشية (٤٢) ، أما الثمانون عشرون ألف الآخرون فكانوا من الفرسان العاديين المعروفين باسم « القراغلامية » . وكان هناك ألف من أبسل الفرسان يعملون حرسا خاصا لصلاح الدين ويلبسون الحرير الأصفر ، ويضعون الزرديات على صدورهم من نفس اللون الذى يلبسه صلاح الدين ، وقد جرت عادة ولاية الترك وكبار الزعماء المسمون فى العربية بالأخراء أن يعنوا بتربية جماعات من الصغار تربية فائقة ، ومن بينهم رقيق أسروا فى الحرب ، وآخرون مشتمرين أو ربما ولدوا من اماء . ويتعلم هؤلاء الفتيان فن القتال ، حتى اذا شبوا عن الطوق وبلغوا سن الرشيد أجريت عليهم الرواتب (الجامكيات) بل وأقطعوا الاقطاعات الواسعة التى تختلف من واحد الى آخر باختلاف ميزة كل منهم . ويسمى هؤلاء الرجال بلسانهم « بالممالك » وتوكل اليهم حماية مولاهم فى ساحات القتال وتنفذ الآمال الكبار عليهم فى احراز النصر . ولما كانوا على السور سيطرين بمولاهم فقد كانت تربطهم بعضهم ببعض رابطات الحفاظ عليه من أى مضرة ، ويدافعون عنه حتى الموت كأنهم جميع رجل واحد . وكانوا يستمرون فى الحرب حتى يفر . وإذا التمس البعض النجاة فى الهروب ظل هؤلاء الممالك يقاتلون حتى يسقطوا عن بكرة أبيهم .

أخذ المسيحيون فى ماردة نصيبهم المفلوب من الموضع المسمى « ميرنس جيسار » حتى المسنقع المعروف باسم « قناة ايتيرنو » Cannaie des Etorneaux حتى انصرم النهار وغشاهم الليل

بظلامه ، واعملوا الفتك الذريع لمسافة اثنتى عشر ميلا أو أكثر فى
السريرى الذين يرجع الفضل فى بقائهم أحياء الى سرعة دخول الليل ،
أن كف عنهم مطارديهم وأنقذهم منهم ، كما تخفف أقوامهم بأسسا
وأصحاب الخيل السريعة من أسلحتهم وهربوا بكل ما فى طاقتهم
من قرة ، وكان الفضل فى بقاء هؤلاء أحياء راجعا الى دخول الليل
لما سواهم فقد صادفوا انعس مصير ، إذ راحوا ما بين أسير وقتيل
بحد السيف .

ولقد هلك منا فى مستهل القتال أربعة فرسان أو خمسة وبعض
المشاة ، وإن لم يكن العدد الحقيقى معروفا على وجه التأكيد .

فلما نجح الفارون فى الوصول الى المستنقع الذى ذكرناه
حالا قذفوا الى المزاليج والى الماء ما تبقى معهم من أحمال ، وكان
الذى تبقى معهم هو صداريهم وأحذيتهم الحديدية للخلاص منها
عساهم يستطيعون التقدم خفافا ، ولم يكتفوا بذلك فحسب بل رموا
أيضا فى الماء أسلحتهم حتى لا يستعملها الصليبيون أو يأخذوها فتكون
رحزا لانتصارهم . لكن سرعان ما استرد قرونا كل هذه الأشياء لأنهم
فى اقتفائهم الجاد للعدو الهارب فى تلك الليلة ذاتها ، وفى اليوم
التالى بأكملهم راحوا يمشطون مستنقعات الغاب المذكورة آنفا ،
ويستعملون العصي الطويلة والخضايف فى تفقيشهم ، وسرعان ما
أثروا على كل ما كان العدو قد أخفاه هناك .

ولقد سمعنا من رجال تقاة أنهم رأوا فى يرم واحد مائة درع
من الحديد عثروا عليها فى هذا المكان ، ناهيك بما وجدوه من
الذخائر وما يقى السيوف وغير هذا من ثمرات دونها قيمة وليكنوا
كانت لاتزال مجدية وصالحة للاستعمال .

ولقد كلاتنا العناية الالهية بهذه النعمة الكبرى التى لا تنسى

أبدا يوم الخامس والعشرين من نوفمبر (سنة ١١٧٧ م) من السنة الرابعة من حكم الملك بلدوين الرابع ، أعني يوم الاحتفال بعيد الشهيدين الطاهرين بطرس الاسكندري والعذراء لكاترين .

ثم عاد الملك بعدئذ الى عسقلان في انتظار القوات التي كان قد بثها في كل ناحية لمطاردة الفارين ، وتكامل وصولها في مدى أربعة أيام ، وعادت محملة بما غنمته من الخيام ، وساقته أمامها العيون وقطرا من الابل والحيار .

« قد عادوا وهدق عليهم قتل الذي (٩٣) » « أكَثَرَتِ الْأُمَّةَ ، عَظُمَتْ لَهَا الْفَرْحُ ٠٠ كَالَّذِينَ يَمْتَحِدُونَ عِندَ مَا يَقْتَسِمُونَ غَنِيمَةً »

— ୧୧ —

كذلك حدث أمر دل دلالة صريحة على أن الرحمة الالهية كانت تكلؤنا بعينها حين أخذت الأمطار في اليوم التالي وعلى مدى عشرة ايام متتالية تهطل بغزارة مصحوبة ببرد لم يعهد من قبل ، وبصورة كان يخيّل معها أن نفس هذه العوامل كانت تتآمر ضد العدو الذي كان قد فقد جميع جياده لانعدام الماء الذي تشربه ، كما أنها لم تعرف الراحة طوال الأيام الثلاثة التي ظلت أرضنا خلالها في يد العدو الذي قام رجلاً من ثلاثة أنفسهم بالتقاء أمتعتهم ومختلف أنواع الثياب ، كما ساروا رزاً من قدامهم إلى أن يمكن انفسهم بإقتناى به ، فخرشيد الدروب وأحاطهم بحصون القربى ، واشتغلوا بملء الفم من الدواب التي لم يملأوها ، فكانت ترى في قاعها ما قليل إلا من ملأه الدواب وتجد الكثيرون غيرهم غير ذلك ، فتجسروا ثم بدأوا من غضبهم حتى الضعفاء ومن لا حول لهم ولا قوة استكانوا يسبحون ضاربين شداً من غضبهم . ولما كان الكثيرون منهم يجهلون تلك الدروب فقد ضلوا الطريق وهم يحسبون أنهم يسلكون الدروب الموصلة الي

ديارهم ، لكنهم ما لبثوا أن وجدوا أنفسهم فى قرانا وعرضة للوقوع
فى أيدي المسافرين الذين كانوا يطاردونهم ويتصيدونهم .

فلما رأى الأعراب الكافرون النكبة التى حاقت بالترك أسرعوا
الى الذين كان الأخيرون خلفهم وراءهم لحراسة امتعتهم بمدينة
العريش كما ذكرنا من قبل وقصصوا عليهم نبأ الكارثة التى حلت
بأصحابهم وجلت نفوسهم عند سماع هذا الخبر وانطلقوا فى قزعهم
يهيمون على وجوههم لا يدرون أين يذهبون .

كذلك أصر هؤلاء الأعراب اصرارا عنيدا على مطاردة من
شاعت الصدفة أن ينجو من الوقوع فى قبضتنا ، وبذلك فإن الذين
ظنوا أنهم نجوا وجدوا أنفسهم قد وقعوا فريسة سهلة فى براثن هؤلاء
الأعراب وبذلك تمت النبوءة القائلة (٤٤) « فضلة القمص أكلها
الزحاف ، وفضلة الزحاف أكلها الغوغاء ، وفضلة الغوغاء أكلها
الطيـار » .

وكان من عادة هذه الطائفة (٤٥) اللئيمة أنهم كانوا يتحاشون
دائما القتال فلا يخوضون معركة ما من المارك أيا كان القائد بل
يقفون على بعد من ساحة الحرب طالما لم تتضح نتيـجتها ، فإذا
حسنت انضموا الى الغالب ونعقبوا المغلوب وملأوا أيديهم بالأسلاب
والغنائم .

وظل قومنا يـتـنـون ليضعة أيام بالأسرى من الغابات والجبال
بل ومن الصحارى وكان بعض هؤلاء الأسرى ممن جاءوا إلينا من
تلقاء أنفسهم مؤثرين تقييدهم بالأغلال وحبسهم على أن يظلوا
هائمين على وجوههم يلهبهم البرد بسوطه ويقرصهم الجوع بأنـيابه .

بعد أن فرغ الملك من توزيع الأسلاب والغنائم وفق قواعد الحرب
 يدار بالرحيل إلى بيت المقدس شاكرًا للرب ما أنعم به عليّ من آلائه ،
 وليقدم القرايين على ما أتاه من النعمة ، أما صلاح الدين الذي كان
 قد نهض بروح ملؤها الكبرياء اعتدادًا بكثرة من تحت يده من
 الفرسان فقد رتبته المشيئة الإلهية مغلوبًا على أمره ولم يبق معه غير
 مائة محارب تقريبا ، حتى ليقال أنه هو ذاته عاد ممتطيا بعيرا^{١٠} .

فلنتأمل الآن ولنتمعن هذه النعمة الإلهية^{١١} ولنتبصر مدى
 الفيض الذي رزقناه^{١٢} . ولنذكر كيف أن الرحمة القدسية أرادت
 أن يكون المجد كل المجد للرب وحده ، إذ لو كان (فيليب) كونه
 فلاندرز وأمير أنطاكية وتكونت طرابلس وغيرهم من كبار الفرسان (٤٦)
 ساهموا إلى جأذنا في هذه المعركة ، وشاركونا النصر الذي أسبغته
 علينا يد الرحمة الربانية لما ترددوا في أن يقولوا - وإن لم يقدر لهم
 أن يقولوا - مع القائلين (٤٧) « يدنا ارتفعت وليس الرب فعل كل
 هذه » ، ذلك لأن المدين لا يكثرثون بشيء والقليلي التبصر يقصر
 فهمهم عن ادراك وجودهم حيث تعم النعمة تحقيقا للكلمته (٤٨) « ومجدي
 لأعطيته لأخر » ، لذلك احتفظ الرب بكل المجد والسلطان لنفسه وأعان
 الفئة القليلة وحجب عونه عن الفئة الكثيرة ، وأعاد برحمته من جديد
 وبحبه معجزة « جدعون » (٤٩) ، وفرق شمل الجموع الكثيفة وبذلك
 تجلّى للعيان أن الشخص الواحد يستطيع بعون الرب وحده (٥٠)
 أن يضرد ألفا ، ويهزم اثنان ربوة^{١٣} .

فلينا أن نعزو كل خير ونعمة إليه هو وحده الذي هو نبع
 كل خير ونعمة (٥١) ، لأنه في هذا الظرف الحال لا يوجد قط شيء
 يستطيع الإنسان أن ينسبه إلى نفسه ، بل هي منحة جادت بها الرحمة
 الربانية وجسأت إلى من لا يستحقها « تمد يمينك فقتلهم
 الأرض » (٥٢) « يمينك يارب تطم العدو ، وبكثرة عظمتك تهدم
 مقاوميك » (٥٣)

بينما كانت هذه الأحداث تجرى بيننا استمر الكونت (٥٤) ومن معه فى حصار الحصن (٥٥) المشار اليه آنفا ولكن بلا جدوى لأخذهم انفسهم بالتبذل ، وانكبابهم على ألعاب الحظ وغيرها من امور التسلية ، فقد كانوا منصرفين اليها أكثر من انصرفهم الى العناية بأمر الحرب وقواعد عمليات الحصار المفروضة عليهم ، فكابوا على الدوام ما بين ذهاب الى أنطاكية وإياب منها حيث يقضون أوقاتهم فى غشيان الحمامات والتردد على اللوائى ، والانغماس فى مفاصل الشراب وغيرها من الملذات الجسدية ، وأهملوا القيام بمتطلبات الحصار ، مستعصين عن ذلك بملذات العبث .

بل ان الذين كانوا يظهرن الجد فى الحصار مالبثوا أن تراخوا كسلا وادما ، ولم ينجزوا شيئا هاما ، ان كانوا هم أيضا يقضون أوقاتهم فى نعة ، ويحيدون حياة دنسة ، حتى ان الكونت ذاته كان يعلن كل يوم بوجود عودته الى بلاده ، ويصرح أن بقاءه فى حارم ان هو الا أمر يتم رغم أنفه ، ولم يقتصر هذا الاتجاه على اعاقسة من كانوا فى الخارج وهم يحاولون الاستمرار فى الحصار بل زاد فشد من ساعد أهل البلد على زيادة المقاومة ، ان قويت عزائمهم وازداد أملهم أن يتم رفع الحصار عنهم عن قريب ، فضاءوا عن تحملهم لكل مشقة ادراكا منهم أنها لن تطول كثيرا ، وعرفوا ان كان وقع المتاعب عليهم قاسيا لانه ليس من أن يسلموا الناجين (٥٦) التى استولوا عليها الى هذا الجنس المبغض ، لأنهم ان فعلوا ذلك باؤوا بما يبرء به الخونة من الذل والعار بالاحتياز من قبل الأبدن .

ويحتل حصن حارم (٥٦) موقعا هاما على تل يبدو وكأنه من صنع الانسان ولا يمكن اقتحامه الا من جانب واحد ، أما سواه

من الجوانب فمسدودة في وحوه المغيرين، ومع ذلك فقد كان في استطاعة آلات الرمي أن تصيبه من كل ناحية من غير عائق يعوقها .

وقد حرت مداورات عدة لاقتحامه واختلفت نتائج بعضها عن بعض ، حتى أصبح واضحا للعيان أن الاستيلاء على هذا الحصن لا يمكن أن يتم الا بهجمة ضارية تؤيدها العناية الالهية ، لكن الأمر عندنا كان قد تحول الى عدم اكتراث ، وأفضت خطايانا واندثار فطنتنا الى تلاشي كل ما قد يكون من الحماسة عندنا .

أخذ الصليبيون يعدون عدتهم للعودة من حيث جاءوا لرفع الحصار عن حصن حارم رغم أن من أغلقت عليهم أبوابه كانوا قد وصلوا الى منتهى درجات اليأس ،ولسنا نستطيع أن نمك أنفسنا من أن نعجب مما هو جار ، اذ يبدو وكأنه أمر فوق ادراك البشر ، كما لانملك الا أن نقول أن الرب في سورة غضبه على أولئك الأمراء الكبار ضرب على عقولهم غشاوة كثيفة من الظلمة وأعمى بصائرهم فقد قاموا من تلقاء أنفسهم وبدافع من ايثارهم الراحة بالتخلي عن حصن حارم للعدو رغم أنه كان على وشك السقوط في أيديهم .

ولما رأى أمير أنطاكية اصرار (فيليب الالزاسي) كونه فلاندرز على مسلكه وتصميمه على عزمه (٥٧) لم يجد مناصا من أن يقبل رفع الحصار عن الحصن لقاء قدر من المال لاندرز مقداره قدمه اليه من هم تحت الحصار .

ثم عاد كريست فلاندرز معدئذ الى القدس حيث أحيى أيام عيد الفصح المبارك وراح يعد العدة للرجوع ، وما كادت الشـوانى ووسائل النقل الأخرى يتم تجهيزها حتى أبحر(٥٨) من اللاندية في الشام قاصدا العودة الى وطنه معرجا على امبراطور القسطنطينية .

هكذا ، حيا ، الكونت تاركا وراءه أسوأ ذكرى .

رلقد عقد فريدريك امبراطور الرومان فى هذا الوقت بالذات وفى مدينة البندقية الصلح مع البابا اسكندر بعد قطيعة دامت عشرين عاما .

كذلك حدث أيضا أن انهارت بعض جدران بيت المقدس لقدمها ، وحينذاك تعاون الأمراء من علمانيين ودينيين وخصصوا قدرا معيناً من المال يدفع كل عام حتى يقضى السرب بترميم الأسوار فيكون هذا مصداقا لقول القائل (٥٩) « أحسن برضاك الى صهيون . ابن أسوار اورشليم » .

- ٢٦ -

ولما كان شهر اكتوبر من العام الخامس من حكم الملك بلدوين الرابع من سنة ١١٧٨ م غادر رهط معين من الرجال شرفنا استجابة لدعوى وجهت اليهم لحضور مجمع عام فى رومة كان قد أعلن عنه فى العام الماضى فى كفة أرباء العالم اللاتينى ، وكان المدعوون الى هذا المجمع هم : أنا وليم رئيس أساقفة صور ، رهرقل رئيس أساقفة قيصرية ، وألبرت أسقف بيت لحم ، ورالف أسقف « سيمبسية » ، وجو شيبوس أسقف عكا ، ورومانوس سدف طرابلس وبيطرس رئيس المرتلين بالقبر المقدس ، وريتالد رئيس دير جبل صهيون .

ولم يقتصر أمر « جوشيبوس » على مشاركة حضور هذا المجمع بل انه ذهب أيضا كمبعوث الى هنرى دوق رجنديا مكلفا بدعوته للحضور الى المملكة ، لأننا كنا قد ازمعنا تزويجه من أخت الملك بنفس الشروط التى اتفق عليها حين اقترنت بالمركيز ، فتسلم

هنرى الدعوة من يد « جوشديوس » مغتبطا بها ، ويقال انه أقسم (مؤكدا القسم بيمينه) أنه سوف يحضر الا أنه نكث فلم يبر بقسمه ولم يوف بالعهد الذى قطعه على نفسه ، ولسنا ندرى السبب الذى حمله على النكث .

وبخى أثناء هذا الشهر ذاته (أعنى شهر أكتوبر ١٧٨٠ م) الذى بدأنا فيه رحلتنا لحضور المجمع الكهنسى المقدس شرع الملك مع كل قوة المملكة فى تشييد قلعة وراء الأردن فى الموضع الذى يعرف عادة بمخاضة يعقوب .

وتقول الأخبار القديمة ان هذا الموضع هو الموضع الذى قسم فيه يعقوب قومه الى طائفتين أثناء رجوعه من أرض ميسوبوتيميا ، وأرسل من هناك رسلا الى أخيه يقول له (٦٠) : « انى بعصاي عبرت هذا الأردن ، والآن قد صرت جيشين » .

أما هذا المكان فيقع فى إقليم قانس النبطية بين نغذليم (نبطية) ودان ، وتعرف الأخيرة منهما بانياس وقيصرية فيلبس ، وكثينا من فينيقية ومن مدن صور الكبرى ، ويقع هذا المكان على بعد عشرة أميال من بانياس .

هذا فى هذا الموضع وعلى مر متوسط الارتفاع وضع (الملك) ومن جهة الشمال فى عمق حسم ستين من الخبر الثمن راسى الشكل فى سمك عجيب وارتفاع معلول ، وتم بناؤه فى ستة أشهر .

وبينما كان القوم حاضرين لخطبات الملك اذا بالصلصا رص يثرون من أرض دمشق ويقطعون الماروق الدامة على السابلة حتى لم يعد أحد يستطيع الذهاب الى الجبس او مغادرته الا والخطر يهدده ، وبذلك سدت جميع المسالك أمام المسافرين واستحال عليهم السفر ، وقد جاء هؤلاء اللصوص من موضع فى الجبل القريبة من عكا

والمسماة بجبال « باكاديس » أو باللسان الدارج « بوكاتل » .
وهذا الموضع من أنزه النواصع فى ناحية « زبولون » .

وعلى الرغم من وقوع هذا الحصن على قمة أحد الجبال الا ان مياهه كانت غير مقطوعة ولا ممنوعة ، كما أن بساطينه كانت غاصة بأشجار الفاكهة .

وأهل الناحية قوم سذفاء ، ومحاربون أجلاف غلاظ ، قد غرتهم كثرتهم التى حكنتهم من السيطرة على جميع المزارع والقرى المجاورة كما أنهم يؤوون بين ظهرانيتهم المجرمين الهاربين من العدالة والصوص ، ويبسطون حمايتهم على قطاع الطرق الذين يجدون الملجأ الأمين عندهم - وقد أدى هذا السلوك البغيض الى أن يكونوا موضع كراهية كل من حولهم : مسيحيين كنوا أو مسلمين .

وقد بذلت محاولات متعددة لاستئصال شأفتهم ولكنها لم تفلح مما ترتب عليه ازدياد بأسهم كل يوم عن الذى قبله ، حتى وجد الملك نفسه فى النهاية غير قادر على تحمل سيفهم المعقوت ، ولا ما يرتكبونه من السرقات أو يقترفونه من الجرائم ، لذلك استولى على الموضع على غرة منهم بقوة السلاح وفتك بجميع من أمكن التقبض عليه منهم ، ومع ذلك فان أغلب الذين علموا بما يبيتة الملك لهم فروا بنسائهم وصغارهم الى أرض دمشق ، حيث تابعوا أسلوب حياتهم القديم ، وكثيرا ما كنوا يتسللون خلسة الى أرضنا .

وقد تحالفوا فى هذا الوقت مع أقوام على شاكلتهم فكانوا يغيرون معا على حدودنا كما قلنا ، ثم استشرى غضب المسيحيين حين علموا ان رهطا من هؤلاء القوم يهددون الطرق العامة أخطر تهيد ، فأنصبوا لهم الكمائن فى أماكن استراتيجية ، وكرسوا كل جهدهم للقضاء على هؤلاء الأوغاد . وحدث فى ذات ليلة من الليالى

أن كان هؤلاء المتحرمون عائدین بعد غزوة قاموا بها وجاءوا من ناحية جبال « زبولون » على نية الرجوع الى المكان الذى قدموا منه فانما هم يسقطون فى الكمائن التى نصبها لهم المسيحيون فحصدوا ما بذرتة أيديهم اذ ألقى القبض على تسعة منهم ، وقتل أكثر من سبعة غيرهم .

وقد جرت هذه الحادثة فى الحادى والعشرين من شهر مارس (سنة ١١٧٩ م) .



شهدت كنيسة قسطنطين المسماة باللاتيران برومة فى الخامس من مارس عقد مجمع دينى ضم ثلاثمائة أسقف ، وكان هذا فى السنة العشرين من بابوية اسكندر الثالث .

وانا أراء أحد الوقوف على القرارات التى اتخذت فى هذا المجمع ومعرفة أسماء الأساقفة الذين اشتركوا فيه وعرضهم ووظائفهم فليقرأ ما دونته بأمانة وبإلتماس كريم من الآباء الملمين الذين ساءموا فى هذا المجمع ، وطلبت أن يوضع ما كتته فى سجلات الكنيسة الطاهرة فى صور بين الكتب الأخرى التى جمعناها (٦١) من أجل هذه الكنيسة التى صارت الينا الرئاسة فيها منذ ست سنوات .



حينئذ تشديد الحصن وكمل من دى النواحي جاءت الأخبار الى الملك بأن العدو - سعيا منه للعثور على الربيع لقرعى فيه - حاشيته - رح بقدارته دون أن يخذل حذره واقتحم الغلبة القريبة من دانياس ، ولم يكن ... مناتلون يمكنه الإعتماد عليهم فى صد أى هجوم نشنه عليه ، ومن ثم ظن قومنا أن سيكون من اليسير عليهم القضاء على خصمهم وهو بلا عسكر يحمونه . وحينذاك تسلل رجالنا

تحت جنح الظلام ليفاجئوا التركمان ، يأخذوهم على غرة منهم ،
فلما طلع الصباح كان المسيحيون قد أذروا عندهم .

وبينما كان بعض العسكر منطلقين هنا وهناك بحثا عن الغنيمة ،
والبعض الآخر يسيرون ببطء خلفهم وعلى بعد منهم اذا بالارسط الذين
كان الملك يرافقهم فى الركوب ينطلقون فى افعال بالغ مما أدى بهم
الى التردى فى مأزق صعب فقد بلغوا موضعا ضيقا بين الصخور
كان العدو مختبئا فيه ايثارا منه للسلامة وتحاشيا لهجومنا عليه بعد
أن بلغه خبر تقدمنا ، لكنهم ماكدوا يرون الصليبيين يكررون عليهم من
غير حيلة اتخذوها من جانبهم حتى أخذتهم الحماسة رغم ما هم عليه
من احجام بل ويأس من الحياة ، فلما أدركوا شدة الحرج الذى فيه
رجالنا وثبوا عليهم فجأة واستماتوا فى الهجوم عليهم رغم أن رغبتهم
الوحيدة حتى هذه اللحظة كانت تتلخص فى أن يخذلوا عن أنظار
عدوهم تجنبا للمقائه ، أما الآن فقد راحوا يمحطونهم من مسافة بعيدة
بوابل هتان من السهام فقتلوا جيادنا وزادوا من ضغوطهم على
قواتنا .

ولما أدرك الكرنستابل المعظم أن الأعداء كانوا قد جاءوا من
حيث لا يحتسب فقد رمى بنفسه عليهم رميا عنيفا وحمل عليهم بشدة
وحاربهم مدة طويلة ضاربة ، وجاءت صدقات بكل قوته لحماية الملك
ودنما ان
فى هذا الموقف البالغ التنازع .

وبينما كان محفوز يقاتل على هذه الصورة كان العدو يمحطه
بين أن وآخر بضربات وحشية فأنقذته جراحا ، ولم يستطع رجاله
أن ينقذوه الا بمشقة فأخرجوه بعد لاي من هذا الوضع الاليم الحرج
وحملوه بعيدا على ظهر جواده (٦٢) .

ولقد هلك فى هذه المعركة رجال بارزون يستحقون الذكر الطيب
 كان من بينهم « ابراهيم الناصرى » الذى كان له من شبابه وحسن
 طلعته ورقيع خلقه وكريم محتده وعظيم ثرائه ما يبشر بالأمل الزاهى
 فى مستقبل طيب . كما قتل أيضا « جريديشو دى تيروت » . بعد ان
 خلف ذكرى عاطرة .

كذلك تمهد هذا الموضع أيضا مصرع كثيرين غيرهما وان كانوا
 دون هذين مركزا .

هذا هو الموضع الذى كانت عليه الأمور حين قدرت النجاسة
 للملك على يد أتباعه من خطر جسيم عاد بعده الى المعسكر الذى
 كان قد غادره من قبل ، واستدعى عسكره الذين دبت الفوضى فى
 صفوفهم فتشتتوا وتشرذبوا هذا وهناك .

أما حالة الكونسبتال الملكى همفري فقد ازدابت خدائره ،
 فحملوه يوم الحادى عشر من ابريل الى الحصن الجديد الذى كان
 العمل لايزال جاريا فى بنائه ، وقى هنا ما يقرب من عشرة أيام ظل
 خلالها يصارع الموت صراعا عنيفا من أجل الحياة ، ودلت وصيته
 الأخيرة على عقل راجح وبعد نظر ، ثم فاضت روح هذا الرجل الذى
 عاش حياة مثالية يوم النور من ابريل وسوف يظل بلده
 يكرمه بركة من أن ناله فى التاريخ ، وقد قيل إن قتال مهيب
 يليق به فيه قلعبته العظيمة الشجيرة قلعة تيرن (٦٢) فى كنيسة
 الأماركة والعذراء البتول .

وفى أعقاب وفاة همفري حادثة رثى اليوم السابع والعشرين
 من شهر مايو (سنة ١١٧٩) أخذ صلاح الدين فى محاصرة الحصن
 الذى شيدته (الصلبيديون) منذ قريب، وأمطره بوابل لاينقطع من السهام،
 وظل يراوح المحصورين ويغاديهم بهجمات عليهم ، لكن حدث أن

واحدًا من المحاصرين قيل أنه كان يدعى « رينيه » ، « هاروم » ، رائس
سهما أصمى به قلب واحد من اثري وأبرز أمراء صندح الدين هاردا
قتيلا ، فتبيل الكفار لهلاكه بليلة جسيمة حملتهم على الاقلاع عما كانوا
بصدده فرفعوا الحصار ورحلوا .

- ٢٨ -

كان صلاح الدين قد فرغ حالا من غاراته بالسلاح على اقليم
صيدا وتعددت هذه الغارات مرتين أو أكثر ، وهى الغارات التى لم
تجد من يتصدى لها مما شجعه على أن يعيث فسادا وتخريبا ، فراح
يحرق كل ما صادفه ويفتك فى الناس فتكا ذريعا ، فلما كان الشهر
التالى صمم على شن غارة جديدة نصب من أجلها معسكره بين مدينة
بانياس ونهر « دان » ، وأرسل أعدادا كبيرة من المناوشين للاستيلاء
على الغنائم واضرام النار . واذ كان هو مستعدا من جانبه للمساعدة
ان دعت الحاجة فقه ظل مقيما فى المعسكر فى انتظار عودة مناوشيه
هؤلاء ومعرفة ما تمخض عنه عدوانهم .

ولما جاءت الأخبار الى الملك فى هذه الأثناء بخبر ما قام به
صلاح الدين من أعمال التخريب فى أرضنا أسرع الى مدينة طبرية
بجميع القوات التى تسدى له أن يجمعها من كل ناحية ، وحمل معه
صليب المسيح واجتاز بلدة « صفد » ومدينة « ناسون » القديمة حتى
وصل الى « تورون » مع قواته ، وهذا جاءتته الأخبار الدقيقة من
رسله الذين كانوا يغدون اليه ويروحون من عنده على النوام بأن
صلاح الدين لا يزال بجيشه فى نفس الموضع بعد أن أرسل أمامه
فرسانه المسلحين تسليحا خفيفا لتخريب حقول صيدا ، وأنهم لما
جاؤوها لم تسلم من النهب والحرق والقتل فى أهلها ، فتشاور الملك
مع رجاله مشاورة انتهت بوجوب التقدم ضد الشر . ومن ثم حرك

الصليبيون . ثم - بن - تورون « الى نحو «بانياس» حتى جاءوا قرية اسمها « مسافر » واقعة على قمة أحد الجبال ويمكن منها رؤية كل الاقليم الرايض تحته حتى أسفل جبل لبنان ، كذلك كان معسكر العدو واضحا للعيان وان كان على بعد ، كما كن ظاهرا للعيان كل ما ارتكبه رجاله من افساد وتدمير اثناء انسياحهم فى هذا الاقليم .

اما قوات المشاة التى كان السير الطويل قد أنهكها فلم تستطع مجاراة الفرسان فى سرعة التقدم وهم منطلقون فى خفة عبر الناحية الجبلية .

اما الخيالة الذين لم يصطحبوا غير قليل من المشاة النشيطين فقد نزلوا الى مكان يعرف بعرج عيون (٦٤) . فى السهل الموجود مباشرة تحت الجبل ، فتربشوا هناك بضلع ساعات للتشاور فى خطتهم التالية .

حينذاك ساور القلق صلاح الدين بعض الشئ اذ سمع نبيا رسول الملك المباغت ، وكان فزعه شديدا من أن يؤدى الحال الى قطع الاتصال بين عسكر طليعته وبين من معه من بقية جيشه ، كما خشى أيضا من الهجوم على معسكره ، ولذلك أصدر أمره بوضع الأمتعة والأثقال والنخبة فى مكان بين الشورة (٦٥) المدينة الجاورة وبين السور حتى يكرن العثور عليها ميسرا ، أيا كانت الخدمة التى تنتهى اليها المعركة . وهكذا وقف يرقب ما تسفر عنه الأحداث واستعد لما قد يقع ، ولكنه كان متخوفا كل التخوف من العاقبة .

واذ علم الفراغ الذين كانوا قد خرجوا للنيب بخبر تقدمنا فقد تمالكهم الزحف الشديد مما جرى فام يعد يشغل - لهم الا الوصول الى صفوفهم ان أمكن ، ضاربين عرض الحائط بكل الاعتبارات الأخرى ، لكن اعترضتهم قواتنا كما ذكرت بعد عبورهم النهر فيما

بين أرض صيدا والسهل الذى كان جيشنا مرابطا فيه ، وسرعان
ما جرت بين الجانبين مناوشات أسفرت بعون الله عن انتصار
المسيحيين ، ودارت الدائرة على الأعداء الذين لاذوا بالفرار بانذلين
أقصى جهدهم للوصول الى معسكر صلاح الدين بعد مصرع الكثيرين
منهم ، مجندين على الأرض *

- ٢٩ -

بينما كانت الأمور على هذه الصورة قام « ايود » رئيس الفرسان
الداوية وفى صحبته كرننت طرا لس وآخرون ممن كانوا خلفهما
فارتقوا التل المواجه لهم ، فصار النهر على يسارهم والسهل الفسيح
وخيام العدو على يمينهم *

ولما علم صلاح الدين بالمأزق الكريه الذى فيه رجاله بتعرضهم
حيث هم لخطر قد يصل الى حد الهلاك وضياح أرواحهم تأهب للذهاب
لينقذهم ، وكان قد وصل الى هذا القرار حين طالع بعض عسكره
المهزومين وهم يفرون على وجوههم ، فركب جواده قاصدا لقاؤهم .
فلما وقف على جلية الأمر عطف عليهم وشجعهم بكلامه اليهم وردهم
الى كتائبهم ، ثم أغار فجأة على المسيحيين الذين كانوا يطاردون
الهاربين دون أن يحتاذروا لأنفسهم الحيلة الواجبة - حينذاك كان
مقاتلنا الذين أملاكت أيديهم بأساليب القتل معسكرين على امتداد
شاطيء النهر وقد استلوا الرماح القوية اعتقلا حريم أن القلبة
كاملة غير منقوصة كانت عن أيديهم *

أما الفرسان فقد رأوا العدو - الذى كان لا يزال قد انتصر
أمره نهائيا - يعرود فيكره عليهم ويهولهم هزيمة جنائنا ، فاضطربوا
الى مصادمته رغم اضطراب صفوفهم اضطرابا لم يجدوا معه لحظة
لإعادة تنظيم أنفسهم والدفع بقواتهم الى القتال حسب قواعد المروعة

ولكنهم ظالموا ويقاومون مقاومة باسلة وصمدوا أمام هجمات العدو الا
 أن قوتهم لم تكن تعادل قوة خصمهم . - ولكن كان بأعينهم كبأسه فتبددوا
 فى شرائذم عمتها الفوضى ، ولم يعد أحد منهم قادرا على معاونة
 غيره ، وانتهى الأمر بهم الى أن لاذوا بأذيال الفرار المثين . - ولربما
 كان من السهل عليهم تجنب ملاحقة العدو لهم وانقاذ أنفسهم لو أنهم
 اتجهوا اتجاها آخر ، ولكنهم بسبب خطايانا نهجوا أسسروا نهج
 فأوقعوا أنفسهم فى شغب ضيق تحوطه المنحدرات العميقة ، وهذا لم
 يكن أمامهم الا التقدم أو الارتداد وسط صفوف العدو معرضين أنفسهم
 للهلاك ، وحينذاك قام بعضهم بعبور النهر وحملهم أملمهم فى انقاذ
 أنفسهم على الارتداد الى أقرب موضع حصين اسمه « شقيقف
 أرنون » (٦٦) . أما البعض الآخر منهم فأنهم بعد اجتيازهم النهر
 ساروا مصاقيبين للساحل حتى بلغوا صيدا وبذلك تحاشوا وطأة
 القتال الثقيلة ، ولقيهم فى مسيرتهم « رينو الصيداوى » ورجاله الذين
 كانوا مسرعين للحاق بالجيش ، فحدثوه بالنكبة فأصـ...
 « رينو » لتحذيرهم وأخذ مأخذ الجند وعاد الى صيدا .

والمعتقد أن هذا العمل من جانبه أدى الى كثير من اللصائب
 التى نزلت بهم فى ذلك اليوم إذ لم يكن من المستبعد لو أنه تابع زحفه
 الى قلعة « شقيقف أرنون » أن يتمكن من انقاذ الكثيرين من بطش
 العدو بفضل المساعدة التى كان لابد له أن يلقاها من أهل المدينة
 والإقليم فقد كان العدو بعرفون الناحية تمام المعرفة ، وبحثوا
 استخفوا النورون فى هذه الليلة فى الكهوف التى بين الصغار ،
 لكن لما أن طلع الصباح حتى عثر عليهم العدو الذى كان يهبط كل
 ناحية ويفتش كل ركن فأحسبهم عزم بهم فى الحس .

لكن قدرت النجاة للملك بفضل المعونة التى تلقاها من جانب
 جنده الملكى ، كما استطاع كونت طرابلس الوصول الى صور فى
 سرنة قليلين من أصحابه (٦٧) .

ولقد كان من الصليبيين الذين أسروا فى ذلك اليوم « ايود دى سنت اماند » رئيس العرسان المداوية ، وكان « ايود » هذا رجلا دنيئا متعاطفا متكبرا مغرورا قد ملأ الشر منخاريه (٦٨) ، فهو لا يخاف الله ولا يراعى انسانا ، وينسب اليه الكثيرون الخسارة التى نزلت بالمسيحيين فى ذلك اليوم ، ووسممه بميسم الخزي والعار الأيدى بسبب هذه الكارثة ، ويقال أنه مات (٦٩) خلال هذه السنة أسيرا فى سجن قذر فلم يحزن أحد لموته .

وكان ممن أسر فى هذا اليوم أيضا « هيچ » صاحب طبرية ابن زوجة كونت طرابلس ، وكان شابا فى ريق العمر وله غد مأمول ، هذا الى ماكان يحظى به من محبة الجميع .
كذلك وقع فى الأسر كثيرون غير هؤلاء لا أعرف اسماءهم .

- ٣٠ -

على هذه الصورة كانت الأمور فى المملكة يومذاك .

رأينا نحن فى أسوأ حالات النكد وسوء الطالع حين أرسى فى عكا « هنرى كونت تروى » الجليل القدر وابن كونت « تيوبولد الكبير » الذى خلفناه فى مدينة « برنديزى » بأبوليا أثناء رجوعنا من مجمع اسلاثيران ، وكان فى صحبة هنرى فى رسوه بعضا من كبار من سراق القوم .

وكان كثير من عالية الناس قد وفدوا فى ذاك العبور نفسه ، كما قلنا من قبل ، ومن فيهم « بطرس دى كورتزوى » شقيق -ويس ملك الفرنجة ، كما جاء فيليب أسقف « بوفيه » المنتخب من كونت روبرت وأخو الملك لويس . وكانت قلوب قومنا تتفطر حزنا من جراء

المصائب التي حاقت بنا مؤخرا ، لكن قدوم هؤلاء الكبار انعش نفوسنا كما شد من عزائم اهلنا واحيي آمالهم في أن يستطيعوا بمساعدة هؤلاء الأمجاد أن يتجنبوا الكوارث التي قد يأتى بها الغد ، وربما يتمكن ن أيضا بواسطتهم أن يثأروا للدواهي التي داهمتهم ، ولكن ذهب هذا الأمل الدراج الريح لأن الله كان غير راض عنهم فعجزوا عن التغلب على عواقب الشرور السالفة بل أنهم وقعوا فيما هو أشد منهضراوة ، ويرجع السبب في ذلك الى أن صلاح الدين - وهي الد أعدائنا والذي تسنم ذروة السطورة بفضل انتصاراته الكثيرة - قد أسعفه الحظ الحسن ففاجأنا قبل أن نلتقط أنفاسنا وضرب الحصار على الحصن الذي كمل تشييده في ابريل الماضى . فلما تم بناء هذا الحصن الذى كثرت الاشارة اليه عهد به (الملك) الى فرسان المعد الذين كانوا قد استولوا لأنفسهم على كل الناحية بسبب تنازل الملوك لهم عنه .

فلما علم الملك أن صلاح الدين محاصر ذلك الموضع حشد كل قوى المملكة وجميع قواتها القتالية ، كما أنه استدعى كونت هنرى (دى تروى) وغيره من النبلاء الذين كانوا قد وصلوا منذ قريب ومضى بهم الى طبرية حيث دعا جميع من بيدهم الحول والقوة من رجال المملكة الى الذهاب لمساعدة المحاصرين وارغام العدو على فك الحصار .

لكن ينما كان بلدوين الرابع واقفا هناك فى الانتظار وقد أجل الاستعدادات ليوم واحد فقط وافاه النبا الصادق بأن العدو قد استولى على الاكان وهدمه حتى سواه بالأرض وصيره أنقاضا .

أما رجال الحامية الذين كانوا هناك لحراسة القلعة (٧٠) فقد راحوا هابين أسير وقتيل ، وبذلك أضيفت نكبة فادحة جديدة الى سلسلة النكبات السابقة ، حتى نيمكن أن يقال بصدق فى حقها (٧١) : « ان

الرب الالههم انصرف عنهم ، وحق القول : « ان احكامك لجة عظيمة » ،
و « ما اشدك في اعمالك » .

ان الرب الذى اغدق خلال السنة المنصرمة النعم الجليلة على
ابنائهم المخلصين حكم عليهم ان يلبسهم لباس الهون الشديد وأن
تسودهم الفوضى ، ولكن من ذا الذى يعرف ما الذى يريد الرب .
ومن ذا الذى يشاركه في قضائه .

ولاجل ذلك فانك قد حجت عطفك عن الجموع الكثيرة والذلاء
المشاركين حتى لا ينسبوا لأنفسهم ما هم فيه من نصر لم يحرزوه
بكفاءتهم بل بفضلك أنت ، ولأنهم لم يردوا عليك الرد الجميل . أنت
أيها المحسن عليهم بما منحتهم من صنعك العظيم ولأن « الذى يحبه
الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله » (٧٢) .

لقد لطخت يارب وجوهنا بالعار حتى نسعى الى اسمك المبارك
الى الأبد ، واننا لنعرف ونعترف يا ربنا أنك لا تتغير لأنك أنت
القائل (٧٣) : « أنا الرب لا أغير » ، ولكن أيا كن السبب فاننا نعرف
أنك الحق يارب ، وأن احكامك عادلة .

فى هذا الوقت كنت المناوضات التى جرت العام المنصرم
بخصوص دوق برجنديا قد تجددت على يد عمه الكونت هيرى ،
وانتقد الأمل على وصوله فى الرحلة التالية ، لكن ظهر بعدئذ بكل
حلاء وأسباب لانعرفها أنه لازال مصدرا على عدم المجيء .

هنا ينتهى الكتاب الحادى والعشرون

حواشي الكتاب الحادي والعشرين

(١) يلاحظ قارئ هذا القسم من تاريخ الحروب الصليبية تردد مؤلفه في السعت العددي للوك بيت المقدس اللاتين ومن هنا كان نعته بلديون الأجدم حيا بالسادس وحيثا بالمسابع وهو ان ينعت بالسادس فإنه يكون من الفريق من المؤرخين الذين لا يعدون « جود فزوى دى بويون » بين ملوك المقدس اللاتين ، لأنه هو نفسه لم يسم نفسه بالملك وإنما اختار أن يتقب بحامي القبر المقدس .

(٢) راجع ماسبق ، ص ٢٢ - ٢٤ .

(٣) راجع الحاشية السابقة رقم ٢ .

(٤) بيداني Bithany هي «البحرانية» أو العازارية كما يقرر لي سترايخ زى آرية قرب القدس تنسج بأهليه روحية خاصة اذ بها قبر لعازر الذي رآه المسيح وقد تم على يد مريم مديونة اليه ، وفي الاخبار المسيحية الاولى أن المسيح رد عليه الحياة بعد موته ، ويذكر ذلك ياقوت في معجمه انظر الملحق الزارد في آخر هذا الجزء تحت لعازر ، ونظرا لادنية المكان من الناحية الدينية فإن « مليزند » ملكة بيت المقدس قامت سنة ١١٤٣ م بشراء هذا الموضع وشيدت فيه ديرا باسم لعازر واختيه .
مارثا وماري .

ويخطئ من يخلط بين بيداني Bithany وبين بيتينيا Bithulia التي هي ولاية في آسيا الصغرى ، انظر في هذا المصدد ماورد في كتاب

« ديشامب » عن القلاع الصليبية في الأراضي المقدسة وانظر الملحق الذي
اضفأه في ختام هذا الجزء .

Deschamps : Les Chateaux des Croisés en terre Sainte

Le-Strange : Palestine under the Moslems, P. 536.

(٥) وهي التي تعرف بمونتريال عند الصليبيين وهي قلعة مسيحية

الحصانة على الحدود السورية قرب الكرك ، أو كما قال ياقوت « بين عمان
وأيلة على البحر الأحمر » ، انظر عنها مآجمه الاستاذ لي سترانج .

Le-Strange : Palestine under the Moslems, P. 536.

(٦) راجع ما سبق ص ٧٩ ، س ٣ وما بعده .

(٧) يبدو في هذه السطور خوف وليم الصوري من أن يتهمة قارؤه
بالانحياز والتحيز لريموند كونت طرابلس ، ومن ثم فإنه يحاول أن ينفي
هذا الظن ، ولكن بالرجوع الى ماسبق لوليم أن قاله في هذا الصدد يتبين لنا
أنه بدرجته موقفه مقدما حين قال إن الجميع بما فيهم الاساقفة كانوا يزكون
طلب ريموند ويؤيدونه في أن يكون وصيا على الملك .

(٨) راجع ما سبق عن مصرع ريموند على أيدي الحشاشين

(٩) أشارت الترجمة الانجليزية لكتاب الحروب الصليبية ج ٣ ، ص ٤٠٤

حاشية رقم ١٠ الى أن آخر توقيع موجود لدينا لمرالف كمستشار للملك
ورد في وثيقة مؤرخة بالثامن عشر من ابريل سنة ١١٧٤ م ، وذلك بناء على
ما جاء في R Röhricht : Regista Regni Hierosolymitani, No. 514.

أما أول توقيع لوليم فكان على وثيقة مؤرخة بالثالث والعشرين من
ديسمبر من نفس السنة Röhricht, op. cit. No 518 وقد سبق لوليم أن أشار
في الكتاب العشرين ، الى أن وفاة « رالف » كانت في ابريل ، أي
قبل وفاة نور الدين بشهرين .

(١٠) المقصود بالأمير الشاب هنا الأمير ابن نور الدين .

(١١) يقصد بسبب هذا الكرم المفرط .

(١٢) سفر أيوب ١٢/٢١ .

(١٣) استعمل وليم في الأصل كلمة Obryzum وعلفت الترجمة
الانجليزية على هذه الكلمة فقالت انها من الالفاظ اللاتينية لقليلة المتأخرة .
ونصحت في النص الذي نحن عليه الى أن نستخدم كلمة Obrussa

أى المعدن الخالص الذى عولج بالنار فخرج صافيا من كل شائبة . وقد جاء
فى المعاجم العربية أن الأبريز هو الذهب الخالص . وقالت أنه لفظ فارسي
الأصل .

(١٤) المقصود بذلك الاجتماع الذى أشار إليه وليم من قبل فى هذا الجزء
الرابع من الترجمة العربية ، ص ٨٢ ، س - لما بعده .

(١٥) المقصود بذلك ريموند كونت طرابلس الذى أصبح وصيا على الملك
والمملكة .

(١٦) المقصود بذلك قطب الدين مودود بن زنكى أصغر أخوة نور الدين
انظر فى هذا Cahen : *La Syrie du Nord*, P. 393.

(١٧) المقصود بذلك موت نور الدين محمود بن زنكى .

(١٨) المقصود بمولاه الشرعى هنا ابن نور الدين .

(١٩) الإشارة هنا الى قصة النبی یونس فى دعائه على مدينة نينوى .
وانظر ما أورده عنه فى الملحق الذى وضعناه فى ختام هذا الجزء من
الترجمة العربية .

(٢٠) يقصد بذلك صلاح الدين .

(٢١) داريا - كما وصفها ياقوت - قرية كبيرة من قرى دمشق فى
اقليم القوطة ، راجع : Le-Strange, op. cit. P. 436.

(٢٢) هذا هو الاسم العربى لكلمة Trachomites وقد أورده بهذه
الصورة ياقوت فى معجمه وقال هو « الحرة السوداء » الموجودة فى اقليم
صلخد بالشام ، وهو اقليم حافل بالقرى مزدهم بالسكان ، انظر كتاب
Le-Strange op. cit.: PP. 425, 492.

وانظر ما كتبناه فى الملحق الوارد فى ختام هذا الجزء تحت كلمة تراخونيتس .

(٢٣) تدمر أو بالميرا من المدن الرائعة فى العصور القديمة ، ويذكر
اليقوتى عنها أن أطلال بعض مبانيها الباقية حتى وقته تشير الى أنها من
بناء سليمان بن داود ، كما يشير المقدسى الى أنها تقع فى جند حصص ، ويذكر
ياقوت أنها سميت باسم تدمر بن حسان من نسل نوح وقد وردت الإشارة إليها
فى العهد القديم . ونظرا لما كانت عليه من عظمة فقد تشبعت حولها كثير من

= الاخبار التي تدخل أكثر ما تدخل في باب الاساطير ، كما انها أول بلد
 أسواني عليه خالد بن الوليد وهو في طريقه من العراق الى الشام ، راجع
 Le-Stranger op.cit. 175-541-542

أخبار العرب في الشام من قبل الجوزي

(٢٤) آلت الهزيمة الساحقة بالامبراطور البيزنطي مانويل في الواقعة التي
 عرفت بواقعة « ميروكيفاليون » Myrokephalion يوم ١٧ سبتمبر ١١٧٦ م ،
 وقد أنزلها به قلع أرسلان سلطان قونية على الرغم مما كان بين العاملين
 قبل ذلك بقليل من العلاقات الودية التي تشير اليها زيارة قلع أرسلان للبلاط
 البيزنطي وما قوبل به من الاحتفاء النادر ، وما أغدقه عليه مانويل من الهدايا
 السنوية . انظر وصف ذلك في :

Michel Le Syrien (Chronique de..) trans. by Chabot, III,
 p. 319

وبدأ فرزت هذه الزيارة اتفاقية صداقة بين الطرفين لكن مالبث قلع
 أرسلان أن طمع في ثراء بيزنطة كما أن فردريك بربروسة حرض بيزنطة ضد
 السلاجقة فخرج الامبراطور مهاجما السلاجقة ولكن قوات قلع أرسلان تصدت
 له وانزلت به هزيمة ساحقة في العتاد والرجال ، حتى لقد كانت نجاة
 الامبراطور نفسه شبه معجزة كما يقول مؤرخنا ولجيم الصوري على أن قلع
 أرسلان مالبث أن عاد يسعى للصلح الذي أسفر عن تدمير بعض الحصون
 البيزنطية بآسيا الصغرى ، وعلى أية حال فان هزيمة مانويل في
 « ميروكيفاليون » قضت على كل تفكير بيزنطي في تحجيم القوة السلجوقية
 وإخراج أصحابها من آسيا الصغرى ، ونضيف في هذه الدائبة الى ما جاء
 في المتن عن الاطباء الذي نسب ما نزيل أن فردريك بربروسة كتب الى
 الامبراطور البيزنطي بالاعتراف بسببه على بيرط واحد من ابناء رومة ،
 وكان ذلك بدنى سرخية من توحيد نسيم مسيحي تحت راية أمير طورية
 الرومانية ، راجع .

١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢ ١٥٨٣ ١٥٨٤ ١٥٨٥ ١٥٨٦ ١٥٨٧ ١٥٨٨ ١٥٨٩ ١٥٩٠ ١٥٩١ ١٥٩٢ ١٥٩٣ ١٥٩٤ ١٥٩٥ ١٥٩٦ ١٥٩٧ ١٥٩٨ ١٥٩٩ ١٦٠٠ ١٦٠١ ١٦٠٢ ١٦٠٣ ١٦

(٣٦) لاحظت الترجمة الانجليزية انه لم يلقب أبدا بالطويل السيف

(١٧) فيما يتعلق بمحريات أحداث هذه العلاقات الثنائية، الوضعية

من ناحية « أندرونيكوس » الذي ظل يغري فيليبيا حتى « أدار رأسها ولم تعد قادرة أبدا على رفض أى طلب له » راجع ماورد في كتاب :
Ruzsman : op. cit. II, PP. 377 — 378.

(٢٨) المقصود بذلك الحملة التي كان الامبراطور البيزنطي مانريز قد عرض على مملكة بيت المقدس المشاركة في شتتها على مصر وغزوها -

(٢٩) اشار رنسمان الى ان كونت فلاندرز صرح اخيرا بان غرضه الوحيد من المحضور الى فلسطين كان يتلخص في ان يروج الاميرة « سيبلا » والاميرة « ابزابيلا » الى وليد فصله روبرت اوف بيتون ، انظر : Runciman . op. cit., II, P. 415.

Chalandon · Comnènes, II, P. 551. (r.)

(٢١) المقصود بذلك الاتفاق على ارسال حملة مشتركة من بيزنطة وسلكة بيت المقدس لغزو مصر .

(٣٢) بطرس الأول ٥/٥ .

(٣٣) المقصود بهما كونت طرابلس وكونت نالندرز *

(٢٤) وكذا في الترجمة الانجليزية قام دمج النصين في نص واحد في فكره الا ان كان عام ومباين عن نصين آخرين في اللغة العربية في اربعة مواضع وسيرى ذلك

٧. — Op. cit. 186. — E. S. Sogho.

دشمن هم خانه لا راجله بیچاره و بیچاره

رقم ٢٨ / اسم : تاريخ :
 في احسان التوسفية ص ٨٩ باسم : الملوك .

(٣٦) في ٧١ ميل Mirable Castle وقد ترحمناها الى

(٤٧) تثنية ٢٧/٣٢ .

(٤٨) اشعيا ٨/٤٢ .

(٤٩) فيما يتعلق بقصة جدعون التي يشير اليها ولیم في المتن أعلاه ،

راجع ما أوردناه في الملحق في ختام هذا الجزء تحت كلمة « جدعون » .

(٥٠) تثنية ٣٠/٣٢ .

(٥١) في هذا التعبير الذي يستعمله ولیم المصوري اشارة الى رسالة

يعقوب ١٧/١ ، في قوله : كل عطية صالحة ، وكل عوبة تامة هي من فوق

نازلة من عند ابي الانوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران » .

(٥٢) خروج ١٢/١٥ .

(٥٣) خروج ٧/١٥ .

(٥٤) المقصود بذلك كونت فلاندرز .

(٥٥) يقصد بالقلعة هنا حصن حارم ، انظر الحاشية التالية .

(٥٦) راجع ما ذكره ياقوت وابن عبد الحق وأبو الفدا عن حصن

حارم ، وانظر : Le-Strange, . op. cit. P. 449.

(٥٧) يعنى عزمه على الرجوع الى بلاده ومخادرة الاراضى الشامية .

(٥٨) حدث الترجمة الانجليزية عودته الى بلاده نابيا كتب في خريف

١١٧٨ م .

(٥٩) حزيران ١٨٠٨ .

(٦٠) كانون ١٨٠٣ .

(٦١) « شارل هريش » برسمى اسمها « مرسى بختاب » وعشائته دُن

تكريا كذيفة - بر - بختاب كذا - يومًا دينيه - دار - مكتب ابي شرف هو

دعسه على تزويدها بها ويلوفاحق التي كان شديد الولع بها ، ولا نستبعد أن

تكون هذه المكتبة قد ضمت بعض الكتب العربية .

(٦٢) ترك لنا أبو شامة في الروايتين وصفا دقيقا للحظات همفري القتالية الأخيرة فقال : « وقعت فيه (أي في همفري) جراحات أحداها بشابة فجذعته ونفلت إلى فيه ومرت بضرسه فقلبعته وخرجت من تحت فكه . ووقعت أخرى في مشط رجله فنفلت إلى أخمصه ، وأخرى في ركبته ، وضرب لث في جنبه فكسر له ضلعين » .

(٦٣) هي قلعة تبين الصليبية المعروفة في الحوليات المصليبية باسم Le Toron كانت من أقوى الحصون التي في يد الفرنجة وقد مر بها الرحالة المسلم ابن جبير في رحلته سنة ١١٨٥ م فذكر أنه كان يحكمها وقتذاك امرأة يسمونها « الخزيرة » أو « الملكة » وهي والدة صاحب عكا . وقد أطل هذا الرحالة في وصفها . ولكن ياقوت يقول عنها « وتبين بلد في جبل بني عامر ، أما الحصن فيطل على بانياس ، وهو واقع بين دمشق وصور » . انظر Le Strange : op. cit. PP. 545 — 6.

(٦٤) رجحنا أن تكون « مرجعيون » هي المرادف للفظ اللاتيني Mergum الذي استعمله وليم في الأصل ، وقد ذكرت المراجع الجغرافية في العصر الوسيط « مرج عيون » وعرفته بأنه مرج في الأراضي الشامية الساحلية ، وربما كان هذا هو المكان الوارد في سفر الملوك ٢٠/١٥ باسم « عيون » فقم في قوله « ... وضرب عيون ، ودان ، وأبل » .

(٦٥) لفظ « الباشورة » من مصطلحات الحصار الإسلامية في العصور الوسطى .

١٦٠
... ..
... ..
... ..
... ..
... ..
... ..
... ..
... ..
... ..

(٦٧) جرت هذه الحادثة يوم العاشر من شهر يونيو ١١٧٩ م . وذلك حسبما يورد Stevenson : Crusaders in the East, ٢٠٢١.

(٦٨) سفر أيوب ٣/٢٧ .

(٦٩) ليس من المؤكد تماما أن يكون « أيود » قد مات في هذه السنة

ويثير الشك في تحديد هذه السنة المؤرخ الفرنسي « دالمبون » ، راجع :
d'Aihon : La Mort d'Odon de st. Amané (in) I ol., XII, PP. 279.

(٧٠) يتكلم المؤلف هنا عن قيام صلاح الدين بحصار القلعة المعروفة

بقلعة بلدوين عند خاضة يعقوب ، وهو حصار استمر ستة أيام من ٢٤
أغسطس حتى ٢٩ منه وانتهى بهدم أسوارها وتسويتها بالأرض ، ولم يكن
أحد يتوقع قيام صلاح الدين بمهاجمة تلك القلعة في هذه اللحظة بالذات بل
كان المتوقع أن يتابع تقدمه الذي وردت الإشارة إليه في الصفحات السابقة ،
لكن أزعجه مجيء حملة فرنسية من كبار فرسان فرنسا وعظمائها ، وعلى
رأسهم أخو الملك وكونت شمبانيا هنرى الثانى وفيليب أسقف بوفيه ، وقد
حاول صلاح الدين أن يتجنب الاصطدام بهذه الحملة فبدل خطته واتجه إلى
قلعة بلدوين ، كما أن الحملة الفرنسية تجنبت التعرض لقوات صلاح الدين
بل عادت على أعقابها إلى فرنسا ولم تحقق كسبا من خروجها هذا . وقد
وردت الإشارة إلى ذلك عند بعض المؤرخين المسلمين أمثال أبى شامة وابن
الأثير ثم المقرئى .

(٧١) مزامير ٦/٣٦ ، ٣/٦٦ .

(٧٢) عبرانيين ٦/١٢ .

(٧٣) ملاخى ٦/٣٠ .



صراع المصالح الشخصية

- ١ - الملك يزوج أخته أرملة المركيز - من شباب اسمه جى دى لوزنيان - الملك يبرم هدنة مع صلاح الدين على شروط متكافئة وهو أمر لم يسبق له مثيل من قبل .
- ٢ - صلاح الدين يغير على إمارة طرابلس ويحرق المحاصيل وغيرها مما فى حوزة الصايبيين فى تلك الناحية .
- ٣ - رسول رسول مصرى إلى جزيرة أروان . كونت طرس يعقد هدنة مع صلاح الدين .
- ٤ - عودة رئيس السفنة صوري من سجنانية و وفاة لرئيس تلك الدرجة .
- ٥ - الملك يزوج أخته الصغرى من شمرى الثالث ، وفاة امبراطور القسطنطينية .

- ٦ - صدور قرار لمرء أن التمسى ضد أمير أنطاكية بسبب انعشيه
التي اصطفا ما رغم أن زوجته لاتزال على قيد الحياة .
- ٧ - ارسال بطرك القدس الى أنطاكية للبحث عن علاج لهذه الأمور
الخطيرة . وفاة البابا اسكندر (الثالث) .
- ٨ - وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين وانتقال ميراثه
الى قريب له .
- ٩ - التناحر الخطير بين كونت طرابلس والملك وسرعان ما
يتحول هذا النفور الى خصومة صريحة .
- ١٠ - حدوث فتنة فى القسطنطينية تجعل لأندرونيكوس اليد العليا
فى تصريف أمور الدولة . الأضرار الجسيمة التى لحقت
بالملايين من جراء هذه الفتنة .
- ١١ - ذكر أسباب الثورة والاضطرابات .
- ١٢ - أندرونيكوس يفتك بالنبله ويستولى على القصر والمدينة .
ويستعمل العظمة فى قمع الأهالى فى حكمه ايامهم .
- ١٣ - الثلاثة الذين كانوا قد نحووا من المرت فى السفن يعيشون فى
الجزيرة لا يمكن ان يأتوا الى المرجعة عن طريق القاطية .
- ١٤ - حصار على القلعة التى عتدها من قبله الذى يوحى
الى ...
وكان ... السكان وياخذ ...
- ١٥ - صلاح الدين يستولى على أحد معاقله وهو حصن شديد
الحصانة فى منطقة السواد .

١٦ - صلاح الدين يهاجم أرضنا بقوة مسلحة فتنشب معركة لكنها غير فاصلة عند حصن فوربيليه .

١٧ - صلاح الدين يستدعى أسطولا من مصر ويفرض الحصار على مدينة بيروت .

١٨ - المنك يصل الى صور في طريقه لانتقاد بيروت . وصلاح الدين يرفع الحصار .

١٩ - صلاح الدين يعبر الفرات ويدخل أرض الجزيرة .

٢٠ - الملك يخرب اقليم الدماشقة تخريبا كريها .

٢١ - الصليبيون يحاصرون القلعة التي استولى عليها صلاح الدين أخيرا ، ويتملكونها ويعيدونها الى حظيرة المسيحية .

٢٢ - الملك يهاجم معسكره أرض الدماشقة مرة ثانية .

٢٣ - اجراء احصاء عن المملكة كوقاية ضد كوارث المستقبل .

٢٤ - صلاح الدين يحاصر حلب ويأخذها باتفاق خاص . امير الدماشقة يدعى الشهاب الدين محمد بن طغتكين يقاتل في معركة حربية مع صلاح الدين .

٢٥ - وفاة الملك بدرخان بنشال في ايامه الأخيرة . تولى بعده ابنه الملك محمد بنشال .

٢٦ - صلاح الدين يعير على بلادنا بقوات هائلة ويضرب معسكره بجوار « بيسان » فيخرج المسيحيون لصده .

٢٨ - صلاح الدين يفرض الحصار على مدينة البتراء (دمر)

الواقعة وراء الأردن ويستولى عليها بالقوة .

٢٩ - الملك بلدوين يخلع كونت يافا من الإدارة العسائية للملك

توماس ابن عمه العسائية .

٣٠ - الملك يحشد قواته ويسرع عبر الأردن لمساعدة المحصورين

بصلاح الدين الحصار

هنا يبدأ الكتاب الثانى والعشرون

صراع المصالح الشخصية

وصل الى المملكة فى هذه الأثناء أيضا « بوهيموند » امير انطاكية و « ريموند » كونت طرابلس ومعهما كوكبة من الخيالة لحراستهما ، وقد انزعج خاطر الملك كل الانزعاج مخافة أن يؤدى قدومهما الى أحداث ثورية يجدانها ذريعة لاقصائه عن العرش وسبيلا لاستيلائهما على المملكة ، وكانت وطأة المرض قد زادت عليه زيادة ضاعفت قلقه عن ذى قبل ، ناهيك بتفاقم ظهور أعراض الجذام يوما بعد يوم عليه .

اما اخته أرملة المريكز « دى مونتفرات » فكانت — كما قلنا — فى انتظار وصول الدوق .

كان الملك يعرف هذين الكبيرين (١) معرفة تامة ، لكنه ارتاب فى الدوافع الكامنة وراء حضورهما رغم وشيجة القرابة التى تربطه

مملكته بل وبين الأجانب والمواطنين رجلا اعبر أجنبية من (من
الزوج) واحكم منه واكثر ثراء ممن لو صاهر أحدهم لعادت هذه
المصاهرة بالنفع الأكيد على المملكة لكنه لم يتدبر قول القائل : « في
العجلة الندامة » اذ بادر فعقد قرانها على شاب ليس بذى جاه ولا
جاه وما هو فى العير ولا النفير ذلك هو « جى دى لوزنيان » ابن
هيج الأسمر ، الذى كان من منطقة « بواتيه » واحتفل بهذا الزواج
فى أسبوع عيد فصيح (١١٨٠) فخرج الملك بذلك العمل على العرف
الجارى اتباعه ، ولكنه عقده لأسباب خاصة عنده (٢) .

لم يفت ذهن النبيلين اللذين اشردا اليهما حالا نظرة الملك
وباروناته الى قدومهما بعين الشك والارتياح وعدم الارتياح ، لذلك
كرا راجعين الى ديارهما بعد فراغهما مباشرة من أداء مراسيم الحج
المعتادة ، وظلا مقيمين بضعة أيام فى طبرية دون أن يشعر بوجودهما
صلاح الدين الذى هاجم المدينة هجوما لم يسفر عن أى ضرر بالأهالى
ثم انسحب مرة ثانية الى الاقليم المحيط « ببنائاس » وظل مقيما به
مع عسكره - كما عرف فيما بعد - فى انتظار وصول أسطول مؤلف
من خمسين شونبة كان قد أمر فى الشتاء المنصرم بأعدادها ، فكان
هذا التأخر من جانيه مدعاة لتسرب شئ من القلق الى نفس الملك
مما حمله على ايقاد الرسل اليه لعقد هدنة فيما بينهما ، فلقى عرض
الملك قبولا حسنا من جانب صلاح الدين ولم يكن ذلك راجعا - كما زعم
البعض - الى عدم اطمئنانه الى قوته أو لخوفه من قواتنا التى
طالما هزمته أكثر من مرة خلال السنوات الماضية ، لكن بسبب ما
ضربت به المنطقة المحيطة بدمشق على مدى سنوات متتالية من جذب
فظيع وعدم سقوط المطر مما أدى الى ندرة فى الطعام من أى نوع
كان للانسان والحيوان على السواء ، ومن ثم عقدت هدنة بين

السهلية ضلوا وعرضا لاسيما الاراضى التى فضجت محاصيلها دون
أن يلقى كيدا ، وراح يضرع النار فى كل محاصيلها التى جمعت فى
الشون والأجران ، وأحرق الحنطة التى لازالت عيدانها خضراء ،
وكذلك الغلة التى نمت على سوقها ، كما ساق الماشية غنيمة باردة
وسار فى الاقليم كله سيرة مدمرة .

- ٣ -

على هذه الصورة كان الوضع فى أرض طرابلس حين ظهرت
فجأة أمام بيروت فى أوائل يونيو قوات صلاح الدين البحرية ، لكن
ما أن تأكد قادة هذه القوات بعقد صلاح الدين المهدنة مع الملك حتى
التزموا بالصلح الذى اتفق عليه الجانبان ، وخافوا أن يصدر منهم
فى نواحي بيروت أو داخل أى صقع من المملكة ما ينقض أى شرط
من هذه الشروط . ولما علموا أن سيدهم موجود على رأس جيشه فى
أمانة طرابلس يمموا وجوههم شطرها واستولوا على جزيرة «أرواد»
المواجهة لمدينة « أنطرسوس » والتى تبعد عن طرابلس ثلاثة أميال ،
فوجدوا مرسأها ملائما لسفنهم .

ويقال أن أول من سكن هذه الجزيرة وأقام بها مدينة حصينة
هو «أرادىوس» بن كنعان حفيد نوح فاشتق اسمها من اسمه .

وكان يوجد على مقربة منها من الجهة الشرقية مدينة رائعة
تعرف بانترادوس التى سميت بهذا الاسم كما قلنا لوقوعها فى
مواجهة « أرادوس » ، وقد حرف هذا الاسم الآن الى طرطوسية
Tortosa التى يقال ان الرسول بطرس شيد بها كنيسة
صغيرة تمجيدا للسيدة مريم أم عيسى المسيح وذلك حين قيامه

بالتشديد في فينيقية ، ولا أنزال هذه الكنيسة في البحر ،
 بل من أجل زيارة والتبرك كما أنعت عليها السماء
 بالنعم الجزيلة استجابة لصلوات المؤمنين ودعواتهم .

ويلاحظ أن هاتين المدينتين تابعتان لمدينة صور العظمى ، كما
 يوجد على مقربة منها موضع يعرف بمرقية (٣) وهى من البلاد التابعة
 لفينيقية .

ولقد أدى رسو هذه القوات على جزيرة « أرواد » الى بث
 الفزع فى جميع أرجاء الاقليم ، ففى الوقت الذى كان القواد ينتظرون
 فيه مولاهم اذا بالعسكر يوقدون النار فى بيت فوق ميناء طرطوسة
 ويبدلون غاية جهدهم فى انزال الأذى بالأهالى ، لكن لم تفلح محاولاتهم
 وكان صلاح الدين قد عاث فى الاقليم بالتخريب حسب هواه ، فلما
 فرغ من ذلك أمر أسطوله بالعودة ثم جمع عسكره وائكفا راجعا الى
 بلده ، ولم تنقضى سوى أيام قلائل الا وفد أمضى اتفاقية سلام مع
 الكونت وارتد الى ناحية قاصية من نواحي دمشق .

- ٤ -

كنا فى هذه الأثناء وعلى مدى سبعة أشهر موصولة
 مقيمين عند امبراطور القسطنطينية (مانويل) العظيم الخالد الذكر
 اقامة أسفرت عن فوائد جمّة عادت بالنفع علينا وعلى الكنيسة ،
 حتى اذا كان اليوم الرابع بعد عيد الفصح وبعد مفاوضات جدية
 شاقة طويلة أذن لنا أن نعود الى ديارنا ، وبينما نحن نهم بمغادرته
 اذا به يأمر أن يرافقنا رجال من لدنه وأشرف من عليه رجاله ،
 فركبنا أربع سفن جهزها الامبراطور جهازا رائعا أفصح عن سخائه
 الامبراطورى ، وكان خط ابهارنا هو المرور بجزر « قندوس »

جاعلين ولاية « فريجيا » وآسيا الصغرى و « ليكيا » و « ليكونيا »
و « بامفيليا » و « ايسوريا » و « كيليكية » على يسارنا . فلما كان
يوم ١٢ مايو وصلنا بفضل الله معاقين ناعمى الببال الى مدخل نهر
العاص وميناء السويدية .

على ان هناك أمرا ليس بالتافة فنتجاهله فى تاريخنا هذا ،
الا وهو انه فى اثناء اقامتنا فى المدينة الامبراطورية بسبب عدم ملائمة
فصل الشتاء للرحيل واستجابة لأمر أعظم حكام الأرض قاطبة ذى
النظر الأبوى السديد الذى توقع أن يكون رحيله عن هذا العالم
سريما . . أقول انه فى اثناء اقامتنا هذه أقام الامبراطور (مانويل)
مراسيم عقد قران ولده ، وابنته ، فأما الولد فهو الكسيوس (٤)
(الثانى) المسمى باسم جده ، حيث شرفه أبوه بأجنس ابنة لويس
ملك الفرنجة العظيم ، ولم يكن الكسيوس (الابن) . اذا قد بلغ الحلم
بعد ان لم يجاوز الثالثة عشرة من عمره ، وأما العروس فهى «أجنس»
وكانت فى الثامنة ، وخلع (منويل) عليهما التشريف الامبراطورى
وذلك فى قصر قسطنطين الكبير وفى الجناح المعروف باسم «ترولوس»
ويقال انه كان قد التأم فى هذا المكان المجمع المقدس السادس زمن
قسطنطين بن قسطنطين بن هرقل .

ثم زوج الامبراطور ابنته من شاب اسمه « رينيه » ابن وليم
الكبير مركز دى مونتفرات وشقيق وليم الذى كنا قد زوجناه من أخت
ملكنا ، وكان الامبراطور قد بعث فى طلب هذا الشاب وعمره يومذاك
قاربة سبعة عشر عاما وارسل فى ذلك رسلة الامبراطوريين لاستدعائه
فبلغ المدينة الملوكية قبل وصولنا اليها بخمسة عشر يوما تقريبا فأقام
بها فترة من الوقت زار خلالها الجيش فى صحبة الامبراطور المبعول

الذين هم من سلالة الإمبراطور رين. وقد جمعهم اجتماعاً رائعاً
عظيم الأبهة في القصر الجديد المسمى بقصر « بلاشيرناي » حيث
قام « تيودوسـيوس » بطرك القسطنطينية بعقد القران ، وزوج
(مانويل) ابنته مارية من « رينية » الذي سماه باسم أبيه وهو
« يوحنا » ولقبه بقيصر .

كانت « مارية » ابنة للإمبراطور من زوجته الأولى الامبراطورة
« ايرين » (٥) الطيبة الذكر التي كانت قد جاءت من مملكة التوتون
لتكون عروسا له .

كما أنه لم ينجب من زوجته الثانية مارية (الانطاكية) سوى
ابنه الوحيد « الكسيوس » امبراطور القسطنطينية حالياً (٦) .



ان أية محاولة لتصوير جميع عجائب تلك الأيام انما هي محاولة
عقيمة حتى ولو كرسنا لها مؤلفا خاصا ، لكن حسبنا أن نشير الى
العاب السيرك التي يسميها سكان القسطنطينية بالمسارح ، كما يكفي
أن نذكر المناظر الرائعة المختلفة التي عرضت على الشعب في أبهة
عظيمة طوال أيام الاحتفالات وما ظهر من روعة الملابس الامبراطورية
والأردية الملوكية المحلاة بكثير من الأحجار الكريمة والجواهر الثقيلة
الوزن ، والأثاث المطعم بالذهب والفضة في القصر مما لا يستطيع
أحد تقدير ثمنه . وان اللسان ليجز عن وصف السجوف والأقمشة
الغالية التي كانت تزين المخدع الملكي ، كما يقصر اللسان عن
الافاضة في الاشارة الى كثرة الخدم ورجال البلاط وأبهة الاحتفال
بالزواج ، وكثرة الهدايا التي أغدقها الامبراطور على رجال من بني
قومه وعلى الأجانب لكن لنعد الى ما كنا فيه فنقول انه لما صرنا
في انطاكية نعلمنا أوامر الامبراطور الى الأمير المجل بطرك الامارة ،

ووجدنا في بيت الملك (جورج الرابع) في ١١٨٠ م وفي العام
 السابع من عهد الملك بلدوين الرابع مات ألقى الناس (لويس السابع)
 ملك الفرنجة وتخلص من عبء الجسد الفاني وصعدت روحه الى
 عليين لتنعم بالجزاء الكريم الذي لا يفنى في صحبة العظام الأبرار ،
 ولم يخلف لويس سوى ولد واحد يرثه من بعده هو « فيليب » الذي
 رزقه من الملكة « اليكس » ابنة ثيوبولد الكبير وأخت كل من كونت
 تروى وثيوبولد كونت شارترز وستيفن كونت سانسير ، ووليم رئيس
 أساقفة ريمز ، وكانت وفاة لويس السابع بعد حكم طال ثلاثا
 وأربعين (٧) عاما ، فكان عمره يوم وافته مئتين عاما .

وفي السادس من اكتوبر التالى مات الطبيب الذكر « أماريك »
 بطرك بيت المقدس بعد أن ظل في كرسى البطركية عشرين سنة تقريبا ،
 وكان رجلا لين العريكة ليس بذى خطر « فلما مضت عشرة أيام على
 رحيله انتخب هرقل رئيس أساقفة قيسارية ليحل مكانه .

- ٥ -

وفي هذا الشهر ذاته خطب الملك لأخته التي لم تكن قد بلغت
 الثامنة من عمرها - شابا حدثا اسمه « همفرى » ويعرف بالثالث إذ
 هو ابن همفرى الثانى . أما أمه فهي « ستيفانى » ابنة فيليب صاحب
 نابلس ، وكان همفرى الثانى ابنا لهمفرى الأول صاحب شقيف
 قورون وكونستابل الملك الذى تعددت الاشارة اليه كثيرا . وأما فيليب

الكتاب ١٠٠٠ - من أمراء تدعى « سيدولا » وكان قد ذاع
بممارستها أعمال السحر الشريرة (١٠) .

كان جوساين خال الملك وسنكاله موجودا ان ذاك بالقسطنطينية
حيث كان بلديون قد بعث في استدعائه اليه لبعض شئون الدولة ، كما
كان بلديون صاحب الرملة موجودا هو الآخر هناك ملتصقا من
الامبراطور عونه في موضوع سداد فديقه لكن حدث في اثناء اقامة
هذين الاثنين (١١) في العاصمة الملوكية ان مات طيب الذكر الامبراطور
مانويل ، وتكشف الامر يوم اول مارس عن ان بعض كبار الشخصيات
من رجال الدولة قد دبوا مؤامرة لاجداث ثورة ضد الامبراطور
الكسيوس (الثانى) بن مانويل الذى كانت أمه الامبراطورة (مارية
الأنطاكية) وصية عليه تبعا لوصية أبيه ، وألقى القبض على هؤلاء
الرجال بتهمة الخيانة العظمى ، وأمر الامبراطور (الصغير) بتقييدهم
وزجهم فى الحبس على الرغم من وشيجة القرابة التى كانت تربطه
ببعضهم .

كان من زعماء هذه المؤامرة مانويل بن أندرونيكوس الكبير
الذى أشرنا اليه فيما سبق ، وكذلك « البروتو سيباستوس الكسيوس » ،
وتيودورا كالوسينا ابنة أخى الامبراطور (الكبير) ، وأخو أمين
الخزاة الذى كان يشغل احدى الوظائف بالقصر . هذا الى جانب
اثنى عشر آخرين من أبرز رجال الدولة ذوى المكانة المرموقة ، كما
أن المبحلة مارية اخت الامبراطور كانت ضالعة فى الأخرى فى
المؤامرة (١٢) ، وان كان دورها ثانويا ، وقد اغتنمت فرصة ظلام الليل
ففرت مع زوجها الذى أشرنا اليه حالا الى كنيسة سنت صوفيا ولاذت
بها متربعة فى قلق حسيها ، ولكنها استظلت بحماية الكنيسة وان
اتخذت هى وزوجها من هذا الملجأ مكانا لتجميع الأسلحة والرجال
المسلحين من أنصارها ومن زلوا زلتها فساهموا فى هذه المؤامرة

٢٦٣
بطرك المدينة فيما احتزته .

أما رهط الامبراطور الذى كان يعتمد على وجه الخصوص على اللاتين فقد أخذ يعمل على زيادة قوته مما أفزع مارية التى اضطرت أخيرا - بسبب تضعُّع قواتها وبدافع من يأسها من الحياة - لأن تتلمس الوسطاء متذللة الى الامبراطور بواسطتهم للتماس رحمته، فاستجاب لها أخوها وتعطف عليها فعفى عنها .

- ٦ -

كان وضع اللاتين فى هذا الوقت بالمشرق لاسيما فى اماره أنطاكية شديد الاضطراب بسبب ما قام به أميرها بوهيموند (الثالث) من تنحية زوجته الشرعية (تيوسورا) واتخاذها (سيبيلا) خليله له بعاشرها معاشرة الأزواج ، وطالما نبهه الكثيرون الى وجوب الكف عن حياة الدعارة الخسيسة التى يحياها جهرا وأن يعيد زوجته الشرعية (تيوسورا) اليه ، لكن صبح ما جاء فى الأمثال (١٣) « اذا جاء الشرير جاء الاحتقار أيضا ، ومع الهوان عار » فظل يطوى وجهه كشحا ويصم أذنيه كأن فيهما وقرا عن أولئك الناصحين ، غير ملق بالا الى ما يقولون ، ولم ينصت الا الى « صوت الحواة الراقين رقى حكيم » (١٤) .

وترتب على ذلك استمراؤه حياة اسخطية فلازمها جالبا على نفسه ما يستحقه وما هو أهل له ، فقد صدر ضد قرار الحرمان وحقت عليه اللعنة ، فلم يكثر بهذا الأمر ولم يعسره اهتماما بل تمادى فى غيه وأسرف فى ممارسة حياته النجسة أكثر من ذى قبل ، وعامل البطرك والأساقفة وغيرهم من كبار الشخصيات الكنسية فى تلك الامارة كما لم كانوا أعداء له . واقتدش فى ايدائهم فدنس حرمة

الأماكن المأوى كانت في أودية ، ونهب ما حوله من الأشياء
السنة ، واضطربت القوات الخاصة في وقاحة لا تصدر إلا من
روح شريفة فاجرة حتى ليقال نه حاصر البطرك ومن لاذوا به من
رجال الدين والكهنوت ، مما أجهم الى قلعة تابعة للكنيسة فرارا
من بطشه واتقاء لشده ، وكات تلك القلعة مجهزة أحسن تجهيز
بالأسحلة والعسكر ومزودة بأنميات وفيرة من الطعام ، ثم جاءت
الأخبار بأنه شن عليها بضع نجمات ضارية كما لو كانت قلعة من
قلاع العدو .

وبلغ السيل الزبي ، وضافت طائفة من كبار الشخصيات ذرعا
بما اتسم به مسلك هذا الأمير من الجنون ، ونفذ معين صبرهم ولم
يعودوا قادرين على احتماله ، ولما كانوا يدركون أن واجبهم هو خدمة
الله أكثر من أن يكونوا في خدمة أي كائن من الناس فقد انفضوا من
حول (بوهيموند الثالث) جسما وروحا ، اشمئزا من فعالة القبيحة
الشائنة ، وكان من بين هؤلاء المنفضين عنه رجل سري أمجد قوى
الأياس هو « رينيه ماسوييه » فقد كان له حصن (١٥) أمنع من عقاب
الجو فاعتصم به ، ثم جاء الى ملا من الناس فاضت قلوبهم بالخير
وتمثلوا الله في السر والعلانية وخافوه فدعاهم للانضمام اليه حيث
يقيم ، وقدم الملجأ الأمين لهؤلاء النبلاء الذين خرجوا من بلادهم ،
كما قدمه الى سواهم - أما كانوا - ممن قروا لهذا السبب ذاته .

أدى مسلك بوهيموند الى أن البلاد أصبحت تواجه مأزقا شديدا
الخطورة ، وتأزمت الأمور ورأى رجال من اصحاب الخبرة الطويلة
أنه إن لم تتداركنا سريعا رحمة الله ويسعفنا بنجدة فلا مفر من أن
يفتح باب الشر على مد راعيه فيدخل منه العدو ويدمرنا تدميرا ،
وتلحق بالمصالح المسيحية كسرة لا يبرأ منها الى الأبد ، وتقع الامارة
كلها مرة أخرى في أيدي الترك بعد أن استطاع القادة المخلصون

بأن الرب أن ينقذهم ، فلم يرد أن يذل شعب المسيح في ذلك
 الأسرى ، ما يذل ، في الجور ، وتحمل من الشاق ما يصبر
 عن روايته ، لأن كلمة الحق ثابتة لا تتغير ولا تبدل لها ، كما أنه
 لا مشاحة في صحة القول القائل بأن « كل مملكة منقسمة على ذاتها
 تخرب ، وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت » (١٦) .

حينذاك اجتمع ملك بيت المقدس والبطرك المجل وكبار رجال
 الكنيسة والأمراء العلمانيون ليتشاوروا تشاورا جديا فيما ينبغي
 عليهم اتخاذه من السبل في هذا الحدث الطارئ الخطير . وعلى
 الرغم مما اتسم به مسلك هذا الأمير الطائش الفاسق (بوهيموند
 الثالث) من جرم كان يستوجب اتخاذ أصرم الإجراءات ضده إلا أنهم
 ترددوا طويلا في اللجوء إلى القوة حتى لا يندفع في معاداتهم فيستجد
 بقوات العدو ، لأنه أن يفعل ذلك يفتح أبواب البلد على مصاريعها
 أمام الترك لإخراجهم منها يدخلوها فتضيع هباء كل
 الجهود التي قد تبذل بعدئذ كذلك لم يكن الوقت حينذاك وقت مفاوضات
 أو تحذيرات واسداء العظات ورأوا ألا جدوى وراء إرسالهم رجالا
 من ذوي الفطنة إلى رجل قدم كهذا الرجل مندفع في طريق الشر
 اندفاعا جنونيا لأن ذلك يكون كشأن من يحكى قصة « لحمار أصم »
 فيذهب الكلام في الخواء ، ومن ثم رأوا أن يتحملوا هذا الشر حتى
 لا يقعوا في أمور أشد منه خطرا ، ولم يمنعهم ذلك الرأي في الوقت
 ذاته من التماس العون من الرب الذي اعتاد أن ينقذ حتى الذين في
 أعماق البحر لأنه هو الرب الذي (١٧) « يعطي شئ كالصوف ،
 ويذري الصقيع كالرماد » .

وكان أملهم معقودا على أن تواتي الرحمة الإلهية الأمير فيعود
 إلى رشده ويرجع إلى صوابه ، وأن يسبغ العلى عليه ما أسبغته على
 بقية القادة العظام من الفضائل عساه يجاهد ليحمي حياة أفضل .

سرعان ما اتضح للجميع أن الشر أخذ في التفاقم ، وأنه لا أمل في علاج سريع ، وأن اللعنة لم تحوّل بالأمير (بوهيموند الثالث) ، حده بل حلت أيضا بسائر البلاد نتيجة ما وقع من نهب الممتلكات الطاهرة وتخريبها وحرقها ، وأنه لولا تعمد الأطفال لحرم الناس من كافة الطقوس التي تقدمها لهم الكنيسة . وأدرك المسيحيون في حزع أن الظروف الحالية أن طالت حل الدمار بالجميع ، لذلك تقرر بالاجماع أن يذهب البطريرك الميجل الى انطاكية في محاولة منه ان أمكن - بعون الرب - لالتماس أى علاج سواء أكان هذا العلاج مؤقتا أم دائما يمكن به دفع هذه الخطوب المدلّمة .

وصحب البطريرك في سفره هذا كل من أمير انطاكية السابق « أرناط » زوج أم بوهيموند الصغير ، كما صاحبه أيضا الأخ « أرنولد دى تورج » رئيس فرسان الهيكل ، والأخ « روجر دى مولان » رئيس الفرسان الاسبتارية .

كان الداعى لنا على اتخاذ هذه الخطوة هو الخوف من أننا اذا لم نظهر أى مواساة من جانبنا لجيراننا فى محتتهم هذه ولم نحاول التماس حل لما هم فيه من الوضع السيئ فقد يرمينا البابا والأمراء الذين وراء البحر بالاهمال ، بل وربما اتهمونا بسوء النية ولؤم القصد .

كما صاحب البطريرك أيضا بعض كبار رجال الكنيسة من العقلاء ومن بينهم « موناكوس » رئيس أساقفة قيصرية المنتخب « والبرت » أسقف بيت لحم ، و « رينالد » رئيس دير صهيون ، و « بطرس »



حارس كنيسة الامة • وحيثذاك انطلق البطريرك بهم وبرفاقه الآخرين
ميامين وجوههم شطر اذهلاكه •

كما استصحب معه كوت طرابلس الذي كان اشد الناس مودة
للأمير وأحب أصدقائه الى قلبه ، وكان الأمل معقودا بأن يتمكن
الكونت بحديثه اليه ، وما سيقوله رجالنا من أن ينجزوا المهمة التي
جاءوا من أجلها على اكمل وجه •

وعندما بلغوا اللاذقية تباحث الرسل مع البطريرك والأمير على
حدة ، واتفقوا على يوم يجيء فيه كل من الطرفين الى أنطاكية التي
ما أن تم الاجتماع بها وتبادل وجهات النظر المختلفة حتى اتفق
الطرفان على هدنة مؤقتة بالشروط التالية ، ألا وهي جب قرار اللعنة
وعودة الأهالي الى جميع ماكانوا يتمتعون به من تناول القرى
المقدس ، على أن يتم ذلك كله بعد رد جميع الممتلكات المسيحية
الطاهرة الى البطريرك والأساقفة •

أما فيما يتعلق بالأمير (بوهيموند الثالث) ذاته فيكون هو
الشخص الوحيد - دون الناس جميعا - الذي يظل تحت وطأة قرار
اللعنة وهو القرار الذي كان الأساقفة قد أصدروه ضده ، فإن أراد
شجبه وجعله كأن لم يكن كان عليه أن يطرد خليلته (سيبيل) ويرد
امراته الشرعية اليه •

بعد أن تم التصديق والموافقة على هذا البيان عاد أولئك
الأشخاص الكبار من حيث جاءوا وهم يعتقدون أنهم أطفئوا الى حد
ما شر الخروج على الشرعية القانونية في اماره أنطاكية ، الا أن
الأمير (بوهيموند الثالث) عاد الى المكابرة فأوغل في عناده ولج
في متابعة مسلكه الشائن ، اذ نهج نهجا يجعل الملكة (١٨) محفوفة
بالمخاطر ، وذلك حين نفى من المدينة - بل ومن جميع اراضيه - اخلص

نبلاته من أصحاب المكانة السامية ، لا لسبب الا ما قيل عنهم من أنهم
 ستة آتون ، سيرته ، وكان من نبله اللذين كرسنا له ودأبه
 « جيسارد شى ليل » و « برتراند » بن كونت « جيسيلبيرت »
 و « جارتوس جينارد » فما كان منهم وقد أرغهم على الخروج الا
 اللجوء الى الأمير « روبين » (١٩) احد كبار اشراف الأرمن لنبله
 الذى تلقاهم لقاء حسنا ورحب بهم أعظم الترحيب ، وأجرى عليهم
 العطايا والصلوات الرائعة وخصص لهم مئونة عظيمة يعيشون بها :



ولما كان يوم ٢٧ أغسطس من السنة ذاتها مات البابا اسكندر
 الثالث بعد تسنمه كرسي البابوية ثلاثا وعشرين سنة ، ودفن فى
 كنيسة اللاتيران ، وخلفه «لوكياس» Locius الثالث الذى كان
 يعرف من قبل باسم « هوبالد أسقف أو سنيا » وهو من أهل «تسكانيا»
 فى اقليم « لوكا » ، وكان هذا البابا الجديد شيخا مسنا ، لم يفل
 غير حظ قليل من التعليم .

كذلك حدث فى نفس الوقت فى شهر سبتمبر أن رحل عن هذا
 العالم لينعم بالحياة الأبدية اخونا فى المسيح الطيب الذكر « ريموند»
 أسقف كنيسة بيروت ، وخلفه المبجل « أودو » رئيس شمامسة
 كنيستنا (٢٠) ، وكان رجلا شريفا قد ضرب بسهم وافر فى دراسة
 الآداب ، فلما كانت أيام الاحتفال فى شهر ديسمبر خلعنا عليه بمشيئة
 الرب رتبة الكهنوت ومنحناه الصلاحية البطركية .



ومات فى هذا الوقت (٢١) الملك الصالح (اسماعيل) بن نور
 الدين وكان فتى لايزال فى ريق العمر وميعة الشباب ، ولم يكن قد
 بقى فى يده من كل ما ورثه عن أبيه سوى حلب وبعض القلاع ، ويقال

انه ارسل بها وبكل مما يملك الى واحد من اقاربه هو قطب الدين
(مسعود) قال، اليه ذلك كله حسب وصية (الملك الصالح الناصر)
الاخيرة التي اوصى بها وهو على فراش الموت .

كان هذا الوريث اميرا للموصل وابن اخى ابيه « عز الدين »
فلما لفظ الملك الصالح نفسه الاخير ارسل كبار رجال مملكته الى
قطب الدين امير الموصل الذي كان واليا تركيا عظيما يطلبون منه
الاسراع فى القدوم عليهم ، فلما تسلم قطب الدين (مسعود) هذا
الكتاب بادى بالذهاب الى هناك ، واسترد املاكه القديمة وكل ما موحق
له شرعا . وكان يخشى أن يجرى صلاح الدين من مصر مرة ثانية
بعد أن اغتصب من ابن عمه معظم املاكه فيستولى على المدينة قهرا
رغم مشيئة السكان ، لاسيما وأن بعضا من كبار الشخصيات البارزة
كانوا يؤيدونه فى السر .

★ ★

على اية حال فان صلاح الدين بعد أن كان قد وقع معنا هدنة
لمدة عامين عاد بعد توقيعه الى مصر للنظر فى شئونها ، وكان قد
ترامى الى سمعه وأقلق باله خبر اقضى مضجعه الا وهو أن أسطول
ملك صقلية قد تجهز جهازا عظيما بالمئونة والعسكر ، وأنه قد أبحر
الى مصر قاصدا غزوها ، والواقع أنه لم يكن هناك ما يبرر هذا
الجزع فقد كان الأسطول الصقلى متخذا طريقه رأسا الى الغرب نحو
جزائر البليار التى تعرف احداها بميورقة والاخرى بمنورقة قرب
اسبانيا ، وكانت الرحلة مدمرة فقد عصفت بالأسطول ريح عاتية
أدت الى جنوحه عن آخره وتحطيمه تحطيمًا يكاد أن يكون تاما عند
مدن ساؤن وسافونا والبنجا وفتيميليا الساحلية حيث ألقت الريح
والأمواج بالسفن الى الشاطئ .

٣. هذا الوقت الذى كانت المملكة تتمتع ابانه كما قلنا بسلام مؤقت طرأ تغير عجيب على قلب شعب سورى من أهل ولاية فينيقية قرب سلسلة جبال لبنان (فى اقليم طرابلس) ، وكان هذا الشعب يعيش قرب مدينة « جبيل » ، وقد ظل قرابة نصف قرن من الزمان يعتنق هرطقة رجل اسمه « مارو » فسمى أتباعه بالمارونيين نسبة اليه ، وكانوا قد انفصلوا عن كنيسة المؤمنين الصادقين ومارسوا طقوسا ابتدعوها لأنفسهم لا يشاركون فيها غيرهم ، غير أن العناية الالهية شاءت لهم الهداية فردتهم الى حظيرة العقل فنبذوا ما هم فيه من هرطقة ، والتمسوا من « ايمرى » ثالث بطاركة أنطاكية اللاتين أن يرأس كنيستهم ، وأعلنوا توبتهم عن البدعة التى كانوا قد قيدوا بها أنفسهم زمنا طويلا وعادوا الى حضن الكنيسة الكاثوليكية واعتنقوا مذهبها القويم ، واستعدوا لاتباع تقاليد الكنيسة الرومانية بكل توقير .

لم يكن عدد هؤلاء المارون قليلا بأى حال من الأحوال بل الواقع أنهم كانوا يجاوزون أربعين ألف نسمة يعيشون فى نواحي أسقفية « جبيل » و « البطرون » وطرابلس عند سفح جبال لبنان وهم شعب محارب قوى الشكيمة ومقاتلون أشداء أدوا للنصارى خدمات جليلة فى المعارك العدة التى طالما خاضوها فى محاربة العدو ، ولذلك كانت هدايتهم للايمان الحق مبعث فرحة كبيرة لنا .

وكانت هرطقة « مارون » وأتباعه تتلخص فى أن هناك ارادة واحدة ومشينة واحدة تتواجدان منذ البداية فى سيدنا عيسى المسيح ، ويرجع علمنا بهذه الهرطقة الى المجمع المسكونى السادس الذى انعقد للتنديد بهم والذى قضى بإدانتهم وأصدر ضدهم قرار اللعنة والحرمان . وقد أضاف هؤلاء المارون الى هذه الفقرة من ايمانهم الذى سفهته الكنيسة الأرثوذكسية كثيرا من المبادئ الوبيلة

من رويهم من عداد المؤمنين . أما الآن فقد تابوا عما كانوا عليه من شر وخرطقة وعادوا إلى حضن الكنيسة الكاثوليكية برباطة جأش بطركهم والعديد من أساقفتهم الذين كانوا من قبل قد أضلواهم ضد زلا كبيرا مما أدى بهم إلى تنكبهم الطريق القويم ، وساروا بهم في درب الضلالة ، ثم تابوا وأظهروا حماسة شديدة في إرشادهم دينيا حين عادوا إلى طريق الحق القويم .

- ٩ -

كانت المملكة تنعم في هذه الآونة بقسط كبير من الاطمئنان كما قلنا وذلك بفضل السلام المؤقت المبرم بين الملك وصلاح الدين ، بيد أنه كانت هناك نفوس شريفة من أبناء طرابلس نمت في حضن الاثم ورضعت لبان الشر وكانت تتربص الدوائر ليلث الشقاق في المملكة مما ينجم عنه قيام الفتن الأهلية . فقد كانت هناك مشاكل متعددة عاقت كونت طرابلس وأبقته في كونهتية عامين متالين مما حال بينه وبين زيارة المملكة (٢٢) ، ثم زارها بسبب المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه مدينة طبرية التي هي من أملاك زوجته وراح يعد العدة للرحلة حتى إذا وصل إلى « جبيل » قام أولئك الرجال الأوغاد بما جبلوا عليه من الفحش فجاءوا بتهم ملفقة وضيعة أوهموا بها الملك الشديد السذاجة أن الكونت لا ينوي القدوم إلى مملكته إلا وهو عازم عزما أكيدا ، لحقته الشر وسداه المصرة به ، وأعنى به العمل سرا على خلعته عن العرش ليجلس هو مكانه .

وأصغى الملك إلى هؤلاء الناس بأذن واعية ، وأنصت إلى كلامهم المضلل ، وبادر فأرسل في الحال إلى الكونت (ريموند الثالث) رسالة لا يقبل محبتها الخفض ولا المراجعة ، إذ يرفض السماح له بدخول المملكة .

وأغضبت هذه الرسالة الكونت وعندها أهانة له وجرحا لكبريائه وأحس بالعار والسخط ، وحق له أن يسخط ، وكف - وهو كاره - عن مجاوزة هذا المكان الذى وصله ، وعاد أدراجه الى طرابلس بعد أن صرف من المال والجهد ما صرف من غير طائل ،

لقد رأى هؤلاء المشاغبون فى حضور الكونت (وهو الرجل المستقيم والذى لا يعرف الكلال اليه سسيلا) ما يحيل بينهم وبين التصرف فى شئون المملكة بما تسوله لهم أهواؤهم ، وأرادوا أن يستغلوا مرض الملك لتحقيق مصالحتهم الذاتية وكان من بين الذين أخذوا فى التأثير على الملك دون خجل مما يفعلون أمه (الملكة) تلك المرأة الجشعة المكروهة من الله أشد الكره ، وأخذها سنكال الملك ورهط قليل من الرجال اللئام من أتباعهم الضالين .

أما البارونات العظام من أصحاب التجربة الكبيرة وبعد النظر فقد انزعجوا أشد الانزعاج حين علموا بهذا الخبر خوفا من أن يؤدي حرمانهم من حماية هذا الكونت الجليل لهم الى سقوط المملكة من مكانتها الرفيعة فيحق عليها ما قاله (٢٢) السيد : « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب » ، لاسيما وقد اتضح أن مرض الملك أخذ يتضاعف يوما بعد يوم ، كما أنه هو نفسه أصبح أشد ضعفا عن ذى قبل وأقل كفاءة فى القدرة على تصريف شئون البلد ، والحق أنه لم يكن قادرا على التماسك بل غدى أشبه برجل مشلول تماما .

فلما رأى البارونات الذين يشأون هؤلاء فى الأهمية مدى الخطر الذى لا بد وأن يصيب المملكة بسبب الوضع المشار اليه قاموا فركزوا كل جهودهم لمعاودة استقدام الكونت وإزالة ثورة غضبه ، وبعد مناقشات طويلة بين الملك وباروناته فى هذا الصدد وبعد استعراضهم الاقتراحات الجمة التى عرضت وافق الملك على كره

منه على الاذن هم باستدعاء الكونت والسماح له بدخول المملكة ،
وحينذاك أملت الحكمة على هذا الرجل العظيم (٢٤) أن يتجاوز عن
الاهانات التى لحقته ، ومن ثم عاد السلام يرفرف من جديد بينه وبين
الملك .

- ١٠ -

بينما كانت هذه الأمور تجرى فى ناحيتنا هذه من الشرق اذا
بتطور خطير يحدث فى امبراطورية القسطنطينية أدى الى أوجم
العواقب على اللاتين كافة وجلب عليهم مصائب لم تسمع الأذن بمثلها
من قبل ، وأنزل بهم هذا الحدث الخطير خسائر فادحة ذلك لأن الشرور
التي كانت تنطوى عليها نفوس أهل اليونان المخادعين الخونة طفت
على السطح وبرزت للعيان « وحملت تعباً وولدت كذباً » (٢٥) . اذ
أنه لما مات مانويل الامبراطور الطيب الذكر خلفه على العرش ابنه
الكسيوس (الثانى كومنين) (٢٦) الذى لم يكن قد أتم الثالثة عشرة
من عمره ، وقد تم هذا الاستخلاف بناء على حقه الشرعى فى ارثه
وتنفيذا لرغبة والده ، فقامت بالوصاية عليه أمه (مارية
الأنطاكية) ولكنها ألقت بكل شأنون الامبراطورية فى يد
« البروسيبياستوس الكسيوس » وهو ابن أخت الامبراطور الراحل ،
وحينذاك أحس كبار الشخصيات وأهل العاصمة أن قد وانتهم
فرصتهم لتنفيذ مآربهم الشريرة التى كانوا قد كتموها فى
صدورهم ضد شعبنا وبنى جنسنا من اللاتين الذين ظلوا ينعمون
طول أيام حكم مانويل حبيب الرب بعطفه الكبير جزاء وفاقا على
اخلاصهم وتقديره منه لشجاعتهم ، وكان هذا الامبراطور العظيم
الذى لايجاريه أحد فى شجاعته قد اعتمد على ولاء اللاتين وكفاءتهم
اعتمادا كبيرا حمله عليه ما طبع عليه اليونان من الضعف

والتكاسل ، ومن ثم كان يكل كل الأمور الهامة الى اللاتين وحدهم
فى كل أنحاء البلاد .

ولما كان مانويل ينزل هذا الشعب (اللاتينى) المنزلة السامية
فقد عده رجال هذا الجنس القادمون من كل أنحاء العالم المنعم
العظيم عليهم ، وقد استوى فى هذه النظرة اليه أشرفهم وعامتهم ،
وراحوا يتزاحمون على بلاطه فى لهفة ، مما زاد من عطفه عليهم ولم
يقصر فى بذل جهده فى تحسين وضعهم ، ولقد قرتب على هذه الرعاية
الكبيرة من جانبه لللاتين أن توغرت ضدنا صدور أشرف اليونان
لاسيما أقارب الامبراطور الأدنون ، كما عشمشت البغضاء فى نفوس
غيرهم فامتلات القلوب كلها بالحقد الأسود الذى لا تنحل عقده ،
لكما زاد من كراهيتهم لنا الاختلاف الموجود بين طقوسنا وطقوسهم
الكنسية : الأمر الذى زاد من غيرتهم منا اشتعالا .

ولما كانوا قد خرجوا على كنيسة رومة خروجا مشينا فقد
اغواهم غرورهم فاعتبروا من لا يتبع مذاهبهم الباطل هرطيقا ،
والحق أنهم هم ذاتهم كانوا الجديرين بأن ينعتوا بالهرطقة ، وذلك
لابتداعهم أو اتباعهم عقائد مستحدثة فاسدة مضادة للكنيسة
الرومانية ومناقضة لعقيدة الرسولين بطرس وبولص التى «لن تقوى
عليها أبواب الجحيم» (٢٧) .

ولقد أدت هذه الأسباب وغيرها الى تفاقم الكراهية فى قلوب
الاغريق وراحوا يتصيدون الفرصة لاسيما بعد وفاة الامبراطور
(مانويل) ليقضوا القضاء المبرم فى المدينة وفى كافة أرجاء
الامبراطورية على اللاتين الذين يكرهونهم ويضرمون لهم البغضاء ،
وبهذه الطريقة كانوا يرضون ما فى نفوسهم من عداو يكونه لهم ،
وهو عداو لا يتلين حدته ولا تهدأ قفوره .

حين ودع الامبراطور مانويل شئون هذا العالم ، وبينما كان « البروستاسيوس الكسيوس » يدير دأمة أمور المملكة لم تكن هناك أية فرصة لتنفيذ هذه المشاريع الشريرة ، ان كان الكسيوس نفسه قد نهج نهج سلفه في اعتماده على ما ينصحه به اللاتين وما يقدمونه اليه من مساعدة ، وبذل هو من جانبه كل ما في قدرته ليجعلهم اصدقاء له ومع ذلك فقد استوت قلوب اللاتين والاعريق في الكراهية نحوه ، وكان شأنه شأن بقية اليونان شديد التصيب ، مسلما زمامه تمام التسليم لشهوات الجسد التي لا انتهاء لها ، كما كان شديد الشح ممسكا كل الامساك لا يحب ان يصرف شيئا من الخزانة الامبراطورية كما لو كان هو نفسه هو الذي جمع كل ما بها من المال او كانه اكتسبه كله من كده وعرق جبينه .

كذلك سرت الشائعة بأنه كان على علاقة دنسة بالامبراطورة (الوصية مارية الأنطاكية) رغم انها كانت قد وهبت نفسها للحياة الدينية (٢٨) وقت ان كان زوجها مسجى على سرير موته .

يضاف الى ذلك ان « البروستاسيوس الكسيوس » هذا كان يتسم بأقصى التشامخ ، فلم يكن يرى أحدا يبلغ قدره مما حمله على ان يتصرف في كل شيء حسب رغباته الخاصة دون ان يستشير كائنا من كان من عليه القوم الآخرين ولم يكثرث بغيرهم رغم انهم كانوا مساوين له في المكانة تمام المساواة ، فلا عجب ان امتلأت قلوبهم بالكراهية ضد « الكسيوس البروستاسيوس » ، وهذا وفاضت نفوس أمراء القصر بالحقده عليه فاتخذوا اجراء فعلا ضده حين استدعوا « اندرونيكوس » (كومنثين) الكبير أثناء سنة

الامبراطور الراحل وكان واليا على « بونتس » Pontus ، وكان
غرضهم من هذا الاستدعاء أن يعاونهم أندرونيكوس في حطهم
الدنيئة لطرد ألكسيوس البروستاسيوس ، ومنعه من تصريف أمور
المملكة (٢٩) .

وكانت تربط أندرونيكوس هذا بالامبراطور الراحل (مانويل)
رشيحة القربى ولكنه كان رجلا تافها شريرا يضرر الصدر
بالامبراطورية ولا يخلص لها ، ويسعى السعى الحثيث لتدبير
المؤامرات ، وحدث في أيام الامبراطور (مانويل) أن ألقى القبض
عليه وزج به في السجن لاتهامه بارتكاب الكثير من الجرائم ، ولقى
قبح معاملة تكافئ سوء أعماله ، وحقق عليه النفي وأصبح
تسويدا طريدا ، وجاب كل أرجاء الشرق لكنه لم
يقلع - حتى وهو في منفاه - عن اقتراف الأعمال المردولة
لتي تستاهل اللعنة ، غير أن الامبراطور مانويل عفا عنه
نبل موته بثلاثة أشهر وأرسله الى « بونتس » واليا عليها ، وما كان
لك العجل من جانب الامبراطور الا للكي يمنعه من اثاره الفتنه في
مدينة القسطنطينية كدأبه ، ولكي يحول بينه وبين تحريك الاضطرابات
لتي يسعى من ورائها الى الاستحواذ على المملكة .

هذا هو الرجل الذي استدعاه في السر أقرب الناس الى
لامبراطور والى البروتوسيباستوس ممن كانوا يثقون به ثقة عمياء ،
نارسلوا الى « أندرونيكوس » رسلهم يستدعونه ليحارب الرجل الذي
كان قد ألقى بأبنائه وسواهم من البارزين في الحبس القاء مخزيا ،
اذ كان « البروتوسيباستوس » - كما قلنا - قد زج في السجن به من
سرقة القوم الذين اتهموا بالاشتراك في احدى المؤامرات ، اثار
ذلك العمل مزيدا من الكراهية في قلوبهم ضده .

واستجاب « أندرونيكوس » لدعوتهم اياه وجاء الى المدينة

على رأس قوات كبيرة من الجند المتبربرين ، ونصب معسكره على طول شاطئ البسفور وعلى مرأى واضح من العاصمة ، واستولى على « بيثينيا » (٣٠) ، فأرسل المسئولون نفرا معينا من التيلاء الأقوياء لافساد محاولاته ، الا انهم خانوا الأمانة فانضموا الى جانبه وكان أولهم وأعظمهم خطرا « أندرونيكوس أنجيلوس » قائد القوات التي كانت قد أرسلت ضده ، كما انضم الى صفه الكسيوس ميچالد الذى كان هو القائد العام للبحرية ، وكأنت تربط كلا من هذين بالامبراطور رابطة القرابة ، ولقد ترتب على ضرار هؤلاء الى أندرونيكوس أن ضعف أمرنا (٣١) ضعفا بينا وأصبح وضعنا مهددا بالخطر ، كما ساعد على ذلك أيضا اظهار كثير من الشخصيات البارزة والأهالى ولاءهم لأندرونيكوس ومجاهرتهم على رؤوس الاشهاد بهذا الولاء ، وتمنوا أن يروه يدخل المدينة ، وكانوا قد بذلوا من أجل هذه الأمنية كل ما فى وسعهم وامتلات نفوسهم بالرجاء فى أن يعبر البسفور على وجه السرعة .

- ١٢ -

واستمرت المؤامرة تزداد قوة يوما بعد يوم ، فالقى القبض على « البروتوسيپاستوس » وسملت عيناه وشوه وجهه أقبح تشويه وترتب على تغير الأوضاع انتشار الفرع بين اللاتين خوفا من أن يباغتهم الأهالى (الاغريق) بالهجوم عليهم ، اذ كانوا فى الواقع قد تلقوا تحذيرا بهذا العزم من بعض أشخاص كانوا على علم بالمؤامرة ، ففر من اللاتين حينذاك من وجدوا الى الفرار سبيلا فنجوا من الوقوع فى حبال مكر اليونان ولم يلحقهم الموت الذى كان للناس بالمرصاد ، وهرب البعض منهم على ظهور أربع وأربعين سفينة شاء الحظ أن تكون زاميتية بياطيناء ، ووضع غيرهم كل متعلقاتهم على بعض السفن الأخرى الكثيرة الراسية هناك .

أما الشيوخ والعزة الذين لم يسعفهم الفرار فقد ظلوا في منازلهم ، فكانوا فريسة للغضب المجنون الذي سلم منه الآخرون ، ذلك لأن « أندرونيكوس » الذي كان قد أمر في السر بإعداد الشواني دخل المدينة (٣٢) على رأس كل عسكره . الذين ما كادوا يعبرون أبواب المدينة مستعيتين بالإهالي حتى اندفعوا إلى الحي الذي يسكنه اللاتين وأعملوا السيف في رقاب القلة الذين صادفهم ممن كانوا قد تخلفوا عن مصاحبة الفارين ، أما عجزا منهم عن مصاحبتهم أو لعدم رغبتهم في ترك دورهم ، ومع ذلك فقد قاوموا طويلا ، ولم يحزن العدو النصر عليهم إلا بعد سفك كثير من الدماء .

لم يعبأ الاغريق بالاتفاقات المبرمة بينهم وبين اللاتين ، ولم يكثرثوا بالخدمات الجليلة التي كان قومنا قد أدوها للامبراطورية ، بل أمسكوا بجميع من ظنوا فيهم القدرة على المقاومة وأضرموا النيران في بيوتهم ، ثم مالبتوا أن إحاطوا بالحي كله وأحالوه هشيما ورمادا وهلك في هذا الحريق كثير من النساء والأطفال والشيوخ والمرضى ، ولم يكتف الاغريق بصب جام نقيمتهم الخسيسة على البيوت ولم يطفئ ما اقترفوه فورة مرآجل غضبهم بل كالوا بنفس الكيل للكنائس وكل الأماكن الموقرة ، وأحرقوا مع هذه المباني الطاهرة جميع من هربوا إليها واعتصموا بها طلبا للأمان ، ولم يفرق الاغريق بين رجال الدين والعلمانيين ، وصبوا انتقامهم على من دلت ملابسهم الفخمة على أنهم من كبار المدنيين والروحانيين على السواء ، وكان الرهبان والقساوسة الضحية الكبرى لجنونهم الطاغى ، فعذبوهم العذاب المذكر ثم ثنوا فقتلوه .

كان من بين هؤلاء الأخيرين رجل موقر اسمه « يوحنا » وهو مساعد شماس في الكنيسة الرومانية المطهرة كان البابا قد أوفده إلى القسطنطينية في مهمة خاصة تتعلق بالكنيسة فأمسكوه وقطعوا

رأسه وربطوها الى ذيل كلب مبالغه فى اهانة الكنيسة (الرومانية)
كما لم يسلم من نقتلهم حتى الموتى الذين يرفض الكل - حتى الكفار -
التمثيل بهم فقالهم من الدنس ما نال الحرمات ، وانتقموا منهم ابلغ
انتقام ولم يدعهم فى راحتهم بل نبشوا قبورهم واخرجوا جثثهم
وسجلوهم فى الشوارع واليادين كما لو كانت هذه الرمم البالية
تحس بما ينزله بها هؤلاء الناس من المهانة .

ثم مضى هؤلاء الهمج و معهم الذين كان واجبه الدينى يفرض
عليهم اغائة الملهوف ومضوا الى البيمارستان المعروف ببيمارستان
القديس يوحنا فاعملوا السيف فى رقاب جميع من به من المرضى
واستعانوا باللصوص ورجال العصابات ووعدوهم بالمال الكثير
ان هم واصلوا الفتك والذبح ، ثم صحبوا هؤلاء السفلة وراحوا يفتشون
الاماكن والدور حتى القاصى منها كى لا ينجو من بطشهم أحد يكون
قد اختفى فيها فرارا من الهلاك ، وكانوا اذا عثروا على أحد منهم
جروه بعنف واسلموه الى الجلاذ حتى لا يظل هؤلاء الجلاذون بلا
عمل وحتى لا يتقاضوا رواتب من غير عمل يؤدونه ، وبذلك أصبحوا
ياخذون ما يأخذون اجرا يستحقونه على ما يسفكون من دم هؤلاء
الضحايا التعساء .

ثم باعوا الى الترك وغيرهم من الكفار من توسموا فيهم المكانة
الرئيسية ممن لجئوا اليهم بعد أن منوهم بالسلامة ووعدوهم بالابقاء
على ارواحهم ، ويقال أنهم باعوا الى الشعوب المتبريرة اكثر من
اربعة الاف من اللاتين من مختلف الأعمار والأوضاع ما بين ذكور
واناث .

على هذه الصورة الذميمة جازت ذرية الافاقى امة الإغريق
الغادرين التى انتهى أشبه ما تكون بالحية الرقطاء تكمن فى الصلابة

أو بالفار في حسيوان الملابس ، أقول جارت هذه الأمة من كانوا ضيوقهم وكانوا لا يستحقون منهم أبدا هذا اجزاء . وعن لم يكونوا يثوقون شيئا مما حاق بهم ، وهم الذين زوجهم بناتهم وبنات أخواتهم وأخوتهم ، والذين أصبحوا لطول المعاشرة أصدقاء لهم .

- ١٣ -

على أن هذا الفحش الأثيم الذي لاشببه له في جميع العصور لم يذهب بلا عقاب ، إذ تروى الأخبار أن اللاتين الذين فروا على ظهور السفن (كذلك الأعداد الكبيرة من الناس الذين تبعوهم بعد قليل في أسطول أصغر حجما) تجمعوا قرب القسطنطينية في انتظار ما تسفر عنه الأحداث ، وهنا جاءهم الخبر اليقين بأن الذين أوقدوا ضرام الفتنة بالمدينة أحرقوا الحى اللاتينى بأكمله وأهلكوا نساء الحى وصغارهم وجميع أهل بيوتهم ، وأنهم لاقوا مصارعهم إما قتلا أو حرقا ، فأجج هذا الخبر نار الغضب الصادق والسيخط العنيف فى قلوب الجميع ، وبث فيهم رغبة حادة عارمة للثأر لدم رفاقهم ، ومن ثم أبحروا على طول شواطئ السفور من عند مدخل البحر الأسود الذى يبعد عن القسطنطينية مسافة قدرها ثلاثون ميلا وساروا الى مدخل البحر الأبيض المتوسط وهى مسافة تقدر بثمانين ميلا وأخذوا جميع المدن والحصون الواقعة على الجانبين بالعنف والقهر وحكموا السيف فى رقاب سكانها ، كما اتخذوا طريقهم الى الأديرة سواء منها الواقعة على الضفتين أو فى الجزائر الصغيرة المتناثرة هنا وهناك فى ذلك البحر ، وانتقموا لدم أخوانهم المسفوك وذبحوا جميع الرهبان الكذبة والقسس المدنسين ، وأشعلوا النيران فى الأديرة ويمن فى إليها معتصما بها ، ويقال أنهم حملوا معهم من هذه الأماكن كميات ضخمة من الذهب والفضة والجواهر وأثقالا كبيرة من الأقمشة الحريرية ، وبهذا أفحصوا لأنفسهم مما

وقم عليهم من الأضرار ، واستعاضوا أضعاف مضاعفة ما فقدوه من ممتلكاتهم وما خسروه من بضائعهم ، ذلك أن أهل القسطنطينية كانوا قد أودعوا هذه الأحرام الطاهرة كميات ضخمة من الذهب وغيره من اللقيتات حفاظا عليها وصونا لها من أن تمتد إليها الأيدي ، وكان بهذه الأديرة إلى جانب هذا كله كنوز وأموال لا يحصيها العد قد تراكمت بها على مدى أزمنة طويلة .

ثم سافر اللاتين بعد ذلك إلى مضائق هذا البحر محملين بكل هذه الأسلاب والغنائم وركبوا البحر الأبيض المتوسط بين المدينتين الساحليتين القديمتين « سستوس » Sestos « وأبيدوس » .

وكان اللاتين أثناء إبحارهم على شواطئ « تساليا » يفتشون جميع المدن والبلدان القريبة من البحر تفتيشا دقيقا ، فلم يدعوا شيئا صادفوه إلا أحرقوه أو سلبوه ، كما فتكوا بأناس يعجز العد عن حصرهم ، ويقال أنهم صادفوا قرب « خريسوبوليس » إحدى مدن مقدونية - عشرة أغربة أخرى ، كما وجدوا أكثر منها في أماكن أخرى غيرها متفرقة ، ضموا بعضها إلى بعض وجعلوا منها كلها أسطولا يعتقد به فقد برهن على أنه آلة جيدة لتدمير الأرغيق .

على أن هناك بعضا من اللاتين تقززوا من أعمال السفك والنهب فتجمعوا على سطح كثير من السفن الراسية في الميناء وانفصلوا عن الجيش هم ونساؤهم وأطفالهم وكل ما بقى من أمتعتهم وجاءوا إلينا في سورية .

على أن الأمر كان قد استتب في هذه الأثناء لأندرونيكوس ، إذ دانت له لمدينة كما يحب ويهوى ، ولكن لما لم يكن هناك من أحد يعارضه أو يعصى له أمرا فقد عمد إلى تتويج الإمبراطور (إسفير) وزوجته المقيمة ابنة ملك الفرنجة في احتفال فخم يوم عيد العنصرة ،

واحاطه بكل آيات التشريف والاجلال ، كما أحسن معاملته ام
الامبراطور واخته وزوجها وكانوا لا يزالون موجودين داخل القصر
على أن « اندرونيكوس » ساس بنفسه جميع شئون
الامبراطورية سواء منها ما كان فى المدينة أو خارجها ، ورتب كل
شئ وفق هواه .

وقد خيف أن يكون قد أظهر هذه المجاملة تجاه هؤلاء الأشخاص
للشئء الا لاختفاء مرماه الغادر فى الاستيلاء على العرش فى اللحظة
التي تناسبه بعد أن يكون قد سار قدما فى اعداد كل شئ لتحقيق
هدفه ، وأقصد أنه اذا ما تمت الأمور كما يهوى ويشتهى اماط اللثام
عن مقاصده الحقيقية .

وقد تم هذا الأمر بالفعل فى شهر ابريل من ميلاد المسيح عام
١١٨٢ م .

- ١٤ -

بينما كانت هذه الأحداث تجرى فى بلاد الاغريق اذا بريح
عاتية تهب على سفينة حجاج كانت تحمل على ظهرها ألفا وخمسمائة
حاج ، ثم ألقت بها الى دمياط فى مملكة مصر ، فتحطمت على الساحل
ومع ذلك فقد شعر ركاب هذه السفينة الجائحة بالطمأنينة معتقدين
النجاة ركونا منهم الى هدنة كان صلاح الدين قد أبرمها ووثوقا منهم
بصلح مؤقت عقده مع المسيحيين يشمل من كان منهم فى البر والبحر
على السواء .

ولكن القدر المخبا لركاب هذه السفينة كان يختلف تماما عما
تقتضيه المواقعة ، إذ ما كان صلاح الدين - وقد تملكته شهوة
الاستحواذ على الغنائم - أن يقبل لمثل هذا الغنم الكبير من
المسيحيين أن يرحلوا عن أرضه أحرارا كما تقضى شروط الهدنة ،

فلا جرم أن هو ألقى بهم جميعا فى الحبس وصار كل ما معهم
لها خالصا له ، ثم بعث بعدئذ رسولا الى الملك (بلدوين الرابع)
يطالبه (متحديا لميزود الاتفاقية) بمطالب كان من المستحيل عمليا
الوفاء بها ، وأنذره انذارا لارجعة فيه أنه سوف يستبقى لنفسه للركب
المشتار اليه أن يستجيب بلدوين لكل هذه المطالب ، ثم زاد على ذلك
فهدده بأنه سوف يشجب الاتفاق المبرم بينهما .

لكن لم يقدر لرسول صلاح الدين أن يحصل من الملك (بلدوين)
على رد مقنع بشأن مطالب مولاة الذى شرع يقدم حججا يخجل المرء
منها ويتذرع بذرائع تبرر حجزه السفينة بدلا من أن يقدم أسبابا
معقولة لدعم شكواه ، ثم مالبت أن نقض الهدنة وأظهر مكنون صدره
من عدااء كان يضمه منذ وقت بعيد ، وأخذ يدبر السبيل الى مضايقة
الملكة بأسلوبه المألوف ، إذ حشد حشدا كثيفا من العسكر المشاة
والفرسان ، وأضاف اليهم كثيرين غيرهم ممن كانوا قد غادروا
دمشق وما جاورها فى أوقات سالفة وذهبوا الى مصر فربا من
المجاعة ، وصمم أن يعود بهؤلاء جميعا الى دمشق حتى يتخذها
قاعدة لعلمياته التى تلحق بنا أضرار كبيرة .

كذلك عزم أثناء زحفه على دمشق أن ينزل أكبر قدر من الضرر
بأماكن الواقعة وراء الأردن ، ولما كانت المزروعات إذ ذاك قد نضجت
وحان وقت حصادها فقد رأى أن يحرقها وأن يستولى على واعد
أو أكثر من معاقلنا هناك ليعم الأذى للصليبيين جميعا .

ويقال أن الدامل الحقيقى له على هذا العمل، هو رغبته فى
الانتقام من الأمير « أرناط » صاحب تلك النواحي لما جرى منه من
خروج على الاتفاقية . حيث قبض على طائفة من العرب أثناء سريته ،
هذه الاتفاقية ثم تم دى فرفض إطلاق سراحهم حين طلب اليه اخلا
سبيلهم .

وجاءت الى الملك عيونته تحمل اليه خبر تقدم صلاح الدين
وخطه ففقد فى الحال مع رجاله اجتماعا عاما بالقدس للنظر فى
شروط الأمير التركى ، فتدارسوها بدقة ، واذ ذاك اخذ برأى بعض
مستشاريه فقاد جميع قواته عبر وادى موسى (٢٣) الذى يقع فيه
البحر الميت حتى وصل الى الموضع الذى اقترحوه عليه كى يواجه
صلاح الدين ويوقف زحفه ويحول بينه وبين تخريب تلك النواحي .

على أن صلاح الدين لقى فى أثناء تقدمه عبر الصحراء صعابا
كثيرة وان اجتازها فى مدى عشرين يوما حيث وقف هو وعسكره
عند ناحية أهلة بالسكان فى أرضنا ، وعلى بعد عشرة أميال من
حصن الكرك الصليبي . وكان الحامل له على التوقف هنا هو انتظاره
وصول تقرير مفصل عن وضع المكان وعن تحركات الملك (بلدوين
الرابع) وجيشه .

كان الملك بلدوين قد نصب معسكره قرب مدينة قديمة تسمى
تدمر الصحراوية فى اقليم البتراء على بعد ستة وثلاثين ميلا من
معسكر صلاح الدين ، وكان معه كل جيشه ، كما عسكر كونت طرابلس
هو الآخر هناك أيضا ، رغم أن ذلك كان على غير ارادته ، بسبب
أن الملك كان قد زحف الى هذه الناحية ضاربا بنصيحة الكونت عرض
الحائط ، لما يحمله خروجه الى هذا الموضع من تركه أجزاء كبيرة
من مملكته مكشوفة ومجردة تقريبا من الجند الذى يحميها ، وكانت
طائفة من البارونات قد أشارت على الملك أن يسلك هذا السبيل دون
أن يقيموا وزنا لما قد يحدث للمملكة التى صارت بلا مدافع يصد
عنها العدو ، وكان هؤلاء البارونات صائرين فيما أشاروا به على
مراعاة صالح الأمير أرناط أكثر من مراعاتهم للصالح العام .

سرعان ما برهنت الأحداث التالية على أن هذا الأمر الذى
فعله الملك كان أبعد عما يكون عن الصواب ، اذ قام فى السرايا

دمشق وبعلبك وبصرى وحمص وجمعوا قواتهم سرا وفى صمت حين أدركوا غياب زهرة عسكر المملكة ، وأدركوا أن الاقليم كله أصبح عتيدا من قواته ، فعبّر هؤلاء الزلاء الأردن قرب بحر الجليل على مقربة من طبرية واقتحموا أرضنا دون أن يعلم بهم أحد ، وجاءوا بعد اجتياحهم منطقة الجليل الى موضع عند سفح جبل تابور اسمه « دبورية » (٣٤) Buria قرب مدينة « نابين » القديمة . ولم يكن عند أهل تلك النواحي خبر بشجب المعاهدة التى اعتمدوا عليها حينذاك . اعتمادا كليا ، فلم يتخذوا من الوسائل ما يدفع عنهم الخطر ويكفل لهم الحماية ، فلم يشعروا الا وقد انقض العدو عليهم فجأة تحت جنح الظلام وأحرق بالموضع من كافة نواحيه احداقا لم يستطيعوا معه النجاة الى الجبال المطلة عليهم .

فلما اهلت تباشير الفجر رأى الأهالى أنفسهم وقد احاط بهم العدو من كل جانب ، فلم يجدوا بدا من سرعة الارتداد الى برج يشرف على القرية ، لكن مالبث الترك أن التفوا حول هذا البرج وبذلوا جهودا مكثفة جبارة لتقويضه ، ولم تكد تمضى عليهم فى ذلك العمل أربع ساعات حتى كانوا قد نجحوا فى مسعاهم ، وانهار البناء على الأرض .

غير أن الأهالى الذين كانوا قد اعتصموا بهذا البرج كانوا قد استسلموا قبل وقوع الطامة الكبرى وذلك حين بدأت الشروخ تظهر للعيان ، وأوشك الحصن على الانهيار .

حينذاك جمع الأعداء كل مانهبه من « دبورية » وغيرها من الأماكن الدانية منها دون أن يعترضهم أحد وساقوا مايقرب من خمسمائة أسير بعدان خلفوا فى ساعة المعركة من لاقوا حتفهم ، ولما كان المكان مليئا بالحقول المثمرة وقد حان وقت الحصاد فقد

جاءت الى هناك جموعٌ غفيرة من الناس للمساعدة فى جنى الغلة .
لكن العدو أخذهم جميعا دون أن يلقى من يصده ، فلما تم للترك ما
أرادوه عبروا الأردن ورجعوا آمنين سالمين الى حيث يقيمون .

- ١٥ -

على أنه ابان الوقت الذى كان فيه الملك والجيش المسيحى
مشغولين فى ناحية لبقاع جرى خطب تهون أمامه كل الخطوب ، حمل
فى طياته خطرا جديدا سيظل قومنا يذكرونه . بالأسى العميق ما
عاشوا ، اذ كان للمسيحيين وراء الأردن فى أرض السواد وعلى
بعد ستة عشر ميلا من طبرية مكان شديد الحصانة والمنعة لا يفكر
أحد فى اقتحامه ، وكان فى الوقت ذاته كبير الجدوى عظيم الفائدة
لرجالنا ، وكانت هذه الناحية أقرب ما تكون لأرض العدو منها
لمملكتنا مما أتاح للخصم أن يفعل ما يريد فى يسر وسهولة ويفرض
على السكان ما شاء فلا يملكون الا طاعته . زانا كان هذا الحصن
يحمى الناحية فقد جرت العادة لسنوات طويلة ولا تزال سارية حتى
تلك اللحظة على تقسيم السلطة بالتساوى بين المسيحيين والمسلمين
كما يتناصفان دفع الضرائب والمكوس بينهما .

كان الحصن الذى اشرنا اليه حالا يقع عند كهف على منحدر
جبل من الجبال ويشرف على هاوية سحيقة ، ولم يكن فى الاستطاعة
أبدا الاقتراب منه بأى حال من الأحوال الا من جانبه العلوى ، أما
من الجانب الآخر فكان ثم درب شديد الضيق لا يستطيع المرء - مهما
تحفف من الأحمال - أن يجتازه الا فى مشقة بالغة ، وقد وكلت
حراسة هذا الموضع الى « فولك » صاحب طبرية وهو رجل شريف
سرى يقظ بالغ الثراء .

كان قادة المسكر الترك قد استولوا على « دبورية » وجعلوا

من قومنا أسرى هناك كما ذكرنا ، أما الآن فقدبرزوا امام هذا المكان واستولوا عليه اسرا فى مدى خمسة أيام .

وقد تضاربت الآراء حول الاستيلاء على هذا الحصن فقال البعض ان الحامية التى كانت بالقلعة اسلمته من تلقاء يانها لقاء مبلغ معين من المال . على حين راح آخرون يؤكدون ان العدو شق طريقه الى الحصن بتقويض أحد جوانبه بالألغام ، وهو أمر كان من اليسير عمله لأن طبيعة الصخور هنا كانت جيرية واستولوا على الحصن فنقب نقب فى الطابق الأول منه فلما تم لهم أخذه أرغموا من فى الطابقين الأوسط والأعلى على الاستسلام ، اذ يقال ان الحصن كان مؤلفا من ثلاثة ادوار .

على انه قد ثبت فيما بعد ثبوتا لاشبهة فيه ان الاستيلاء على الحصن كان نتيجة خيانة من جانب القوامين على حراسته وبتدبير من اصحاب الأمر والنهى فيه الذين عارضوا ماكانت البقية تريده من الاستمسك بالمقاومة كما منعوا هذه البقية من الرجاء من الدفاع عنه بأى شكل من الأشكال ثم أسلموه الى العدو وفروا هم اليه .

ويقال ان القادة المسئولين عن الحصن كانوا سريانا (٣٥) ، وهم أناس نعتبرهم ضعافا متراعين ، ومن ثم فان اللائمة الكبرى تنصب على كامل فولك صاحب طبرية لأنه هو المسئول الأول عن حراسة الحصن والمحافظة عليه ، لكنه أسلمه الى رعاية قوم كهؤلاء القوم .

كان هذا هو القول الذى شاع شرقا وغربا وعم أرجاء المملكة حتى بلغ سمع مسيحيى ماوراء الأردن الذين كانوا يماولون

مدح صلاح الدين من العبور الى فلسطين وهو فى طريقه الى دمشق
من مصر . وقد فاضت القلوب حزنا لسماع هذا الخبر ، وفزع
الناس لاسيما كونت طرابلس الذى كان يعتبر المسئول عن هذا
الحصن وعن الحفاظ عليه .

وهكذا حدث ان اولئك الذين غابروا المملكة قد اخطأوا خطأ
جسيما اذ سلكوا هذا السبيل فعجزوا عن انجاز أى شىء يرضى
الرب او يكون فيه نفع للمملكة ، فبعد ان كان واجبهم يقتضى
التصدى لصلاح الدين وهو لا يزال عند مشارف مملكتنا والحيلولة
بينه وبين اقتحامه أرضنا اذا بهم فى تهوهم وغفلتهم يتركونه يزحف
حتى يبلغ الناحية المسماة « جربة » فيجد فيها الماء الوفير الذى كان
جيشه الظامى فى حاجة ملحة اليه ، ولما وصل الى « جربة » بعث
بجزء من عسكره الى حيث يوجد حصننا المسمى بحصن الكرك ،
فقطعوا الأعناب وألحقوا الخسائر الجمة بمن يعيشون هناك ، ولو
كان المسيحيون أسرعوا الى ذلك الموضع لما كان ثم شك فى أن يضطر
صلاح الدين للتراجع الى مصر لأنه كان يقود جيشا فيه أناس
كثيرون ممن ليسوا من أهل الحرب ، وقد اكتشفوا أن ما فى رواياهم
من الماء على وشك النضوب ، وأن مالداهم من الخبز قد قل ، فكان
لابد لهذه الجموع الزاخرة من الموت جوعا فى الصحراء ، فقد كان
من المستحيل عليهم التقدم أكثر من ذلك ، كما أن اشتباكهم فى قتال
مع قواتنا كان لابد وأن يعرضهم لخطر فادح .

حين علم الصليبيون أن الأمير (٣٦) وصل الى المكان المذكور
أعلاه عزموا مرة أخرى على قتاله فى موضع يعرف برأس الرشيد ،
ولو تسنى لهم تنفيذ عزمهم هذا لاضطر صلاح الدين للزحف عبر
الصحراء البعيدة وكان لابد لهذا العبور من أن يكلفه خسارة كبيرة
فى الرجال ودواب الحمل . لكن لما كان المسيحيون قد رجعوا عما

كانوا قد اعتزموه فقد أتيح لصلاح الدين أن يبلغ الماء بلا مشقة ،
ثم دخل بعد ذلك أرضنا دون أن يلقي كيدا ، وسار منها الى دمشق
سالما تمام السلامة .

ولما علم الصليبيون برؤيله عادوا هم أيضا الى ديارهم سالكين
نفس الطريق الذي قدموا منه ، وأن كثر الخوف قد تملكهم من أن
يعمد صلاح الدين الى حيلة يحتالها فتعود بالمضرة على مملكتنا فيغيرنا
علينا من دمشق التي كان قد مضى اليها بكل عسكره ، لذلك أصبح
أوامره بأن يتجمع أهل البلاد كفة عند نبع « صفيرية » في الناحية
الواقعة بينها وبين « الناصرة » ، وصحبهم في هذا التجمع الملك
والبطرك وجميع الأمراء الروحانيين والعلمانيين ، ومعهم صليبي
السيد وظلوا يترقون العدو يوما بعد يوم .

- ١٦ -

كان صلاح الدين في هذه الأثناء قد جمع عسكرا من كل نواحي
أراضيه ليشدد أزر الجيش الذي كان قد جاء به من مصر ، وأجمع
العزم على غزو بلادنا ، فتقدم حتى صار عند موضع يسمونه بلساتهم
برأس العين ونسميه نحن في لغتنا Raseline الذي يقال أنه
يبعد عن ناحيتنا مسافة قصيرة ، وهو قريب كل القرب من معينة
طبرية ، وبعد أن بقي صلاح الدين بضعة أيام في هذا المكان اذا به
يدخل فجأة بلادنا وينصب معسكره بين رافدين في موضع يعرف
« بكافان » Cavan الذي يبعد عن طبرية أربعة أميال .

سرعان ما جاء الكشفة بهذا النبا الى قوادنا الذين ألوا الا أن
يشنوا هجومهم في الحال ، ثم ما لبثوا أن أسرعوا بإرسال القوات
الى طرية لتتضم الى العسكر الموجودين فيها لحمايتها هي وغيره
من الأماكن الهامة هناك ، ونعني بهذا « صفد » وكوكب » (٢٧) .



وحدث اذ ذاك ان كان كونث طرابلس وهو المحارب القدير
الأمجد ومسعر الحرب - يرقد في الفراش يقاسى مرضا خطيرا من
امراض الحمى الثلاثية مما زاد في متاعب الصليبيين لانهم حرموا
في وقت حاجتهم القصوى من مساعدة هذا السرى العظيم الذي
كانوا يعولون كثيرا على رايه وفطنته . لكنهم رغم ذلك استدعوا
اليهم قوات اضافية من النواحي المجاورة ، وزدقوا لصدد العدو
رافعين راياتهم ، فما كاد صلاح الدين يسمع انهم شارعوا في
التقدم حتى بادر فعبّر الأردن بمن معه من الدسكرو وانسحب الى
ضواحي «بيسان» التي كانت ذات مرة عاصمة فلسطين الثالثة .
وهي تقع في سهل غنى بالحقول التي ترويه المياه بلا انقطاع بين
حبال «جلعاد» ونهر الأردن ، وقد آلت الامتيازات التي كانت تتمتع
بها في وقت من الأوقات الى كنيسة الناصرة في نفس الأسقفية ،
ذلك لأن «بيسان» لم يعد يسكنها الآن سوى قلة من الناس ، كما انها
أضحت لا تزيد عن بلدة صغيرة .

وقد زحفت كذائب العدو الى هناك وشنت غارة شعواء لم يكن
أحد يتوقعها ، وهاجمت قلعة صغيرة واقعة في أرض كلها مستنقعات
لكن أهل البلد أبدوا من المقاومة الباسلة ما جعل العدو يدرك الا أمل
له في أن تكون له الغلبة ، واذا ذاك رأى الأعداء أن يتقدموا ضد
المسيحيين ، فوجهوا قواتهم نحو القلعة الأخرى المسماة «بكوكب»
والواقعة بين التلال التي بين بيسان وطبرية .

اما المسيحيون فقد سلكوا درب الأردن حتى بلغوا الناحية التي
ذكرناها حالا ، ثم غادروا الوادي وصعدوا في الجبال وقد بلغ
الارهم منهم مبلغه بسبب الحرارة الشديدة التي لم يعودوا يطبقونها
في سيرهم . وانقضى الليل كله وهم أيقاظ لم تغمض لهم عين حذرا
من أن يكون العدو على مقربة منهم ، فلما طلع النهار نزلوا الى

السهل الواقع بين القلعة المشار اليها حالا وبين قرية صغيرة
يسمونها « كفر بلية » Forebelet وسنى ليم من هنا ان
يطالعوا قوات صلاح الدين وقد امتدت جموعها النغيرة التي تشاو
كل ما اعتادوه بمن قبل فغطت كل ما حولها ، حتى لقد قال الشيوخ
من اصحاب السن المتقدمة من امراء المملكة انهم لم يروا فى اى وقت
من الأوقات - منذ دخول اللاتين الشام لأول مرة - مثل هذا العدد
الضخم من عسكر العدو ، وحتى ليقال ان الفرسان المجهزين للقتال
قاربوا عشرين ألف فارس ، على حين أن عدد فرساننا قارب
السبعمائة ، ولم يكن عند صلاح الدين وكباره سوى عرض
واحد يسيطر عليهم جميعا هو أن يحدقوا برجالنا احداقا تاما حتى
لا يفر أحد منهم . واذ كان الأعداء معتمدين على كثافة اعدادهم فقد
كانوا يسخرون من ضالة عدد عسكرنا ، وكان الظن عندهم ان لن
يكون المسيحيون قادرين على الصمود أمامهم .

ولكن الرب اخلف ظنهم ، لأنه هو القادر فى غير عسر أن يمكن
فئة قليلة من أن تتغلب باذنه على طائفة كبيرة ، فكان ما شاءه الرب
لا ما شاءه سواه لأن أعدائنا كانت لا تعد شيئا أن هى قيسمت
باعدادهم الكبيرة ، وقد أخذ المسيحيون يرتبون صفوفهم بعناية الله
حسب اصول فن الحرب وتقدموا نحو عدوهم بما طبعوا عليه من
الشجاعة وصعدوا صمودا باسلا فى وجه غاراته التى شنّها عليهم ،
غير أن كثيرا من المسيحيين ممن نتجنب ذكر اسمائهم فرروا بجللهم
العار الذى لا يمحى شفاؤه لعدم احتمالهم وطاة القتال ، اننا
اثبتنا فى هذه المعركة أننا نشاو أعدائنا ، فقد أظهر بلدوين صاحب
الرملة واخوه بليان فى ذلك اليوم بطولة عالية ، وحاربوا حرب
الشجعان المفاوير ، كما استحق ربيب كونت طرابلس وهو هيج
الصغير ، الذى صحب الكتيبة الطرابلسية أن تبقى ذكراه على النوام
حية فى الأذهان مقرونة بالفضل ، اذ على الرغم من انه كان أصغر

الجميع سداً إلا أنه حارب بشجاعة لم تكن منتظرة ممن فى مثل عمره
وغضارة سنه ، فقد استطاع بمن تحت قيادته من العسكر أن يظهر
على ثلاث جماعات تركية ظهوراً لم تجد هذه القوات حباله بدا من
الفرار ، ثم أعاد (هيج الصغير هذا) بمشيئة الله الى رفاقه لم يصيبه
إجرح ولم يلحقه اذى .

ولم يهلك من فرساننا فى هذه المعركة سوى نفر قليل صعدت
أرواحهم الى السماء لتنعم بصحبة القديسين ، على حين استحر
القتل فى عامة الناس ، وان كنت خسارة العدو أعظم من خسارتنا ،
كما هلك بعض من كبار قواده مما أدى الى استيلاء الفزع دلى الكفار
وفرارهم من ساحة الرغى .

على أن الحقيقة التى لا يذغى الصمت عنها أو السكوت عن
الإشارة إليها هى أن الحرارة كانت فى تلك الأيام أشد مما تكون
عليه فى العادة حتى لقد هلك من الجانبين من ضربة الشمس مثل
من قتلوا بحد السيف .

ولسداً نعرف على وجه اليقين كم كان عدد القتلى من العدو
الذى كنت تدفعه الرغبة فى إخفاء خسائره الى أن يحمل جثث من
سقطوا من رجاله فى ساحة القتال ويدفنها خلسة فى المعسكر فى الليلة
التالية خوفاً من أن تقوى معنويات رجالنا ان هم عرفوا كم كان عدد قتلى
خصمهم ، ومع ذلك فإننا نستطيع أن نجزم بأن هلاكهم - بناء على
السببين اللذين ذكرناهما - كانوا أزيد من ألف قتيل .

ولما لم تكن الأمور قد أسفرت عما كان يرجوه صلاح الدين
ويطمع فيه فقد قام هذا دليلاً على أن المسيحيين برهنوا على أنهم
أقوى مما كان الظن بهم ، ومن ثم ارتد الخصم كاسف اليال وعاد
فاجتاز الأردن ورجع الى بلده حيث مضى مرة أخرى الى الموضع
الذى كان قد خرج منه .



واستدعى الصليبيون من ناحيتهم عسكرهم وعادوا الى تبع
الصفورية الذى كانوا قد انطلقوا من عنده ، وحدث فى أثناء هذا
الزحف أن أصابت ضربة شمس شديدة بلدين قيم القبر المقدس
ومخازن كنيسته ، وكانت اصابة بالغة اضطرت من معه لـ مله فى
محفة الى سفح جبل الطور قرب تلل كيسون حيث اسلم اروح •
كذلك مات الأخ « جود فريرى فيلينيف » الذى كان شماسا
لتلك الكنيسة ، وكان خروجه فى هذه الحملة لمساعدة بلدين ولقضاء
بعض مصالحه الشخصية ، لكن اصابه سهم غرب اودى به ، وكان
حقا ما قاله السيد اذ قال : « ان كل الذين يأخذون السيف بالعسف
يهلكون » (٢٨) •

- ١٧ -

عاد الملك بقواته الى الموضع المذكور آنفا ، أما صلاح الدين
فقد استشرى غضبه اذ باءت حملته بالفشل الذريع ، فحشد للمرة
الثانية عساكره واستعرض فى ذهنه كل الخطط، وتداول مع مستشاريه
احسن الطرق لتجديد أعماله العدوانية ضد المسيحيين ، ثم انتهى
رايه الى أن أنجع الوسائل لانزال المضرة بنا هى أن يهاجمنا فى
أماكن متعددة مختلفة المواقع فى آن واحد ولذلك أرسل تعليماته
الحارمة الى أخيه الذى تركه وراءه فى مصر ليرعى شئونها ،
وتقضى هذه التعليمات بجمع أسطول من مصر الى الاسكندرية ثم
يرسله الى سورية على وجه السرعة لعزمه على محاصرة بيروت
برا وبحرا حال وصول هذه السفن ، وقال انه رغبة منه فى منع الملك
وشعبه من الاسراع لنجدة بيروت فإنه يشير عليه بجمع قوات
الفرسان الذين تركهم فى مصر ويقتحم بهم أرضنا من الناحية الجنوبية
ويخرب كل ما حول غزة وعسقلان والداروم التى هى آخر المدن
الموجودة فى يد الملك على هذا الجانب من أرض مصر •

كان هدف صلاح الدين من اصدار هذه التعليمات هي الا يجد عائقا يقف امامه في مهاجمة المدينة هجوما ضاريا ، في الوقت الذي يكون فيه جزء من القوات الصليبية - التي تضاعلت بأسا وقتل عددا - مشغولا بمواجهة المغيرين القادمين من مصر .

ونفذت تعليمات صلاح الدين التي أشار بها بحذافيرها تنفيذاً دقيقاً ، فلم تنقض أيام قلائل حتى جاء أسطول مؤلف من ثلاثين سفينة مديبة ، كما جاء الى الداروم أخوه على رأس القوات التي جمعها من كافة أنحاء مصر .

ورغبة من صلاح الدين في أن يكون كل شيء على أتم استعداد للحرب عند وصول الأسطول فقد قد بنفسه قوة اقتحم بها الناحية التي تعرف عادة ب«بكر» ، ووضع الكشافة على التلال المطلة على البحر في المنطقة الواقعة فيما بين الناحية المشار اليها حالا وبين سهول بيروت ، وعهد الى هؤلاء الكشافة بأن يوافوه بخبر قدوم الأسطول حين تهل طلائعه وتظهر للعيان ، كما انصرف هو في هذه الأثناء الى جمع قوات اضافية من الخيلة من الاقليم المجاور ، ورتب كل شيء على أكمل وجه يراه ضروريا كي ينجح الحصار .

ووصل الأسطول في أول أغسطس على وجه الدقة الى بيروت فبادر الكشافة المكلفون بمراقبته فأخبروا صلاح الدين بوصوله ، فلم يكن منه الا أن يادر في الحال بعبور الجبال التي تعترضه ، ونزل بمسكره الى السهل ، وسرعان ما أحرق تماما بمدينة بيروت حسب الخطة الموضوعة منذ وقت بعيد .

وجاءت الى قواتنا المعسكرة في « صافورية » الأنباء وقتئذ تضارب بعضها مع بعض بشأن مقاصد صلاح الدين ، فقال بعضها انه يعتزم حصار مدينة بيروت ، وهو قول ثبتت صحته في النهاية .

وقال البعض الآخر انه لا يقصد الاستيلاء على حلب ، فى حين اكدت اقوال غير هذه وتلك بأنه كان يهدف الى محاربة صاحب الموصل الذى جاءه الخبر عنه - وهو الوالى الذركى القوى - انه محاصر لبعض مدن صلاح الدين الموجودة فى بعض نواحي الفرات .

لكن بينما كانت هذه الاخبار المتضاربة تسرى فى أرجاء المعسكر اذا برسول يأتى فيكون وصوله قطعاً لدابر كل تضارب ، اذ يعلن أن بيروت محاصرة تماماً ، كما جاء رسول آخر من الجنوب يخبر مؤكداً يقول ان صلاح الدين قد اغار على أرضنا فى الداروم واقتحمها بقوات ضخمة وأن القتلى فى هذه الواقعة بلغوا ستة وثلاثين من الفرسان المسلحين بالأسلحة الخفيفة المعروفين بالتركوبولية ، كما انه أحرق بعض القرى التى توجد على الأطراف البعيدة .

فلما سمع الملك هذا الخبر تشاور مع باروناته ثم تقرر أن يبدأوا بمهاجمة الناحية التى هى أخطر ما تكون علينا ، وتخليص المدينة من الخطر الذى يهددها ، وذلك لأن بلدوين الرابع لم يعتبر قواته قادرة قدرة تامة على صد الأعداء فى الوقت ذاته فى داخل الأرض .

- ١٨ -

لذلك استدعى الملك قواته وزحف على رأس جميع عسكره وتوجه الى صور حيث أصدر أمره للأسطول الراسى فى مينائى عكا وصور بالاستعداد للعمل ، فتم ذلك فى مدى سبعة ايام فقط ، وهو أمر لم يدور بخلد أحد ما قط أن يتم بهذه الصدارة السريعة وفى هذا الوقت القصير ، وكان الأسطول يتألف من ثلاث وثلاثين قطعة بحرية .

بينما كان المسيحيون يقومون بهذه الأعمال وهم أشد ما يكونون تحمساً كان صلاح الدين يتحاصر مدينة بيروت كما ذكرنا ، وكان

جيشاء (البرى والبحرى) يبدلان غاية الجهد لايقاع افدح اضطراب ومضرة بالأهالى ، رعايا - الكاظم الحيطرة بالمدينة تهاجمها لمدة ثلاثة أيام على التوالي وتشدّد الضغط عليها ولم تكن تتبرك لمن تحاصروهم فرصاً يلتقطون فيها أنفاسهم أو يتناولون خلالها بما يقيم أودهم .

ولم يكن صلاح الدين قد أحضر معه آلات الرمى أو أى نوع من العدد الحربية التى تستعمل عادة فى ضرب المدقل ، ولعله كان يتوقع أن يتمكن من الاستيلاء على المدينة من غير الاستعانة بمثل هذه الآلات أن هو شأن عليها غارة فجائية ، ولكنه استطاع بمجهوداته النشاطة الدقيقة أن ينجز كل ما يمكن انجازه دون الحاجة للاستعانة بالآلات الحربية ، لأنه وضع - كما قلنا - كل جيشه حول المدينة فى صفوف يتلو بعضها بعضاً ، وينجد الواحد منها الآخر ان من احتاج الى نجدة ، وأخذت هذه الصفوف ترمى من أقواسها بوابل هتان من السهام أولئك المدافعين الذين كانوا يقتلون من فوق الأسوار ومن داخل الأبراج .

لكن لم تكن هذه الطريقة هى الوحيدة التى حاءل بها صلاح الدين منع السكان من الدفاع عن المدينة ، بل زاد فجاء الى هناك بالعمال الذين عهد اليهم ببث الألغام لهدم الأسوار ، عاقدا العزم على أن يؤدى هدم المتريس والأسوار بهذه الطريقة الى فتح ثغرات ومن قد تدخل منها القوات المسلحة رغم جهود المحصرين . ولقد ظل بقية العسكر مستمرين فى رمى السهام والمنجنيق حتى يستطيع واضعو الألغام الانصراف كاية الى عملهم دون أى عائق يعوقهم عما هم شاربون فى العمل فيه ، وظل العمل سائراً على هذا المنوال من غير انقطاع بصورة أصح شبح الموت معها ماثلاً أمام عيون الأهالى المخوفين خلف الأسوار ، دون أن يجروا على الاتيان بأى

أما المدافعون (المسيحيون) الذين كانوا قلة بالغة فقد أخلصوا
أخلاصا تاما في تنفيذ أوامر الحاكم وتوصياته لاسيما توجيبات
الأسقف الذي أظهر من المهارة والثبات في هذا الموقف ما يستحق
من أجله الثناء العاطر ، وقام المسيحيون بأفساد جميع تدابير العنبر
بإجراءات مضادة ، فلم يدعوا سبيلا من سبل المقاومة إلا سلكوه ،
وراحت الذبال والسهم تتساقط على الرماة الموجودين في الخارج
في مهارة وحداثة تعادلان مهارة المغيرين وحماستهم ، وترتب على
ذلك أن متى لترك بخسارة فادحة ، كما أن الذين كانوا أجرا من
سواهم في التقدم بالهجوم فقد قتلوا على بكرة أبيهم ووردوا حياض
الردى واحدا اثر واحد .

أما واضعو الألغام الذين كانوا يبذلون أقصى الجهد في تصف
الأسوار وهدمها فقد صادقوا جهدا مثل الذي يبذلونه ، مما أدى
إلى مصرع الكثيرين منهم وهلاكهم وضيع أدواتهم .

لم تكن النكبات والأضرار الجسام التي لحقت بالمحصورين
قاصرة على ما أنزلته بها القزات التي وصلت برا وحدها بل نافستها
أيضا الجماعات التي جاءت عن طريق البحر ، والتي ماثلتها في
ضراوة غضبها وشراسة بطشها ، ووقف صلاح الدين ذاته على
أحد أنتلال القرية من المعركة وراح يحمس رجاله على الاستسبال
في القتال ويشجعهم عليه ، ونجح في عمله هذا غاية النجاح حتى
أن أحد كبار رجاله واسمه عز الدين « فرخشاه » اقترح عليه أن
يسندوا السلالم إلى الأسوار ثم يدخلون إلى ما وراءها قسرا ، وكان
يعز عز الدين فرخشاه ويشينه أن يكون عند هذه الطائفة القليلة العدد
من الشجاعة أو القوة ما تستطيع به الصمود في وجه مثل هذا
الجيش الكبير ، وكان هذا الرجل (عز الدين) مصرا كل الإصرار
على تنفيذ هذه الخطة وضرب المثل للباقيين في تنفيذها .



ظلت المدينة محاصرة على الصورة التي وصفناها ثلاثة أيام
سوريا ، حتى اذا فقد صلاح الدين في النهاية كل أمل له في النجاح
أمر قواته البحرية بالانسحاب الى السفن ، فلما كان مساء اليوم
الثالث تسللوا على غير توقع من أحد واتسم تسللهم بالصمت
والهدوء .

كذلك استدعى صلاح الدين قواته البرية وابتعد بهم قليلا عن
المدينة ، ثم قسم خيالاته الى فرق وأمرهم بالانطلاق في السهول التي
حول المدينة وتمشيظها وتسوية كل برج بالأرض حتى تلك الأبراج
الموجدة في النواحي النائية وأن يجعلوها أثرا بعد عين ، كما أعمل
رجالهم - انصياعا لأمره - فؤوسهم وبلطهم في الحقول والبساتين ،
والأغاب الكثيرة الموجودة بأطراف المدينة .

ورغبة من صلاح الدين في أن تسير أعمال الحصار سيرا آمنا
بلا عائق فقد كلف بعض خيالاته باحتلال مسالك ضيقة معينة وعرة
واقعة بين بيروت وصيدا ، وكان من الضروري لعسكرنا أن يمرروا
عبرها وهم في طريقهم الى المدينة ، كذلك أمر بإقامة متاريس دفاعية
من الحجر على شاطئ البحر ، وكان يطمع عن طريق هاتين
الوسيلتين أن يمنع كثرتنا من التقدم ، وأن يستمر في الوقت ذاته
في مهاجمة بيروت دون أن يعوق هجومه عائق ما .

ثم جاءت الأخبار بأنه (٣٩) كان مجمعا العزم على ألا يتخلى
عن الحصار حتى تدين له المدينة بالقوة ، لكن بدى له أن يرجع عما
كان قد اعتزمه وأن يعود الى دياره ، ولقد قيل ان السبب في هذا
التراجع عائدا لما يلي : هو أن المعهود اليهم بحراسة الدروب
اعترضوا سبيل رسول صليبي كان يحمل الى اهالي بيروت رسائل
من بعض المؤمنين تشد من عزائمهم . فلما جرى بهذا الرجل بين

يدى صلاح الدين أدائه أبشع صور التعذيب ، وانتزع منه ومن
مضمون كتابه الذى يحمله أن جيشنا على أتم استعداد للعمل ،
وأنه على وشك الوصول فى مدى ثلاثة أيام ، لذلك بدل صلاح الدين
رأيه ورفع الحصار عن البلد كما قلنا .

على أن أسطولنا بلغ مقصده سالم ، لكنه وجد المدينة قد تحررت
فلم يضع وقتا فى العودة الى الموالي التى كن قد أبصر منها ،
فلما سمع الملك برفع الحصار عن المدينة ورحيل صلاح الدين عنها
ظل هو وكل جيشه مقيمين فى صور بضعة أيام عاد بعدها للم شتات
قواته ورجع سالما الى الصفرية .

- ١٩ -

تميز صلاح الدين على الدوام بالنشاط واليقظة وقد رغب من
كل قلبه أن يزداد اسمه تألقا ، وأن يجاوز ملكه حدود مملكته . ولما
كان شديد التطلع الى أن يحوز من الانتصارات فوق ما أحرزه ، ولما
كان يزدري بأس المسيحيين ولا يعدهم شيئا مذكورا فقد صمم على
أن يتقدم صوب المشرق . وليس من الواضح تماما حتى الآن أكن
صادرا فى عمله هذا عن ذاتية تلقائية وبعظمة النفس التى هى طبيعة
ركبت فيه ، أم أنه كان مدفوعا للقيام بهذه المهمة الشاقة التى ربما
كانت فوق طاقته بالحاح أمراء تلك الناحية عليه . ومهما يكن الأمر
فانه حشد للمرة الثانية طائفة كبيرة من الفرسان شاءت الظروف أن
يكونوا موجودين آن ذاك هناك ، كما أمر بأعداد ما تسمح به ظروف
الزمان والمكان من تجهيزات وأثقال استعدادا لزحف طويل المدى ،
ثم سار بقواته هذه ميمما وجهه شطر الفرات ، وقد رجح الصليبيون
أنه قاصد مدينة حلب فى محاولة منه للاستيلاء عليها ، إذ لم يكن
قد بقي سواها وسوى حصون قليلة مجاورة لها مما خلفه نور الدين

وكلها لم تقع بعد فى يد صلاح الدين • وكلنها آلت بعد موت ابن نور الدين الى أخيه علي الدين حرب (٤٠) صاحب الموصل بالوراثه بعد موت الشاب المشار اليه ، وكان الاعتقاد السائد حينذاك - وهو امر محتمل - ان صلاح الدين زاحف الى هناك ليستولى على المدينة ، ولكن الخواتيم برهنت على أنه كان يضم خطه أبعد من هذه الخطه . ان ما كاد يترك حلب وراءه حتى عبر الفرات ، وما انقضت أيام قلائل حتى استولى بالقوة على مدينتى الرها وحران وهما من أعظم مدن اقليم الجزيرة ، الى جانب كثير من المدن الأخرى والبلدان الملحقة بها ، والواقع أنه ضم اليه جميع مدن الاقليم اما بالسيف أو بالمال يرشى به حكامها ، وكانت هذه المدن جميعها تابعة من قبل لصاحب الموصل الذى ذكرناه حالا ، وقد استطاع صلاح الدين بسخائه العميم ان يفسد ذمم ولاية النواحي ويغيرهم على مولاهم الذى كانوا يدينون له بالطاعة والولاء ، ثم انه بعد ان تسلم قلاعهم نجح مرة أخرى فى كسب تأييدهم له هو ذاته ، وهكذا استطاع أن يحرم صاحب الموصل العظام حرمانا تاما من معونة رجاله له مما جعله عاجزا عن قتال صلاح الدين أو مقاومته ، وأصبح الناس يتحدثون فيما بينهم ان صلاح الدين قد أفسد موالى هذا الأمير وأصدقاءه عليه ، وأنه أوصاهم أن يسقوه جرعة سامة أضرت به أسوأ الضرر وكادت أن تودى بحياته ، واعتقد الجميع من هذه الأخبار أن صلاح الدين وصل الى الموصل بقواته دون أى تعب • كذلك دارت بيننا روايات شتى حول هذا الموضوع يقول بعضها ان زحفه كان ناجحا ، وأن كل شيء كان يسير وفق هواه • وتقول روايات أخرى عكس هذا القول ان تشدير الى أن سادة هذه النواحي الكبار قد اتحدوا جميعا فيما بينهم وصاروا يداوادة لبحر محاولاته الجريئة ، مما ترتب عليه قيام المتاعب

الشديدة فى وجهه **ضمكره**

مكذا بدى للعيان أن بلاد العدو قد أصبحت من غير مدافع يحمي زمارها ، ومن ثم فإن الملك وبارونات مملكتنا ظنوا .. وليس لهم من سند يؤيد ظنهم - أن قد حانت اللحظة التي كانوا يتطلعون اليها منذ حين للاضرار بالعدو ، وكان الغضب من صلاح الدين قد تزايدت حدته لما أبداه من ازدياد لقوة المملكة الحربية واستخفاف بها ، وكان دافعه الى ذلك الاستخفاف ما انطوت عليه نفسه من الشموخ والكبرياء والتعالى ، فخرج ليضم اليه أقطارا أخرى دون أن يعدأ بعقد هدنة أو اتفاق مع الملك الذي راح يتشاور مع باروناته وانتهت المشاورات بينه وبينهم الى حشدهم هم أيضا قواتهم وخروجهم بها وفي صحبتهم البطرك حاملا الصليب الغالي ودخلوا أرض الكفار وعاثوا في أرجائها تخريبا وتدميرا بقدر ما تسمح لهم به قوتهم .

ومروا في طريقهم باللبجا (٤١) التي كانت تؤلف جزءا كبيرا من أرض بصرى ودخلوا سورية الصغرى التي عاصمتها دمشق ثم وجهوا زحفهم شطر القسم الشرقي من تلك البلاد بعد أن لجأوا الى العسف في اجتيازهم مدينة « زورو » الأهلة بالسكان والتي لا تبعد كثيرا عن دمشق وانساحوا في الناحية وخرّبوا قسما كبيرا من المواضع القاصية المعروفة باسم المزارع Casalia ، وكان تخريبهم اياما بالنار يضرمونها فيها ويشتى الوسائل الأخرى الممكنة ، وكان سكان هذا الاقليم قد جاءهم الخبر من قبل باقترابنا من بناحياتهم ففروا الى الجهات التي هي أمنع تحصينا مستصحيين نساءهم واولادهم ودوابهم ومواشيهم مما أدى بالمسيحيين لأن يعودوا صفر الأيدي لم يحصلوا على شيء من الغنائم والأموال ، أما ما عجز الأهلالي عن اخذه معهم في فرارهم كالثقل وغيرها من ضرورات

العيش فلم تسلم من حرق الصليبيين لها أو افسادهم اياها بأى صورة
من الصور .

وبعد أن قرعوا من العيث فسادا فى كل ما وقعت عليه عيونهم
كان لابد لهم من العودة من حيث جاءوا فعمروا فى طريق عودتهم
باحدى مدن تلك النواحي الرائعة وتعرف عادة باسم «بصرى» وهنا
تناقش رجالنا فى مدى النفع العائد عليهم من امتلاك ما على أطرافها
فلما أدركوا أن ذلك العمل يستغرق منهم وقتا ليس بالقصير وأنه
يتطلب منهم أن يطيلوا مكثهم زمنا لا تسمح به قلة ما بين أيديهم من
الماء رأوا أن الأجدى عليهم هو أن يرجعوا حتى لا يهلكهم الظما هم
ومواشيهم ، ناهيك بما عليه هذا الأقليم من شدة الجفاف وغلبة
الصحراء عليه ، وخلوه خلوا تاما أو شبه تام من العيون والجداول
والأنهار ، حتى لقد جرت عادة أهله فى شهور الشتاء أن يحرصوا
على جمع المياه فى الخزانات وحفظها لسد حاجاتهم الضرورية على
مدار السنة ، على الرغم مما يعتري هذا الماء المخزون من تغير
الطعم بسبب حرارة الشمس والقذورات المتراكمة على سطوح هذه
الخزانات ، كما أن الأهالى حين تنأى اليهم قرب قدومنا عمروا
الى كسر هذه الصهاريج حتى تتسرب منها المياه كما حاولوا
اقتسادها بالأوساخ يلقونها فيها ، وقد فعلوا ذلك حتى لا تطيل بقاءنا
هناك .

على أن هذا الوقت من السنة لم يسمح للمسيحيين بتحقيق
ما يشتهون من الحاق الخسائر الكثيرة بالعدو لأن الأهالى كانوا
قد حصدوا الحبوب والغلال ثم كوموها فى الأجران التى جرت العادة
فى هذه الناحية على بنائها فى مغارات تحت سطح الأرض ، ولما كانت
هذه الأجران مغطاة بالتراب ومخفية عن العيون بمهارة فائقة فقد
كان العثور عليها أمرا عسيرا ، أما ما بقى من الغلة على الأرض



لدرسه فقد انتزعت منه قشوره فأصبح حبوبا لا تمسك فيه النار
ولا تحترق بسهولة ، ولم يكن من المستطاع الحاق الأذى بأراضى
الدريس الا ما يكون من بعثرة الحبوب وحمل ما يستطيعون لتكون
علقا لجيادهم .

على أن كثيرا من الجند الذين لا يكفون عن ارتكاب ما فيه
الضرر بالناس خلطوا هذه القشور وهذا القش المبعثر هنا وهناك
بالغلة التى درست فأمسكت بها النار بسهولة .

على أن العسكر القلائل الذين تركهم صلاح الدين وراءه فى
هذه الناحية بعد رحيله هو عنها لم يكونوا على درجة كفية من
القوة تدفعهم للمخاطرة بالاشتباك فى مقاتلة الصليبيين أو تمكنهم
من الاصطدام بهم فى النواحي المتاخمة لهم ، لكنهم راحوا يقسمون
أنفسهم الى جماعات شرعت تتعقب على مسافة ما مؤخرة العدو
المفادر ، وتحاول أن تلحق به ما تستطيع من الأذى بيد أنهم لم
يستطيعوا - حتى بهذه الطريقة - أن يعيقوا المسيحيين أو ينزلوا
الضرر بالجيش سواء أكان هذا الضرر جزئيا أم كليا .

- ٢١ -

بعد أن اجتاز رجالنا الاقليم بأجمعه وأفسدوا ما استطاعوا
إفساده توقفوا فى طريق عودتهم فى ذلك القسم نفسه من الناحية
المسماة بالسواد التى تقع فيها القلعة التى قلنا ان العدو كن قد
احتال على الصليبيين فانتزعها من أيديهم عسكريهم غدرا قل ذلك
بقليل حين كانوا لا يزالون موجودين فى اقليم البقاع .

وتشتهر « السواد » بمنتجاتها من الخمر والحبوب والزيتون ،
كما تشتهر أيضا بجوها الصالحى وبحسن موقعها ، ويقال أن



١١٠٣



• بلدة (٤٢) صديق أيوب المكنى بالشوحى نسبة الى الناحية فقد ولد هنا •

ولما بلغ المسيحيون تلك الناحية استحسنوا محاصرة القلعة ومن ثم قرروا الاستيلاء عليها حتى ترجع الى العدو الأضرار التي أنزلها بهم حين احتال فأخذها بالخدعة ، ومن ثم ضربوا معسكرهم أمام القلعة التي أشرنا اليها حالا ، وبذلوا جهودا جبارة لارغام من فيها على الاستسلام ، وكانت القلعة شديدة المناعة يستحيل اقتحامها الا من الناحية العلوية ، بل ان ذلك يكاد أن يكون مستحيلا الا اذا تم قطع الأحجار وقذفها الى الداخل ، لذلك قرروا أن يبدأ قاطعو الأحجار عملهم فى القسم العلوى من القلعة ، وجهزهم بكل ما يعينهم على أداء ما نيظ بهم عمله دون خوف من الهجوم عليهم ، كما أمدهم بالمساعدين والحراس ليكونوا أمنين من مخاطر القتال •

كانت القلعة واقعة على جانب جبل شاهق الارتفاع ، وكان الاقتراب منها أمرا دالغ المشقة ولايتأتى الا بالسير عبر ممر ضيق لا يكاد يسمح الا بصعوبة لمرور جندى واحد يكون مترجلا ومتخففا من كل ما يثقله •

وكان عرض الممر من هذا الجانب لا يكاد يبلغ قدما واحدا ، توجد تحته هوة عميقة مغزعة تمتد الى قاع الوادى ، وكان هذا الحصن مؤلفا من ثلاثة طواق ، يصل بين كل منها والآخر سلم خشبى ضيق الفتحات •

ولما كانت هذه هى الطريقة الوحيدة التى يمكن بها مهاجمة الحصن فقد حاول المسيحيون الوصول اليه من الناحية العلوية كما قلنا أملا منهم فى أن يتمكنوا بهذه الطريقة من التسلل الى داخل الطابق الأول والأعلى من تلك القلعة ، ولما كان هذا هو غاية مرامهم

فقد بذلوا كل محاولة من جانبهم لتحقيقه فوضعوا جميع النمال الذين يحتاجهم ، يعمل فى مراضعهم ، وأمدوهم بالمساعدين الذين ما كادت بقايا حطام الصخور والحجارة تزاح حتى طوحوا بهذا الحطام الى الوادى تحتهم .

ورغبته من الصليبيين فى أن يستمر العمل بلا انقطاع فقد رتبوا دوريات تتناوب العمل فيما بينها آداء الليل وأطراف النهار ، وكان التعب اذا بلغ غايته من رجال احدى الفرق حل محلهم غيرهم ممن لديهم القدرة على الاستمرار فى العمل الذى راح يتقدم بخطا سراع بسبب كثرة العمال وحماستهم ، وبسبب سهولة قطع الأحجار ذاتها بفضل تكوينها الجبرى الذى يسمح للآلات الحديدية بالتنفذ فيها ، الا أن تعترضها عروق من الحجر الصلب تؤذى هذه الآلات وتكسرها فتعطل عمل العمال وتفسد عليهم نشاطهم ، وهم الذين كانوا يقذفون بالحطام الى أسفل الوادى لتنظيف المكان كما شرحنا ، وكانت كل هذه الأحداث تجرى أمام عيون من فى داخل الحصن فتضاعف من فزعهم اذ كانوا يتوقعون بين لحظة وأخرى أن يقتحم العدو المكان عليهم حين يتم انجاز هذا العمل .

انقسم جيشنا الى مجموعتين ، قامت احدىما بنهب المعسكر القائم - كما قلنا - على قمة التل الذى توجد به القلعة التى يستطيع رجالها من موقعهم هذا حماية القائمين بالعمل من أن تلحقهم الأضرار التى يريد العدو انزالها بهم .

أما القسم الآخر من الجيش فقد بقى رجاله فى السهل الواقع فى الناحية الدنيا ، وكان القصد من وضع هذه المجموعة هناك هو ان يمنع رجالها أى أحد من الدخول أو الخروج .

على ١٠٩ كان يحدث فى بعض الأحيان أن يقترب بعض العسكر



الآخرين من الحصن عبر الطريق الضيق الذي أشرنا اليه ويحاولون الهجوم على من داخله ، راكن ذهبت هذه المحاولات اندراج الرياح ولم تجد نفعا ، كان بالداخل قوة تقارب سبعين رجلا من الرجال الأشداء الأقوياء ، وعندهم المزيد من الميرة والسلاح ، وكان صلاح الدين قد انتقى هؤلاء الرجال وهو على أهبة الرحيل ، وعهد اليهم بالحفاظ على الحصن اعتمادا منه على يقظتهم وبراعتهم ووفائهم له .

ثم وصل العمل الى نقطة لم تسمح فيه طرقات المطارق المستمرة بشيء من الراحة للحامية الموجودة فى الحصن ، ولما ازدادت الطرقات بدى البناء وكأنه يهتز ويضطرب فخيَّف أن يؤدى هذا الأمر الى اقتحام الحصن الذى فزع من به أن يتأثر بالطرقات المتوالية فينهار فجأة ويسحق جميع من بداخله - وانقطع الأمل من وصول نجدة اليهم لأن صلاح الدين كان قد رحل بكل من عنده الى جهات قريبة ليس من اليسير عليه أن يعود منها مما حمل أهل القلعة فى النهاية بعد حصار دام ثلاثة أسابيع أو أكثر قليلا على ارسال سفارة الى الملك (الصليبي) واستطاعوا بفضل تدخل كونت طرابلس أن يحصلوا على الاذن لهم بالخروج أحرارا الى بصرى ، وكان شرط إطلاقهم أن يسلموه القلعة وما معهم من السلاح وكل مالهديهم من متاع . ثم أخلوا المكان فى الحال ورحلوا من ساعتهم ، وهكذا تخلصنا برحمة الرب الواسعة من الوضع الخطير الذى كان يهددنا .

حين تم تسليم القلعة رأى الملك والقادة الآخرون أنها كانت مجهزة أحسن تجهيز بالسلاح والذخيرة ، وأن ذاك عهد بها الى رجال أوفياء لا يشك أحد فى ولائهم ، ولا يستطيع أحد الطعن فى كفاءتهم ، ولما فرغوا من تسليم كل شيء الى المسكر عادوا الى

ديارهم • وقد وقع هذا الحادث فى سنة ١٨٨٢م من المولد المسيح
وفى اليوم ٠٠٠٠ (٤٣) ٠٠٠٠ من شهر ٠٠٠٠٠٠

- ٢٢ -

وبعد فترة قصيرة من الزمن اى فى ديسمبر الذالى لاحظ
قوادنا أن صلاح الدين قد عوقته فى الناحية الغربية من الموصل
بعض الأمور التى كانت أكثر خطورة فحالت بينه وبين العودة حتى
الآن ، فكره الصليبيون أن تقوتهم فرصة غيابه فاجتمعوا مرة ثانية
وتبادلوا الراى فيما يتبغى اتخاذه من عمل يكون فيه صالح المملكة ،
فاتفقوا على أن يكون تلاقىهم فى قيسرية الساحلية ، وانعقد اجماعهم
على حشد قوات المملكة وتجهيز كل ما تحتاجه حملة جديدة من الرجال
والعتاد يحملون بها على بلاد العدو وتستغرق أسبوعين ، وقرروا
أن لا تضيق من أيديهم هذه الفرصة التى أتحت لهم ، وكان أول
ما فعلوه هو الاقتصار على حملة سرية قوامها الفرسان دون غيرهم ،
وهاجموا الناحية القريبة من « بصرى » حسبما تم الاتفاق عليه من
قبل ، ثم عادوا سالمين محملين بكثير من الغنائم والأسلاب على شكل
قطعان من الماشية والأغنام وجملة من الرقيق ، ولما كانت هذه الحملة
قد خرجت من طبرية وعادت إليها فقد كانت قيادتها موكولة الى كونت
طرابلس •

ولما كان اليوم الخامس عشر شهد أحد الأماكن الواقعة على
بحر الجليل ويسمى كاستلوم Gastellum قرب طبرية حشدا
كثيفا من الفرسان والمشاة كانوا كل من أمكن جمعه حينئذ من شتى
نواحي المملكة وعلى رأسهم الملك وباروناته ومعهم الصليب الأعظم
ثم عبروا النهر من هناك عند مخاضة يعقوب فصاروا فى أرض العدو
فرجع الجيش مجاعداً لبنان على يساره ، واجتاز السهل حتى بلغ

موضعا يسمونه « بيت جن » Bettegene ' أعملوا فيه وفي
الدساكر الملحقة به المعاول وأضرموها فيه النيران وسووه بالأرض ،
وهكذا دمروا كل شيء وجدوه هناك تدميرا تاما ، ثم تقدموا حتى
بلغوا « داريا » التي تبعد عن دمشق أربعة أميال أو خمسة فحربوها
هي والقرى الواقعة على الأطراف بنفس الطريقة التي خربوا بها
سابقتها .

وكان بعض الأهالي الذين يعيشون في هذه الجهة قد فروا الى
جبال لبنان والبعض الآخر الى دمشق مما ترتب عليه عدم وقوع أى
أسير من تلك النواحي كلها فى أيدي الحليبيين .

غير أننا فقدنا نفرا من رجالنا بسبب مسلكتهم الأرعن أثناء
بحثهم عن الكلا لدوابهم فقد استغل بعض الفرسان الأتراك سرعة
حيادهم وانطلقوا من دمشق وراحوا يحومون حول رجالنا فكنت
تراهم تارة يتقدموننا وتارة خلفنا ، ولكنهم فى كلتا الحالتين يترقبون
الفرصة لا يذائنا ، فلما اتاحت لهم هذه الفرصة أغاروا على الباحثين
عن الكلا الذين أشرنا اليهم والذين لم يأخذوا حذرهم وأعملوا فيهم
القتل فاقنوهم عن آخرهم ، وكانت مذبة مروعة .

كذلك خرج الدماشقة من مدينتهم فى زرافات تجمعت فى
البساتين والحقول التى حول البلد ، وراحوا من موقعهم هذا يراقبون
قواتنا بطرف لا يكل وان لم يجرؤوا على التقدم ، ولم توات الجراة
الصليبين على مهاجمتهم ، كما أن هؤلاء لم يحاولوا القيام بأى
عمل ضدنا ، ثم انهم ما أن رأوا رجالنا يرحلون حتى انسحبوا عائدين
الى المدينة .

ورجع الجيش الصليبي كما قلنا الى دياره دون أن يلقي
صعوبة أو يصادف أى عقبة ، وذلك بعد اجتياحه هذه الناحية من

البلد وانزاله الكثير من الدمار الفاح بها . وأما الملك (بلودين الرابع) فقد أسرع الى صور حيث احتفل . معزا بعيد ميلاد المسيح .

- ٢٣ -

سرت في هذا الوقت شائعات عن نشاط صلاح الدين قال بعضها انه يلقي كثيرا من النجاح في منطقة الجزيرة بالموصل حيث أخضع الناحية كلها لسلطانه ، وقال البعض الآخر عكس هذا القول تماما اذ زعموا أن جميع أمراء المشرق قد اتحدوا وأصبحوا يدا واحدة للعمل على اخراجه من البلاد بقوة السلاح عساهم يستردون الاقليم الذي كان قد اغتصبه منهم بالحيلة والرشوة .

على أن تقدم صلاح الدين أحدث عند الصليبيين قلقا بالغا اذ راحوا ينظرون اليه والى تزايد قوته بفزع شديد مخافة أن يكر عليهم بامدادات كبيرة ، ومن ثم عقد اجتماع عام في بيت المقدس في فبراير التالي (سنة ١١٨٣ م) شهده جميع بارونات المملكة لتبادل الرأي حول الموقف ، وسيطرت عليهم روح سن الفزع خوفا من عودة صلاح الدين كما ذكرنا ، ولذلك قرروا أن يصطنعوا جميع الوسائل الممكنة لصدده .

وبعد أن طال الجدل بينهم وتبادلوا مختلف وجهات النظر تقرر بالاجماع عمل احصاء لجميع أراضي المملكة ، فان تم ذلك أمكن في حال الضرورة الطارئة الحصول على قوات من المشاة والفرسان حتى اذا عاد العدو وجدنا على أتم أهبة لمقاومته ، ورأى الملك والبارونات ما هم فيه من وضع يبعث على اليأس لأن جميع موارد المملكة لم تكن كافية لسد النفقات الضرورية واتفقوا على اصدار قرار في هذا الصدد يعلن على الناس قاطبة ، يوضح تمام الوضع الطريقة التي تجبى بها هذه الضرائب وتكون كالتالى :



« هذه هي الطريقة لجمع الضريبة التي وافق عليها كبار الشخصيات من روحانيين وعلمانيين ، وارتضاها شعب مملكة بيت المقدس لمواجهة الحاجات الضرورية التي لا مفر منها والتي تجبى بمقتضاها هذه الضريبة من أجل الصالح العام . »

« لذلك تقرر بأمر الدولة أن يتم اختيار أربعة رجال من كل مدينة من مدن المملكة يكونون من أهل الفطنة وموضع الثقة ، وينسمون قسما غير حائثين فيه أن يعملوا بايمان صادق في هذا الموضوع الحالي ، فيقومون هم أولا : ثم يحملون غيرهم على أن يعملوا مثل ما عملوا هم أن يدفع كل شخص بيزنقا واحدا عن كل مائة بيزنت يملكها الفرد ، أو يدفع ما يعادلها على الأشياء التي هي ملك يمينه ، ويدفعها عن كل ما هو مؤجل له . »

« كذلك يقوم الحاكم بحمل كل فرد على دفع بيزنتين عن كل مائة بيزنت من دخله ، كما يكون لهذا الحاكم أن يفرض على كل مواطن - سواء أكان من سكان إحدى المدن أو غيرها من الأماكن التي تدخل في نطاق حكومته أن يدفع عن رأس المال ما يتناسب ويعتبر مكافئا لما يملك ، ثم يقدرّون هذا على كل واحد على حدة تبعا لقدرته على الدفع . »

« لكن إذا حدث وذكر أحدهم (حين يخبرونه بالقدر الذي يجب عليه دفعه) أنه إنما كلف بما فوق طاقتة ، وأنه قد فرض عليه من الضرائب ما لا تتحمله موارده فعليه أن يبين حسبما يملكه عليه ضميره ما يوازى قيمة متاعه طبقا لما يراه عدلا ، وعليهم أن يتركوه يذهب الى حال سبيله في أمان حسب الشروط المذكورة . »

« وعلى الأربعة المختارين أن يقسموا اليمين البرة بأن يحفظوا ما يدلى به كل مواطن سرا لا يفشونه لأحد من الناس ، سواء أكان

ما أدلى به قليلا أو كثيرا ، لأنهم ملزمون باليمين الا يعلنوا ما عليه
أن أت من الناس من الثنى أو النقر . وعليهم مراعاة تطبيق هذه
اقواعد بالنسبة لكل من يملك شيئا يقدر بثلاثمائة بيزنت ، مهما
كانت لغة هذا الشخص أو جنسيته أو دينه ؛ ومن غير نظر الى
جنسه : ذكرا كان أو أنثى ، اذ الجميع على قدم المساواة بالنسبة
لهذه القاعدة .

« فاذا قدر لهؤلاء الأربعة المختارين والمعنيين لأداء هذه المهمة
أن يعرفوا معرفة أكيدة أن ما يملكه شخص من الأشخاص لا يساوى
مائة بيزنت فانهم يتسلمون منه نقودا حسب المواقد ، أى يأخذون
بيزنتا واحدا عن كل قرن ، فان لم يستطيعوا الحصول على البيزنت
كاملا اكتفوا بنصف بيزنت ، فان أعجزتهم جباية هذا النصف أخذوا
« رابونا » واحدا ان تراءى لهم أنه حقيق كل الحق ، فمن
كانت بضائعهم لا تساوى مائة بيزنت فانهم يخضعون لهذا الشرط
مهما كان لسانهم أو جنسهم أو دينهم ، وسواء اكانوا ذكورا أم
اناثا .

« كذلك تقرر على كل كنيسة وكل دير وعلى جميع البارونات
— مهما كثر عددهم — وكذلك الأوصال وغير هؤلاء ممن لهم دخولات
فى المملكة اخراج بينزنتين عن كل مائة بيزنت تدخل لهم كايجارات
كما ان العمال بالأجر يدفع الواحد منهم بيزنتا عن كل مائة بيزنت
من أجره » .

« أما الذين يمتلكون المقاطعات فعليهم حسب اليمين أن يدفعوا
عن كل مدفاة أو قرن يملكونه فى القرى أو المقاطعات بيزنتا واحدا
بالاضافة الى ما أوصى به أعلاه ، فاذا كان بالمرعة مثلا مائة قرن
بالتزم الفلاحون بدفع مائة بيزنت ، ثم يصير بعد ذلك من واجب مالك



المزرعة أن يفرض على كل فلاحها المشاركة في دفع البيزنقات الواجب دفعها بعد تقسيمها عليهم بالتساوي ، أى أن كل واحد منهم يلتزم بدفع الضريبة المشار إليها أعلاه بما يتناسب وأمواله ، وبذلك لا يستطيع الغنى أن يتهرب من الدفع ، ولا يثقل كاهل الفقير بما ليس فى طاقته احتماله ، وبهذا تكون النسبة واحدة سواء أكان بالمزرعة كثير من الأقران أو القليل منها .

«وكذلك فإن الأموال التى تجمع من كل مدينة من حيفا حتى القدس سوف يحملها إلى القدس أولئك الذين قلنا عنهم من قبل أنهم أصبحوا رؤساء لكل مدينة ومزرعة ، أى أنهم يلتزمون بدفع قدر معين من المال ووزن ثابت ، ويكون ذلك بحضور البطرک أو نائبه وبحضور قيم القبر المقدس وأمين بيت مال بيت المقدس ، ويدفعون ذلك إلى المكلفين بهذا العمل فى القدس ، ويضعون هذه النقود مختومة فى صرر وعلى حدة كما تسلموها من كل مدينة أو أى مكان ، ثم توضع هذه الصرر كلها فى صندوق بخزينة الصليب الطاهر ، ويكون لهذا الصندوق ثلاثة أقفال وثلاثة مفاتيح ، يحتفظ البطرک بأحدها ، ويعهد بالثانى إلى قيم القبر المقدس ، وأما الثالث فيكون فى عهدة كل من أمين القصر والأربعة المختارين الذين أشرفنا إليهم من قبل وهم الذين عينوا لجمع المال .

«أما المسئولون عن المدن الواقعة فيما بين حيفا وبيروت فسوف يحملون الأموال المجبأة على هذه الصورة إلى مدينة عكا ، بعد أن يحدد قدرها ووزنها حسبما جاءت من كل مدينة ومن كل قلعة ، ثم تسلم لهؤلاء الأربعة فى كل مدينة ، وهم الذين وكل إليهم جمع الأموال ثم يوضع ذلك كله فى صرر مختومة ممهورة ، ثم توضع هذه الصرر فى صندوق له ثلاثة مفاتيح وثلاثة أقفال ، يأخذ أولها رئيس أساقفة صور ، ويأخذ ثانيها جوسليل سنكال الملك ، أما الثالث فيحتفظ به



الأشخاص الذين ذكرناهم آنفا ، وهم المسئولون عن هذا الأمر ، على أن يقوم من بيدهم المذتين بتسليم الأسوار المذكورة في حضور السادة المذكورين .

« ولا يجوز صرف هذه الأموال المجموعة على شؤون المنكة العادية ، ولكنها توقف للصرف على الدفاع عن البلاد » على أنه طالما ظلت هذه الأموال باقية فإن الضريبة المسماة بضريبة التاي Taille سوف لا تجبى من الكنائس ولا الأهالي .

« وسوف يعمل بهذه الضريبة مرة واحدة فقط ، ولن تعتبر سابقة يعتد بها فيعمل مثلها في المستقبل » .

- ٢٤ -

في هذه الأثناء كان صلاح الدين - وهو الرجل الذي لا يكل أبدا والذي يمثل على الدوام القائد المحنك في كل شيء - أقول أنه كان قد استولى على الأراضي السورية في بلاد الجزيرة ، وأخذ بالقوة المدن ذات الثهرة المدوية ، وإلى جانب ذلك فنه حاصر « آمد » العاصمة الشهيرة التي كانت مدينة لا يمكن اقتحامها لكثرة سكانها وضخامة أسوارها المحيطة بها ولطبيعة موقعها ، فلما تم استيلاؤه عليها أسلمها - بناء على اتفاق سابق - إلى شريف تركيا اسمه نور الدين بن قرا أرسلان الذي كان لمساعدته الصادقة له الفضل في قدرته على إطالة بقائه في هذه النواحي حتى تسنى له أن يتم إخضاع تلك الناحية .

فلما كان الربيع التالي استدعى قواته مرة ثانية وعهد بالناحية كلها إلى رعاية بعض أتباعه المخلصين ، أما هو فقد عبر الفرات



عائدا الى البقاع ، حيث وضع جيشه حول حلب ولم يدع وسيلة لمضايقتها الا اتباعها .

كان صاحب حلب مدركا تمام الادراك ان اخاه صاحب الموصل - وهو اقوى منه بأسا - لم يستطع ان يدفع صلاح الدين عن اراضيه رغم كل ما بذل من الجهود ، بل لقد حدث ما هو عكس ذلك اذ كان هذا الأمير الكبير قد أخضع جميع الأراضى الواقعة وراء نهر الفرات ، ولما كان يخشى أن يصيبه ما أصاب غيره فقد بعث الى صلاح الدين فى السر رسلا من ناحيته لم يعلم أحد من الحلبيين بخبرهم وذلك سعيا منه لعقد الصلح بينهما ، وأخبره أنه مسلم له مدينة حلب ان هو أعاد اليه سنجار وقلعا أخرى سماها له ، ولكنى نسيت اسماءها .

ولقد تلقى صلاح الدين السفارة أحسن لقاء واغتنط بها . أيما اغتنباط ، فقد كان من أغلى أمانيه منذ اللحظة الأولى من حكمه الحصول على حلب التى يعدها حصن المملكة كلها ويسعى ليملكها بأى وسيلة من الوسائل ، لذلك قبل عن ضيق خاطر هذه الشروط وسلمه المدينة المذكورة حالا وما حولها من القلاع والحصون ، وكان تسلمه هو مدينة حلب فى شهر يونيو (سنة ١١٢٨) .

حين سمع قومنا بهذا الخبر تملكهم الفزع فقد وقع ما كانوا يخشونه أشد الخشية وكان المسيحيون يدركون بوضوح أن لو قدر لصلاح الدين النجاح فى اضافة حلب الى ممتلكاته فان بلادنا سوف تكون محاطة بقواته فيهددها بأسه من كل جانب فتصبح وكأنها فى حالة حصار ، لذلك حاول قومنا تدعيم تحصينات مدينتهم وبلدانهم بكل وسيلة ممكنة ، لاسيما تلك النواحي الواقعة قرب تخوم العدو ، وفوق ذلك فانهم ضاعفوا من وسائل الدفاع عن بيروت التى اتضح أنها ضعيفة تماما .



انزعج أمير أنطاكية أشد الانزعاج إذ علم بقرب خصمه العتيد منه ، وهو العدو القوي الشكيمة ، ذلك لأنه عرف أنه يواجه في صلاح الدين خصما شديدا المراس ذا مرة ، فخصي ومعه كونت طرابلس إلى الملك وكان مقيما إذ ذاك في مدينة عكا ، ولم يستصحب معه حرسا في هذا الذهاب سوى نفر قليل من الجند حتى لا يترك البلد وراءه خاليا ممن يدافع عنه ويرد عادية المغير ؛ فلما صار (الكونت ريموند) في حضرة أمراء المملكة التمس النجدة ضد صلاح الدين ، فتم الاتفاق على استجابة رجائه وأمدوه بثلاثمائة فارس من فرسان المملكة من مختلف الرتب ساروا وراءه إلى أنطاكية للمحاربة تحت لوائه ، لكنهم مالبثوا أن عادوا على أعقابهم مستائذين الأمير في هذا الرجوع بعد أن عقد معاهدة مؤقتة مع صلاح الدين ، مما تأكد لهم معها أن الأمور قد هدأت .

وأراد الأمير أن يفرغ باله ليطمئن خاطره ويكون أقدر على الالتفات لشئون أمارته أنطاكية ، إذ قبل مبلغا كبيرا من المال لقاء تنازله عن مدينة « طرسوس » عاصمة كيليكية التي كان قد تسلمها من البيزنطيين فأسلمها هو بدوره إلى الوالي الأرمني القوي « روبين » الذي كان يسيطر على كثير من المدن في هذه الناحية ، والحق أن أمير أنطاكية كان حكيما كل الحاكم فيما فعل إذ كانت « طرسوس » بعيدة كل البعد عن أرضه ، وتفصلها عن أنطاكية بلاد الأرمن وأرض روبين ، ومن ثم كانت تشكل صعوبة له ، كما يكلفه الحفاظ عليها من أمره رهقا لما تتطلبه العناية بها من الصرق عليها ، ولكن هذا كله كان أمرا ميسورا على روبين إذ صارت طرسوس ملك يمينه .

بعد أن رتب صلاح الدين جميع أمور تلك الناحية حسبما تهوى نفسه غادرها إلى دمشق مع كتائبه ، وكانت هذه الحركة من جانبه

هَبَّتْ فَرْعَ كَبِيرٍ لِقَوْمِهَا خُصُوصًا وَقَدْ اسْتَحَالَ عَلَيْهِمُ الدَّسُولُ عَلَى
أَيَّةِ مَعْلُومَاتٍ مُؤَكِّدَةٍ مِنَ الْكُشَافَةِ عَنْ حَقِيقَةِ نَوَائِيهِ ، فَظَنَّ لِبَعْضِ أَنَّهُ
يَعْدُ اسْتِدْجَائَهُ الْقَوَاتِ الْبَحْرِيَّةَ لَا بُدَّ وَأَنْ يَحَاصِرَ بَيْرُوتَ كَمَا فَعَلَ فِي
السَّنَةِ الْخَامِسَةِ ، وَقَالَ آخَرُونَ أَنَّهُ يَعْتَزِّمُ مَهَاجِمَةَ حَصْنِ شَتِيفِ تَوْرُونَ
وَهَوْنَيْنِ ، وَهُمَا مِنْ أَمْنَعِ الْمَعَاوِلِ الْمَوْجُودَةِ فِي تِلْكَ النُّوَاصِي الْجَبَلِيَّةِ
الْمَطْلَعَةِ عَلَى صُورَ .

عَلَى أَنَّ هَذَاكَ رَجَالًا غَيْرَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ لَكَانُوا يَجْزَمُونَ أَنَّهُ يَعْتَزِّمُ
تَخْرِيبَ أَقْلِيمِ الْبِقَاعِ الْوَاقِعِ فِيمَا وَرَاءَ الْأُرْدُنِ ، وَأَنَّهُ يَنْوِي كَذَلِكَ
تَدْمِيرَ الْأَمَاكِنِ الْمُنِيعَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي تِلْكَ الْأَطْرَافِ .

عَلَى أَنَّ هُنَاكَ رَهْطًا غَيْرَ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا حَاسِلُوا أَنَّ يُؤَكِّدُوا أَنَّ
صَلَاحَ الدِّينِ كَانَ قَدْ مَلَ الْحَمَلَاتِ الطَّوِيلَةَ الْمُسْتَمِرَّةَ فِي الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ
فَالْتَمَسَ فِتْرَةَ الْهَدْنَةِ الْقَائِمَةَ لِيَذْهَبَ إِلَى مِصْرَ لِيَجِدَّ نَشَاطَ جَيْشِهِ
الْمُرْهُقِ وَيَجْمَعَ الْأَمْوَالَ الْإِلَازِمَةَ لِلْحَمَلَاتِ الَّتِي يَزْمَعُ الْقِيَامَ بِهَا .

أَدَّتْ هَذِهِ الْأَقْوَالُ الْمُتَضَادَّةُ وَالْمُحِيرَةُ إِلَى اسْتِيْلَاءِ الْفَرْعِ الدَّائِمِ
وَالْقَلْقِ الَّذِي لَا انْتِهَاءَ لَهُ عَلَى الْمَلِكِ وَالْبَارُونَاتِ ، وَتَرَكَّزَتْ أَخِيرًا قَوَاتُ
الْمَمْلَكَةِ الَّتِي أَمَكَّنَ جَمْعُهَا عِنْدَ نَبْعِ « الصَّفُورِيَّةِ » الَّتِي اعْتَادَتْ
الْجِيُوشُ التَّجْمَعُ عِنْدَهُ مِنْذُ أَوْقَاتٍ بَعِيدَةٍ ، وَوَقَفَ الْجَمِيعُ هُنَاكَ يَرْقُبُونَ
مَا تَسْفِرُ عَنْهُ الْأَحْدَاثُ ، وَبَعَثُوا بِالْكَتَبِ إِلَى أَمِيرِ أَنْطَاكِيَّةِ وَكَوْنَتْ
طَرَابِلُسَ ، فَقَبِلَا بَعْدَ الْحَاحِ أَنَّ يَضْمَا قَوَاتَهُمَا إِلَى قَوَاتِهِمْ وَيَبْذِلَا لَهُمْ
النَّصِيحَةَ ، وَعَلَى هَذَا فَقَدْ رَاحُوا يَتَرَقَّبُونَ مِنْ يَوْمٍ إِلَى آخَرٍ أَنَّ يَبَاغَتْهُمْ
صَلَاحُ الدِّينِ ، فَيَهَاجِمُ نَاحِيَةَ مِنْ نَوَاحِي الْمَمْلَكَةِ بِعَسَاكِرِ تَزِيدَ فِي
قُوَّتِهَا عَمَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِهِ .



بينما كان الجيش على هذه الصورة من الترقب عند تبع
« الصفورية » كان الملك فى الذاصرة يعانى اشتداد الحمى شدة قاسية
يضاف الى ذلك أن النقرس الذى كان قد بدأ يضايقه فى مستهل
حكمه بل وفى حدائته أصبح الآن أشد ضراوة عما كان عليه من
قبل ، فضعف بصره حتى أشفى على العمى ، وصارت أطرافه هامة
كل الهمود حتى عجزت يداه وقدماه عن أداء وظائفها ، وكان هو
حتى هذه اللحظة يرفض الانصات الى ما أشار به عليه بعضهم من
وجوب تخليه عن العرش وترك أمور المملكة الى سسواه يتولى
تصريفها ، على أن يتناول هو مرتبا مجزيا من الخزانة الملكية لمواجهة
احتياجاته ، وحتى ينصرف هو الى حياة الهدوء فى اثناء تقاعده .

وعلى الرغم من ضعفه الجثمانى وما عليه بدنه من العجز الا
أنه كان حاضرا العقل بصورة لاتتفق أبدا وما هو فيه ، وكان يجاهد
فى اخفاء مرضه ، ودأب على تدبير أمور المملكة ، الا أنه فقد الأمل
فى الحياة حين هاجمته الحمى ، فاستدعى اليه كبار بارونات ،
واشترك فى هذا الاجتماع أم الملك والبطرك ، ثم قام هو
فأعلن فى حضرتهم جميعا أنه قد عين « جى دى لوزنيان » كونه
يافا وعسقلان وزوج أخته وصيا على المملكة .

وهذا الأمير « جى دى لوزنيان » هو الذى كثرت اشارتنا اليه
فى الصفحات السالفة ، أما (الملك بلدوين الرابع) نفسه فقد احتفظ
بمنصبه الملوكى ، واستبقى بيت المقدس وحدها اقطاعا خاصا له مع
دخل سنوى يقدر بعشرة الاف قطعة ذهبية .

وعهد الملك إلى « جى » بإدارة جميع ما بقى من المملكة دون
أى قيد ، وأمر ~~الملك~~ المخلصين وجميع البارونات باعتبار أنفسهم
افصالا لـ « جى دى لوزنيان » ، وأن يقسموا له يمين الطاعة والولاء .

وتم كل شيء وفق ما رأى .

كان أول شيء فعله « جى دى لوزنيان » امثالاً لأمر بلدوين
(الرابع) هو أنه أقسم ألا يتطلع للتاج طالما بلدوين على قيد الحياة ،
ولا يقطع أحداً ما أيا من المدن والقلاع التى كانت حتى ذلك الوقت
ملكا للملك ، ولا يمسك الصرّف عليها من الخزانة . والمعتقد أن
« جى » قد التزم بهذا الأمر وأكدّه بيمين قطعها على نفسه أمام جميع
البارونات ، وأعلن أنه سوف يراعى هذا الشرط مراعاة أمانة ، وذلك
لأنه كان قد وعد معظم كبار رجالات الدولة - كلا على انفراد -
بأنصبه من المملكة ليست قليلة وكان ذلك منه سعياً لضمان وقوفهم
إلى جانبه . كذلك يشاع أنه كان قد أعطى يمينا كهذه اليمين لهؤلاء
اللوردات التزم فيها بالوفاء لهم بما وعدهم به . ولا يمكن لنا أن
نأخذ بهذا القول كحقيقة ثابتة إذ ليس بين أيدينا بينة قاطعة يصدق
هذا الأمر ، لكن لم تنقطع حول هذا الموضوع الشائعات التى كانت
تلوكها جميع الألسن .

على أن هناك أشخاصا لم يقع هذا التغيير عندهم موقع القبول
فمالوا إلى معارضته معارضة تنكّيتها عصالحهم الذاتية ودوافعهم
الشخصية .

ثم كان إلى جانب هؤلاء نفر كانوا يتذرعون بالصالح العام
ويجاهرون بخوفهم على وضع المملكة وراحوا يصرحون علانية بأن
الملك (جى دى لوزنيان) ليس بالرجل الكفء لتحمل المسئولية ، وأنه
أعجز عن أن يدير دولة قارب المملكة ، على أن هناك رهطا منهم كانوا

يطعون فى أن تؤدى وعود « جى » لهم الى تحسين أوضاعهم ،
فزعموا أن الخير كل الخير فيما تم .

وتقرب على هذا كله أن سرى بين الناس تدمير كبير ، وتفرقوا
فى آرائهم شيعا متباينة وصدق المثل القائل : « تتعدد وجهات
لنظر كلما تزايد الرجال كثرة » .

على أن الكونت (جى) لم ينعم طويلا بما أوتيته من أمنية كان
شديد التلهف عليها ، وهامى ذى قد تمت وفق دواءه ، وراح فى
بادئ الأمر يتباهى بها جهرا وفى طيش .

ولقد قلنا انه كان عجولا فى قبول هذه المهمة للسبب التالى :
ألا وهو أنه لم يتدبر تماما مدى كفاءته بالنسبة للمسئولية التى ألقيت
على عاتقه ، فلم يكن عنده من التبصر ولا الفطنة ما يؤهله لمثل هذا
العبء حين رضى بقبول ما لا قبل له بتحملة ، فهو لم يتعظ بالمثل
الوارد فى الانجيل حيث يسدى النصيح بأن « من يريد أن يبنى برجاً
فعليه أولاً أن يجلس ويقدر هل عنده من المال ما يكفيه للنفقة عليه
حتى يتم بناؤه ، لئلا يضع الأساس ثم يجد نفسه بعدئذ عاجزاً عن
اتمامه فيكون موضع سخرية جميع مشاهديه فيهزأون به ويقولون
هذا الانسان ابتداءً يبني ولم يقدر أن يكمل » .

- ٢٦ -

على هذه الصورة كانت الأمور تجري فى المملكة حينذاك ،
وكان القسم الأكبر من الجيش لا يزال متمركزاً فى « الصقورية » ،
وقد أخذ صلاح الدين فى هذه الأثناء يتدبر فى ترو كبير هذا الأمر
وانتهى به التروى الى استدعائه لقواته من الأراضى الواقعة فيما
وراء الفرات ومعها جميع كتائب الفرسان التى استطاع حشدتها من
كل ناحية ، وهاجم أطراف المملكة بخيسته الكبير المدجج بالسلاح من

رأسه الى أخمص قدميه وبعد أن خلف وراءه أرض حوران على طول بحيرة طبرية وبرز قبلة بكثبان في أقسام مختلفة بموضع يعرف بكافاف ويقع هذا المكان في سهل الأردن ، ثم سار من هناك مع النهر متقدما نحو « سكيثوبوليس » المسماة الآن كما ذكرنا كثيرا « ببيسان » والتي كانت في زمن من الأزمنة السالفة عاصمة منطقة الجليل بأجمعها ، ولا تزال مظاهر عظمتها السالفة ترى حتى اليوم في مبانيها التي أضحت أطلالا ، وفي كميات الرخام الضخمة المتناثرة بين هذه المباني ، لكنها اندثرت ولم يعد يقطنها سوى نفر ضئيل من الناس مبعثرين في الأكواخ التي تقع في ناحية كلها مستنقعات .

وعلى الرغم من أن الأهالي القاطنين هنا كانوا مزودين جيدا بالأسلحة ومجهزين بكميات من الأطعمة تتكافأ مع عددهم ومع حجم المكان إلا أنهم كانوا غير مطمئنين الى قدرتهم في الدفاع عن قلعته، ومن ثم قانهم غادروا الحصن قبيل وصول جيش العدو ، تاركين وراءهم كل ما يملكون ، وعادوا الى طبرية . فلما وصل العدو الى « سكيثوبوليس » (أي بيسان) وجدها خالية من أهلها ، وأنه قادر على التصرف فيها كيفما يشاء فحمل معه منها جميع الأسلحة والمثونة وكل ذى جدوى أو نفع ، ثم انطلق رجاله من « سكيثوبوليس » زمرا زمرا - فأما احدى تلك الزمر فقد عسكرت حيث وجدت الماء متوفرا الى جانب نبع يدعونه « توبانيا » Tubania الذي ينبع من أسفل جبل جلبوع Galboa في رحاب كانت ذات مرة موضعا لمدينة شهيرة عرفت في السابق باسم « جزرائيل » ، أما الآن فتعرف بجرين الصغيرة .

كان الصليبيون لا يزالون معسكرين قرب نبع « الصفورية » الذي كثيرا ماوردت الإشارة اليه في تاريخنا هذا ، وقد شغل بالهم التفكير في معرفة الجهة التي سوف تهاجم منها القوات المعادية أرضنا ، فلما رأوا أن الترك موجودون في سهول « بيسان » وأن



كتائبهم بفرقها المتعددة قد غزت تلك الناحية أجمعوا أمرهم على حمل السلاح فحمّاه وساروا فرافعين أمامهم الصليب واهب الحياة ونشروا الرايات الحكية ، وعبروا الجبال التي تقع فيها « الناصرة » بلد سيدنا ونزلوا إلى السهل الفسيح الذي كان يسمى في القديم باسم « ايزدريلاو » Esdreton وهبطوا صفوفهم للمقاتلة نهضة حسنة حسبما تفرضه قواعد الحرب وزحفوا نحو مياه « توبانيا » Tubania حيث يعسكر صلاح الدين على مقرية منها بقوة عظيمة من نخبة الفرسان الذين ذاع صيتهم واشتهروا ببأسهم .

وانصبت همه المسيحيين على طرد العدو والاستئثار بالمياه لأنفسهم دون غيرهم ، الا أنهم تبينوا بعد وصولهم الى هناك استحالة الاستيلاء على المكان الا بعد بذل جهد شاق وخوض معارك دامية مع العدو ، لكن سرعان ما قوض صلاح الدين خيامه وترك ينابيع المياه مما لم يكن يخطر على البال أبدا ، وشرع في السير في اتجاه المجرى حيث نصب معسكره مرة ثانية في الناحية السفلى في مواجهة « بيسان » وعلى بعد نصف ميل فقط منها .

غير أنه قبل وصول المسيحيين الى ذلك الموضع كان العدو قد قسم جيشه الى جماعات صغيرة انطلقت تمشط الاقليم تمشيطة دقيقة بروح عدوانية ، وتعيث فيه فسادا ، ومضت إحدى هذه الفرق فهاجمت قرية « جرين الصغرى » التي ذكرناها من قبل ، ودمرت كل ما فيها تدميرا تاما ، ولكنها لم تجد أحدا من سكانها إذ كانوا قد علموا من قبل بمقدم العدو فأخذوا حذرهم وفروا الى الأماكن التي هي أكثر مناعة وأشد حصانة .

وبلغت جماعات أخرى موضعا يعرف عادة باسم « فوربيليه » Forbelet واستولت عليه عنوة ودمرت كل ما صادفته

تدميرا



أما الجماعات الأخرى فقد سارت فى الطرق الرئيسية فكان فى ، ومهاً حُر على كل من الفريسان والعسكر المشاة ، ولم يصل إلينا من كانوا مسرعين للانضمام إلينا إلا بشق النفس ومواجهة أخطار كبيرة كانت تهدد أرواحهم ، فقد تسلى بعض من هؤلاء الأعداء جبل « تابور » فى مهارة لم يسبق لها مثيل ، وهناك أنزلوا بدير القديس « الياس » اليونانى ما شاءوا أن ينزلوه به ، حتى لقد حاولوا اقتحام قلأيته الكبرى لكن اعتصم بداخل الدير رهبانه ومن لاذوا به من أهالى شتى القرى المجاورة ، وكان هذا الدير قد أحسن تحصينه بسور ذى أبراج ، وهنا قام هؤلاء جميعاً بالدفاع المجيد عنه وأخرجوا العدو الذى كان قد تسلق الجبل من كل جوانبه المحاطة بالمنايس .

على أن رجالاً من نفس هذه الجماعات لم يكونوا يخشون قط شيئاً صعدوا المرتفعات الواقعة وراء « الناصرة » حيث استطاعوا من هذه القلأ العالية أن يروا المدينة بأكملها تحتهم ، فأنار ظهورهم الفزع الأكبر فى قلوب النساء والأطفال ، بالإضافة الى الشيوخ العجزة والمرضى الذين خلفهم أهلوهم وراءهم ، ويقال أن الكثيرين منهم لاقوا حتفهم فماتوا خنفاً فى الزحام أثناء مجاهدتهم للهروب الى الكنيسة العظمى التماساً للملجأ يجدونه لهم فيها . أما أغلب الأهالى من القادرين على حمل السلاح فكانوا واحداً من اثنين ، أما واحد تابع السير مع الحملة العامة أو آخر قد رحل مع أهل بيته وما ملكت يده الى إحدى المدن الساحلية لاسيما عكا .

- ٢٧ -

انطلقت هذه الجماعات من جيش صلاح الدين تذرع أرجاء الإقليم كله : قاصيه ودانيه ، ملحقة الضرر بالجسيم بمن أرادوا

الوصول الى جيشنا • وادى استيلاء الفزع عليهم الى فقدهم الجراة على الاقتراب من المعسكر المسيحي ، سواء اكان ذلك لمساعدتنا او للمتاجرة مما أدى الى سرعة انتشار المجاعة في صفوف المعسكر الذين دفعتهم الرغبة في الزحف على العدو الى أن يتقدموا من غير متاع يحملونه أو أثقال يأخذونها معهم ، مؤملين أن تنجلي الأمور في مدى يومين أو ثلاثة على الأكثر ، وقاسى السائرون على أقدامهم أمر العذاب لاسيما من كان منهم من أهل الساحل الذين بعثوا في استدعائهم في لحظتهم هذه وهم البيسانة والجنوية والبنساقدة والمبارديون ، فقد بارح هؤلاء سفنهم ، وتخلوا عما كانوا أخذين أنفسهم به من الاعداد للابحار (إذ كان الوقت إذ ذاك منتصف أكتوبر وقد أصبح ابحارهم قاب قوسين أو أدنى) ومن ثم فقد انضموا الى قواتنا هم والحجاج الذين كانوا قد تعاقدوا معهم على العودة بهم الى أوطانهم ، ولم يكونوا قد استبضعوا شيئا من الطعام ايا كان هذا الطعام ، وكانوا أعجز ما يكونون عن أن يحملوا معهم أسلحتهم لأن المعسكر كان يبعد عن البحر قرابة عشرين ميلا •

لذلك أرسلوا المبعوثين الى المدن المجاورة يلتمسون من المسؤولين فيها أن يزودوهم بالمئونة على جناح السرعة ، فاستجاب القوم في الحال للأوامر الملكية وانصاعوا لها مظهرين الحماسة والاهتمام ، وبعثوا الى المعسكر من غير توان كل ما أمكنهم جمعه من الإلحمة ، وقد وصل الجانب الأكبر من هذه الأشياء سليما الى نهاية الشوط ، ووجد القوم بين أيديهم امدادات كافية لمواجهة هذا الحادث الطارئ ، غير أن فريقا من هؤلاء الذين كانوا يحملون كميات كبيرة من المأكّل لم يأخذوا ما يجب عليهم من الحذر فسقطوا في يد العدو لأن الترك كانوا هم أيضا خماصا جياعا • ولقد نهض بعض فرساننا إذ أرسلناهم لحراسة الجماعات التي كانت تقوم باحضار الامدادات من الطعام ، فاما الذين قابلوهم فلم يجدوا عونا

وسقطوا فى يد الأعداء وراحوا ما بين قتيل جندله السيف ، أو أسير عاش عبدا فى خدمة لعدو ما شاء الله له أن يعيش .

إذا كانت خطايانا فى هذا الوقت قد أغضبت الرب حتى جازانا بما نحن أهل له فقد كان من الممكن أن يتحول بأس الترك بسهولة الى ما فيه دمارهم . فقد جعلتهم عجزفتهم التى لا تغفر مثار السخري ، ولم يحدث قط فى أى مكان من الأمكنة أن احتشدت مثل هذه الأعداد الكبيرة من الفرسان والمشاة من جميع أنحاء المشرق ، ولا يذكر الشيوخ أصحاب السن الذين تقدم بهم العمر كثيرا أن انضم مثل هذه القوات بعضها الى بعض وكانوا على مثل هذه الصورة من التجهيزات وكلهم من صقع واحد فقد بلغ عدد الصليبيين ألفا وثلاثمائة فارس ، كما قيل ان مشاتهم المجهزين أحسن جهاز كانوا يزيرون على عشرة آلاف جندي ، يضاف الى ذلك أن هذا الجيش كان بقيادة جماعة من أكبر القواد وألمعهم ممن تميزوا عن سواهم بكفاءتهم الحربية العالية ، منهم ريموند كونت طرابلس ، وهنرى دوق اللوفان وهو قائد ذو مرتبة عالية من مملكة القيقوتون ، ورالف دى مريون ، وكان من مقاتلى اكويتانيا المشهورين . هذا بالإضافة الى أنه كان فى سلك هذا الجيش من بارونات المملكة « جى كونت يافا » و « ارنات » صاحب المنطقة الواقعة فيما وراء الأردن وكان من قبل أميرا أنطاكية ، وبلدوين صاحب الرملة ، وأخوه بليان النابلسى ، ورينو الصيداوى ، وولتر صاحب قيصرية ، وجوسلين سنكال الملك .

ولقد عرف هؤلاء من الأخبار التى وصلتهم أن أعدائنا ركبوا متن الشطط والغرور اذ عبروا الأردن واحتلوا أراضينا ، غير أننا جوزينا على أماننا اذ تنازع نبلاؤنا أمرهم فيما بينهم ، مما ترتب عليه اهتمامهم الشلتين وتراخيهم البالغ فى أمور الدولة التى كانت

تتطلب أقصى درجات الالتفات والرعاية ، كما أنهم عالجوا هذه الأمور معالجة تنطوي على مافيه الضرر بها ، إذ أن الذين كانوا متبرزين أنهم أقدر الجميع على معالجة الموقف الحرج علاجاً مرضياً ورفضوا المشاركة في العمل بسبب كراهيتهم لكونت ياقا (جى دى لوزنيان) الذى كان الملك (بلدوين الرابع) قد عهد إليه قبل يرمين فقط من هذه الأحداث بإدارة دفعة أمور الملكة ، وكان من أسباب سلاحيهم أنهم اعتقدوا اعتقاداً جازماً أن أعظم الأمور أهمية قد وضعت فى هذا الوقت العصيب فى يد رجل ساقط الجاه ، وانسان تافه حقير الشأن ، مما أفضى الى نفاد صبرهم فأسلمهم هذا الى التراخى مما ساعد العدو على البقاء ثمانية أيام سوياً نصب خلالها خيامه فى إحدى النواحي القريبة من معسكرنا ، مما أتاح له الفرصة للعبث بالافساد فى المنطة كلها دون أن يجد رادعاً يردعه أو مقاوما يصدّه .

أما البسطاء من العامة الذين كانوا فى الجيش والذين لم يسهموا مع القادة المسيحيين فى نذالتهم فقد استرلت الدهشة عليهم إذ عجبوا كيف يحجم الجيش (الصليبي) - وزمام القرصة فى يده عن قتال الخصم ولم يستعد ما لأى معركة . فلما تناقشوا علانية فى الأمر كانت الحجة التى أحتج بها القادة عندهم فى هذا التأخير هى أن صلاح الدين قائد قوات العدو كان قد اتخذ له موقعا حصينا تحوطه الصخور ، وأنه كان من المستحيل على عسكرينا أن يقترب منه دون التعرض للخطر الفادح . أضاف الى ذلك أنه حشد جموعاً كثيفة قوية من الجند وجعلهم على شكل دائرة وأمرهم بالإغارة على قواتنا من كل ناحية اذا ما حاولنا محاربة جيشه .

وقال البعض ان هذا كان هو الواقع الحق ، وأن القادة كانوا على صواب فيما فعلوا فى موقفهم هذا ، على حين عارضهم غيرهم مؤكدين أن كل ما قيل ان هو الا زعم خاطيء وحيلة ابتدعوا لتجنب

الاشتباك في القتال حتى لا ينسب انتصار جيوشنا - ان هي أحرزت النصر - الى الكونت (جى دى وزنيان) الذي لابد وان تدور المعركة تحت قيادتي فيجنى هو ثمار النصر .

ولقد رأيت ان أورد هذه الحجج المختلفة في تفسيراتها التي صرح بها الناس ، ولكنني غير واثق تمام الثقة من أي منها ، اذ لم يتضح عندي الخبر اليقين ، لكن الذي لا مشاحة فيه هو ان العدو ظل في ارضنا في ضواحي الأردن سبعة ايام او ثمانية ملحقا كل يوم خطرا كبيرا بجيشنا دون أن يردعه أحد .

فلما كان اليوم الثامن - او على الأصح التاسع - استدعى صلاح الدين قواته وعاد بهم الى ديارهم سالمين لم يصيبهم أدنى اذى ولما تأكد المسيحيون تأكدا لا يرقى اليه الشك انه غير عائد ارتدوا هم ايضا الى نبع « الصفورية » .

على أن حادثا معيننا يستحق التسجيل وقع اثناء الوقت الذي كان جيشنا خلاله واقفا عند نبع « توبانيا » فقد كان الظن حتى هذه اللحظة ان هذه المياه والروافد الخارجة منها لا تحتوي على شيء قط من السمك ، او على الأقل الا القليل جدا منه ، لكن يقال ان الصليبيين جاءوا بكميات وفيرة منه تكفى الجيش بأجمعه ، وذلك اثناء وجودهم في تلك النواحي .

- ٢٨ -

على ان الأمور جرت كما توقع المسيحيون تماما فما انصرم شهر واحد على تلك الأحداث حتى كان صلاح الدين قد أعد قواته واستعد للحرب ، واستدعى ثانية عسكره وحشد كتائبه ، وحرك آلاته ، واعد أجهزته المألوفة التي يستعملها في عمليات الحصار اعدادا دقيقة ، فلما فرغ من ذلك كله على أحسن وجه عثر لا باسئان على جلعان

واجتاز أرض العموريين والمؤابيين الواقعة وراء الأردن ، وتاهب
للمدينة التي كانت تسمى قديما بالبتراء الصحراوية ولكنها
تعرف الآن بالكرك .

ماكاد كشافة « أرناط » (رينو دى شاتيون) يوافونه بهذا
الخبر حتى بادر فخرج الى هناك بطائفة من الفرسان كانوا من الكثرة
بالمقدر الذى يضمن حماية السكان ، فقد كان (رينو) قائما وقتذاك
بحراسة هذه النواحي باعتبارها ملكا لزوجته بالوراثة شرعا .

كذلك كانت له الى جانب ذلك مصالح فى الكرك فقد كان همفرى
الثالث بن همفرى الثانى وحفيد همفرى الكبير صاحب « شقيف
تورون » ولكونستابل الملك وريبب أرناط . أقول ان همفرى (الثالث)
هذا كان على وشك الاقتران بأخت الملك الصغرى التي كانت مخطوبة
له قبل ذلك بأربع سنوات .

وحدث بعد وصول « رينو دى شاتيون » الى الكرك عقب انتهاء
أيام الاحتفال بالزواج ، أو فى الواقع فى آخر يوم منها ، أقول حدث
ان ظهر صلاح الدين أمام ذلك المكان على رأس جيش كبير جدا ومعه
اثنان ضخمة من العدد وآلات الرمي التي نستعملها عادة فى الاغارة
على المدن المحاصرة - وسرعان ما نصب صلاح الدين معسكره على
شكل دائرة أهدقت بالقلعة وبدأ الحصار .

كانت مدينة البتراء تقع قديما هنا على قمة جبل شاهق الارتفاع
تحوطه الوديان العميقة ، ولقد بقيت أجيالا طويلة وهى أطلال مہجورة
ثم جاء فولك ثالث ملوك اللاتين فى الشرق فشيّد فى هذه البقعة قلعة
على يد واحد اسمه «باجانوس» الساقى كان صاحب أرض واقعة
وراء الأردن ، وقد بناها على نفس الجبل الذى كانت تقوم عليه من
قبل مدينة البتراء ، ولكن على سفح أقل انحدارا ، وان كان ينتهى

في التحداره حتى يبلغ الوادى الممتد تحته ، فلما جاء خليفتهما « باجانوس » وهما « موريس » ابن أخيه وفيابب الذابلسى حفرنا خندقا حولها ، وأقاما عددا من الأبراج ليجعلنا هذه القلعة مكانا منيعا من هجمات الجو على من يبتغى اقتحامها ، ثم بُنيت على أطرافها وفي موضع المدينة المدرسة قرية نزلها الناس وأقاموا بها مساكن لهم باعتبار الناحية مكانا حصينا آمينا الى حد ما ، وكنت القلعة قائمة في الناحية الشرقية . اما في النواحي الأخرى فثم الجبل تحوطه وديان سحيقة ، وهكذا فإن السكان كانوا لا يحسسون خوفا طالما أن للقرية سوراذا ارتفاع مناسب ، ولم يكن في الامكان الوصول الى قمة الجبل الا من جهتين فقط . كما كان الدفاع عنهما امرا ميسورا حتى ولو كان المدافعون عنها قلة والمهاجمون كثرة ، كما كان من المفروض أن النواحي الأخرى يستحيل اقتحامها .

ولما عرف الأمير « أرناط » أن العدو قد جاء اندفع اندفاعا راه من لهم خبرة بأصول الدفاع أنه ينطوى على الطيش فقد نهى الناس الذين يريدون حمل بضائعهم الى داخل الحصن والتمسك السلامة لانفسهم به عن أن يهجروا دورهم أو يفكروا في نقل أى شىء مما يملكون ولو كان تافها .

في هذه الأثناء كانت فصائل الفرسان والمشاة تجاهد جهادا عنيفا في محاولة يائسة منها لسد الطريق في وجه العدو الى ما فوق الجبل ، ولكن كثرة عسكر الخصم كانت أقوى منهم بصورة ألزمت الذين يحاولون قطع الطريق عليه أن يلوذوا بأذيال الفرار ، وبهذا هزمت قوات صلاح الدين من الاستيلاء على الجبل كما استطاعت أن تشرق طريقا لنفسها بحد السيف ، وهكذا نجح العدو نجاحا كبيرا في أن يجد سبيله قدما الى القلعة ، ولقد كان من اليسير جدا على أولئك الأتراك الذين كانوا اقرب ما يكونون الى القلعة أن يهبطوا

لرفاقهم مدخلا فوق الجسر وعبر الباب المجاور له لولا الحزم الصابق
الذى أبداه فارس اسمه « ايقين » ، ولقد خسر الأهالى التعساء
بضائعهم ومتاعهم بسبب خطط مولا هم (أرناط) الطائشة مما ادى
الى استيلاء العدو على كل ممتلكاتهم المنزلية واثاثهم وامتعتهم التى
كانت من كل صنف . ومما زاد فى شقتهم أن الذين فروا الى القلعة
فزعا من غائلة صلاح الدين حطموا الجسر بسبب تهورهم وتزاحمهم ،
وكان هذا الجسر هو المعبر الوحيد عبر الخندق ، فلما انهار بسببهم
لم يعد فى استطاعة من يداخل القلعة الخروج منها كما استحال
دخول أحد اليهم .

واحتشدت فى القلعة جموع غفيرة ممن لا حول لهم ولا قوة
وكانوا من كل جنس : ذكورا واناثا ، فكانوا عبئا ثقيلا على المحصورين
فيها أكثر من أن يكونوا عوناً لهم . وكان هناك كثير من الممثلين
والناغخين فى المزامير والعازفين على السناطير الذين توافدت جموعهم
الى هناك من شتى أنحاء البلاد للمشاركة فى احتفالات الزواج ، ولكن
خابت آمالهم جميعا خيبة محزنة ، ان بدلا مما كانوا يتوقعونه من
الربح والمرح البهيج اذا بهم يصادفون معارك تسيل فيها الدماء وهى
تبعد ما تكون عن حرفهم التى ألفوها واعتادوا عليها .

وبالإضافة الى هؤلاء فقد كانت هناك جماعات كبيرة من
السريان الذين يسكنون الاقليم المجاور وفدوا بنسائهم وأطفالهم ،
فغص المكان بهم وضاق على سعته حتى لم يعد فيه موضع لقدم ،
ولم يعد أحد يستطيع التقدم أو التأخر بسبب الجموع الكثيفة ، وهكذا
أصبح هؤلاء القوم عقبة وصاروا سدا فى وجه كل ذى نشاط يبتغى
الدفاع عن المكان .

وكانت لقلعة زاخرة بالأطعمة رغم أن تزويدها بالسلاح لم يكن
بالوفرة التى يستلزمها الدفاع عن الناحية .

الملك (يلدوين الرابع) من سير الأمور على هذه الصورة
عند مياه « يوبانيا » أن كزنت يافا (الذى قلنا من قبل أن مقاليد
الأمور قد صارت فى يده) وهو جى دى لوزنيان (قد كشف اللثام
عن أنه رجل أبعد ما يكون عن الفطنة والسداد ، فقد تدهورت حال
البلد الى درك مهين بسبب ما طبع عليه من الحمق وعدم الكفاءة ،
فاشار اهل الحكمة على الملك حينذاك أن يسترد من الأمور ما كان
قد عهد به اليه فاسترده .

ويقال ان هناك دواعى خاصة أخرى حملته على اتخاذ هذا
الاجراء ، منها ما ذكرناه حالا . من أن الملك - حين ألقى أزمة الحكم
الى جى - كان قد استبقى لمصاريفه الخاصة مدينة القدس مع دخل
سنوى له يقدر بعشرة الاف قطعة ذهبية ، الا أنه رجع عما كان منه
بناء على نصيحة مستشاريه الصادقين ، ورغب أن يستبدل القدس
بصور على نفس الشروط لأن الثانية كانت أحصن مدن المملكة ، كما
راها أنسب لمقتضيات حاجاته ، فلما تبين له أن الكونت غير راض
عن هذا الطلب تغير خاطره عليه تغيرا كليا .

لقد كان من الحق حرمان هذا الرجل « جى دى لوزنيان » من
التصرف فى الشئون العليا بعد أن أقام الدليل على أنه يأبى أن
يكون أريحيا فى أمر تافه كهذا الأمر يطلبه منه الرجل الذى هو صاحب
الفضل عليه والذى كان سمحا معه حتى خوله التصرف فى كل شيء
ومكذبا ضاع « جى دى لوزنيان » من يده ما يتمتع به وحده من حق
تصريف أمور المملكة ، كما أنه قضى على نفسه بأن يحرم من شرف
إدارة المملكة ، بل لقد ضاع رجاؤه فى ارتقاء العرش ولم يعد له
أمل فى المستقبل ، ومن ثم اتفق رأى كل الأمراء والبارونات - وعلى

رأسهم بوهيموند أمير أنطاكية ، وريموند كونت طرابلس ، وريتو الصيداوى وبلدوين صاحب الرملة وأخيه بليان - على أن يسوق العرش الى بلدوين (الصغير ابن أخت الملك) ، وزكت هذا الاقتراح الملكة الأم تزكية قوية ، وكان الصغير بلدوين طفلا فى الخامسة من عمره فمبسحوه بالزيت المقدس وتوج في كنيسة القيامة ، وصادق الناس كلهم على هذا القرار ، وتمت الموافقة عليه بحضور رجال الدين ، كما كان كونت يافا (جى دى لوزنيان) حاضرا هو الآخر هذا الاجتماع ، لكنه لاذ بالصمت ولم يجرؤ على أن ينبس ببنت شفة ضده .

وبادر الكونتات فى الحال من غير إبطاء فأقسموا يمين الولاء للصبي بالصورة المألوفة ، مبددين له مظاهر الاجلال والتعظيم اللائقة بصاحب الجلالة الملكية ، وكان كونت يافا هو الشخص الوحيد الذى لم يطلب أحد منه أن يأخذ يمين التبعية والولاء ، وكانت هذه الحقيقة فى نظر أصحاب الخبرة الطويلة برهانا قاطعا على عداوة عميقة ، أو بلفظ أدق تشير الى كراهية صريحة مما سيتضح أكثر فأكثر ، وستكشف عنه الأيام القادمة .

ولقد تعدت آراء أصحاب العقل الراجح فى شأن ما طرأ من تغيير جسيم فى الدولة وتضاربت هذه الآراء ، فقال بعضها أن ليس من جدوى تعود على الملكة بالخير من رفع صبي كهذا الصبي الى مرتبة العرش ، وليس فى ذلك من فائدة تعود على الصالح العام . فقد كان المكان (بلدوين الرابع وبلدوين الخامس) عاجزين تماما ، فاما أحدهما (وهو بلدوين الرابع) فطريح الفراش يعانى المرض الذى يقعه ، وأما الآخر (وهو بلدوين ابن أخته) فطفل غرض الحداثة ، ومن ثم فلا جدوى ترتجى من الاثنين معا ، وقالوا انه من الخير اتباع نصيحة أصحاب الحجا من رجال الملكة ، التى



قنادى بأن يعهد بالمهمة الملكية وإدارة دفة شئون الدولة الى رجل
يكون قادرا على الحرب ان كان ثمت حرب ، وترتجى مشورته ان
احتاج الوقف الى المشورة الناجعة .

وشعر آخرون أنه حتى اذا كان القرار الذى اتخذ حيال الطفل
قليل الجدوى الا أنه قد يكون مفيدا للدولة من ناحية أخرى ، لأنه
قرار يهد كل ما قد يكون عند كونت يافا (جى دى لوزنيان) من أمل
يراد . فى أن يؤول التاج اليه . ولما كان جميع الأمراء قد أجمعوا
الرأى على أن كونت يافا هذا رجل قاعد الهمة غير أهل لتصريف
الأمور ، الى جانب تطلعه الشره الى الحكم فانه قد يصبح مصدر
منازعات فى المستقبل ومثار فتنة طخياء يخشى استفحالها بعد موت
الموت ، وأن الخير كل الخير انما يكون فى استئصال ذلك كله الآن .

ولقد سيطرت على نفوس الجميع فكرة واحدة هى وجوب
تعيين وصى يوكل اليه تسيير دفة أعمال الدولة لاسيما قيادة الجيوش
لقاتال العدو الذى أصبح الآن يهدد المملكة أكثر من ذى قبل ،
واتفقت المشاعر كلها على أن كونت طرابلس - ولا أحد سواه - هو
أقدر الجميع على تحمل هذه المسئولية والنهوض بها نهوضا يضمن
لها النجاح .

وقد تم هذا فى اليوم العشرين من نوفمبر سنة ١١٨٣ من ميلاد
المسيح .

- ٣٠ -

بينما كانت هذه الأحداث تجرى فى بيت المقدس كان صلاح
الدين يشدد الخناق على المدينة المحاصرة تشديدا يتسم بالعرف
والإصرار اللذين لا يعرفان التراخى ، ذلك أن ملاحمة الملحة

التضييق عليها ومضايقتها لم تدع للمحصورين فى داخلها لحظة يلتطون فيها أنفاسهم ، فقد أمر ببذاء ثمانى آلات نرمى : من نصب ست منها فى انداخل جيث تقوم المدينة القديمة ، أما الاثنتان الباقيتان فتنصبان خارجها فى المكان المعروف عادة باسم قوربيليه واستمر الهجوم عليها موصولا بالليل والنهار من غير أى كلل ، كذلك لم ينقطع الرمى بالأحجار الكبيرة الحجم ، حتى لم يعد أحد من الذين فى داخل المدينة بقادر على أن يرفع يده أو يطل من نافذة بيته أو يحاول المقاومة بأى شكل من الأشكال ، واستولى الذعر واليأس على الأهالى التمساء استيلاء بلغ بهم حدا لم يعودوا معه يجرؤون على الظهور حتى لحظة أن أخذ الأعداء يتدلون بالحبال ويقتلون بلا رادع الحيوانات التى كان اللاجئون قد جاءوا بها معهم ووضعوها فى الخندق المحيط بالقلعة . ولما لم يجد الترك من يصدهم أو يدفع خطرهم فقد شرعوا فى تقطيع الذبائح أوصالا كبيرة واعدادها للطعام .

أما من كانوا فى جيش العدو من الطباخين والخبازين والذين يبدون الأسواق بشتى السلع فقد اتخذوا من بيوت الأهالى أماكن يمارسون فيها حرفهم وهم آمنون مطمئنون ، وكانت هذه الدور عامرة بالحنطة والشعير والنبيد والزيت وغيرها مما اغتصبه العدو عنوة رغم أنف أصحابها ثم مضى يتصرف فيها كيف شاء .

وحدث فى احدى المرات أن حاول المحصورون فى القلعة نصب آلة حربية لهم يصيبون بها خصمهم ، فلم يكن من خصمهم هذا إلا أن كلف رجاله القائمين فى الخارج على حراسة الآلات بتسديد القذائف الحجرية ففقدوها بمهارة فائقة حملت المسيحيين على الكف عن محاولتهم هذه فقد قوالت القذائف عليهم تصيبهم من شتى النواحي حتى باتوا مهددين من كل جانب فى كل حجر يقذفون به ، وحينذاك لم يعد أمامهم إلا التمسك بحبال الصبر حيال ما يرميهم به القدر ، فالصبر أجدى عليهم من أن يعرضوا أنفسهم للهلاك ، وانفع لهم من أن ياقوا بأنفسهم

وبأيديهم الى التهلكة ان هم حاولوا الدفاع عن انفسهم بأى وسيلة من الوسائل :

لم تقتصر هذه الأخطار التى خلأت النفوس زجبا على من انسلوا من مخابئهم المخفية بل تعداهم الى من كانوا قد لانوا بالدور القاصية المنعزلة ، فقد اضطربوا هم ايضا هلعا أمام أصوات القذائف التى كان صدها يباو وكأنه الرعد القاصف ، وخشوا أن تسقط عليهم الدور التى هم فيها فيهلكون تحت انقاضها ، فقد كانوا يتوقعون الموت بين لحظة وأخرى وربما من رمية تصيبهم فتقديهم .

فى هذا الوقت بالذات كان الملك (بلدوين الرابع) يبذل أقصى جهده لتدبير أى وسيلة لمساعدتهم ويحاول إرسال الغوث المنشود اليهم بأسرع ما يمكن ، لذلك استدعى اليه جميع قوات المملكة من شتى الأرجاء ، وأخذ الصليب الحى وزحف بنفسه ، حتى اذا بلغ بحر الملح الذى يسمى الآن ببجيرة الاسفلت أخذ يتشاور مع رجاله مشاورات طويلة أفضت به الى أن يعهد الى كونت طرابلس بقيادة الجيش العامة وجعل فى يده لواءه .

فلما جاءت عيون صلاح الدين اليه يخبرونه بأن الجيش المسيحى أصبح قريبا منه كل القرب ، وأن قيادة الكتائب التى الى (ريموند) كونت طرابلس ترك آتاه وأمر رجاله بالانسحاب ورفع الحصار عن المكان ، وعاد الى دياره بعد أن أذاق المدينة الزكال شهرا بأكمله .

على أن ذلك العمل من جانب صلاح الدين لم يصرف الملك عن الاستمرار فى زحفه الى الكرك التى تنفس أهلها الصعداء فرحا بقدومه ، فقد كانوا يتطلعون اليه منذ أمد بعيد عاقدين الأمل على أن ينقذهم مما هم فيه ، ثم لما أذن فى النفير بالرحيل أعاد تجميع قواته ورجع سالما الى بيت المقدس .

هنا ينتهى الكتاب الثانى والعشرون

حواشي الكتاب الثاني والعشرين

(١) المقصود بالكبيرين هنا أمير أنطاكية وكونت طرابلس

(٢) الواقع أن الملك بلدوين كان شديد المعارضة لزواج أخته سيبيللا من « جى دى لوزنيان » ولكنه وقع تحت ضغط شديد مارسه البطريرك هرقل والملكة الأم وسيبيللا التي وصفوا لها من قبل « جى » وصفا أثار شوقها اليه فلما استقدموه اليها من فرنسا أحبته حبا شديدا ، وإن لم يكن فيه ما يحفل الرجال على احترامه ، واضطر الملك تحت الضغط الشديد عليه الى قبوله زوجا لأخته وأقطعه يافا وعسقلان ، ولما اشتدت العلة ببلدوين حتى كادت يداه ورجلاه أن تفقد الحركة ألحت الملكة الوالدة وسيبيللا والبطريرك هرقل على بلدوين أن يجعل لجى دى لوزنيان الاشراف الكلى على المملكة فقبل العرض على كره من كبار رجال مملكته واحتفظ لنفسه بالقدس مع معاش قدره عشرة آلاف بيزنت ، ثم رأى الملك أن يستبدل مدينة صور بالقدس فرد « جى » طلبه ردا مهينا مما حمل الملك على خلعه من الاشراف على المملكة والايحاء الى أخته « سيبيللا » بفراق زوجها فارتد « جى » الى يافا وعسقلان وخلع طاعته للملح مما حمل بلدوين على أن يعلن سلطانه على يافا فتحاده « جى » فى عسقلان بل لقد انضم الى جانبه البطريرك وكثيرا فرسان الداية والاستتارية وبعض من كبار الرجال ، ثم تباطؤوا فى الاستجابة الى الملك بالضى الى القرب لئله على الحرب ضليعية ، وسار « جى » حينذاك سيرة

عوجاء كلها تحد للملك مما سوف يشير اليه المؤلف ، وقد حمل ذلك كله الملك على استدعاء ريموند كونت طرابلس ليضع مقاليد الأمور في يده . ولقد سقنا هذه الاخبار مرة واحدة وهي وغيرها متأثرة في صفحات الكتاب وبعضها أسقطه المؤلف وقد جمعناها مع بعضها - حتى يكون من الميسر على القارئ فهم الأحداث .

(٢) « مرقية » (بكسر أنفـاق وتشديد الباء المثناة والمفتوحة) قلعة - كما قال ياقوت - من القلاع الحصينة على أطراف حمص . انظر في تاريخها منذ الفتح الاسلامي

Le-Strange : Palestine Under The Moslems, P. 502.

(٤) هو الطفل « الكسيوس » الثاني (١١٨٠ - ١١٨٣ م) ابن مانويل من الامبراطورة مارية الأنطاكية ، وقد انتهى عهده أسوأ نهاية بسبب عوامل مختلفة منها كراهية الشعب البيزنطي للثلاثين ، وسوء تصرف الأم الامبراطورة الوصية ووقوعها العوية في يد مستبد طاغية .

(٥) سبقت الإشارة الى ايرين هذه التي كانت تسمى في الأصل « برتا سولزباخ » ، وقد ذكرها المؤلف في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ، وكانت « برتا » هذه أخت زوجة الامبراطور كونراد الثالث ومن هنا كان زواج مانويل منها سياسيا ، انظر تفصيل ذلك في :

Ch Diehl : Figures Byzantines, PP. 170 — 190.

(٦) تشير كلمة « حالياه » هنا الى أن المؤلف كتب هذا قبل سنة ١١٨٣ م وهي السنة التي انتهى فيها حكم الكسيوس الثاني الطفل بمقتله ، كما أن المؤلف وليم الصوري مات قبل نهاية سنة ١١٨٤ م ، انظر مقدمة الجزء الاول من هذا الكتاب .

(٧) الرار- في الأصل التي كتبه وليم « خدسون عاما » والصحيح ما أثبتناه بالمتن حيث ظل على العرش من ١١٣٧ م حتى ١١٨٠ م ، وهو صاحب خبر طويل في الحرب الصليبية الثانية .

(٨) ورود ضمير المتكلم في كلمة « قمت » إشارة هامة الى أن المؤلف كان يقوم بوظيفة مستشار للملك مما يتيح له أن يملأ أو يشترك اشتراكا كبيرا في وضع نصوص الاتفاقية لما له من الصلاحيات الكبرى . وتعلق الترجمة الانجليزية على الخبر الوارد في المتن أعلاه بأن وليم كان لا يزال

حتى هذه اللحظة يقوم بمهامه الرسمية رغم « ما كان يفرضه البلاط يومذاك من طائفة كبيرة العدد تعارضه وكان لها نفوذ عظيم » -

(٩) الواقع أن وفاة مانويل الأول كانت يوم ٢٤ سبتمبر ١١٨٠ م -

(١٠) خبر بوهيموند الثالث مع كل من تيودورا وسيبيلا مثل صوفى للتفكك الأخلاقى الذى كان مستشرياً فى طبقات المجتمع الصليبي العليا ، وقد تزوج من تيودورا (إحدى قريبات الأسرة الحاكمة) ثم هجرها وعاش عيشة تنكرها الأخلاق مع « سيبيلا » التى كانت تحوطها الاشاعات وتزعم بممارسة السحر ويتهمها الأنطاكيون بالمتجسس لصالح الدين ، وقد حملت كل هذه الأمور البطريرك على طردها من حضان الكنيسة واصدار قرار انحرمان ضدها ، ويمكن مراجعة ذلك فى ابن الأثير وأبى شامة ، وانظر أيضاً :
Rey : Hist. des Princes d'Antioch (Rol.) 1986, II, P. 379 et fol.

(١١) يقصد بهما جوسلين خال الملك ويلسون صاحب الرملة -

(١٢) اشار وليم اشارة موجزة الى هذا الدور •

(١٣) الأمثال ٣/١٨ •

(١٤) الزمير ٥/٥٨ •

(١٥) ذلك هو حصن المرقب المعروف فى الحوليات الصليبية باسم :

†astrum Merghatum أو حصن Margat رقد وصفه ياقوت

بأنه يطل على بحر الشام ويعوم بالحفاظ على مدينة بانياس وساحل جبلة ، ولقد شيده المسلمون سنة ٤٥٤ هـ (= ١٠٦٢ م) •

(١٦) حتى ٢٥/١٢ •

(١٧) مزامير ١٦/١٤٧ •

(١٨) المقصود بالملكة ، هنا امارة أنطاكية •

(١٩) هو روبين الثالث (١١٧٥ - ١١٨٥ م) صاحب أرمينية الصغرى

التي تأسست فى جبال طوروس قبل ذلك بقرن من الزمان تقريباً أعنى سنة

١٠٧١ م على يد روبين الأول انظر فى ذلك ما جاء فى •

Adontz (N) : L'Age et l'origine de l'Empereur Basil II.

ثم استولى خلفه على معظم حصون كيليكية الهامة بالتعاون مع الصليبيين ولقد كان روبين الثالث حريصا في فترة ما من تاريخه على تأكيد علاقاته الودية بالفرنجة ، فزار القدس حاجا سنة ١١٨٠م كما تزوج السيدة «إيزابيلا» صاحبة تورون . أما في اللحظة التي يتكلم عنها وليم حين أصبحت «سيبيلا» أميرة مكان الأميرة الشرعية تيودورا في أنطاكية فقد فر كثير من كبار الفرنجة إلى روبين الثالث كما في المتن .

(٢٠) أي كنيسة صور .

(٢١) كان الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين قد بوع بالحكم بعد موت أبيه وكان صغيرا لم يبلغ الحلم وأطاعه صلاح الدين ، ثم كانت ولاته سنة ٥٧٧ هـ ، وعلى الرغم من موته المبكر إلا أنه كان كأبيه الشهيد محمود قائما في خدمة المصالح الدينية فقد أوقف في سنة ٥٦٧ هـ وقفا على مسجد بزاعة ، انظر النعمي : الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسني ، ١١٥/١ .
Elisseeff : Nour ad-din I, P. 171 note 3.

(٢٢) كانت آخر زيارة قام بها كونت طرابلس هي التي جرت في عيد فصح ١١٨٠م كما اشار الى ذلك وليم نفسه من قبل .

(٢٣) حتى ٢٥/١٢ .

(٢٤) يقصد بالرجل العظيم ريموند كونت طرابلس .

(٢٥) مزامير ١٤/٧ .

(٢٦) تعددت الاشارة اليه هنا فارجع الى الكشف .

(٢٧) حتى ١٨/١٦ .

(٢٨) Diehl : Figures Byzantines P. 195 et seq.

(٢٩) لفهم الأحداث المعقدة المتضاربة التي جرت في هذه الفترة القصيرة وإزالة ما يبدو من غموض في تعاقب الأحداث فانا نحيل القارئ الى Ostrogorsky, op. cit. ففيه في أماكن متناثرة ما يوضح هذه الأمور .

(٣٠) زيادة عما ورد من قبل عن بيتشينا انظر الملحق في ختام هذا

الجزء ،

(٢١) ضمير المتكلم هنا عائد على « اللاتين » الذين كانوا يعيشون في القسطنطينية ابان هذه الحقبة عام ١١٨٢ م . ويلاحظ أن وليم لم ينس أصله اللاتيني فكان كلامه عنهم باعتبارده واحدا منهم يأسى على ما يصيبهم من ضرر .

(٢٢) كان دخوله العاصمة ايذانا بأمر عدة أولها توقع ضربة قاصمه للمنفوذ الغربى اللاتينى وانهيار الاسرة البيزنطية الشرعية بل والتمهيد لسقوط الامبراطورية البيزنطية ذاتها على يد الحملة الصليبية الرابعة وقيام المملكة اللاتينية التى كانت انتقاما فى الواقع لهذه الأحداث . ولقد انتقلت مقاليد الأمور فى اللحظة التى يتكلم عنها وليم فى المتن الى يد المغتصب « أندرونيكوس » وأن تظاهر أنه جاء لحماية الامبراطور الطفل ، ولم يعد هذا المغتصب الوسيلة التى يدفع بها كبار رجال الدولة والكنيسة للمطالبة بتتويجه شريكا للامبراطور الطفل الذى مالبث أن اغتيل بعد شهرين من هذا الحادث والقي بجسده فى البحر وإذ ذاك تزوج « أندرونيكوس » الذى كان فى الخامسة والخمسين من عمره من خطيبة الطفل المقتول Agnes Anna ابنة لويس السابع وكانت فى الثالثة عشرة من عمرها . لكن يذكر لهذا المغتصب أنه منع بيع الوظائف ومنع الرشوة بزيادة المرتبات واشتد ضد جامعى الضرائب الى غير ذلك من الأعمال التى أدت الى نشر الأمن والطمانينة بين الشعب والفلاحين ، وقد حاول كسب ود صلاح الدين فلم يفلح ، راجع :

Brand (C.M.) The Byzantines and Saladin 1185 — 1192.

كما حاول محاولة فاشلة دفع التعويضات المالية للمينادقة . هذا الى قيام النرمنديين عام ١١٨٥ م بالهجوم على بعض الاملاك البيزنطية مما كان له اثر فعال فى سقوط المغتصب .

(٢٣) هو وادى سلفستر Sylvester فى المراجع الاجنبية وقد أشار ياقوت الى أنه يقع جنوب القدس ويتجه الى الحجاز ، انظر :

Le-Strange : op. cit., P. 548 — 549.

(٢٤) آثرنا كلمة « دبورية » ترجمة لكلمة Burla التى استعملها وليم ، وهذا الاسم العربى وارد عند ياقوت إذ قال انها بلدة صغيرة قرب طبرية بالأردن ، ويشير Le-Strange, op. cit. P. 427 الى أنها هي Daberath الواردة فى التوراة والواقعة على السفح الغربى لجبل نابور ، وانظر ما كتبناه عنها فى الملاحق الذى الحقناه فى نهاية هذا الجزء تحت كلمة « دبورية » .



(٢٥) وردت في الترجمة الانجليزية كلمة Syrians التي يعنى ترجمتها بالسوريين أو السريان وقد اشارت الترجمة الانجليزية (ج ٢ ، ص ٤٧١ ، حاشية رقم ٤٠) الى أن العبارة كلها تدل على أن وليم رغم أنه كان مونا-بمنسطين ، أى من جزء من الشام الا أنه لم يكن يعد نفسه شاميا خالصا .

(٢٦) المقصود بالامير هنا السلطان صلاح الدين .

(٢٧) حصن « كوكب » المعروف في الحوليات الصليبية باسم Beauvoir وارد في ياقوت ووصفه بأنه حصن يطل على جبل طبرية ويشرف على جند الاردن ، انظر :
Le-Strange : op. cit. P. 483.

(٢٨) حتى ٥٢/٢٦ .

(٢٩) الضمير هنا عائد على السلطان صلاح الدين .

(٤٠) Cf Elisseeff : Nur ad-Din, II, PP. 438 — 439.

(٤١) Cf. Le-Strange, op. cit. PP. 425 et 492

(٤٢) فيما يتعلق ببلد الشوحى وأيوب ، انظر فيما بعد الملحق تحت كلمة « بلد » .

(٤٣) خلت نسخة وليم اللاتينية من الاشارة الى ذكر اليوم والشهر ، وهذا ما لاحظته الترجمة الانجليزية ولم تستطع التحقق منهما .

مكتبة
الكتاب
الثالث والعشرون

من أيدى

الكتاب الثالث والعشرون

هل في استطاعة ريموند كونت طرابلس انقاذ بيت المقدس ؟

فصول الكتاب :

١ - التمهيد

٢ - الكراهية المتأصلة التي بين الملك (بلدوين الرابع) وكونت
يافا (جى دى لوزنيان) تتفجر في شكل صراع حاد . عدم
توقع أى أمل في التفاهم بينهما . كونت طرابلس يصبح وصيا
على المملكة وحارسا على الملك .



التمهيد :

شهدت المملكة أحداثا دامية لم تكن قاصرة على كثرة وقوعها
فحسب بل كادت أن تكون موصولة على الدوام يأخذ بعضها بحجز
البعض الآخر بلا انقطاع . لذلك آليت أن أكسر قلمي وأن أصمت
صمت القبور ، وأن أكف عن كتابة الأخبار التي كنت قد أخذت على
نفسى عهدا أن أدونها حتى يطلع عليها الذرارى .

وليس هناك من أحد يرضى أن يسجل أخبارا تقدر في وطنه ،
كما لا يحب أن يكشف الستر عن أخطاء بنى قومه فيبرزها للعيان ،
فقد أصبح الرجال يأخذون أنفسهم بطريقة صارت على مر الزمن أشبه
بطبيعة ركبت فيهم هي أن يبذل الواحد منهم أقصى جهده لإبراز
محاسن بلده ، ولا يحاول قط الزرابة بحسن سمعة مواطنيه .

لكننا اليوم نرى أنفسنا وقد ضاع منا كل ما كان يضيف علينا
مجدا مهيبا ، ولم يعد يطالعنا سوى مصائب وطن حزين ، وما منى
به من الذكبات الكبيرة ، وكل هذه لا تؤدي إلا إلى مزيد من البكاء
وفيض من الدموع .

ولقد أدرجنا في الكتب السابقة من تاريخنا هذا - وبقدر ما
نستطيع من الأمانة - الأعمال النابهة التي نهض بها الرجال الأمجاد
الذين كانت مقاليد السلطة في أيديهم طوال ثمانين عاما من عمر
الزمان في قسمنا هذا من الشرق ، لاسيما في بيت المقدس ، أما الآن
فبتملكنا أشمئزاز ما بعد ، أشمئزاز من حاضرننا ، وأن الدهشة لتبلغ
ذروتها من مطالعة الأمور التي تجري أمام أبصارنا وتصك سمعنا ،
وهي أمور لا يجوز روايتها ، حتى ليستنكف جوقة المهرجين من

انشادها ، ويمتنع قضاصو حكايات « مافيوس » عن روايتها ، كما تعوزنا الشجاعة في الاستمرار في ايرادها ، ذلك أنه ليس في فعال امرائنا شيء يراه العاقل جديرا بأن يضاف الى مخزون ذكرياتنا ، وليس هناك من شيء ^{لا يرضى القارىء} أو تشرف روايته الكاتب ، بل ان كل ما نستطيعه هو أن نندب مع الذي أنه قد تلاشى من بيننا قول القائل (١) : « ان الشريعة لا تبعد عن الكاهن ، ولا المشورة عن الحكيم ولا الكلمة عن النبي » ، وانه ليمر بالخاطر قول القائل (٢) : « كما الشعب هكذا الكاهن » كذلك يمكن أن ينطبق علينا تمام الانطباق النبوءة القائلة (٣) : « كل الرأس مريض ، وكل القلب سقيم ، من أسفل القدم الى الرأس ليس فيه صحة بل جرح واحباط » ، ذلك لأننا قد وصلنا الآن الى درك لا نستطيع فيه أن نتحمل شرونا ونعجز عن علاجها .

ولقد كان من الحق ان نعاقب على خطايانا اذ أصبح العدو يفوقنا قوة ، ويشاونا اقتدارا ، أما نحن الذين اعتدنا النصر على خصومنا ، ولا نخرج من صراعنا معه الا وعلى مفرقنا تاج الغلبة فقد غدينا الآن محرومين من العطف الالهي ، اذ نعود من ساحة القتال بعد كل معركة مجالين بعار الهزيمة الشائنة .

وما قد أن الأوان لأن نستمسك بالصمت فقد أصبح الزمن أكثر ملاءمة لأن نسدل سجف الظلام على هزائمنا ، فذلك خير وأجدي من أن نسلط ضوء النهار على عارنا ، ولكن على الرغم من ذلك فإن هناك بعضا من الناس يطلبون مني أن أتابع العمل الذي كنت قد أخذت نفسي به ، وانهم ليلتمسون مني في الحاج أن أسجل في هذا السفر - ولو من أجل الأجيال القادمة - كل شيء يتعلق بمملكة بيت المقدس سواء اكان هذا الشيء أمرا يثلج الصدر أو يكره النفس ، ولقد أرادوا تشجيعي على هذا المسلك فضربوا لي المثل بواحد من



أنه المؤرخين وأبرزهم وهو « تيتوس ليفيوس » الذي لم يقتصر في كتاباته على ذكر انتصارات الرومان وحدها ، بل أشار أيضا إلى زائمتهم ، كما ضربوا إلى المثل بيوسيفوس الذي لم يكتف في كتبه الجامعة بذكر أيام اليهود المجيدة بل جاوزها فأشار إلى ما حاق بهم من أمور مخزية .

كذلك دفعتهم مساعيهم لحمل على الاستمرار في هذا المؤلف لأن يسوقوا كثيرا من الأمثلة الأخرى ، وإرائي أكثر استعدادا لاستجابة هذا الرجاء ، إذ أنه من الجلي الواضح أن مؤرخي الأحداث التي غبرت قد التزموا الحياد في إيراد ما كان من هذه الأحداث مما يؤذي النفس خبره ، وما كان منها نير الجوانب مشرقا ، ذلك لأنهم في ذكرهم الانجازات الناجحة إنما يطمعون في أن يبنوا الشجاعة في نفوس الأجيال القادمة ، كما أنهم في إيرادهم صور الهزائم التي تحملها من نزلت بهم هذه الهزائم إنما يرجون أن يكون إبقاء هذه الأجيال أكثر حذرا وحيطة حين يمرون بمثل هذه الظروف .

إن واجب المؤرخ يقتضيه ألا يقتصر على ذكر الحوادث التي ترضى عنها نفسه وتلد له هي وحدها بل يجب أن يلزم نفسه بالزمن الذي أملى هذه الحوادث ، كما أن عائد الأمور الدنيوية — لاسيما ما كان منها متعلقا بالحروب — إنما هو عائد يعتريه التغير على الدوام ، ويتسم بعدم التوقف والثبات على وجه واحد ، فما كان للنعمة أن تستمر إلى الأبد ، وما كان للبلوى أن تتسم بالرتابة التي تسير على وتيرة واحدة ، بل تتخللها فترات منيرة مشرقة .

ولقد أذعننا لما قالوا ، ورجعت عما كنت قد اعتزمته ، وسوف استمر — ما قدر الرب لي أن أعيش — في كتابة التاريخ ، ملتزما بدقة التامة كما فعلت فيما سبق ، مهما تكن الصورة التي تجيء عليها الأحداث المقبلة .



واننى لأرجو من الله أن يجعل هذه الحوادث سعيدة موفقة .

- ٢ -

لقد جرى فى هذه الأثناء ازدياد حدة الكراهية الموجودة بين الملك وبين كونت يافا (جى دى لوزنيان) وأخذت تتفاقم يوما بعد يوم نتيجة أسباب خفية ، فقد انفجر مرجل الحقد الذى كان لايزال حتى هذه اللحظة مكتوما فى صدر الملك ، وكان انفجاره عنيفا تمثل فى أنه لم يستطع أن يكتم محاولاته فى تلمس الأسباب التى تؤدى الى انفصال أخته (سيبيل) عن زوجها وفسخ القران ، وقد دفعه هذا الهدف للذهاب علانية ومن غير استئكار الى البطرک ليطلب منه - أن أراد التثبى من هذا الزواج - أن يحدد يوما يعلن فيه فسخ العقد فى حضور البطرک فسحا صحيحا .

ولما عاد كونت يافا من الحملة أخبروه بكل ما جرى ، وسرعان ما ترك الجيش فى لحظته ومضى الى عسقلان سالكا أقصر الطرق اليها ليحذر زوجته التى كانت إذ ذاك فى القدس ، وليطلب اليها مغادرتها والذهاب الى عسقلان قبل وصول الملك خوفا عليها أن هى ظلت فى القدس أن تصبح تحت سيطرة أخيها بلدوين (الرابع) الذى لن يأذن لها بالرجوع الى زوجها جى دى لوزنيان .

أما الملك فقد بعث فى أعقاب ذلك رسولا لاستدعاء الكونت للحضور لمحاكمته وليخبره بأسباب المحاكمة ، فرفض الكونت (جى) متعللا بالمرض حتى يتجنب المثول أمام المحكمة ، وظل (الكونت جى) سادرا فى غلوائه ، رافضيا الامتثال لأمر الملك وطاعته ، وتكرر اعلانه بالحضور للمحاكمة وتكرر منه الرفض ، وإذ ذاك رأى الملك أن يذهب هو بنفسه اليه ، وأن يعلنه شخصا فما لأذن بالمجيء لمقاضاته .

ولما بلغ بلدوين مدينة عسقلان محاطا بكوكبة من كبار رجال البلاط وجد أبواب المدينة مغلقة في وجهه ، فراح يطرقها بيده وطلب ثلاث مرات فتحها له فلم يستجب أحد لطلبه ، فعاد على أعقابيه وهو يتميز غيظا ويتلظى غضبا .

وقد جرى هذا كله على مرأى ومسمع من جميع أهل المدينة الذين ماكادوا يعلمون بوصوله حتى اتخذوا أماكنهم بالأبراج والأسوار يرقبون ماذا تكون الخاتمة .

ومضى الملك مباشرة من عسقلان إلى يافا فصادف في طريقه كثيرا من سكان تلك المدينة : وكان فيهم أكبر رجالاتها وأناس من مختلف الطبقات ، وفتحت يافا له أبوابها فدخلها من غير مشقة ، وبعد أن عين عليها واليا يسير دفة الأمور انفلت إلى عكا حيث نادى بعقد مؤتمر عام في تلك المدينة ذاتها .

فلما جاء اليوم المحدد للاجتماع التام شمل جميع البارونات ومضى البطررك - بمعاونة رئيسى الداوية والاسبترارية - لمخاطبة جلالة الملك ، وركع البطررك أمامه وجثى على ركبتيه وشرع يتشفع عنده للكونت (جى دى لوزنيان) ، ويستعطف جلالته أن يطرح جانباً غضبه على الكونت وأن يعيده ليتفيا ظلال عطفه عليه . فلما لم يلق هذا الالتماس استجابة في الحال عند الملك انصرف البطررك ومعاوناه ، وهم أشد مايكونون حنقا ، ولم يكتفوا بمغادرة البلاط فقط بل والمدينة أيضا .

وطرح اقتراح أمام البارونات المجتمعين يقضى بإرسال مبعوثين إلى ملوك بلاد ما وراء الجبال وإلى من هناك من الأمراء يدعونهم للحضور لمساعدة المملكة والملة الصيرانية ذاتها .

ومع أن الواجب كان يقتضى معالجة هذا الموضوع أولا قبل غيره إلا أن البطرك (هرقل) أنسد هذا الاجتماع ، وأصر على الموضوع الهام ، وتكلم عن الحدث الذى أشرنا إليه ، ثم انفلت فغادر عكا كما وصفنا .

ولما عرف كونت يافا أن الملك لن يتنازل فيصفر عنه ليج فى سلوكه الطائش السالف ، واركب مزيدا من الأعمال التى إتسمت بالعنف ، وسار بمن تحت يده من العسكر شطر القلعة المسماة بقلعة «الداروم» ، ثم مضى فهاجم جماعة من العرب كانوا قد نصبوا خيامهم فى هذه الداحية التماسا للمرعى ، وكان الملك قد وعد هؤلاء الأعراب ببسط حمايته عليهم ، وأطمعهم فى رعايته لهم ، فاطمانوا الى هذا العهد كل الاطمئنان واعتمدوا عليه ، ومن ثم وجدهم كونت يافا غير مستعدين أو متاهبين لمقاومته ، فهاجمهم وساق مواشيهم وعبيدهم وعدما غنيمة باردة له ، ورجع بذلك كله الى عسقلان .

حين سمع الملك نبا هذه الغارة استدعى اليه ثانية باروناته وعهد برعاية المملكة وإدارة شئونها العسامة الى ريتوت كونت طرابلس وثوقا منه فى حكمته وسمو نفسه .

ويبدو أن العامة وأغلب الأشراف تقبلوا هذا العمل من جانب الملك قبولا حسنا وأرضى رغباتهم ، إذ كان من الواضح للجميع أن طريق السلامة الوحيدة إنما يتمثل فى وضع أمور المملكة فى يد كونت طرابلس .

هنا يتوقف الكتاب

حواشی کتاب الثالث والعشرين

(١) ارميا ١٨/١٨.

(٢) موشع ٩/٤.

(٣) اشعيا ٥/١ - ١.

ملحق

وضعنا هذا الملحق خاصا للتعريف ببعض
الأعلام والأماكن الجغرافية وتفسير بعض
الألفاظ والمصطلحات الإسلامية واليهودية
والمسيحية الواردة في الأجزاء الأربعة من هذه
الترجمة العربية ، وذلك بغية التيسير على
القارئ العربي لفهم ما قد يهم عليه منها .



ابولو

من آلهة الاغريق القدماء الذين تزعم أساطيرهم أن أباه هو « جوبيتر » وأمه « لاتونا » ، وأخته « ديانا » ، وأنه ولد في ديلوس Delos وهى إحدى الجزر الصغيرة المبعثرة فى بحرايجة .

أبولونيوس

اكتفى وليم الصورى حين ذكر أبولونيوس Apollonius بالقول بأن « شهرة أعماله ذاعت وطبقت الآفاق » ، وإذا رجعنا الى التاريخ وجدنا أن هناك كثيرين من رجال الفكر والأدب أطلق عليهم هذا الاسم منهم « أبولونيوس » الذى هو من « رودس » .

كما أن هذا الاسم يطلق على مؤلف ظهر فى القرن الثالث قبل الميلاد ، ويبدو أنه هو المقصود فى متن كتابنا هذا ، ولعله منسوب الى « أبولونيا » وهو الاسم الذى يطلق على عدة مدن بعضها كان فى « الليريا » ، والبعض الآخر فى « مقدونيا » .

أبيجايل

كانت « أبيجايل » تحب « نابال » الذى تفسره « الغيبى » وقد تباعد ما بين الرجل وزوجته ، والخلق والخلق والطبيعة والقيم الأخلاقية ، إذ

كانت هى عاقلة مدبرة حكيمة، تسوس الأمر بما يجنبها كثير من الخطأ،
أما « نابال » فكان - رغم شدة ثرائه لكثرة ما يملك من قطعان الأغنام
والماعز - رجلا فظا غليظا، سحيحا قدما لا يعرف الرحمة ولا يحسن
معالجة المشكلات التى تعترضه ، وكانت « ابيجاييل » تتسم بالجمال
والفتنة مما حبيبها الى نفس داود حتى صارت له فيما بعد زوجة .

وجرت عادة « نابال » أن يبعث بقطعان غنمه وماعزه مع
عبيده ترعى فى أرض داود آمنة فى حماه لا يخشى صاحبها عليها
هجمة الأشرار واللصوص ، فلما جز « نابال » غنمه وقت أن جان
أوان جزها بعث داود اليه يذكره بفضلها عليه « ان أمن رجاله يوم
كانوا فى حمايته ، حتى سلم هو وأهل بيته وكل ماله ، وبعث اليه
داود بكلام رقيق يقول له فيه « اعط ما وجدته يدك لعبيدك ولابنك
داود ، فأنكر « نابال » ما يريده داود ، فخرج داود فى نحو أربعمائة
رجل لقتال « نابال » الذى خاف عبيده من حركة داود .

وحدث أحدهم « ابيجاييل » باقتراب داود وهو الرجل الذى
كان هو ورجاله « سورا لرفاقه ليلا ونهارا أيام اقامتهم معهم لرعى
الغنم » ، فهداها حسن تفكيرها الى حمل « خمسين رغيف ، وزقى
خمر ، وخمسة خرفان ٠٠٠ وفريك وزبيب وتين ، وسأقت ذلك كله
أمامها الى داود دون أن تخبر زوجها أو تعلمه بما انتوت عمله ،
وخرجت فصادت داود « فخرت على وجهها أمامه ، وتوسلت اليه
ان يكون رحيمًا » ولا « يكون كالرجل ٠٠٠ اللئيم نابال ، لأن اسمه
هكذا هو ٠٠٠ نابال اسمه والحماسة عنده » .

فأثنى عليها داود وعلى ما فعلت ، وقبل هديتها وصرفها
مشكورة ، فلما عادت الى زوجها وجدته « فى وليمة كوليمة ملك »
فلم تحدثه بشيء حتى اذا طلع الصباح وذهبت عنه نشوة الخمر

أخبرته بما كان من أمرها مع داود « فمات قلبه داخله وصار كحجر ، ثم ضربه الرب بعد عشرة أيام فمات » فسر داود بما جرى لنابال « الغبي » وبعث الى « أبيجايل » ليتخذها له زوجة « فرحبت بالعرض ومضت الى خيمة داود « وصارت له امرأة » (انظر صمويل الأول ٢٥/٣ - ٤٢) ، وودت « أبيجايل » لداود ولدا اختلف في اسمه ، فهو في صمويل الثاني ٣/٣ « كيل أب » ، ولكنه « دانيئيل » في اخبار الأيام الأول ١/٣ .

أبيمالك

يكثر ورود هذا الاسم في العهد القديم ، وهناك من يرجع أن يكون لفظ « أبيمالك » لقبا للوك الفلسطينيين ، ويقوم هذا الترجيح على أن هناك واحدا من ملوكهم عاصر ابراهيم الخليل عليه السلام ، وعرف كل منهما الآخر .

على أن الأحداث التي تربط « أبيمالك » بكل من ابراهيم واسحق متشابهة ، وتكاد معظمها في كل منهما تكون مطابقة للأخرى حتى في أدق التفاصيل ، فنطالع في سفر التكوين أن خليل الله في تجواله الدائم نزل في أرض « جرار » وكان عليها « أبيمالك » وكانت سارة امرأة الخليل معه ، فلما سأل « أبيمالك » من تكون هذه المرأة التي بصحبته زعم لها أنها أخته ، فأرسل « أبيمالك » من أخذها ، فجاءه الرائي في نومه ينهاه عما فعل ويحذره عقابه « إذ أنها متزوجة ، ولم يكن أبيمالك قد اقترب اليها ، إذ أمسكه الله عن ذلك » .

وتذهب التوراة الى أن « أبيمالك » لما عرف ما كان خافيا عنه جمع « جميع عبيده » ، ودعا ابراهيم ورد عليه سارة ، ووصلهما

بصلات جزيلة (انظر سفر التكوين ١٠/٢ - ١٤) ، كما انه ورد
تاليه البئر التي كان عبيده قد اعتصبوها منه ، وهي المعروفة بـ
سبع ، التي سميت بهذا الاسم كما يقول نفس السفر (١١/٢١)
لأن ابيمالك اعطاه سبع نعاج .

وتتكرر نفس القصة بحذاقيرها لكن مع اسحق ، وقد اطلال
فيها نفس السفر (راجع سفر التكوين ، ٧/٢٦ - ١٥) .

أتالية

تقع هذه المدينة « أتالية » (او أتاليا ، او اضااليا ، او أداليا)
في اقليم « بامفيليا » جنوب آسيا الصغرى .

وقد اختلف في رسم اسم هذه المدينة وان كان الأرجح انه
Attalia كما في معظم المراجع الغربية ، وان رسمها بعضها
Adalia ، وهو تحريف لأتالية ، وكذلك في أعمال الرسل ،
٢٥/١٤ .

وكلمة « أتالية » منظور فيها الى اسم بانيتها « أتاليس
فيلادلفوس » ، الذي شيدها قبل الميلاد بما يقرب من قرن من الزمان ،
ومن ثم اشتق اسمها من اسمه .

ولما ظهرت المسيحية زارها بولس الرسول مبشرا ومكرزا
وكان في صحبته « برنابا » ، ومنها سافروا الى انطاكية .

أج- نيب

اجانيب، نبع تكثر الاشارة اليه في الأساطير الاغريقية ، وهو
يجرى في « بيوتيا » Boeotia وقد ذكره الشاعر الانطاكي

فرجيل باعتباره رافدا مقدسا ، لما له من الصلة الوثيقة ببعض
الآلهة القديمة .

أخيمالك الكاهن

إذا جمعنا الاشارات الواردة بالتوراة عن أخيمالك وقارناها
بعضها ببعض أخذتنا الحيرة أي تبيان حقيقة هذه الشخصية وإن
كان الاجماع منعقدا على أنه كان معاصرا لداود وبينهما من المعرفة
ما يرقى به لأن يمدده بما يعرف بخبز الوجوه يوم أن جاء داود إلى
أخيمالك هاربا من بطش شاول وقد اشتد به الجوع فطرق باب أخيمالك
الذي لم يكن عنده من الأرغفة غير « خبز الوجوه » الذي لا يحل
لأحد غير الكهنة أن يأكل منه ، فلم يتأخر أخيمالك عن المبادرة إلى
تقبيله لداود ، مع سيف جليات .

وقال له أخيمالك حين سأله أن يعطيه « ماذا يكون تحت يده
» فاجابه « لا يوجد خبز محلل تحت يدي ولكن يوجد خبز مقدس إذا
كان غلماناه قد حفظوا أنفسهم لا سيما من النساء أعطاهم منه .

كان هذا الخبز المقدس هو « خبز الوجوه » عند اليهود أو
« خبز التقدمة » عند المسيحيين (مرقس ٢/٢٦ ، متى ٤/١٢)
ويقوم بصنعه طائفة معينة من الخبازين (يوحنا ٩/٢٣) .

ثم زاد داود فسأل الكاهن أخيمالك سيفا أو رمحا فكان السيف
الذي أعطاه له هو سيف « جليات » الفلسطيني ، الذي كان داود
قد قتل ، وكان السيف ملفوفا في ثوب ، فرحب داود بالسيف لأنه

على حديث قوله : « لا يوجد مثله » . (صمويل أول ٩/٢١) ، وقد غضب شاول كل الغضب مما فعله أخيمالك من اعطاء داود خبز الوجوه وسيف جليات ، فوثب على أخيمالك فقتله ومن معه من لكةنة فى نوب .

الأرجوان

يكثر المؤلف من الإشارة الى « الأرجوان » لاسيما فى معرض كلامه عن « صور » ، وهو اللون الذى كانت تصبغ به الثياب الغالية الى لا يلبسها الا الملوك والأثرياء والحكام ، ونطالع فى العهد القديم لاسيما فى سفر استير على وجه الخصوص (١٥/٨) أن أحد الملوك القدامى كان حين يتعم على من يشمله برضائه ، انما ينعم عليه « بحلة من بز وأرجوان » .

وكانوا يعتقدون أن لهذا اللون قدرة على حفظ الانسان من « ابليس » والأرواح الشريرة ، ونستدل على ذلك بما ورد فى سفر دانيال ٧/٥ ، من أنه حدث لأحد ملوك التوراة فزع فدعى اليه السحرة وطلب من الحكماء تفسيراً لما يرى ويقول فى لهجة أمرة : « أى رجل يقرأ هذه الكتابة يلبس الأرجوان » .

كذلك نرى ثياب الأرجوان خاصة بألثة الوثنيين تميزا لهم عن بقية الشعب ، ومن شاء تأكيد ذلك فليرجع الى أرميا ١٠/١٠ .

وقد برع الصوريون فى صناعة الثياب الأرجوانية حتى أن « حيرام » يرسل الى سليمان رجلاً من صور « حكيماً ماهراً فى صناعة الذهب والفضة » . والأرجوان . اظر أخبار الأيام الثانى ١٤/٢ .

وكان القوم يستخرجون اللون الأرجواني هذا من أصداف سمك معين يجمعونها ويستنبطون منها نوعا خاصا تصبغ به الملابس ، وبلغ من الاقبال على اللون الأرجواني الصوري أن قامت له أسواق خارجية ، وكانت هناك حركة تجارية أفقية في «الأرجوان» ما بين صور وجزر «اليشة» وذلك ما نفهمه من سفر حزقيال .
٧/٢٧ - ٩٠

أما سمك الأرجوان فنوع من الأسماك ، يمتاز بالأصداف الأرجوانية ، وكان لهذا الصدف سوق تجارية نشطة حتى ليقول «بولص» عن رحلته التبشيرية الى مقدونيا «... وفي يوم السبت خرجنا الى خارج المدينة عند نهر ... وكنا نكلم النساء اللواتي اجتمعن ، وكانت تسمع امرأة ليدية بياعة أرجوان متعبدة ، ... انظر أعمال الرسل ، ١٦/١٣ - ١٤٠

أروننة

«أروننة» و «أرنان» لفظان لشخص واحد ينعت باليبوسى ، وتجرى القصة كما جاء فى أخبار الأيام الأول (١٥/٢١) : ان «الرب كان قد أرسل ملاكا على اورشليم لاهلاكها ... وكان ملاك الرب واقفا عند بيدر أرنان اليبوسى» .

وهذا البيدر الذى كان على جبل «الموريا» هو الذى اشتراه داود ليجعله مذبحا للرب وذلك تنفيذا لأمر من الرب ألقاه اليه على لسان ملاكه (أخبار الأيام الأول ١٩/٢١) ليبعد غضب الرب عن شعبه ، فأراد داود شراء البيدر من «أرنان اليبوسى» بفضة يدفعها له فأنكر أن يأخذ ثمنها لها ، فأبى داود أن يقبل عرض «أرنان» وقال : «انى لا اخذ مالك للرب فأصعد محرقة مجانية» ودفع داود لأرنان

ذهباً وزنه ست مائة شاقل ، فقبل أرناح فانفتحا غضب الرب الذي أمر
و الملك فرد سيفه إلى غمده ، (نفس السفر ٢٦/٢٧) .

ولما خلف سليمان أباه داود بنى هيكله هذا على هذا البيدر .

استيفانوس

وقد يقال له اسطيقيان أو اصطفان أو ستيفن في اللغات
الحديثة، ويرجع من كتبوا عنه أنه « كان يهوديا يتكلم اليونانية » كما
يقول القاموس ، وقد عرف بين كافة من عرفوه - أنصارا كانوا
أو خصوما - باستقامته التامة وليس فيه من عوج ولايجرى لسانه
قط بسوء ، ولايدنس فاه بالكذب .

كان أول ظهور « استيفانوس » يوم شمل التذمر اليونانيين
عامة على العبرانيين بسبب أن « أراملهم كن يهملن في الخدمة اليومية »
فانتخبوا سبعة رجال « من المشهود لهم ، المملوئين من الروح القدس
والحكمة » لسد هذا النقص فكان من بينهم « استيفانوس الذي كان
يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب » بفضل إيمانه ، فأثار
ذلك ثائرة اليهود عليه وفسدوا عليه من افتري عليه الكذب فاتهموه
« بالتجديف على موسى وعلى الله » ، وهاج الشعب والكهنة « فخطفوه
وأثوا به إلى المجمع » فدافع عن نفسه دفاعا مجيدا وذكر اليهود
بما كان من أيدائهم أنبياءهم وبما فعلوه مع « يوسف » حتى بأموه
إلى مصر» وكان الله معه . . . وصار مديرا على مصر وعلى كل
بيت فرعون . ثم جاء موسى وقد « تهذب بكل حكمة المصريين
وتجلت آية الله له في لهيب نار عليقة » ثم كان ما نعرفه من خبر
موسى إذ تجلى الله جل جلاله له . ولقد أشار القرآن الكريم إلى
ذلك في قوله تعالى (يسالك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من
السماء فقد نزل على موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهره فآخذناه

الصاعقة بظلمهم ، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم الآيات ففعلنا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا ، ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا . فبما نقضهم ميثاقهم وكفروهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل صبغ الله عليها بكفروهم فلا يؤمنون الا قليلا) الى غير ذلك من الآيات الكريمة .

كان « استيفانوس قاسى اللهجة فى مخاطبته اليهود حتى قال لهم « يا قساة الرقاب ١٠٠٠٠ اى الأنبياء لم يضطهد آباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا ؟ » (أعمال الرسل ٧/٥١ - ٥٢) .

واثار كلامه ثائرة خصومه فأخرجوه من المدينة ورجموه ، وكان التنكيل بالمسيحيين شديدا لاسيما ما تم على يد « شاول » الذى كان فى أول أمره اعنف أعداء الملة المسيحية حتى انه يوم ان قاموا بـ رجم « استيفانوس » كان هو يقوم على حفظ ملابس قاتليه .

أسدود

تكتب هذه الكلمة على صور مختلفة فى العربية فهى « أسدود » و « أزودود » و « يزودود » و « أشدود » وهى دائمة الوجود بالرسم الأخير فى العهدين القديم والجديد ، كما ترد فى كتب الجغرافيين العرب بصورها المختلفة .

وتقع « أسدود » الى الشمال الشرقى من غزة فى الطريق المؤدى الى يافا ، وتتفرع منها الطرق الى اماكن عدة مثل يافا والرملة ويبنى ، انظر .

Le Strange : Palestine Under The Moslems P. 405.

ويستفاد من سفر يشوع ٣/١٣ ، أنها كانت من أملاك الفلسطينيين ، وهى ذات تاريخ حربي طويل ، وكانت موضع نزاع بين اليهود والفلسطينيين ، ونسبتهم من سفر سوسيل الأول (٢/٥ - ٨) أنه لما انتصر الفلسطينيون على اسرائيل حملوا معهم التابوت الى « أشدود » ووضعوه فى هيكل « داجون » الذى خربه المكابيون فى القرن الثانى قبل الميلاد .

وتروى الأخبار القديمة أن أحد ملوك مصر فى القرن السابع قبل الميلاد حاصر البلد حصارا طالا أمده حتى قارب - كما يقال - الثلاثين عاما ، مما كان له أثره السيء فى تدمير كثير من نواحي « أشدود » حتى أنه لم يبق منها الا أطلال سماها ارميا (٢٥/٢٥) « بقية أشدود » .

كذلك لحقتها يد الخراب على يد « عزيا » ملك يهوذا (وعزيا بضم العين وفتح الزاى) هو الذى « خرج » كما جاء فى أخبار الأيام الثانى ٢٦/٦ وحارب الفلسطينيين ٠٠٠ وهدم سبور أشدود » .

ولقد كانت « أشدود » من الأماكن التى دخلتها المسيحية على يد « فيليبيس » إذ جاء فى أعمال الرسل (٨/٤٠) ما يشير الى أنه ألهم بأن يخرج الى الجنوب فاطاع فلقى حبشيا خصيا وزيرا للملكة الحبشة كان يقرأ فى سفر اشعيا بصوت عال دون أن يفهم ما يحويه وما تشير اليه الفقرات ، ففسر له فيليبيس ما غمض عليه فكان هذا الخصي الحبشى أول المؤمنين بالنصرانية هناك ، وتم تعميده على يد « فيليبيس » الذى اتخذ التبشير بالمسيحية سبيله ، وقد جاء فى أعمال الرسل ٢١/٩ « أنه كان لفيلبيس هذا أربع بنات عذارى كن يتنبأن » .

على أنه يجب ألا نخلط بين فيليبيس هذا المنعوت بالمبشر وبين

فيليبس المذكور فى متى ٢/١٠ الذى هو أحد تلاميذ المسيح ، أو
« الرسل الاثنى عشر » الذين ارسلهم « الى خراف بنى اسرائيل
الضالة » .

أما الملكة الحبشية هذه فكانت تدعى « كنداكة » ، أما هذا العبد
الخصى الحبشى فكان وزيرا « على جميع خزائن » هذه الملكة .
انظر أعمال الرسل ٨/٢٧ .

افسوس

افسوس من المدن التاريخية الهامة الكبرى من الناحيتين
السياسية والدينية ، وهى تقع فى أقصى الساحل الغربى من آسيا
الصغرى فى مواجهة أثينا ويفصل بينهما البحر ، كلما أنها تقع
قبالة جزيرة « ساموس » .

وقد وردت هذه المدينة فى أعمال الرسل ١٩/١٧ بفتح الهمزة
والفاء وضم السين الأولى ، وجاء نفس هذا الرسم فى ياقوت : « معجم
البلدان ٢/٨٠٦ » وان جاء ذكرها فى موضع آخر باسم « أبسوس »
(نفس المصدر ١/٤٩١) . ولكنها فى المراجع الغربية واردة بكسر
الهمزة فيقال «Ephesus»

ونظرا للموقع الجغرافى الهام الذى تتمتع به « افسوس »
من اطلالها الى البحر واقترابها من أماكن ذات خطورة تجارية
وعربية مثل كريت وقبرص واليونان فقد طمع فيها الأجانب طمعا
تدأ فى أن تداولتها أيد أجنبية كثيرة فحكمها بعض ملوك فارس
وذلك الاسكندر المقدونى ، ثم آلت الى الرومان سنة ٢٢٢ ق م .
فلما ظهرت النصرانية كانت مركزا لدعوة « بولس » التبشيرية فقد

تعددت زياراته لها ، ونمت فيها حركة تكريز وتبشير أدت بالطبع الى قيام حركة مضادة أسفرت عن استشهاد بعض الدعاة ، فقد جاءها « بولص » هربا من يهود « أخائية » وبرفقته اثنان من أتباعه فكلفهما بالدعوة ومضى هو الى أنطاكية ، واذا ذاك وقد علم « أفسوس » رجل يهودى اسكندرى اسمه « ابلوس » حسب ما تقول أعمال الرسل ٢٥/١٨ الذى تصفه بعدئذ بأنه « خبير فى طريق الرب » فاجتمع الثلاثة فكانوا حربا على اليهود .

ولما كان « بولص » قد شن حربا لاهوادة فيها على صناعة وعمل هياكل فضية لمعبد « أرطاميس » يقوم بها فريق ليس بالقليل من الصاغة فقد خسر هؤلاء الصاغة الأرباح الكبيرة التى كانوا يجنونها من وراء هذه الحرفة ، فأجمعوا أمرهم على محاربة الدعوة المسيحية ، وقام أحد هؤلاء الصاغة واسمه « ديمتريوس » وحرك رفاقه ضد بولص لأنه ندب بما يجرى لقوله « ان ليس ما يصنع بالأيدي الهة » .

وأنت دعوة « بولص » ضد الوثنية أكلها « فكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم ، وكان كثير من الذين يستعملون السحر » يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع » (أعمال الرسل ، ١٩/١٨ - ١٩) .

وانتشرت المسيحية فى « أفسوس » وقوى ساعدها وما لبثت كنيستها أن صارت أم الكنائس فى آسيا الصغرى ، وبلغ من أهمية البلد كمركز إشعاع مسيحى أن عقد بها سنة ٤٣١ م . ما عُرف « بمجمع أفسوس » .

والرأى الشائع أنها كانت الناحية التى ارتبطت بأهل الكهف الذين كرهوا الوثنية ففروا حفاظا على عقيدتهم « وقال الربنا انتل



من لدك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشدا» ولجئوا الى كهف بها يعرف
بالرقيم حتى سبهم انعران الكريم بأصحاب الكهف والرقيم فقال
تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجبا (سورة الكهف ٩/١٨) • وإشار الى ذلك اليلدانى ياقوت
فى معجمه ٨٠٥/٢ فقال ان « افسوس بلدهم » ، علي حين نرى
كاتبا مسلما آخر وهو المقدسى يقرر ان الرقيم انما يقع على بعد
ثلاثة أميال من « عمان » •

أما ابن الأثير فيشير فى تاريخه الى أن الرقيم على مسيرة
يومين شمالى الكرك فى الطريق الواصل بين دمشق والقلعة ••

من هذه البيانات المتضاربة يصعب علينا أن نجزم جزما تاما
اين موضع « الرقيم » تماما •

وتشير الأبحاث التى جرت منذ قرن على أن هذا الاختلاف
— أو بعضه — ناشئ من وجود منضعين باسم « الرقيم » (فى
التلمود حسبما جاء فى •

وعلى أية حال فسيجد القارئ العربى تفصيلات وافية
واضافات جديدة حين تظهر ترجمتنا لكتاب لى ستراىج • فلسطين فى
ظل الحكم الاسلامى •

الليريكوم

ترد الاشارة كثيرا فى كتب الحروب الصليبية وتاريخ اليونان
الى « الليريكوم Illyricum وقد تبدل اليم الأخيرة بنون •
وهى على أى الرسمين اسم لمقاطعة اغريقية على الساحل الشرقى
لبحر الادرياتيک ، وقد وردت الاشارة اليها فى ترجمتنا هذه (١/٩٠)
حين عرص المؤلف نسير الحملة الصليبية الأولى فذكر أنها اجتازت

« الليريكوم » ، ومنها نستدل على أنها هي المنطقة التي عرفت فيما بعد بدماشيا التي هي جزء من البربسة .

ولقد عرفت « الليريكوم » المسيحية منذ القرن الأول للميلاد اذ كانت أقصى المدى الذي بلغته الدعوة على يد بولس حيث نجده يقول في رسالته الى رومية ١٥/١٩ ، « أيتها الاخوة ٠٠٠ لكم افتخار في المسيح يسوع من جهة ما الله ٠٠٠ حتى أتى من اورشليم وما حولها الى الليريكون . وقد اكملت للتبشير بانجيل المسيح » .

وليس من شك في أن جذور المسيحية قد تأصلت في الليريكون وأنه كان هناك اقبال كبير على الكتاب المقدس ، حتى أن جيروم - من علماء النصرانية في القرن الرابع الميلادي - والمسولود في الليريكون - قام بترجمة الكتاب المقدس الى اللاتينية .

اليشة

يستفاد من الكتابات الجغرافية القديمة أن « اليشة » كانت تقع عند جزيرة قبرص في مواجهة مدينة صور الشامية ، وقد أدى هذا القرب الجغرافي الى ازدهار الحركة التجارية بينهما لاسيما في « الأرجوان » الذي تكاد صور أن تكون قد تفردت به أو على الأقل فاقت غيرها في شرائه من « اليشة » وبيعه بعد صناعته التي ترتب عليها قيام صناعة « الصبغة الأرجوانية » بها . ومن ثم وردت الإشارة اليه في سفر حزقيال ٢٧/٧ في قوله « ياصور ٠٠٠ انت قلت انا كاملة الجمال ٠٠٠ كتان مطرز من مصر هو شرعك ٠٠٠ الاسمانجونى والأرجوان من جزائر اليشة كانا غطاءك » .

ويبدو أن « اليشة » كانت تاريخ موغل في القدم ، وقد وردت



الإشارة في سفر التكوين (٤/١٠) الى أن بعض المواليد من نسل
نوح هم مواليد « أليشة » .

اليشع

على الرغم من أن إليم الصوري لم يصرح بإسم « يشع »
في معرض كلامه عن رخص الأسعار رخصا كبيرا في السامرة قديما
الا أنه كان يقصد « اليشع » الذي كان قد تنبأ بهذا الرخص الناحش
يعم الناحية بدءا من باب البلد حتى لكل الناحية (راجع هذه الترجمة
العربية ٤١٨/١ ، حاشية رقم ١) .

ولقد كان « اليشع » من أسرة ثرية في وادي الأردن بها تملكه
من المزارع الفسيحة والحقول الشاسعة والتي كان هو ذاته يقوم
بالمشاركة في العمل بها .

وحدث أن خرج « ايليا » المنعوت قديما برجل الرب ودخل
مغارة في جبل « حوريب » غضبا من بنى اسرائيل « لتركبم عهد
الرب ونقضهم مذابحه وقتلهم أنبياءه » ، وجدهم في طلبه هو ذاته .
ثم تجلى له الرب وأمره أن يذهب الى برية دمشق وأن « يمسح اليشع
بن شافاط نبيا » عوضا عنه ، فانطلق « ايليا » مستجيبا لأمر الرب
فوجد « اليشع » في حقل أبيه « فطرح رداءه عليه . . . فنضى
اليشع وراءه وراح يخدمه » (انظر الملوك الأول ١٩/١٠ - ٢١) .

وصارت لاليشع معجزات منها انه رفع رداء « ايليا » الذي
سقط عنه حين غادره وضرب به ماء الأردن « فانطلق الماء وعبر
اليشع فجاءه بنو الانبياء الذين في أريحا وقالوا استقرت « روح
ايليا على اليشع » ثم سجدوا له . (الملوك الثاني ١٢/١ - ١٨) .

ويتابع السفر الرواية عن « اليشع » فيشير الى أن أهل المدينة شكوا إليه رداءة الماء بها وجذب أرضها فجأؤوه - كما أمر بصحن حديد فيه ملح فطرحه في الماء « فبرأت المياه » (انظر الملوك الثاني ١٩/٢ - ٢١) .

ويتجلى ما تم على يد « اليشع » من دعائه لعافر أن تحمل فحملت وولدت ولدا كبيرا ثم مات فجاءت أمه الى « اليشع » تسأله أن يرده للحياة فمضى اليه وبعد محاولات منه عادت الحياة الى الصبي فانطلقت أم الغلام الى اليشع « فسقطت على رجليه » ثم حملت ابنها وخرجت « (انظر الملوك الثاني ٨/٤ - ٣٧) .

ويفيض سفر الملوك الثاني (٢٠/١٢ ، ٢١) بما تم على يد اليشع من الآيات .

على أن هذه الآيات لم تفارقه - كما يذكر هذا السفر - حتى في موته ، فقد كان الناس ماضين ذات يوم لدفن رجل مات فلما رأى الناس العزاة خافوا وطرحوا الرجل في قبر اليشع فلما مس عظمه ردت اليه الحياة من جديد « وقام على رجليه » .

أمم

تصادفنا في التوراة والانجيل وكتب الرهيان والقساوس والكهنة كلمة « أمم » ، وقد تبدو الكلمة في غير حاجة الى ايضاح وتفسير ، ولكنها ذات دلالة مسيحية معينة في هذه الكتب اكتسبتها من الترجمة العربية للتوراة والانجيل ، إذ يستفاد مما ورد في رسالة بولس الى أهل رومية ١٤/٢ ، أنه يقصد بكلمة « أمم » من لا يسمعون للقاموس » ، ويفسر القاموس هذا القول بأن المقصود به « غير العبرانيين » فإذا رجعنا الى العهد القديم وجدنا كلمة

« الأمم » ترد في سفر اشعيا ٩: ٦ على هذه الصورة « ٠٠٠ يقول الرب جعلتك نورا للأمم لتكون خلاصا الى أقصى الأرض » .

وربما كان هذا الخلاص مما يكون في هذه الشرب . أو الأمم التي لا تتبع الناموس - من روح الأنانية وتغلب شهوة حب الحياة ولذا نذرها على كل شيء . فهذه جميعها مع مباحج الشرب والملبس « انما تطلبها الأمم » . وقد قدم انجيل متى عليها « ملكوت الله وبره » راجع متى ٢٢/٦ - ٢٣ .

ويصرح نفس الانجيل ولكن في موضع آخر بأن المقصود بالأمم كل الشعوب التي لم تعتنق النصرانية ولم تعتمد (متى ٢٩/٢٨) .

باشان

في معرض كلام وليم الصوري (١٦/٣) عن « صور » يقتبس من التوراة ما يشير الى ما كانتتمدها به « باشان » من خشب البلوط للاستعانة به في عمل مجاذيف السفن الصورية .
وتقع منطقة « باشان » شرقي الأردن فيما بين جبلي « جرمون » و « جلعاد » .

ويوجد هناك جبل يعرف بجبل باشان ، ولا نعرف أيها هو الذي خلع على الناحية اسمه ١١ الجبل أم البلد ، وقد جاء في مزامير داود ١٥/٦٨ « جبل الله ٠٠٠٠ جبل باشان » ، ويؤكد القاموس (١٥٩ ، ج ١ ، ٢) أن هذا الجبل هو المعروف حاليا باسم « جبل الدروز » .

وقد اشار اليعقوبي (في جغرافيته ، ص ١١٣ الى « أزرعة » التي هي « أزرعات » وقال انها قسبة ولاية « البثنية » ، ثم جاء

فى آخر القرن الماضى العالم الجغرافى المؤرخ لى سترانج فقال
« أذرعى ٠٠٠ قصبة باشان » الواردة فى العهدين القديم والجديد ،
وسمى سفر التكوين سكانها الأوائل باسم « الزفائيين » . انظر سفر
التثنية ١١/٢ .

وكان للرفائيين هؤلاء ملك فى القديم يدعى « عوج » الذى مضى
لصدا اليهود بقيادة موسى ، ودارت المعركة بين الجانبين فى
العاصمة « أذرعى » (انظر العدد ٢١/٢٢ - ٢٥) .

وقل أن يرد ذكر باشان فى أسفار العهد القديم الا مقرونا بما
تخرجه أرضها من خشب البلوط الذى ينسب لها فيقال « بلوط
باشان » ، وحسبه هذه النسبة اليها من تزكية له .

وحين يرضى الرب عن اسرائيل يبعث بهم ليرعوا فى أرض
« باشان » كما جاء ذلك فى ارميا ، ١٩/٥٠ .

ويشير « حزقيال » الى أن الرب حين يدعو الجميع الى
نبيحته انما يدعوهم « الى كباش وحملان وأعقدة وثيران كلها من
مسمنات باشان » . (انظر حزقيال ١٨/٢٩) .

بامفيليا

بامفيليا Pamphylia أو « بمفيلية » كما ترد فى
بعض الكتب أحيانا وكما ذكرت فى كتب العهد القديم : مقاطعة
من مقاطعات آسيا الصغرى . وإذا كان « وليم الصورى »
(الترجمة العربية ٢٠٠/٣) يعتبر « اتالية » أو « أضاية » عاصمتها
فالواقع أن العاصمة كانت « برجة » التى كان سكانها من الاغريق ،
وإن كانت « برجة » واقعة على شاطئ نهر اسمه نهر « لكسترس »
فقد كانت السفن تأتيها من جهات متعددة ، ويؤكد هذا ما جاء فى أعمال

الرسل ١٣/١٣ من « أن بولس ألقع من باخوس بمن معه واتوا الى برجة بمفيلية ، » .

وكانت « بامفيليا » من الأقاليم التي ركز بولس على التشيير بالمسيحية فيها ، وهذا ما تشهد به الاشارات العدة الواردة في ثلاثة اصحاحات من سفر الأعمال .

ولقد كان موقع « بامفيليا » جاعلا اياها عرضة لتطلع البيزنطيين اليها من ناحية ، واختراقهم اياها من ناحية اخرى كلما اقدموا على النهوض الى اسيا الصغرى وبلاد الشام .

وفي الحروب الفارسية يرد ذكر الدور الذي لعبته وان لم يكن دورا كبيرا . راجع Dussaud : Topographie Hist., P. 325

بركة سلوام

هي البركة القريبة من بيت المقدس ، وتسمى اليوم « بركة سلوان » ، وينزلها اليهود منزلة القداسة حتى انهم ليعتبرونها اليها في يوم معين من عيد من اعيادهم كاهنا بابريق من الذهب ، فيملؤه من مائها ثم يعود فيصب الماء في وعاء ذهبي آخر ، ويقرزم اليهود وهو يفعل ذلك ترنيمة خاصة .

ولقد شهدت هذه البركة آية للمسيح عليه السلام حين مر برجل أعمى منذ ولادته فاستصرخ به الكفيف أن يرد عليه بصره فقتل المسيح وصنع من التفل طينا ، وطلّى بالطين عيني الأعمى وقال له : اذهب فاغتسل في بركة سلوام ففعل الرجل ما أمره به المسيح واغتسل فرد اليه بصره .

ويمكن مراجعة القصة كاملة وأطول من هذا في سفر يوحنا ٧/٩ - ٢٨ .

بسيديا

بسيديا أو بيسيدية منطقة من أعمال آسيا الصغرى ، شمالي « بامفيليا » وتتسم المنطقة التي تقع فيها بوعورة الأرض وصعوبة السير فيها مما جعلها صعبة على إخضاعها للسيطرة ، ومما يزيد في صعوبة أرضها أن جبال طوروس تشقها ومن ثم تكثر بها المنحدرات والتلال ، ومع ذلك فقد ركز « بولس » جهدا غير قليل على التبشير فيها وقت أن جعل من آسيا الصغرى مجالا للتكريز ، فزارها فيما زار من أقاليم تلك النواحي ، « وتعلم له كثيرون فيها » .

وكان لجغرافية البلاد أثرها في أن تطبع أهلها بطابع يتسم بالخشونة والقوة والعنف والشدة وحب الاستقلال - ، وقد جمعت كل هذه الأمور لتجعلها شاقة على من أغاروا عليها من الفرس والرومان ، فلم يستطع هؤلاء ولا هؤلاء أن يفلوا شوكة الأفاملي : .

بلد الشوحى

ذان « بلد » (بكسر الباء وسكون اللام وفتح الدال الأولى) من ولد « شوح بن ابراهيم الخليل » ومن هنا عرف بالشوحى ، وكان واحدا من ثلاثة من أخلص أصحاب أيوب ، وكانت بينه وبينهم « خطابات » تتناول مواضيع مختلفة وهى أشبه بالحوار حول مسائل معينة كالفتنة والمرض يضرب الله به عبده الصالح ، وكلها واردة على سفر أيوب .

رغد جاء « بلدد » مع رفيقيه - وان كان كل على حدة - الى
 ايوب يؤم ضرب « بقرح ردىء من باطن قدمه الى هامته » . وقد
 حضروا « ليرثوا له ويعزوه » ورفعوا «سنيهم من بيت ولم يعزفوه
 ١٠٠ فبكوا ١٠٠ وقعدوا معه سبعة ايام وسبع ليال ولم يكلمه احد
 منهم بكلمة ، لأنهم رأوا ان كآبته كانت عظيمة جدا » (راجع ايوب
 ١١/٢ - ١٢) .

وكان لبلدد مع ايوب حوار طويل تضمنه الاصحاح الثامن
 من سفر ايوب ، ينصب على المصيبة يبتلى الله بها المؤمن ، فلا يكون
 من ايوب الا ان يفسر هذا الأمر الا بأنه بسبب ذنب الشخص ولا تثريب
 على غيره ويقول لربه « اذنبت فويل لى » (ايوب ١٠/١٥) .

وكان بين بلدد وايوب مراسلات ، وقد تضمن الاصحاح الثامن
 عشر من سفر ايوب حوارا « عن فاعلى الشر ومقام من لا يعرف
 الله » .

والمتأمل فى خطابات بلدد وصاحبيه الى ايوب وردوده عليهم
 يرى كيف يفلسفون الخير والشر ، والحق والظلم . وكلها نمط
 طيب فى الاقرار بضالة الفرد ازاء ربه .

بلعام

ياتى رسم هذه الكلمة بصورتين اولاهما بكسر الباء اوله
 وحينذاك يقصد به موضع يقع فى أقصى غربى نهر الأردن .

أما ثاني هذين الرسمين فقد ورد في (يشوع ١١/٧) على هذه الصورة « بلعام » (بفتح أوله بعده باء ساكنة ولام مفتوحة)

على أن هذا الموضع قد صار اليوم - كما يقول القاموس - قرية تعرف باسم « بلعة » . وإذا رجعنا إلى المصادر الإسلامية وجدنا أنه ترد في معجم ياقوت كلمة « بالعة » ويقول أنها قرية من قرى البلقاء ، وأنه عاش فيها « بلعام بن بعورة المنسلخ » ، ويزيد على ذلك أنه هو الذي نزل فيه قول الحق تبارك وتعالى (سورة الأعراف ١٧٤/٧) (وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) .

وبلعام الرجل هذا انما هو بفتح الباء أوله .

ويستفاد مما ذكره وليم (٢٩٧/٣) انه كان رجلا سيئا ، مما يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم .

وإذا رجعنا إلى التوراة في شأن نشأته وجدناه مذكورا فيها بأنه كان نبيا مشهورا ، وكان الناس يقصدونه من شتى الجهات فيتنبأ لهم بما قد يصيبهم .

ويفسر سفر العدد (٩/٢٢ ، ٢٥/٢٤) خبر خسروجه عن الناموس بأنه لما ذاع صيته بأنه رجل مستجاب الدعاء جاءه رجال

بعث بهم اليه « بالاق » بن صفور « ملك مؤاب يسألونه على لسان
صاحبهم أن يلعن شعب اسرائيل اثر خروجهم من مصر . وتطيل
التوراة خبره مع « بالاق » وتصور كيف رفض الاستجابة له « حذ
ولو ملأ له بالاق بيته فضة وذهبا ، فهو لا يقدر أن يتجاوز قسوة
الرب » - والخبر طويل فليرجع اليه من شاء في سفر العدد ٢٢/٩
حتى آخر الاصحاح الرابع والعشرين .

ولقد لقي « بلعام بن بعورة » هذا مصرعه بالسيف اذ قتل في
خروج اليهود لمحاربة المديانيين ، رقتلوا النساء « اذ كن حسب كلام
بلعام » سبب خيانة للرب « (عدد ٣١/١٥ - ١٦) .

ولقد جاء في رسالة يهوذا عن المسيح الاشارة الى « ضلالة
بلعام لأجل أجرة » .

تراخونيتس

بالاضافة الى ما ذكرناه في الجزء الثالث ص ٢٩٦ . حاشية
رقم ٣ من هذه الترجمة العربية عن تراخونيتس « وما قاله المؤلف
وليم الصوري عما يظنه بشأن هذا الاسم (٢٤٩/٣) فقد وردت
الاشارة اليه في الدمشقي (ص ١٩٨ وما بعدها) بمسا يقيد بأن
« تراخونيتس » هو « اللجاة » ، وهو الاسم الذي وضعه ياقوت في
معجمه (٦٢١/١) ثم نقله عنه ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع .
ولما نقل عنهما الباحث الايرلندي :

Le Strange : Palestine Under Moslems, P. 425

فسر « اللجاة » بأنها تراخونيتس ، ثم عاد فكرر ذلك في موضع
آخر Le Strange : Op. Cit., P. 492 وذلك حين نقل ما أورده
الجغرافى المسلم فى معجمه فى موضع ثان (معجم ياقوت ٢٥٠/٤)

وترد الإشارة الى ان هذا الاسم يوناني الأصل (راجع انجيل
لوقا ١/٢) - فيقول - فيلبس رئيس ربيع علي كورة قراخونيتس ،

تقوع

نتردد كلمة تقوع (بفتح التاء وضم القاف بعدها واو وآخرها
عين) كثيرا في تاريخ وليم ، وليس من عجب في ذلك فوليم - كرجل
بارز من رجال الكهنوت في وقته - كان لابد له من الإشارة الى تقوع
باعتبارها - كما يقول في أكثر من موضع - « مدينة الأنبياء » ، إذ
كان منها عاموس الذي ظهر في القرن الثامن قبل الميلاد والذي
اشتهر في مهاجمة اليهود لما هم عليه في يومه من انصراف عن
الديانة الحقّة .

وتقوع من المدن القديمة في « يهوذا » فقد ورد في الأخبار
الثاني ٦/١١ ، « أنه بنيت مدن للحصار في يهوذا منها بيت لحم
وتقوع » .

وقد اندثرت « تقوع » الآن الا من أطلال تشير اليها ، ويقول
انعاموس (ص ٢٢١ ، ع ١) ان هذه الأطلال تحتوى الآن « على قل
عريض القمة حيث توجد بقايا أساسات منازل من حجارة مربعة ،
وخرائب » . كذلك وردت الإشارة اليها في معجم ياقوت فيصفها
بأنها « قرية من قرى القدس اشتهرت بعسلها » ومعنى هذا أنها
كانت معروفة حتى زمن ياقوت .

جبعون

كانت « جبعون » (بكسر الجيم وسكون الباء بعدها عين
مضمومة وآخره نون) كبرى مدن طائفة من الكنعانيين تقع على

بعد أميال قلائد شمالى القدس ، وذكر القاموس أن « موقعها الحالى يعرف بقرية ، الجب » شمالى غربى أورشليم ، فهل تكون هذه هى القرية التى ذكرها ياقوت باسم « الجيب » وقال انها موضع فى جند فلسطين بين القدس ونابلس ؟ ثم زاد فذكر انه يوجد هنا قلعتان تعرفان بالجيب الفوقانى والجيب التحتانى . (ياقوت ١٧٠/٢) .

وتربى الإشارة الى أن سكانها جاءوا الى « يشوع » يسألونه عهد أمان متظاهرين بالفقر المدقع ، وزعموا له أنهم من أرض بعيدة وقالوا له « نحن عبيدك » فجازت الديلة على « يشوع » .

وتد شهدت « جبعون » انتصار داود على الفلسطينيين انتصارا « صارت له به هيبة على جميع الأمم » كما تقول اخبار الأيام الأول ١٧/٤ .

ولما أخذ القوم فى بناء سور أورشليم كان الجبعيون من بين الجماعات التى عملت فى هذا البناء ، فقد شارك منهم خمسة وتسعون رجلا (نحىا ٢٥/٧) .

وقيل انه جمرت فى جبعون معجزة وقوف الشمس عن المغيب استجابة ليشوع اذ نادى ربه أمام الاسرائيليين « يا شمس دوى على جبعون » فاستجابت الشمس له بأمر الله وظلت مشرقة حتى تم للشعب الانتقام من أعدائه .

جبل تابور

يقع جبل تابور على مقربة من بلدة « الناصرة » من أعمال فلسطين وفى أرض الجليل ، ويطل هذا الجبل على ما يعرف بمرج ابن عامر ، ومعنى ذلك أنه يحظى بموقع استراتيجى هام لم تفت أهميته بال محاربين القدماء .

على أن لهذا الجبل - من ناحية أخرى - أهمية روحية عند المسيحيين فهم يسمونه « جبل التجلى » ، ويفسر لنا مرقس (٢/٩ - ٤) سبب هذه التسمية فى معرض كلامه عن صعود المسيح وثلاثة من تلاميذه هذا الجبل ، ثم رآوه قد تغيرت هيئته حتى « صارت ثيابه تلمع بياض جدا كالثلج » . كما ظهر لهم « ايليا » مع موسى . ومن هنا بالغت بعض الطوائف فى الاحتفاء بهذا الجبل احتفاء كبيرا حتى لقد أقام كل من الروم واللاتين على قمته ديرا ، لكل منهما .

وقد اشار القاموس (ص ٢١٠ ، ع ٢) الى أنه يسمى الآن بالطور .

ويستفاد مما ذكره ياقوت فى معجمه ٦٧٥/٢ ، ونقله عنه مراصد الاطلاع أن دير الطور ويسمى أيضا بتابور يقع بين طبرية واللجون (Legio) ويطل على غور الأردن ومرج « اللجون » وهذا المرج هو المعروف فى الحوليات الصليبية باسم Esdraelon كذلك سماه ياقوت بدير التجلى ، فترجمه لى سنرانج بكلمة Transfiguration ويشير ياقوت (نفس المرجع والجزء والصفحة) الى أن المسيح عليه السلام تجلى لتلاميذه ليكونوا شهودا على التجلى . وقد ترجم ذلك كله الباحث Le Strange : Palestine Under The Moslems, PP. 434 — 435 .

جبل جلبوع

جلبوع (بكسر أوله وسكون ثانيه وضم الباء بعدها واو ثم عين) اسم يطلق على أحد الديال كما يطلق على سلسلة من الجبال متصل بعضها ببعض ، وقد يتخللها فى أماكن متناثرة وديان ، أما

الجبال فتتمدد ما يقرب من ثمانية أميال ، وهذه مسافة ليست بالقصيرة
في ناحية محدودة شمالي شرقي نهر الأردن .

وتمتاز هذه السلسلة من الجبال بأنها شديدة الانحدار من
ناحية الجنوب والشرق .

وامتازت ناحية من هذه الجبال بحدث تاريخي كان أبطاله
الفلسطينيين وشاول الملك الذي التحم بهم التحاما أدى الى مصرعه
والتمثيل به ، فقد شنت الحرب بينه وبينهم ودارت عليه الدائرة
وهزمه الفلسطينيون هزيمة تكمراء ، وحفظت أخبار الأيام الأول
(١٠/١) نبأ ذلك فتالت « وحارب الفلسطينيون اسرائيل فهرب
رجال اسرائيل من امام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع » ،
ولم يعلم الفلسطينيون أن عدوهم شاول قد سقط قتيلًا الا غداة يوم
المعركة حين جاؤا « ليعروا القتلى » فوجدوا شاول « وبنيه الثلاثة
صرعى وجثثا هامة فقطعوا رأس شاول وبعثوا به الى عشيرتهم .
أما جسده وأجساد أبنائه الثلاثة فسمروها على سور « بيت باشان »
(صمويل الثاني ٢١/١٢) .

وقد ذكر القاموس (ص ٢٦٢ ، ع ٢) أن جبل جلبوع هذا
أصبح يعرف اليوم بجبل « فقوع » ، وزاد بأنه يوجد على مقربة منه
قرية « جلبون » التي اشتق اسمها من اسمه لكن بعد تحريف .

جبل جلعاد

جلعاد (بكسر الجيم وسكون اللام وفتح العين بعدها ألف
ثم دال) اسم اذا نطق اللسان به انصرف الذهن الى أكثر من مسمى ،
غير أن أكثر ما يكون إطلاقه على ذلك القسم الممتد من شرقي الأردن
حتى يصل الى حدود شبه الجزيرة العربية ، وأغلب ما تتسم به

طبيعة هذه الناحية هو أنها منطقة صخرية ، وقد تقاسمها في التاريخ زبى أوقات مختلفة صنوف شتى من الناس . .

وكانت أرض تلك الناحية تجود بطيب زكى يعرف بالبليسان وينسب إليها فيقال « بلسان جلعاد » ونسمع فى هتاف وار « سفر » ارميا ، قول القائل : « اصعدى الى جلعاد وخذى بلسانا يا عذراء يا بنت مصر » (ارميا ، ١١/٤٦) .

أما اذا اريد بجلعاد الجبل فانه يقع غربى الأردن ، كما توجد على مقربة منه « عين جلعود » التى كانت تسمى قديما « بعين حرو » .

وقد ينسب الى هذه الناحية : أرضا وجبلا وعينا قوم يعرفون بالجلعاديين وهم من سبط منسى أحد ابنى يوسف عليه السلام . .

جدعون

« جدعون » (بكسر الجيم وسكون الدال وضم العين) بطل من أبطال الدفاع الوطنى ، أقام مملكة سادها العدل وان خلفه خلف اضاع بهاء مجده وطمس نوره .

أما خبر ظهور « جدعون » فيرجع الى أن الرب أراد معاقبة بنى اسرائيل على افسادهم فى الأرض فسلط عليهم « مديان » سبع سنوات اذاقهم فيها شتى صنوف النكال حتى فروا منه على وجوههم الى الكهوف فى الجبال والمغارات يتحاشون شره وشر قومه وطفيانهم ، ان كان هؤلاء الأخيرون يتلفون غلة أرض اسرائيل « ولا يتركون لاسرائيل قوت الحياة ، ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا » حتى كابدوا الذل والمهانة والمشقة .

ولم يطق « جدعون » صبرا على ما يفعله « المديانيون » بأهله وعشيرته ، فعمل فى بداية الأمر فى المصرة اذ كان « يخطط الجنطة بها لمكى يهربها من المديانيين » ، وبدا ما هو فيما هو فيه من عمل قد يكون شاقا اذ جاءه - كما يقول سفر القضاة ١١/٢٠ - ٢٤ - ملاك الرب قائلا له : « الرب معك يا جبار الباس » فكان الرجل « جدعون » أن ينكر هذا الوصف لذسه ، وحدث نفسه : إئن كان الرب معه فلم كل هذه المصائب وانكبات ينزلها على رؤوس بنى اسرائيل ؟ فعرفه الملاك السبب .

وبعد امور طويلة قام « جدعون » فهدم مذبح « البعل » الذى لأبيه ، وقطع السارية التى عنده ، وبنى مذبحا جديدا .

وشبت الحرب بين « جدعون » وبين المديانيين والعماقة ، وكتب له النصر الذى « كان من عند الله لا يفضل الانبياء » وتراث انتصاراته بصورة حملت قومه على رغبتهم فى أن يملكوه عليهم .

جنيسارت

تطلق كلمة جنيسارت على عدة مواضع فى ارض فلسطين ، أما اولها وأشهرها فالمنطقة الواقعة غربى بحر الجليل ، والتى أشار اليها متى فى انجيله ٢٤/١٤ فى معرض حديثه عن معجزة السيد المسيح عليه السلام اذ أطمع جمعا كبيرا من الناس ومعهم مرضاهم ، ولم يكن عنده أو عند تلاميذه على الأصح سوى خمسة أرغفة وسمكتين ، فصرف هذا الجمع وأمر تلاميذه بالدخول الى سفينة هناك وصعد هو الجبل صلى ثم نزل اليهم فشاهدوه يمشى على الماء « فاضطربوا قائلين انه خيال وصرخوا » ، وبعد حبر يطول ذكره عبروا وعبر معهم الى « جنيسارت » ، فلما عرفه رجالها

بعثوا و « احضروا اليه جميع المرضى فشفى من لسوه » ، ومن ثم ارتبط اسم هذه الناحية بتلك الآية التي اكرم الله بها المسيح .

كذلك تطلق كلمة « جنيسارت » على مسطح كبير وعميق من الماء يسميه لوقا (١/٥) ببحيرة جينيسيرات ، وان اطلق عليها يوحنا اسم « بحر الجليل » ، وقال انه هو « بحيرة طبرية » ، وان عاد في موضع آخر (يوحنا ١/٢١) فخص هذه البحيرة باسم « طبرية » وسمتها بانها « بحر » .

وهكذا يتضح لنا ان « جنيسارت » يقصد بها حينما بحر الجليل وحينما ما يعرف ببحيرة طبرية ، وكلها لمسمى واحد ، ومن ثم فان وليم الصوري (١٦٨/٢) يقول ان مدينة طبرية تقع على بحيرة « جنيسيرات » ، ولكنه يعود فيقول في موضع آخر (ج ٢ ، ص ٥٢ من الترجمة العربية) : « جنيسيرات التي هي بحر الجليل » .

حبقوق

كان حبقوق النبي (بفتح الحاء والباء وضم القاف) من ارض تقوع « مدينة الرسل والأنبياء على حد تسمية وليم الصوري لها ، وهو سبط من أسباط « لاوى » (انظر مادة لاوى في هذا الملحق) . وكان يعمل مغنيا في الهيكل .

ونستطيع ان نصفه بأنه كان منددا بالجبروت والطفيان ، مدركا ان مال الطغيان الى الهلاك ، وكان داعية للرحمة بالذس فهو يصرخ مما تضطرب به الدنيا من عتف « ٠٠٠٠ قدامى اغتصاب وظلم » (حبقوق ٢/١) وهو يرى الكلدانيين قد تجبروا وعربدوا

وافسدوا وسيملكون مساكن ليست لهم ٠٠٠ وياتون للظلم (شرحه
٦/١ - ٩) وهكذا كان « حبقوق » صرخة في وجه الفساد المستشري
ومنذرا بأسوأ العواقب وأوخمها ٠

حقل الدم

٢٨

٢٩

هو الاسم الذى أطلقه المسيحيون على ناحية اتخذت مقبرة
للغرباء ، وجاء فى الاخبار أنه صرف عليها المال الذى أخذه يهوذا
(الاسخريوطى) لقاء خيانتته ، فرده الى « رؤساء الكهنة
والشيوخ » وطرحه فى الهيكل ٠ وفى ذلك يقول متى (٢٧/٧)
أخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل لنا أن نلقيها فى الخزانة
لأنها ثمن دم ٠٠٠٠ واشتروا بها حقل الفخارى : مقبرة للغرباء ، ٠
وقد سمي هذا الحقل منذ ذلك اليوم باسم حقل الدم ٠

وهم وإن جعلوه مقبرة إلا أنهم أوقفوها على دفن الغرباء ،
وتشير القصة الواردة فى أعمال الرسل ١٩/١ الى أن يهوذا
الاسخريوطى « اقتنى حقلا من أجره الظلم ٠٠٠ واذ سقط على
وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها ، وضار ذلك معلوما
عند جميع سكان اورشليم حتى دعى ذلك الحقل فى لغتهم « حقل
دما » أى « حقل الدم » ، وهو واقع جنوبى وادى هنوم (راجع
مادة : هنوم) ٠

ولما هاجم الصليبيون القدس ومات بعضهم دفن أكثر هذا
البعض فى ذلك الموضع ٠

حيرام

هذا هو الرسم الشائع في اسم هذا الشخص الذي كان يملك على صور زمن سليمان وكانا صديقين ، وحيرام (بكسر الحاء) تارة وان ورد في بعض المصادر القديمة باسم « حورام » تارة و « حيروم » تارة أخرى . وعلى أية حال فقد كان بينه وبين سليمان ومن قبله داود : مراسلات يشير اليها الكتاب الذي هو بين يدي القارئ العربي الآن .

وقد اهتم « حيرام بصور » فزاد من رقعتها ، وجعل بينها وبين هيكل « جوبيتر » ممرا ، كما اكثر من العمارة والبنيان .

وتحدثنا التوراة عن علاقاته الودية مع سليمان الذي بعث اليه - حين أراد بناء الهيكل - كتابا يرجوه فيه أن يفعل معه مثل الذي فعله مع أبيه من مساعدات مادية وعينية ، فاستجاب له حيرام (انظر تفصيل ذلك في اخبار الأيام الثاني ٢/٢ - ١١) .

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٣٠ ، ع ٢ : « انه اكتشف في مدينة « جبيل » تابوت الملك يدعى « أحيرام » وعلق كاتب ذلك المقال على هذا بقوله « وقد ظن بعضهم أنه هو نفس الملك الذي عاصر داود وسليمان » . ولم يعقب الكاتب على ما قاله بالتأكيد أو النفي حول هذه الشخصية المسماة « أحيرام » .

زربابل

يشير وليم الصوري في كتابه هذا (٨٨/٢) في معرض كلامه عن الهيكل في القدس أنه أعيد بناؤه على يد زربابل زمن كروش كسرى فارس الذي سمح له ولليهود بالعودة الى اورشليم .

و « زربابل » (بضم الزاي والراء بعدهما باء مشددة مفتوحة ثم باء ولام) اسم - كما يقول القاموس - « اكادى » معناه زرع بابل » ، أى « أنولود فى بابل » .

وتكثر الإشارة إليه فى العهد القديم فى عدة أسفار ، فنرى « نحميا » يشير إليه فى سفره (١٢/١) ويذكر أباه ويسميه « شالتئيل » ، وكذلك حجبى فى سفره الأول والثانى ، ويشير الى اسمه كاملا خمس مرات بما لا يدع مجالا للشك فى أن أباه كان يدعى بهذا الاسم .

ولم يتفرد العهد القديم وحده بذكر هذا الاسم بل نراه أيضا فى العهد الجديد مذكورا بهذه الصورة فى لوقا ٢٧/٣ ، وينص الانجيلى متى (١٢/١) على ذلك فيقول بصريح العبارة « وشالتئيل » ولد زربابل » ، وان كان سفر أخبار الأيام الأول (١٧/٣ - ١٩) ينفى أن يكون « زربابل » ابنا لشالتئيل ، وينص على أن أباه هو « فدايا » ، وهذا أمر يدعو للاستغراب ، وقد تنبه اليه القاموس فقال (ص ٤٢٥ ، ج ٢) ولعل فدايا - أخو شالتئيل - تزوج بامراته وأقام نسلا لأخيه حسب الناموس ، فصار زربابل ابنا لشالتئيل .

على أية حال كان « زربابل » من الشخصيات البارزة التى لعبت أدوارا هامة وذات أثر غير منكور فى تاريخ الحقبة وشعوبها القرية منها ، فلما عاد اليهود من بابل الى « أورشليم » من أسرهم على يد نابوخذ نصر عادوا وعلى رأسهم « زربابل » الذى شرع وشرع معه الكهنة فى « بناء مذبح اله اسرائيل ليصعدوا عليه محرقات الصباح والمساء ٠٠٠ وأقام ومن معه من اللاويين من أبناء عشرين سنة فما فوق للمناظرة على عمل بيت الرب » ، كما يقول سفر عزرا ١/٣ - ٩ .

ويبدو ان زربابل كان مولعا بالتجارة والبناء .

ويرمز سفر زكريا المـ ما كان عليه « زربابل » من تأييد بحق طاقة الانسان العادى فى اقامة المباني المقدسة عند قومه ، فقد تدى ملاك الرب لزكريا فى نومه واره منارة من ذهب ، وسمعه يقول عن لسان الرب للجبل « ٠٠٠٠ من انت ايها الجبل العظيم ٠٠٠٠ انك امام زربابل تصير سهلا ٠٠٠ ان يدى زربابل قد اسستا هذا البيت » (زكريا ١ - ٦) .

وهكذا يبدو زربابل زعيما يبنى ما تهدم ، ويرمم ما تحطم ، ويشيد ما اصبح ينسب اليه ، فيقال : « هذا هيكل زربابل » ، وما ذلك بالقليل .

سنبلط

اذا كان « زربابل » قد اعاد تشييد الهيكل وكانت له اليد الطولى فى التعمير فان « سنبلط » كان على عكسه تماما ، واذا كان وليم الصورى يبرزه لنا فى شكل المعتدى على « صور » يحاصرها سبعة اشهر ، وعلى « جرش » يحاصرها شهرين (وليم الصورى ٢٥/٣) فانه كان فى الوقت ذاته لايرضى أن يعيد « زربابل » بناء الهيكل وتشديده من جديد . ويشير القاموس (٤٨٧ ، ع ١) الى انه بذل جهدا فى تحريك العرب للثورة عليه حتى لا يعاد بناء الهيكل ، كما انه اغتنم فرصة رفض « زربابل » ما طلبه السامريون منه من السماح لهم أن يشاركوه فى بناء الهيكل فسعى « سنبلط » فى اثارته ، ونجح فى مسعاه وحرك أحقادهم فوققوا ضد « زربابل » ، وأيدهم فى موقفهم هذا كل من العرب والعمونيين والأشدوديين .

هكذا نجت مكيدة « سنباط » ولكن الى حين ، اذ ما لبث اليهود أن أكملوا السور .

على أن موقفه هذا شق صف الوحدة اليهودية ، فانصرف البعض منهم الى هيكल بناه أحد خصومهم .

اللاويون

ينتسب اللاويون الى « لاوى » ثالث أبناء يعقوب ، ونستدل من سفر العدد ٥/٤ أن الرب كلم موسى وهرون ، وأخذ « عدد قهات من بين بنى لاوى » حسب عشائهم وبيوت آبائهم .

وكان للاوى أخ هو « شمعون » وأخت من أبيهما هى « دينة » (يكسر الدال المشبعة وفتح الذون) شاء لها قدرها أن تخرج ذات يوم فرأها « شكيم بن حمور » الحوى (وشكيم بفتح الشين ، وحمور بفتح الحاء وضم الميم) صاحب الناحية من أرض كنعان ، فوقعت الفتاة من قلبه موقعا تمنهاها لنفسه وتعلق بها وأخذها « وأذلها » . ثم كلم شكيم أباه أن يسعى كي تكون له زوجة فمضى حمور الى يعقوب الذى كان غاضبا لأن ابن « حمور » « نجس دينة » ابنته .

وشعر ولدا يعقوب واخوتهم « أن شكيم صنع قباحة فى اسرائيل » .

وعرض حمور أن تتم المصاهرة والمتاجرة بين البيتين ، كما أبدى ابنه « شكيم » استعداداه لدفع ما يطلبه اخوة « دينة » من مهر وإن غلا ، فقبلوا ولكنهم قالوا انهم لا يستطيعون اعطاءه أختهم وهو « رجل أغلف » . واشترطوا على قومه أن « يختنوا كل ذكر فيهم ، فيصير الشعبان شعبا واحد » .

واستجاب للشرط قوم شكيم وحمور واختنوا كلهم .

ولم يكن ما قاله لاوى وشمعون إلا حيلة ومكرا منهما ، اذ قاما فى اليوم الثالث من اتمام هذا الاتفاق ، وعاجا على جميع الذكور من البيت الآخر فقتلهم كما قتلوا حمور وشكيم ، وأخذوا اختهما « دينة » من بيت شكيم وخرجاً ، واستولى بنو يعقوب على كل ما فى البلاد وعلى الحقول ، وسبوا النساء وأسترقوا الأطفال . لكن ذلك البمل لم يقع موقع الرضا من نفس يعقوب الذى أنكر على ولديه ما فعلا مخافة أن يجتمع عليه « الخصوم وهو زفر قليل ويضربونه فبيد هو وبيته » . فكان ردهما عليه « نظير زانية يفعل بأختنا » .
هذا ما كان من أمر لاوى واخيه شمعون .

وهناك سفر اللاويين الذى يتضمن أسلوب تقديم الذبائح .
وشرح هذا وارد فى الاصحاحات الثلاثة الأولى من سفر اللاويين .

لعازر

لعازر هو الاسم الشائع لاليعازر المعروف فى الغرب باسم القديس لازاروس St. Lazarus الذى قل ان يذكر الا مقربونا باختيه « مرثا » و « مريم » ، وكان ثلاثتهم من أشد الناس اخلاصا للمسيح عليه السلام ، وكان هو يحبهم جميعا ، وكانت « مرثا » أكبر من لعازر ومريم ، وقد وردت الاشارة اليها فى انجيل يوحنا (٢١/١١ - ٢٢) ، ويدل واقع عبارات يوحنا عنها أنها كانت تبجل المسيح وتقدره كل التقدير ، وكان ايمانها به وبرسالته عظيما ، وحدث أنها لما سمعت بوصوله بعد موت أخيها « لعازر » هبت للقاءه وأدركته فى بيت عنا « موطن الأشقاء الثلاثة وقالت له : « ... لو كنت هنا يا سيد لم يمت أخى » ، وكان ذلك القول بعد أربعة ايام من دفن « لعازر » ، ثم طلبت إلى المسيح أن يردهم إلى الحياة .

وعادت « مرثا » الى أختها « مريم » ودعتها سرا لمقابلة المسيح فانطلقت - مدم مسرعة حتى ظننها اليهود الذين كانوا قد جاؤوا يعزونها أنها ماضية الى قبر أخيها نبيكه فتبعوها - . ترى اذا بلغت المسيح « خرت عنده عند رجليه » وقالت له ما قالته أختها « مرثا » من أنه لم يكن هنا ما مات أخوها ، فسألها أين وضعوه فدلته على قبره فجاءه وكان مغارة قد وضع عليه حجر وطلب اليهم رفع الحجر ، فقالت له « مرثا » أنه « أنتن لأن له أربعة أيام » .

ورفعوا الحجر عن قبره فناداه المسيح عليه السلام أن يخرج فخرج « ويده ورجلاه مربوطات بأقمطة ، ووجهه ملفوف بمنديل » ثم طلب المسيح اليهم أن يحلوه من الاقمطة والمنديل فحلوه فقام « لعازر » ومشى امام الجميع فأمن بالمسيح ان ذاك كثير من اليهود وعدوها آية . أما غيرهم من رؤساء الكهنة والفريسيين فقد جمعوا مجمعا للتشاور فيما يصنعون « بهذا الانسان الذى يعمل آيات كثيرة » فراحوا يتآمرون عليه تأمرا دنيئا ، حمل المسيح « ألا يمشى بين اليهود علانية » ، وقد اشار ياقوت فى معجمه (٢ / ٥٨٦ ، ٧٤٢) الى قيام لعازر من الموتى على يد المسيح .

واقامت « مرثا » عشاء لأخيها « لعازر » قبل الفصح بستة أيام (بعد قيامه من الموتى) وكان العشاء فى « بيت عنيا » ، وأخذت « مريم » كأسا من طيب غال ودهنت به قدمى عيسى ، كما مسحت قدميه بشعرها .

وببر اليهود مؤامرة لقتل لعازر .

ووصف انجيل يوحنا (١ / ١١ - ٥٢ ، ١ / ١٢ - ١١) خبر قيام لعازر من بين الموتى وخبر أختيه مريم و « مرثا » .

أما بيت عنيا « المشار اليها هنا فقريبة تقع الى الجنوب الشرقى لجبل الزيتون قرب القدس ، وقد تحول اسمها (بعد قيام لعازر

حيا من قبره) الى « العازارية » ومع ايراد : Op. The Strange
Cit., 405 اسم « العازارية » الا انه فسرهما بكلمة بيثاني / Bethan

هذا وقد تذكر القاموس (ص ٢٠٤ ، ع ٢) ان هناك في
« العازارية » أو بيت عنيا ، قبر العازر لا يزال موجودا الى اليوم
وانه منحوت في الصخر ، واذا رجعنا الى الادريسي في كتابه
نزهة المشتاق الذي ألفه سنة ١١٥٤ م بطلب من روجر الثاني ملك
صقلية ، فانه يقل (ص ٩) ان في الجانب الشرقي من جبل
الزيتون يوجد قبر « العازار » .

مؤاب

تطلق هذه الكلمة في التوراة على شيئين ، فان أريد بها انسان
فمؤاب ابن لوط (التكوين ١٩/٢٧) ، وان أريد بها أرض فناحية واقعة
شرقي البحر الميت ، وقد يقال لها « عربات مؤاب » ، ويقصد بها
أردن أريحا ، وتذكر التوراة ان موسى عليه السلام صعد منها
« فأراه الرب جميع الأرض » كما يقول نفس السفر انه مات هناك
« حسب قول الرب » (انظر سفر التثنية ١/٢٤) .

ولما مات سليمان أصبحت « مؤاب » جزءا من المملكة الشمالية
حسب ما يقول القس جورج خوري راعي الكنيسة الانجيلية
بطرابلس لبنان في الكلمة التي كتبها عنها في القاموس ، ص ٩٢٨ .

ومؤاب حافلة بالآثار القديمة فقد اكتشف فيها حجر مؤاب
منذ أكثر من قرن وهو الحجر الذي اقيم « احتفاء باستقلال مؤاب
عن الاسرائيليين » .



المكابيون

تشير التوراة في أخبار الأيام ٧/٢٤ الى أنه لما اجتمعت فرق بنى هرون خرجت القرعة الأولى « ليهو ياريب » جد المكابيين - فشبت منازعات وحروب بين الأبناء ، حتى انتهى الحكم الى « هيرودوس الكبير » .

وهناك ما يعرف بأسفار المكابيين وهي خمسة ، ذكر القاموس انها تحتوى على تاريخ استقلال اليهود تحت قيادة الأسرة المكابية .

وتتضمن هذه الأسفار - كما يشير القاموس - ذكرا لما كان من عصيان اليهود ثم نجاحهم وقد ضاع الأصل العبراني للسفر الأول ولم يبق سوى ترجمته اليونانية .

أما الأسفار الأربعة التالية فلا تعدو أن تكون « تاريخا » ، ولعل أهمها من الوجهة التاريخية السفر الثالث ، اذ يتعرض لزيارة بطليموس الرابع لأورشليم سنة ٢١٧ ق م . واعتدائه على المعبد ، وما وقع على اليهود في اسكندرية من الاضطهاد .

ويصف القاموس (ص ٩١٢) مادة هذا السفر بأنها « خرافية » .

أما آخر هذه الأسفار فيشتمل على تاريخ اليهود حتى سنة ٨٦ ق قبل الميلاد .

نathan النبي

هو أحد انبياء يهوذا ، وكان كثير النصيح لداود وسليمان بما فيه الخير والصلاح ، نستفيد ذلك مما ورد في هذا المصدد في سري صمويل الثانى والأخبار ١/١٧ - ١٥ .

ولم يكن بين ناثان وداود حجاب حتى انه ليجابهه - فى فعله
 انكرها عليه - مجابهة عنيفة واؤنبه على قتله « أوريا الحثي » الذي
 كان قائدا فى جيش داود ، وتصل داود بزوجة « أوريا »
 مشينا ثم زاد فجعل « أوريا » فى صف من القتال وأقام فيه حتى
 وتم لداود ما اراده ليخلو له الجو مع امرأة « أوريا » ، فاستنكر
 « ناثان » فعلة داود « لأنه قبح فى عين الرب » لاسيما وقد أخذ
 زوجة « أوريا » فولدت له وادا فأماته الرب وأحزن قلب أبيه حتى
 انفطر (راجع صمويل الثانى ، ٢/١١ - ٢٦ ، ٩/١٢ - ١٨) .

وصدق ناثان فيما أئذر به داود ، فقد مات ولده من امرأة
 أوريا فأخذ يعذب نفسه .

وكان داود كثير التعظيم لناثان وانصياعا لأمره حتى لقد
 استمع اليه حين أشار عليه أن ينصب « سليمان » من بعده بدلا
 من ولد آخر له اسمه « أدونيا » (بفتح الهمزة أوله وضم الدال
 وكسر النون وتشديد الياء المفتوحة بعدما الف) ، وفعل داود
 ما أشار به ناثان عليه ومسح « صادوق » الكاهن سليمان « ملكا فى
 جيحون وهو نبع فى اورشليم » ، وقد وردت هذه الاخبار بالتفصيل
 فى الاصحاح الأول من الملوك الأول ، ٢٢ - ٤٠ .

نايين

يشير وليم الصورى الى قرية صغيرة يسميها « ناين » تقع
 فى الجليل على مشارف القسم الجنوبى الشرقى من الناصرة .

وترجع الأهمية التى تتمتع بها هذه القرية الى تلك المساحة
 الكبيرة الدينية من المعجزات التى تمت على يد السيد المسيح حين
 كان حاضيا فى طريقه فلما قارب باب « ناين » رأى أناسا يشيعون

ابن أرملة وهي تذرف الدمع السخين عليه فقد كان وحيدها في هذه الدنيا ، فعطف المسيح عليها ونهاها عن البكاء ، ثم أمر المشيعين أن ينزلوا النعش على الأرض ففعلوا ، ثم تقدم هو ومسه وقال : أيها الشباب أقول : « قم » ، فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه ، فأخذ الجميع خوف ومجدوا أنه قائلين قد قام فينا نبي عظيم ، (انظر لمرقا ١١/٧ - ٢٣) .

ومن ثم ذهب قرية نابين منذ تلك اللحظة بالأهمية والقداسة عند المسيحيين .

وادي هنوم

وادي هنوم (بكسر الهاء وتشديد النون المضمومة) واد يحيط بالقدس من الجنوب والغرب ، وقد يقال له وادي « ابن هنوم » كما جاء في يشوع : ١٨/١٥ ، أو « بنى هنوم » حسبما ورد في الملوك الثاني : ١٠/٢٣ ، ويعدده اليهود كما قال القاموس موضوعا نجسا ، ويعلق نفس المصدر على ذلك بأن اشتقت من « هنوم » كلمة جهنم ، مسترشدا في ذلك ببعض عبارات قال أنها واردة في أنجيل متى . لكننا لم نجد الكلمة صريحة في المواضع التي أشار إليها القاموس . ويربط لي سترانج

Le-Strange : Palestine Under The Moslems, PP. 218 — 220.

بين هذا الوادي وبين وادي قدرون معتمدا في ذلك على بعض الكتاب المسلمين أمثال المقدسي وياقوت وناصرى خسرو .

يؤاب بن صروية

كان يؤاب أحد ثلاثة أبناء للمرأة «صروية» (بفتح الصاد وضم الراء بعدها واو وفتح الياء المثناة من تحت وآخرها تاء مربوطة) ،

وهى أخت داود . وكان « يُوَاب » مقداما متطلعا لزعامة والعظمة ، فقد جاء فى أخبار الأيام الأول ١١/٤ - ٩ ، أن داود قال : « **إِنَّ الَّذِي يَضْرِبُ الْيُوسُيِينَ أَوَّلًا يَكُونُ رَأْسًا وَقَائِدًا** » ، فقدم يُوَاب الجميع « **فَصَارَ رَأْسًا** » ، وأسدى بذلك يدا الى داود الذى أقام فى **الْجَبَلِ** وسموه « **مَدِينَةُ دَاوُد** » .

ومع طاعة يُوَاب لخاله داود الا أنه قتل ثالث أولاد وهو « **أَبِشَالُوم** » (بفتح الهمزة أوله وسكون الباء) الذى استطاع بلباقة وذكائه وحسن منظره ولطف حديثه أن يستحوذ على قلب أبيه وشعب اورشليم ، ثم تأمر على أبيه وأثار عليه جميع اسباط اسرائيل وجند الجند لقتال أبيه وكان يُوَاب فى جيشه ولكنه فر من جيشه كراهية منه فى أن يقاتل خاله . وخرج يُوَاب لمحاربة أبشالوم فاوصاه داود - على مسمع من كل الشعب - أن يترفق بالفتى أبشالوم « **ولكنه تناسى الوصية عن عمد ان كان « أبشالوم قد دخل بالبغل الذى يركبه تحت أكمة فتعلق رأسه « بها فعلق بين السماء والأرض ، ومز البغل الذى تحته « أى انطلق وتركه مدلى فجاء الى يُوَاب واحد من خدمه فأمره يُوَاب ان يقتله فأحجم العبد ان ما كان له أن يمد يده بالسوء الى « أبشالوم » ابن موله بعد أن سمع وصية داود فيه فما كان من « يُوَاب » الا أن أنشب ثلاثة سهام فى قلب أبشالوم وهو لا يزال حيا معلقا فى الأغصان الكثيفة الملتفة ، وساعده فى قتله ثلاثة من الغلمان ، فلما سمع أبوه نبأ مصرعه انزعج أشد الانزعاج وبكى وراح يصيح « **يَا ابْنِي أَبِشَالُوم** » باليتنى مت عوضك ! » .**

وكان يُوَاب طماعا ارتكب كثيرا من الشنائع التى اغضبت داود منه ، بل انه تأمر على داود وقد طعن فى السن فلم تنجح مؤامرته مما حمل داود على ان يطلب من ابنه سليمان أن يقتله

فهرب « يؤاب » فلم ينفعه هربه وقتل فى الهيكل « ورد الرب دمه
على رأسه » • الملوك الأول ٣٢/٣ •

يشوع بن نون

يشوع « كلمة عبرية يفسرها كتاب العهدين بأنها تعنى « يهوه »
أى « الرب مخلص » ، (ويهوه بفتح الياء والواو بينها هاء ساكنة
وآخرها هاء) من أسماء الله فى العبرية •

وأول ما نرى هذا الاسم فى سفر الخروج الذى نطالع فيه أن
موسى سأل الله - حين أرسله لبني اسرائيل - ماذا هو قائل لهم ،
فأمره أن يقول لهم : « يهوه » اله آبائكم : اله ابراهيم واله اسحق
واله يعقوب أرسلنى اليكم •

هذا فيها يتعلق بكلمة « يهوه » •

ويقول مفسرو العهد القديم ان أصل « يشوع » هو « هوشع »
وأنه ابن نون (العدد ١٣/٨) ، وأنه ولد بمصر وصار خليفة لموسى
وكان قد عمل خادما عنده فعينه موسى لقيادة بني اسرائيل حين
خرج « عماليق » لقتالهم ، وأمر موسى « يشوع » أن ينتخب له
رجالا ينهض بهم لمحاربة « عماليق » • انظر سفر الخروج ١٧/٩ •

وتروى الاخبار أن الشمس وقفت انصياعا لأمره ، ويشير الى
ذلك شاعر مصر أحمد شوقى ان يقول :

قفى يا أخت يوشع خبرينا
أحاديث القرون الغابرينا

ويقول المقاموس (ص ١٠٧٠) عن سفر يشوع أنه كان مجهولا
وأنه نسب لأشخاص كثيرين •

كما ورد فى القاموس ايضا ثبت بمن سمرا فى العهد القديم
بيسوع ، كما تضمن بحثا مطولا عن سفره فليرجع اليه من قِبل
الاستزادة عن هذه الناحية .

يوحنا المعمدان

يوحنا المعمدان هو عند المسلمين « يحيى » ، وأبوه « زكريا »
الذى دعا ربه أن يهب له من لدنه غلاما وليا فجاءته البشـرى يحيى
الذى لم يجعل الله له من قبل سميا ، وكان مصدقا بكلمة من الله
وسيدا وحصورا ، ، فهكذا كان نعته فى القرآن الكريم الذى اكرمه
فذكره بكل خير فى كثير من المواضع .

وكان يحيى أو يوحنا من « البررة الأطهار » كما يصفه لوقا
فى انجيله ١٥/١ - ١٦ . وقد بشر جبريل عليه السلام أباه زكريا
به وهو فى الهيكل وأنباه أنه سيكون « عظيما أمام الرب ...
وخمرا ومسكرا لايشرب ... ويرد كثيرين من بنى اسرائيل الى
الرب الالههم » . فتعجب زكريا أن ينجب وهو شيخ وامراته عاقر .
واشار كتاب الله الى ذلك فى قوله تعالى « قال رب أنى يكون لى غلام
وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء » (آل
عمران ٤٠/٣) .

ولم يكن عجب زوجته أقل من عجبه فهى « متقدمة فى أيامها »

وتصف الرواية المسيحية هذا الموقف إذ قال جبريل عليه السلام
لزكريا « أرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا ... وها أنت تكون صامتا الى
اليوم الذى يكون فيه هذا الميلاد » . فلما خرج زكريا لازم الصمت
ففهم الناس أنه قد رأى رؤيا واقتصر كلامه على الايماء ..

ويقول الله عز من قائل (يا زكريا أنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا - قال رب أنى يكون لى غلام وكانت لمرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا - قال كذلك قال ربك هو على بين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا - قال رب اجعل لى آية قال إيتك إلا تكلم الناس ثلاث ليال سويا - فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) - صدق الله العظيم . (مريم ١٩/٧ - ١١) .

وتمت آية الله جل من قادر ، وصدقت النبىرى ، فأنجبت امرأة زكريا ولدتهما « يحيى » المعروف فى المسيحية باسم « يوحنا » الذى قال فيه كتاب الله (يا يحيى خذ الكتاب بقوة واتيناه الحكيم صبيا - وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا - وبرأ بوالديه ولم يكن جبارا عصيا - وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ، - (مريم ١٩/١١ - ١٥) .

وكان مولد يحيى بن زكريا قبل المسيح بستة أشهر ، واعتزت به المسيحية - اعتزاز الاسلام به أيضا .

ولد يحيى أو يوحنا المعمدان - « وقد امتلأ من الروح القدس ، وبشر بظهور المسيح الذى وصفه بأجل الأوصاف ، اذ جاء فى انجيل متى ١١/١١ ، الحق الحق أقول لكم : لم يقم بين المولود من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » .

كذلك جاء فى كتاب الله ان الله أمر زكريا ألا يكلم الناس ثلاثة أيام الا « رمزا » .

وتذكر الرواية المسيحية أن « يوحنا المعمدان » هذا هو الشخص الذى كان اليهود ينتظرون قدومه « قدام المسيح وسموه ايليا » وقال عنه المسيح لتلاميذه « انه جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما ارادوا » .

ومع أن المسيح - حسب هذه الرواية - لم يصرح لهم باسمه إلا أن تلاميذه فهموا أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان «
(انظر متى ١٧/٩ - ١٣) .

كان يوحنا المعمدان - أو يحيى بن زكريا - قوى التغلب على شهوات البدن ، وراح يبشر بالمسيح قائلا : « هذا هو الذي قلت عنه : ان الذي يأتي بعدى صار قدامى لأنه كان قبلى » (يوحنا ١٥/١) .

ولما رأى اليهود من آيات يحيى ما رواوا سألوه من يكون ، وبعد حوار طويل قال لهم : « أنا صوت صارخ فى البرية » فكان هذا دليلا على شدة تواضعه .

وكان يوحنا المعمدان « يعمد » فأنكر اليهود عليه ما يفعل اذ ليس هو « المسيح ولا ايليا » فرد عليهم « بأنه يعمد بالماء فى نهر الأردن » . وأما المسيح فيعمد بالروح القدس ونار » . ثم أشار الى أنه فى وسطهم » . ووصف موقعه هو ذاته من المسيح بأنه « ليس بمستحق أن يحل سيور حذائه » .

ولم يكن يوحنا المعمدان يكف عن مجابهة الآثم باثمه ولم يرهبه أن يواجه « هيرودوس » الطاغية وهو فى قمة جبروته ، وندد بفجوره مع « هيروديا » امرأة أخيه « فيلبس » ، وكان بين المؤمن يحيى والفاجر هيرودوس من أجل ذلك مواجهة عنيفة أثارَت الطاغية فزعج به فى الحبس ، وكان يتمنى لو قتله ولكنه كان يخشى ثورة الناس، ان هو قتله . (انظر لوقا ٣/١٩ - ٢٠) .

راستشهد يوحنا المعمدان على يد « هيرودوس » بتحريض خفى من امرأة أخيه « هيروديا » نقلته اليه ابنتها « سالومي » .

وبالاحظ ان الانجيل حين عرض لاساة يوحنا التي انتهت بقطعه
لم يصرح باسم « سالومة » ولكننا نستطيع الجزم من ملازمات
الرواية التي ساقها متى في انجيله من ان سالومة ابنة
هيروديا رقصت فسرت هيردوس ، فوعده بقسم منه انها مهما طلبت
يعطيها ، « فهي اذ كانت قد تلقنت من امها قالت اعطني ها هنا على
طبق رأس يوحنا المعمدان ٠٠٠ فارسل وقطع رأسه في السجن
فأحضر ودفع به الى المصيبة فجاءت به الى امها » .

ونستفيد من الاصحاح الخامس عشر من أعمال الرسل ان
يوحنا المعمدان كان من عمد الكنيسة في القدس حين جرى الشقاق
الكبير في الرأي بين الناس حول أمور خاصة كالختان وغيره .

واذا تتبعنا تاريخ يوحنا المعمدان كما جاء في العهد الجديد
نجد انه ذهب الى « افسس » والى سميرنا (زمير) وبرجامس وبقية
كنائس اسيا الصغرى السبع ، ووردت أخبار ذلك كله بالتفصيل
في رؤيا يوحنا اللاهوتي ١/٩ - ٤٠ .

يهوذا التقى

اذا جرت على اللسان كلمة « يهوذا » انصرف الذهن الى
شيئين ، اما أحدهما فتشخص ، وأما ثانيهما فموضع بفلسطين .

فأما الشخص فتطلق على اثنين أحدهما كان عفا تقياً وهو
أخو يوسف عليه السلام وأما الآخر فسمى له يعرف في التاريخ باسم
يهوذا « الخائن » وأكثر ما يسمى بيهوذا « الأسخريوطى » .

وستتكلم عن أولهما في هذه الأسطر فنقول انه واحد من
أربعة أبناء كانوا ليعقوب من امرأته « لينة » ، ويورد سفر التكوين

(٢٩/٢٥) من خبر « ليئة هذه انها كانت مكروهة » فعطف عليها
الرب فولدت أربعة أولاد كان خرمم يهوذا . . . ثم توقفت .
الولادة » .

وكان « يوسف » اثيرا عند أبيه يعقوب يقدمه على اخوته جميعا
بصورة أحنتهم عليه ، وكادوا له غدبروا أن يقتلوه أو يطرحوه
أرضا ، ولم يشذ عنهم في تدبيرهم ومكرهم السيء إلا أخوه وأخوه
« يهوذا » ، ولكنه كان أعجز عن مقاومتهم فاختر أخف الأضرار .
وقال لهم كما جاء في القرآن الكريم (لاتقتلوا يوسف وألقوه في
غيابة الحب يلتقطه بعض السيارة » ، وقالت التوراة في ذلك
أنه عرض عليهم ذلك « حتى لا تكون أيديهم عليه لأنه أخوهم وإحيم
(راجع سفر التكوين ٢٦/٢٧) .

ونفذوا مؤامراتهم ولكن الله أنجاه . وقد أشار القرآن الكريم
الى ذلك في قوله تعالى (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى
بالوه قال يا بشرى هذا غلام وأسبروه بضاعة والله عليم بما يعملون)
ويمكن مراجعة هذه القصة مفصلة في سورة يوسف بالكتاب
الكريم ١٢/٩ - ١٥ .

لقد مر به وهو في الحب بعضهم فشروه بثمن بخس دراهم
معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ، وتسمى التوراة هؤلاء الذين
اشتروه وحملوه الى مصر بالاسماعيليين ، أي العرب من نسل
اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، ونريد انهم اشتروه بعشرين
من الفضة .

ولقد مكن الله ليهوذا واساطه الذين كانوا من أظهر الأسباب .
ربلغ يهوذا من القوة والباس الحربي ما وردت الإشارة اليه في
الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين (٨ - ١٢) وذلك حين

جس يعقوب اولاده ليحذرهم عما هم ملاقوه من بعده ، وشرح لهم جرم كل واحد منهم ، فلما جاء ابي « يهوذا » قال ان اخوته سوف « يحمدونه وان يده على قفا اعدائه ، وانه يسجد له بنو ابيه » (راجع سفر التكوين ٤٩/٨ - ٩) ، ووصفه نفس السفر بقوله « يهوذا جرد اسد » .

ويرد في سفر القضاة: (١٨/٢٠) أن رجال اسرائيل لما اجتمعوا وسألوا من يكون منهم أول الصاعدين الى بيت « ايسل » قال الرب : يهوذا أولا .

ونستفيد من تاريخه أن الرب كان راضيا عنه بدليل كثرة مارزقه من الأسباط ، وتقديمه أسباطه على غيرهم (انظر سفر العدد ٤/٢ ، ٢٢/٢٦) .

اما الأرض التي يطلق عليها ارض يهوذا « فلم تكن كلها لهم ، اذ كانت مدن الساحل في أيدي الفلسطينيين ، وقد ورد تحديدها الديني الدقيق - حسب النص اليهودي - في الاصحاح الخامس عشر من سفر يشوع .

يهوذا الأسخريوطي

هو يهوذا بن سمعان كان أحد تلاميذ المسيح عليه السلام ومن بين رسله الاثنى عشر الذين اصطفاهم لنشر دعوته والتبشير بالنصرانية ، وكان يهوذا الأسخريوطي رجلا غدارا مطبوعا على الشر والطمع ، قد تغلغل الخيانة والغدر في حناياه ، وسرتا مسير السماء في عروقه وكانت طبيعة ركبت فيه ، وهو لا يتورع عن مجازاة الحسنه بالحسنه ان رأى في سلوكه هذا السبيل نفعا لذاته حتى ولو كان هذا النفع مضموما .

وكان المسيح يعرف فيه دناءته وأدركها ولكن لم يصرح بها
لأشار إليها رمزا ذات مرة ، نستفيد ذلك من قوله لتلاميذه ذات
يوم ويهوذا بن سمعان هذا حاضرهم :

« الحق الحق أقول لكم • إن واحدا سيسلمنى » ففجئنا
تلاميذه من ذلك القول تنفرج عنه شفتاه وراحوا يتبادلون النظرات
فيما بينهم « وهم محذرون من يعنيه يسوع بهذا القول ، فسأله
أحدهم من يكون هذا الشخص منهم ، فأجابه « هو ذلك الذى اغمس
أنا اللقمة وأعطيه ، فغمس اللقمة وأعطى لها ليهوذا سمعان
الأسخريوطى ، فبعد اللقمة دخله الشيطان » • راجع فى ذلك يوحنا
١٥/١٢ - ٢٧) •

وكان المسيح قد جعل الصندوق مع يهوذا بن سمعان
الأسخريوطى (يوحنا ٢٩/١٣) فلم يزد ذلك إلا فجورا كشف عن
سفاهته التى تمثلت فى عدم تورعه عن سرقة ما فى الصندوق
« فكان يحمل ما يلقى فيه » • (يوحنا ٦/١٢) •

ومما يدل على لؤم طبيعته مرقفه من مريم اخت لعازر يوم
أقامت لختها مريثا عشاء فى بيت عنيا حضره يسوع بمناسبة
أقامته لعازر من الأموات ، إذ عمدت مريم يومذاك فأخذت منا من
طيب « ناردين » كثير الثمن ودهنت قدمى المسيح يسوع ، ومسحت
قدميه بشعرها فامتلا البيت من رائحة الطيب • • فقال يهوذا بن
سمعان الأسخريوطى المزمع أن يسلمه : لماذا أم بيع هذا الطيب
بثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء ؟ « ، وكان فى ظاهر قوله الرحمة
وفى حقيقته الجشع إذ كان يتمنى لو بيع الطيب ووضعوا ثمنه
فى الصندوق فيسرق منه ما شاء •

وقد نعته المسيح - وإن لم يسمه ويصرح باسمه - بالشيطان حين قال لتلاميذه « اليس أنا اخترتكم الاثنى عشر ، وواحد منكم شيطان ؟ » ويعقب يوحنا على ذلك بقوله « قال يسوع هذا عن يهوذا سمعان الأسخريوطى لأن هذا كان مزمعا أن يسلمه وهو واحد من الاثنى عشر » (راجع يوحنا / ٧٠ - ٧١) .

وقد انتهت حياة يهوذا الأسخريوطى أسوأ نهاية ، إذ يشير متى الى ما كان من ندمه على ما فعل بيسوع وتسليمه لرؤساء الكهنة وشيوخ الشعب حين ، « رد الثلاثين من الفضة اليهم قائلا : قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا » فلم يكثرث من لاء الرؤساء بما قال ، فأدرك أنه خسر هؤلاء وهؤلاء ، فقدم على نفسه ، ومن ثم عمد الى « طرح الفضة في الهيكل وانصرف ، ثم مضى وخنق نفسه » (متى ١/٢٧ - ٥) .

على هذه الصورة الزرية كانت نهاية هذا الشرير الفاجر وهي نهاية يستحقها .

يهوشافاط

يتردد هذا الاسم كثيرا في بعض الأسفار والكتب القديمة ، والكلمة عبرية ، ومعناها كما يقول العالمون بتلك اللغة « هكذا قضى الرب » .

وقد أطلقت في التاريخ على رجل من الرجال ، كما أنها أطلقت في القديم على بقعة من الأرض في فلسطين . فأما الشخص الذي تسمى بها - بعد انقسام مملكة سليمان - فواحد من ملوك يهوذا ترجع اوليات حكمه الى أخريات القرن التاسع قبل الميلاد ، وقد تميز

« بالحكمة والعقل وحسن الادارة حتى كأن الرب معه لأنه سار في طريق داود » . وقد عند سفر أخبار الأيام الثاني ، ١٢/١٧ - ١٩ من كان يستعين بهم « يهوشافاط » في حكمه ، وما فيهم الا كل بار في عمله بمقهوم براعة ذلك الوقت وقيمه .

لكننا اننا نستفيد مما ذكره نفس المصدر (١٩/٥ - ١١) ان كان عادلا ، لأنه ليس « عند الرب ظلم ولا محاباة ولا ارتشاء » ، ولم يكن هو يقصر من جانبه في نصيح من استعمله ، فالرب « مع الصالح » .

على هذه الصورة الكريمة يبدو لنا يهوشافاط ، في العدل وحسن الادارة والاهتمام باحقاق الحق ورد الظلم عن المظلوم ، لكن خلفه ولد له لم يكن على شاكلته كما يقرر ذلك سفر الملوك الاول ٢٢/٥٠ ، وهذا الولد هو الذي يسمونه في الكتب القديمة باسم « يهودام » .

هذا فيما يتعلق بلفظ « يهوشافاط » اذا قصد به الشخص .

اما الأرض فهناك وادي « يهوشافاط » الذي يعرفه القاموس هو « وادي قدرون » الواقع شرقي اورشليم ، وهو بقعة يجلبها أهل الأديان السماوية الثلاثة .

وقد ورد التعريف بوادي قدرون في القاموس (ص ٧١٦ ، - ٧١٧) بأنه يعرف الآن بوادي ست مريم الذي يمتد من شمال غربي اورشليم ويتجه جنوبا مشرقا حتى ينحدر الى ما يعرف بوادي الراهب فبحر لوط ، وهنا يسمى بوادي النار .

ويشير نفس القاموس (نفس الموضع) الى أن يوسيبوس هو القائل بأن وادي قدرون هو وادي يهوشافاط .

يوئيل

« يوئيل » لفظ عبري معناه « يهوه هو الله » - وهذا هو تفسير تلك الكلمة كما جاء فى القاموس (ص ١١٠٢) ، وهذا الاسم كثير الورد فى غير واحد من أسفار العهد القديم ، وهو يطلق فى كل مرة على شخص معين . ويهمنى فى هذا المجال أن نقول إننا نستفيد من أخبار الأيام الأول (٧/١٥ ، ١١) أنه لما أراد داود حمل التابوت الى الخيمة التى أعدها له أمر ألا يحمله الا « اللويون » انصياعا « لأمر الرب » فكان « يوئيل » واحداً ممن جمعهم من بنى « جرشوم » (وهى بفتح الجيم وسكون الراء وضم الشين) . وهكذا عرفنا مكانة « يوئيل » وأنه كان من رجال لهم الصدارة فى جليل الأمور .

كما نستدل من نفس السفر ، لكن فى موضع آخر (١١/١٥) أنه كان وجيهاً فى جماعته ، رأساً فيهم ، وذلك حين يرد وصف داود ليوئيل بأنه كان « رأساً من رؤوس أبناء اللويين » .

وهنا يحق لنا أن نتساءل - ونحن فى مجال التعريف بهذا الاسم - هل تراه هو نفس « يوئيل » الذى أشارت اليه الأخبار الأول (٨/٢٣) بأنه كان أحد ثلاثة من رؤوس بنى لعوان « حيث تطالع أنه كان فى خدمة داود ؟

أما السفر الذى يحمل اسمه فقد ذكر القاموس عنه أنه لا يعرف شيئاً عن كاتبه سوى أنه من اقليم يهوذا .



كشاف عام

للأجزاء الأربعة من كتاب

الحروب الصليبية

لأوليم الصوري

الآب ثيوبولد (Theobald) : ١٣٧/٤

• ٤٥/١

الآباء اليسوعيون : ٣١/١

أبجار (Abgar الملك) : ٢٥٨/١ ، ٢٤٠/٣

• أبديموس بن أبديمون : ١٦/٣ ، ١٧

• إبراهيم الناصري : ٢٣١/٤

إبراهيم (الخليل عليه السلام) : ٢٠٩/٢ ، ٢٤٨ ، ١٣٢/٣

• ١٥٣ ، ٩٨/٤ ، ٣٥٣ ، ٣٩٣

• إبراهيم بن طرغت : ٢١٩/٣

• أبرشية أورليان : ١١٧/٤

• أبرشية طرسوس : ١٥٥/٤

• إبروس Epirus انظر إبيروس

• الإبريز : ١١٣/٤ ، ١١٨ ، ٢٤١

ابريمار (Ebremar) : ٢/١٩١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤ ،

٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٨٢ .

ابسالوم (Ebsalom اسقف عسقلان) : ٢/٢٧١ .

ابليس : ٤/٣٥٦ .

ابليس بسوس ٣/٤٠٣ .

ابسالوم بن داود

ابلين : ٢/١٦٤ ، ٢٧١ .

ابولو (Apollo) : ١/٢٧٣ - ٢٧٥ ، ٤/٣٥١

ابولونيا (موضع) : ٤/٣٥١ .

ابو لونيوس (Apollonius) : ٢/١٦ ، ٤/٣٥١

ابوليا (Apulia) : ١/٩٣ ، ٩٦ ، ١١٠ ، ١٥٤ ،

١٧٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٣٧٦ ، ٢/١٧١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ،

٢٧١ ، ٢٤٠ ، ٣٥٢ ، ٣/٥٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ٣٩٢ ،

٢٩٧ ، ٤/١١٧ ، ٢٠٥ ، ٢٣٦ .

ابيبالو : (والد حيرام) ٣/١٧ .

ابيجايل (زوجة نابال الغبي) : ٤/١٦٧ ، ٣٥١ - ٣٥٣ .

ابيدوس : ١/١٥٨ ، ٤/١٦٦ .

ابيروس (Epirus) : ١/١٥٢ ، ١٨١ ، ٢/٢٧٠ .

ابيمالك : ٤/٤٥٣ ، ٤٥٤

• اتارد (اسقف الناصرة) : ٤٥٧/٣

• اتاليا (= اتالية ، اداليا) : ٣٥٤/٤ ، ٣٥٤/٥

• اتاليس يلا دلفوس : ٣٥٤/٤

• الأتراك (= الترك ، والترکمان) : ٧٦/١ ، ٧٩ ، ٢١٨ ،

٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣ ،

٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٣ ،

٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٥٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ،

٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٢ ، ٤١٧ ،

٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٢٨/٢ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٦١ ،

١٦٢ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٩ ، ٢٥٠ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٢١ ، ٣٦٦ ،

٣٣/٣ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٩٩ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ،

٢٧٧ ، ٢٨٤ ، ٣٤٠ ، ٤٠٣ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، ٤٢٦ ،

• اترانتو (Otranto) : ٣٩٣/٣ ، ٩٩/٤

• اتريب : ١٦٣/٤

• اتیکا : ٢٧٤/١

• اثناسيوس الرابع (Athanasius IV) : ٣٨١/٣ ،

٦٩/٤

• اثينا : ٣٦١/٤

• الاثيوبيون : ٥٩/٤

• اجانيب : ٢٧٥/١

• اجزوتيس : ١٥٨/١

- أجنتيوس : ١٠٥/٣
- أجانيب : ٣٥٤/٤
- أجنس (بنت لويس السابع) : ٢٥٨/٤ ، ٢٣٩
- أجنس بنت أخى وليم بيورى : ١٢٦/٣
- أجنس (زوجة رينو الصيداوى) : ١٩٦/٤
- أجنس (بنت جوسلين ومطلقة عمورى) : ٩٥/٣ ، ٤٤٢ ، ٢٢/٤ - ٥٦ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ١٧٣
- أجنس (رئيسة دير نساء القدس) : ٣٩١/٣
- أجونيم : ٦١/٤
- أجينور (الملك) : ١٤/٣
- أحمد شوقى : ٣٩٣/٤
- أحمد بن طولون : ٨٧/٤
- أحيرام (انظر حيرام) ٢٨٢
- أخائية : ٣٦٧/٤
- الأخشاب : ١٢٥/٤
- أخيمالك الكاهن : ٨٠/٢ ، ١٥٠/٣ ، ٣٥٥/٤ ، ٣٥٦
- أدنة : ١٥٥/١ ، ١٦٤ ، ٢٧٠/٣ ، ١٤٨/٤
- الأديسى : ٤٧/٢ ، ١٥١/٣ ، ٨٧/٤ ، ٣٨٨/٤
- إديدا (Adelaida كونتيسة صسقلية) : ٢٥٦/٢
- ٢٩٤ ، ٣٠٣ - ٣٠٥ ، ٣٣٢ ، ٣٤٢

آدم (Adam) أسقف بانياس : ٣٠٧/٣ .

آدم (أسقف ركا) : ١٨٤/٣ .

أدنة : ٩٦/١ ، ٢٣٩ ، ٢١/٢ ، ١٣٥/٣ ، ١٥١ ، ٤٢٩ .

أدوارد بوكوك : ٣١/١ .

أدوم (أو ايدوميا Idomia) : ٢١/٣ ، ١٢٢/٤ .

١٥٣ ، ١٦٥ .

أدونيا بن سليمان : ٣٩٠/٤ .

أديلة Adele زوجة ستيفن دي بلوا .

أديمار دي مونتيل أسقف بوي (Adhemar de
monteil du puy) (Montei du Puy)

١٠٧/١ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٤٢ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ،

٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٢٦ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠٠ ، ٣٧٧ ، ٣٩٥ ،

٤٩٦ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ١١/٢ ، ١٩ ، ٧٨ ، ١٣١ ،

١٤٥ .

أذرعاع (= أذرع اذرعى) : ٢٥٠/٣ ، ١٦٥/٤ ، ٢٦٧ .

٣٦٨ .

الأرائقة : ٣٤٦/٣ .

أرادوس (Arados) : ٤٥/٢ ، ٤٨ ، ٢٥٦/٤ .

أراديون بن كنعان : ٢٥٦/٤ .

أريد : ١٥٣/٣ .

أرتا اجزرسيس : ٩٣/٢ .

ارتاج (Artasium) : ٢٥٠/١ ، ٢٦٦ - ٢٦٨ ، ٤٢٠ ،

٢٦١/٢ ، ٣٤٩ ، ٣٥٣ ، ٢١٢/٤

٢٥٤

ارتوريا : ٢٠/٣

الأرثوذكس : ٢٢/١

الأرجوان : ١٦/٣ ، ٣٥٦/٤ ، ٣٥٧ ، ٣٦٤

أرخوس : ٤٥/٢

أردار (Arda) بنت توروس الأرمني وزوجة بلديون الأول :

٣٢٤/٢

الأردن : ٨٠/٢ ، ٨١ ، ١٤٩ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ٢١١ ، ٢٨٢

٥١/٣ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٣٤٧ ، ١٥٤/٤ ، ١٩٣ ، ٢٢٧ ، ٢٨٣

٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٢٦ ، ٣٦٧/٤

أردن أريحا : ٣٨٨/٤

أردولافو (الدوج البندقى) : ٣٨٠/٢

أرسطوطاليس : ١٨٧/٤

أرسكونياس (Arsequinus) وقد يقال له (Ascellin)

مستشار ملك صقلية : ٣٩٥/٣

أرسوف (Antipiatris) : ١٤١/٢ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩١

٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢٣٤ - ٢٣٦ ، ١٢١/٣ ، ١٥٢

أرشارد الأسقف (Archard) : ٢٨٥/٢ ، ٢٨٧

أرض الجليل : ٣٧٥/٤

أرض كنعان : ٣٨٥/٤

- أرض العرب (وانظر أيضا بلاد العرب) : ٧٩/١ ، ٢١١/٢
- أرض مؤاب : ٣٨٨/٤
- أرض الميعاد : ٤٠/٤
- أرض يهوذا : ٣٩٧/٤
- أرض يهوشافاط : ٤٠٢/٤
- أركاديا (Arcadia) : ١٥٣/١
- أربليس (Arlis) : ٢٦٥/٢ ، ٢٨٥ - ٢٨٧
- أرمبيرج بنت هلى : ٩١/٣
- أرملة نور الدين : ١٦٠/٤
- الأرمن : ٣٢/١ ، ٢٣٦ ، ٢٦٦ ، ٢٠٢ ، ٣١٤ ، ٣٥٩
- ١٩٤/٢ ، ٢٧٤ ، ٣٣٣ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٤٣٩/٣
- ٢٦٨ ، ٣١/٤
- أرميا : ٨٣/٤
- أرمينيا الصغرى : ٢٧٢/٢ ، ٣٢٧/٤
- أرمينيا الكبرى : ٢٧٣/٣ ، ٤٥٧
- أرنات (Reynauld de Chatillon) : ٢٩/١ ، ٣٥١/٣
- ٤٣٩ ، ٤٣١ - ٤٢٩ ، ٤٢٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠١ ، ٣٨٠ ، ٣٧٩ ، ٣٥٩
- ٤٤٠ ، ٨١/٤ ، ٨٢ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٦٦ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣٢٤
- ٣٢٩ - ٣٢٧
- أرنان اليبوسى (وهو أيضا أرونة ، انظر الملحق ٨٦/٢
- ٣٥٨ ، ٣٥٧ ، ٢٤٦/٤ ، ٨٧
- أرنولد (Aronld) : ٢٨٤/٢
- أرنولد (دى) توبرج (رئيس فرسان الهيكل) : ٢٦٦/٤
- أرنولف (من قتل باشر) : ٧٥/٤

• ٢٠٦/٣ : Arnulf de Lesieux (اسقف ليزيبه)

• ٥٥/٢ : (صاحب الحربة المقدسة)

• ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٣٩/٢ : (الأسقف)

• ٢٦٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٠٧ ، ١٩٦ ، ١٧٢

• ٢١٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٦٧

• ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٠٥/٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٢ ، ٣٣٩ ، ٣٣٨ ، ٣٢٢

• ١٩٤ - ١٩٢ ، ١٩٠

• ١٠٥/٣ (de Calabria) أرنولف الكلابري

• ٢٥٦/٤ ، ٤٨ ، ٤٧/٢ : (رودس)

• (انظر ارثان)

• ١٧١/٢ (Ariano) اريانو

• ٢١٣ ، ١٧٢/٣ ، ٢٩٤ ، ٩٣ ، ٨١/٢ (Jericho) اريحا

• ٣٦٥/٤ ، ٣٤٧ ، ٢٢٣

• ٩٩/١ (Arius) آريوس

• ٣٤٣ ، ٢٦٣/٢ : (= أسدود . أشدود . يزدود)

• ٢٢١ ، ٢٠٩/٣

• ٢٨٠/٣ (Symerna) أزميز

• ٢١٧/٣ ، ٣٦/١ : أسامة بن منقذ

• ١٣٩/٤ : الاسبان

• ٢٦٩/٤ ، ٣٣٣ ، ٢٥ ، ٢٠/١ : اسبانيا

• ١٥٣ ، ١٣٢ ، ١٠٣/٣ : (Hospitallers) الاسبتارية

- ٢٨٦ - ٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٥ ، ٤٥٤ ، ١٠٣/٤ ، ٢٠٠
 • ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٤٤ ، ٢١٤ ، ٢١١ ، ٢٠٠
- اسبوطه : ١٥٩/١
- استاس (أو يوستاس Eustace كونت بولونيا والد
 بودفروي) ١٥١/٢ ، ١٥٢ ، ١٥٥
- استاس بن استاس (كونت بولونيا) : ٩/١ ، ١٠٩ ، ١٤٢ ، ١٨١ ، ٢٠٦ ، ٢٨٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٨ ، ١٢٠/٢ ، ١٩١
 • ١١٨/٣ ، ٣٣١
- استاس جرنيه (Grenier) ٢٨٧/٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٤ ، ١٩٠/٤
- استاس شوليه (Cholet) ٦٣/٤
- استاس الصغير ١١٨/٣
- استريا : ١٧٧/١
- استور : ٢٥/٣
- استيفانوس : ٣٥٨/٤ ، ٣٥٩
- الاسنيلاء على دمياط (كتاب) : ٤٢/١
- اسحق بن ابراهيم : ٣٥٣/٤ ، ٣٥٤ ، ٣٩٣
- اسحق كوزين : ٧٩/٣
- اسحق بن يوحنا : ٢٠٦/٣ - ٢٠٨
- اسدود (= اشدود = ازود) : ٣٥٩/٤ ، ٣٦٠
- الاسرائيليات : ٨٧/٤
- اسرائيل : ٣٣٧/٤
- الاسرائيليون : ٣٨٨/٤

- الاسطبلات : ٤١٩/١
- الاسففسلار : ٨٠/٣ ، ٨٢
- اسقف ارتاح : ١١٥/٣
- اسقف ارواد : ١١٥/٣
- اسقف اميين : ٣٤٤/٢
- اسقف انطرسوس : ١١٥/٣
- اسقف اورنج : ٣١٥/٢
- اسقف البترون (البطرون) : ١١٥/٣ ، ٢٧٠/٤
- اسقف يوفيه : ١٨٢/٣
- اسقف بيروت : ١١١/٣
- اسقف جبيل : ٢٧٠/٤
- اسقف الرها : ١٩١/٣
- اسقف ريمز : ٢٣٥/٢
- اسقفية روان : ٦٦/٢
- اسقفية صور : ٥٤/١
- اسقفية صيدا : ١١١/٣
- اسقفية طرسوس : ١٠٩/٣
- اسقفية عرقة : ١١٥/٣
- اسقفية عكا : ١١١/٣
- اسقفية كورتيانيوم : ١٩١/٣
- اسقفية مرقلية : ١١٥/٣
- اسقفية هيرا بوليس : ١٩١/٣

اسكنداليوم (Scandalium) أو (Alexanderium)

• ٨١ ، ٣٥/٣

الاسكندر المقدوني : ١٥٨/١ ، ٢٧١ ، ٢٤/٣ ، ٦٨/٤ ، ٤

• ٣٦١

• اسكندر كونت جرافينا : ٩٩/٤

اسكندر كونت كونفرسانا (Conversana) ١١٧/٤

• ٢٠٥

• اسكندرونة : ٢٨٧ ، ٨١/٣ ، ٢٨٧ ، ٣٣٢/١

الاسكندرية : ٢٩/١ ، ٦٨ ، ١٦٧ ، ١٧٣ ، ٣٢٢ ، ٢٨٧

٣٨٧ ، ٣٥/٣ ، ٥٧/٤ ، ٥٩ ، ٦٦ - ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٥ - ٧٨

• ٣٨٩ ، ٢٩٣ ١٧٧

• اسكندرية الصغرى : ٢٤٧/١

• الاسكندناويون : ٢٩١/٢

• الاسكيثيون (Scythians) ٢٥/٣ ، ٧٨ ، ٧٩

• اسكيفا (أرملة ولتر أمير طبرية) : ١٨٣/٤

• اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام : ٣٩٨/٤

• اسماعيل العجمي : ١٥٢/٣

• الاسماعيلية (طائفة) : ٤٥٥/٣

• الاسماعيليون (العرب) : ٣٩٨/٤

• الاسمانجونى (لون) : ٣٦٤/٤

• الاسهال (مرض) : ٤٥١/٣

• اسوزومينوس : ٧٠/٢

• آسيا (القارة) : ٢٠٠/٣ ، ١٤٦/٤

- آسيا الصغرى : ٥/١ ، ٤٠ ، ٨٦ ، ١٢٤ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
 ١٦٧ ، ١٩٣ ، ٢٩٧ ، ٢١٦/٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣٨ ، ٢٢٠ ، ٢٧١/٣ ،
 ٢٨١ ، ٢١٩/٤ ، ٢٤٢ ، ٢٥٨ ، ٣٥٤/٤ ، ٣٦١ ، ٣٦٨ - ٣٦٢ ،
 اشارد مقدم الداوية (Achard) : ٣٥٨/٢ ،
 اشتينوس : (Aschetinus) اسقف بيت لحم : ٢٨٥/٢ ،
 اشعيا : ١٣٣/٢ ،
 اشور : ٩٢/٢ ، ٢٥/٣ ،
 اشيفا (Eschiva) زوجة ريموند الثالث) :
 الاصطخرى : ٨٧/٤ ،
 اضايا (Atalia) ٢٠٠/٣ ، ٢٠٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،
 اطفيح : ٤١/٤ ، ٨٥ ،
 الأعراب (وانظر العرب ، والاسماعيليين) : ٢٢٢/٤ ، ٢٤٤ ،
 اعزاز : ١١/٢ ، ٢١ - ٢٥ ، ٢٧ ، ٤٧/٣ ، ٣٢٧ ، ٣٧٣ ،
 أعمال أمراء الشرق : ٣١/١ ،
 أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس (كتاب) : ٣٣/١ ،
 الاغريق : ٦٧/١ ، ٦٨ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٥٢ -
 ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ،
 ٢٥٨ ، ٣٠٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٦٣/٢ ، ١٣٧ ، ٢٣٧ ، ٢٧٠ ، ٣٦٠ ،
 ١١٦/٣ ، ١٦٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٤٢٧ ، ٤٤٦ ، ٩٧/٤ ، ١١٨ ،
 ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ،
 ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٣٥١ ، ٣٦٨ ،

- أقاما (اثيو:س سلوقس) : ٢٣٨/٢
- أقامية (= أقاميا ، وفامية Apamea) : ٢٢/٢ ، ١٩٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٣٥٣ ، ٥٥/٣ ، ١٠٩ ، ٢٢٤
- أفرايم : ٨٢/٢
- أفريقية : ٦٨/١ ، ١٥/٣ ، ٦٢ ، ٤٢/٤ ، ٥٣
- أفسجويا (منطقة قرب فارس) : ٢٩٥/٢
- أفسوس (Ephesus) = ابسوس) : ٢٨١/٣ ، ٢٣٨/٢
- ٣٦١/٤ - ٣٦٣ ، ٣٩٧
- الأفضل أمير الجيوش (Emireus) : ١٥٩/٢ ، ١٦١ ، ٣٤٣ ، ٣٧٠
- أفلاطون : ٥٩/٤
- أفينيون (Avignon) : ٣٨١/٣
- أق سنقر : ٢٧٩/١
- إقليم البقاع : ٥٦/٣ ، ٢٩/٤ ، ١٢٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٦١ ، ٣١٤ ، ٣١٦
- إقليم الثغور : ١٥١/٣
- إقليم الجزيرة : ٣٠٠/٤ ، ٣٠٩
- إقليم السواد : ٢٨٦/٤ ، ٣٠٣
- إقليم لوكا : ٢٦٨/٤
- إقليم المزارع : ٣٠١/٤
- الاكراد : ٢٣٩/١ ، ٨٣/٤

• اكسفورد : ٣١/١

• اكل لحوم البشر : ٤٠/٢

• اكويتانيا : ٢١٣/٢ ، ١٠٣/٣ ، ١٧٣ ، ٢٨٣ ، ٤٠٣/٤ ، ٢٣٤

• اكويليا : ١٧٧/١

• اكيوليوس (لقب بلدوين الثانى) : ٣٣٥/٢

• الب أرسلان : ٨٢/١ ، ٨٤

• البارة : ١٢/٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٦٠ ، ١٢٦ ، ١٤٩

• البرت (Albert) أسقف بيت لحم) : ٢١٧/٤ ، ٢٢٦ ، ٢٦٦

• البرت ديه (أو ديكس المؤرخ d'Aix) : ٣٤/٢

• البرت دى كانيانو : ١٦٩/١

• البيريكوس (الأسقف Albericus) : ٢٧٦/١ ، ١٨٢/٣

• التونتاش (الطنطاش) : ٢٤٣/٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧

• اليعازار (انظر لعازر ، وكذلك الملحق)

• العازارية : ٢١٣/٣ ، ٢٢٣ ، ٢٣٩/٤ ، ٢٨٨

• الفانوس (التاجر الميحيى) : ١٢٢/٣

الفونس بن ريموند الصنجيلي (كونت تولوز) : ٢٤٥/٢ : ٢٩١/١

الفيرا (Elvira) زوجة كونت ريموند الخامس :

الكسياد : ٢٤/١ ، ٤٢ ، ٥٠/٢ ، ٧٨/٣ ، ٧٩ ، ١٥٠ ، ٢٣ ، ٨٢/٤

الكسيوس كرمين البروتوسيبياستوس (Protosebastos) : ٢٧٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٣ ، ٢٦٢ ، ٨٤/١

الكسيوس كونتستفانوس
(Megalducas =) Contostephanus

٢٧٧ ، ١١٧/٤

الكسيوس بن يوحنا الثاني : ٢٢٠ ، ٢٠٠/٣

اللاتيريا : ٦٥/٢

الليريا : ١٠٠/٤ ، ٣٥١

الليريكون (الليريكوم) : ١٩٠/١ ، ٣٦٣/٤ ، ٣٦٤

اللمان : ٩٧/١ ، ٢٧٤/٣

المانيا : ١١٠/١ ، ٢٩٨/٣

الياريدو (زوجة سيشاريوس) : ١٥/٣

الياس (النبي) : ١٥٤/٤

اليانورا الفرنسية الاكوييتينية (Eleanor of Aquitaine)

٢٨٩/٢ ، ٣٢١

اليس (Alice) (ابنة بوهيموند) : ١٨٦/٣

اليس (بنت بلدوين الثاني) : ٣٤٢/٢ ، ٥٩/٣ ، ٧٢ - ٧٦

٩٦

اليس (أميرة انطاكية وأخت مليزند وأرملة بوميموند) :
• ١٢٧/٣ ، ١٢٩

أنيشة (جزر) : ٣٦٥ ، ٣٦٤ ، ٣٥٧/٤

اليشع : ٣٦٦ ، ٣٦٥/٤

اليعازار (انظر العازار ، ولمازر St. Lazarous
• ٢٢٩/٤ ، ٢١٣/٣

اليكس (السابع) : ٢٦٠/٤
Alix) بنت قبولود الكبير وزوجة لويس

اليناندوس (Elinandus) صاحب طبرية) : ٢٣٨/٣ ، ٣٠٧

امارة انطاكية (انظر انطاكية)

امارة الرها (Edessa) ، وانظر فيما بعد الرها)

امالريك (Amalric) بطرك القدس) : ٢٩/١

• ٢٦٠ ، ١٩٢ ، ١٧٦ ، ١٧٤ ، ٩٦ ، ٨١ ، ٢٢ ، ١٥/٤ ، ٤٢٤/٣

امالريك (رئيس دير حبقوق) : ٣٦١/٣

امالفي (Amalfi) : ٣٨٧/٣ ، ٣٨٩

الامالفيون : ١٧/١ ، ٨٨ ، ٣٨٧/٣ ، ٣٨٨

الامبراطور الكسيوس كومنين (Alexius Comnenes)

• ١٦٦ ، ١١٥ ، ١٦٠ ، ١٥٧ - ١٥٥ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ٤٢ ، ٣٤/١

• ٣٣١ ، ٢٧١ - ٢٦٩ ، ٢١٥ ، ٢١٤ ، ١٩٠ ، ١٣٦ ، ٥٩ ، ٥٨/٢

• ٢٢٢ ، ١٣٤ ، ٧٩/٣ ، ٣٤٢

الامبراطور الكسيوس الثاني بن مانويل : ٢٥٨/٢ ، ٢٥٩

• ٢٦٣

• الامبراطور اثناسيوس : ٦٠/٤

• الامبراطور بازل : ١٥٣/١

• الامبراطور تيودوسيوس : ١٤٤/٤

• الامبراطور جستنيان : ١٤٤/٤

• الامبراطور فردريك : ٨١/٤ ، ١١٥ ، ١٧٦

• الامبراطور قسطنطين الأول : ٧٠/١ ، ١٩٩

• الامبراطور كونراد : ٢٧٠/٢ ، ٢٦٩/٣ - ٢٧١ ، ٢٧٣ -

٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٢٠ ،

• ٢٥٩ ، ١٩٩/٤

• الامبراطور قسطنطين بن قسطنطين بن هرقل : ٢٥٨/٤

• الامبراطور قسطنطين السابع (ابن ايرين) : ١٩٩/١

• الامبراطور قسطنطين (العاشر) دوكاس : ١٧٧/٢

• الامبراطور مانويل بن الكسيوس كومنين :

٢٧/٤ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٥ - ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١١٦ ، ١٣٩ ،

١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٦٢ ، ١٦٤ - ١٧٦ ، ١٩٧ ،

٢٠١ ، ٢٠٥ - ٢٠٨ ، ٢٢٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٧ ،

٢٦١ ، ٢٥٩

• ٢٦٢ ، ٢٧٣ - ٢٧٦ ، ٣١٦ ، ٣٣٧

• الامبراطورية البيزنطية : ٥/٢

• الامبراطورية الرومانية : ١٩٩/٤

Amida : ١١٠/٣

الامر بأحكام الله الفاطمي : ٨٠/٣

امراء التركمان : ٨١/٣ .

الأمم : ١٢٢/١ ، ٣١٧ ، ٣٦٦/٤ ، ٣٦٧ .

٤٢٧
١٠

امجارا : ١٩٤/٤ .

امير الجيوش (Emireus) انظر الأفضل (.

امير على زعيم طائفة الحشيشية : ١٢٦/٣

اناستاسيوس الرابع (Anastasius IV) : ٣٨١/٣ .

اناكومينا (Anna Comnena) : ١٧٢ ، ٤٢ ، ٣٤/١ .

١٧٤ - ١٧٦ ، ١٨١ - ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ - ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ .

٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٨٠ ، ٢٩٨ ، ٣٦٥ ، ٣٨٨ .

٣٩٢ - ٣٩٤ ، ٧٨/٣ ، ٧٩ ، ١٥٠ ، ٨٢/٤ .

انترادوس : ٤٧/٢ ، ٢٥٦/٤ .

انتيبياتريس (Antipiatris) : ٦٥/٢ ، ١٨١ .

٢١٨ ، ١٢١/٣ ، ١٥٢ ، ٤٥٤ ، ٢٤٤/٤ .

انتيوكس بن سلوقس : ٢٧١/١ ، ٢٣٨/٢ .

انتيقاري : ١٧٧/١ .

انجازات الملك عموري : ٢٨/١ .

انجران بن هيج (Enguerrand of Hugh St. Pol)

١٤٥/١ ، ٤٠٥ ، ٤٠/٢ .

انجلترا : ٤١/١ ، ٦٣/٢ ، ١٩٤ ، ١٢٦/٣ ، ١٢٧/٤ .

الانجليز : ١٥/١ ، ١٦ ، ١٦٧/٢ .

انجوسينا : ١٥/٣ .

الانجيل : ١٥٢/٣

اندروز (القديس St. Andrews) ٢٩٦/١ ، ٢٩٧

• اندروميدا : ١٠٥/٢

• اندرونيكوس انجيلوس : ٢٧٧/٤ ، ٢٧٨

• اندرونيكوس البيزنطي : ٩٦/٤ ، ٩٧

• اندرونيكوس كومنين : ١٦٣/٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦

اندرونيكوس المقتصب للعرش : ٢٤٣/٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٢

• ٣٣٩

• اندرونيكوس بن يوحنا الثاني : ٢٠٠/٣ ، ٢٢٠

• اندريا (كونت راباكانينا) : ٢٨٣/٣

• اندرياس : ٢٩٨/٣

انثر (معين الدين Anardius) : ١٧٥/٣ ، ١٧٨

• ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢١٨ ، ٢٤٣ - ٢٤٦ ، ٢٩٧ ، ٣٥٩

• انزلم دي باس (Anselm de Pass) : ١٣١/٤

• انسالدوس (Ansaldus) ٢٧٧/٢ ، ٢٧٨

• انسلم دي بيوري : ٩٧/٣

• انسلم (أسقف بيت لحم) : ١٩٣/٣ ، ٢٠٣

• انسلم (قيم برج داود) : ٢٨٦/٢

• انسلم (دي) ريمونت : ٤٠٤/١ ، ٤٠٨

- انطاكية الصغرى : ٢٣١/١
- الأنطاكيون : ٣٦/٤ ، ٣٧
- انطرسوس : ٤٧/٢ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٢١٦ ، ٢٥٦/٤
- انطورية وتسمى بالجيدور : ١٩٤/٤
- أنكونا : ٣٨٢/٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥
- انوسنت الثانى : (Innosent II) ١٠٦/٣ ، ١٠٧ ، ١١١
- ١١٣
- انى : ٢٧٢/١
- أهل الكهف : ٣٦٢
- الأوبئة : ٨٠/١
- اوتو أسقف اورنج : ٣٠٦/٣
- اوتو ديزبيرج (سفير بلدوين الثالث الى بيزنطة) : ٤٤٦/٣
- اوجستوس قيصر : ٢٢١/٢
- اوخيانوس : ١٨/٣
- اودو أسقف صيدا : ١٩٦/٤
- اودو رئيس شمامسة صور : ٢٦٨/٤
- اوديسا (= Odessa وهى الرها) : ٢٥٨/١
- اور (المدينة الكلدانية) : ٢٤٨/٢

• اوربة (القارة) : ٢٢٤/٢ ، ٢٠٠/٣ ، ١٤٦/٤

• اوربة بنت أجنور : ١٥٨/١ ، ١٥٩ ، ١٤/٣

• اورديك فيتال المؤرخ : ٢١٣/٢

• اورشليم : ١٠٠/١ ، ١٠٧ ، ٩٠/٢ ، ٩٣ ، ٢٢٦/٤ ، ٣٥٧ ،

• ٣٦٤ ، ٢٨١ - ٢٨٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٤٠٢

• اورنج المدينة : ١٢٤/٢

• أوريا الحثي (ومختصره أورى • انظر الملحق) : ٢٠٤/٣ ،

• ٣٩٠/٤

• اوريجن : ١٧/٣ ، ١٨

• أوريسيوس الأسقف : ٧٠/١

• أوفيد (Ovides) ٢٧/١ ، ٢٧٤

• أوفيرن : ٩٨/١

• أوكتافيوس (كردينال كنيسة سنت سيلفيا) : ٤٣٦/٣

• أولبيان (المشرع والكاتب الصوري) : ٢٨٨/٢ ، ١٣/٣ ،

• ١٩٤/١

• ايبيريا : ٢٩٥/٢

• ايتوريا (وانظر ايطورية) : ١٧٣/٢

• ايتيه دي منجناك : ٢٨٥/٣

ايجسيوس المؤرخ : ٢٨٣/٢ .

ايرين (Irene) هي برتاسولزياخ ، وانظرها هناك (١٥٩/٤ ، ٢٣٦ .

ايزابيلا (Isabella) (بنت جوسلين صاحب الرما) : ٢٠٠/٣ ، ٢٤٣/٤ .

ايزابيلا (صاحبة تورون) ٢٣٨/٤ .

ايزيدور كونت داي : ١١٠/١ ، ٤٠٥ ، ١٢٦/٢ .

ايسوريا : ٨٦/١ ، ٢٣٥ ، ٢٧٤ ، ٣٨٦ ، ٢٠٩/٢ ، ٢/٣ ، ٢٠٠ ، ٢٧٢ ، ٢٥٨/٤ .

ايطاليا : ١١/١ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٣٦ .
١٥٤ ، ١٧٧ ، ١٧٠/٢ ، ٣٨٢/٣ ، ٥٣/٤ ، ٤٨ .

الايطاليون : ١٦٢/٤ .

ايطورية : ٢٤٩/٣ ، ٢٤/٤ .

ايف : ٢٧٧/٢ .

ايفرار (دى) بريتل (Evrrard de Breteul) : ٢٨٥/٣ .

ايفرار (دى) بويسيه (du Puisset) : ١١٠/١ ، ٢٦٩ ، ٣١١ ، ٢٨٥/٣ .

ايفزدى نيزل (كونت سواسون) Ives de Nesle Count de Soissons : ٢٤٤ ، ٢٢٣/٣ .

ايفو : ٣٧٤/١ •

ايفيتا (Iveta بنت بلدوين الثاني) ٣٤٢/٢ •

ايفيتا (أخت الملكة مليزندا ورئيسة دير راهبات سينت لازار):

٢١٢/٢ ، ٤٣٨ ، ٤٥٦ ، ١٧٦/٤ •

ايفيوس : ٢٧٧/٢ •

الايقونات (Icons) : ١٦٦/٤ •

ايكارد (Aicard) مقدم فرسان الهيكل : ٢٨٤/٢ •

ايلة : ٢٢٠/٣ ، ٢٤٠/٤ •

ايلغازي : ٢٢٢/٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ - ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ •

ايلوس المؤمن : ٣٦٢/٤

ايليا (النبي) : ٦٤/٢ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣/٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٦ ،

٢٩٥ •

ايليا (أرض) : ٨٣/٢ ، ٨٤ •

ايمري (Aimery) بطرك أنطاكية : ١٩٩/٣ ، ٢٢٠ •

٢٣٤ ، ٢٢٥ ، ٤٢٨ ، ١٦/٤ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٧٦ ، ٢٧٠ •

أيمن فؤاد سيد : ١٦٤/٤ ، ١٦٥ •

ايميكو (Emicho) الكونت : ١٣٨/١ •

ايميلونا (بنت أخى رالف البطريرك والمستشار الملكى) :

١١٨/٣ •

اينياس : ٨٠/٢

أيسوب : ٣٧٠/٤ ، ٣٧١ •

Eudes de St. Amand : ايود (دي) سنت أمازد :
• ٢٤٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٤ ، ٢١٧ ، ١٥٨ ، ٩٥/٤ ، ٤١١/٣

• ايود (دي) مونثفوكون : ١٧٤/٣

• إيوتيش الراهب (Eutyches) : ٢٧٠/٣

• ايبيلوس هادريان : ٨٣/٢ ، ٩٣ ، ٢٥/٣

باب اليون (بابليون) : ٨٥/٤

• باب البحر : ٣٥٢/٣

• باب بولص : ٢٧٦/١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٧٥/٣

• باب جبل صهيون : ٩٧/٢

باب الجسر : ٢٨٢/١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٤ ، ٤٠٤

• باب الجميل : ٨٨/٢

• باب داود : ١٧٩/٢

• باب الدوق : ٢٨٢/١ ، ٢٨٦

• باب السامرة : ٤١٨/١

• باب سان استفان : ٩٥/٢ ، ٩٧ ، ١١١ ، ١٢٤ ، ١٧٩

• باب سان جورج : ٢٨٢/١ ، ٢٨٣ ، ٣٣٥

• باب غزة : ٣٥٢/٣

• باب القدس : ٣٥٢/٣

• باب الكلب : ٢٨٦/١

• باب يافا : ٣٥٢/٣

البابا اسكندر الثالث (هو رولاند كاردينال كنيسة رومة)
• ٤٤١ ، ٤٣٦/٣

البابا بسكال الثانى (Paschal II) ٢/٢٦٥ ، ٢٦٦ ،

٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٣١٩ - ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٤٢ ،
٣٤٧ ، ٣٤٨ .

البابا بوردينوس : ٢/٣٤٧ .

البابا جريجورى السابع : ١/٦٥ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٢/٢٠٠ ،

٣٤٨ .

البابا جلاسيوس الثانى : ٢/٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

بابل : ١/٢٧١ ، ٢/٨٨ ، ٤/٣٨٣ .

بابليون : ٢/١٩٩ ، ٣٧٩ ، ٤/٤٢ ، ٤٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٣ .

٧٩ ، ٨٥ ، ١٠٩ ، ١٢٠ .

بابيريوس القنصل : ٤/٦٧

بابيلاس (الشهيد) : ١/٢٧٥ .

البابين : ٤/٦٣ .

باتساونيوس : ١/١٥٩ .

باجانوس (Paganus) ساقى الملك) : ٣/٢٠٤ ،

٢٢١ ، ٤/٣٢٧ ، ٣٢٨ .

باخوس : ١/٢٧٣ ، ٤/٣٦٩ .

باراك (Barac) الطبيب المقدسى المتهم بدس السم

ليلدوين الثالث) : ٣/٤٥٠ .

باراموس : ٣/٢٧٨ .

بارثيا : ٢/٢٧٢ .

- البارثيون (الفرس) : ٢١/٤
- بارسيس (Parnasis) الجبل : ٢٧٤/١
- بارى (Bari) : ١٧٥/١ ، ١٩٣ ، ١٥٠/٢
- باريس : ١١٦/٤
- باريسون (Barison) كونستابل يافا : ٣٥٨/٢
- باسدان : ٢٢٦/٤
- باشان : ١١٥/٢ ، ٢٦٧/٤ ، ٣٦٨
- الباشورة : ٢٤٦/٤
- الباطنية (طائفة) : ٨٢ ، ٨١/٢
- بافاريا : ١١٥/١ ، ١٣٥ ، ٢٦٩/٣
- البافاريون : ٢٨٣/١
- باغلاجونيا : ٢٧١/٢
- باكراد (الارمني) : ٢٤٩/١ ، ٢٥٦ ، ٢٣٠ ، ٢٦/٢
- بالاق بن صفر : ٣٧٣/٤
- بالس : ٧٩/٢
- باليرا (Palmyra) : ١٩٤/٤ ، ٢٤١
- باماخوس (Bamachus) : ١٧/٢
- بامبيرج : ٣٢٠/٢
- بامفيليا : ٢٠٠/٢ ، ١٥٨/٤ ، ٣٥٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩
- بان (من الالهة القديمة) : ٢١٨/٣

• بانويا ٢٧٠/٣

بانيس (Banias) ، وقد يقال لها بليناس : ١٧٢/٢

١٩/٣ ، ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٥٢ ، ١٧٥ ، ١٧٧

١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٣٠٨ ، ٣٦٠ ، ٤٠٥ - ٤٠٩

٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٣٤/٤ ، ٣٥ ، ٨٤ ، ١٤٦ ، ١٦٠

• ١٩٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٣٢٧

• بارسانويوس (ملك الاسبرطيين) : ١٥٩/١

• باين (المستشار الملكى) : ٣٥٨/٢ ، ٣٧٦

• بقرا انكسيا : ٢٩٧/٢

البتراء (Petra) ٣١٧/٢ ، ٢٠٤/٣ ، ١٦٧/٤ ،

• ١٨٤

• البتراء الصحراوية : ٣٢٧/٤

• البترون (البطرون) : ٢٠/٣

• بتسيلوس بن جالوس : ٦٧/٤

• بثنيا : ٣٦٧/٤

البحر الأبيض المتوسط : ١٥٨/١ ، ٢٠١ ، ٢٧٠ ، ٢٠/٢

• ٨٧/٤ ، ٨٨ ، ١١٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٢٨٠ ، ٣٢٧

• البحر الاثالى (الخليج الاثالى) : ٢٨٧/٣

البحر الاحمر : ٣٢٦/٢ ، ١٨/٣ ، ٢٢١ ، ٦٩/٤ ، ٢٤٠

• البحر الادرياتيكي : ١٥٢/١ ، ١٦٩ ، ١٧٧ ، ٣٦٣/٤

• البحر الأسود : ٢٧٩/٣ ، ١٤٥/٤ ، ٢٨٠ ، ٣٥١ .

• بحر جنة : ٢٣٥/١ ، ٣٥١/٤ .

• بحر بنطس : (= أبحر الأسود) : ١٥٨/١ ، ١٦ .

• بحر الجليل : ١٧٣/٢ ، ٥١/٣ ، ٢٥٧ ، ٢٨٥/٤ ، ٣٠٧ .

• ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

• بحر الشام (انظر البحر الأبيض المتوسط) .

• بحر القلزم ٩٠/٤ .

• بحر لوط : ٤٠٢/٤ .

• البحر الميت (ويسمى بحيرة الملح وبحيرة الاسفلت)

٢٣٤ ، ٢٨٤ ، ١٥٤/٤ ، ٢٤١ ، ١٧٢ ، ٥٢/٣ ، ٢٠٩ ، ٨٠/٢

٣٨٨

• البحيرة : ٨٩/٤ .

• بحيرة البطرك : ٨٥/٢ .

• بحيرة جينيسارت : ١٦٨/٢ ، ٤٢٥/٣ .

• بحيرة الحولة (وقيل لها ايضا بحيرة مبروم) : ٢١٨/٣ .

• بحيرة طبرية : ٣٢٠/٤ ، ٣٨٠ .

• بحيرة ميخائيل : ٤٠٩/٣ .

• بحيرة مبروم (انظر بحيرة الحولة) .

• بر آمن (مدينة الاله آمن) : ٨٨/٤ .

• بربر قوص (أى قوص الحارة) : ٨٨/٤ .

• برتا (انظر بيرتا سيلزباخ) .

برترادا Bertrada (زوجة رنجن) : ٩٠/٣ ، ٩١

برترام Bertram (ابن كونت تيلوز الصحيلي)
٢٥٤/٢ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥ - ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦
• ٢٩٩ ، ٤٣٥/٢ ، ١٨١/٤

برتراند بن جيسلبيرت (Bertrand Son of Gisellbert)
• ٢٦٨/٤

برتولد Bartold (دوق بارفاريا) : ٣٠٦/٣ •

• برج الأخقين : ٣٣٥/١

• البرج الأخضر : ٤١/٣

• برج استراتوس : ٦٥/٢

برج تانكريد : ٩٥/٢ ، ٩٦ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٣٩ ، ١٤١

• ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢١٩ •

• برج تراتاريا : ٤١/٣

• برج الجليل : ١٧٣/٢

برج داود : ٩٥/٢ ، ١٠٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٤٩

• ١٧٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢١٩ ، ٢١٦/٤ •

• برج شتراتوس (انظر برج استراتوس)

• برج فاوس : ٦٩/٤ ، ٧٧

• برج المراقبة الأبيض : ٢١١/٣

• برجاموس في اسيا الصغرى : ٢٣٨/٢ ، ٣٦٧/٤

• برجة العاصمة (برجة بامفيليا) : ٣٦٨/٤ •

البرجندیون : ۲۸۳/۱ •

برسقی (امیر دمشق Paracchini) : ۲۵۶/۲ ،
۳۱۲ - ۳۱۵ ، ۴۶/۲ ، ۴۸ ، ۵۶ ، ۵۷ •

بركة سلوام : ۲۶۹/۴ •

بركة الضان : ۹۴/۲ •

برما (انظر ايضا الفرما) ۸۸/۴ •

برمون (انظر ايضا الفرما) ۸۸/۴ •

برنابا : ۳۵۴/۴ •

برنارد (بطرك انطاكية) : ۲۴۲/۲ ، ۲۴۷ ، ۲۲۱ ، ۲۲۴ ،
۳۴۲ ، ۳۶۹ ، ۶۱/۳ ، ۶۵ ، ۱۰۴ •

برنارد Bernard (اسقف ارتاح) : ۴۲۰/۱ •

برنارد (اسقف صيدا) : ۱۱۲/۳ ، ۱۹۳ ، ۲۶۶ ، ۲۶۱ •

برنارد (اسقف اللد Lydda) : ۱۱۵/۴ ، ۱۲۲ •

برنارد (اسقف الناصرة) : ۲۵۸/۲ •

برنارد دی تامب (d'Etampes) : ۲۵۰/۳ •

برنارد دآ تريمبلی : ۳۵۰/۳ ، ۳۶۲ •

برنارد فاشيه (Vacher) : ۱۷۳/۳ ، ۲۴۷ •

برنارد دی کليرفو (de Clairvaux) : ۲۶۸/۳ •

برنديزی : ۱۸۷/۳ ، ۳۹۳ ، ۲۳۶/۴ •

- بروبونتس : ١٥٨/١
- بريانوس (المدينة الاسيوية) : ١٥٨/١
- البروفنساليون : ٢٨٣/١
- بربة دمشق : ٣٦٥/٤
- بريقاني : ١٢٢/٣
- البريطانيون : ٢٨٣/١
- برينجار الكبير دوق سولزياخ (Sulzbach) : ٢٨١/٣
- البرز : ٣٥٦/٤
- بزاعة : ٤٢٦/٣
- بزواج : ١٢٣/٣ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٣
- البسفور : ٦٠/١ ، ٨٥ ، ١٢٤ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٥٧ -
- ١٦١ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٣٣ ، ٣/٣
- ١٣٥ ، ٢٠٠ ، ٢٧٩ ، ٤٢٨
- بسيديا (او بيسيدية) : ٢٢٩/١ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ،
- ٣٠١ ، ٣٧٠/٤
- البشناق : ١٨٧/١ ، ٧٨/٣ ، ٧٩
- بصرى : ٢٠/٣ ، ١٠٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٠ ، ٢٩٦ ، ٤/٤
- ١٨٩ ، ٢٥٥ ، ٢٨٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧
- البصق : ٨٨/١

البطالة : ٤٢/٤ ، ٥١ .

بطرس الحواري : ١٠٥/١ ، ٢٧١ ، ٣٧١ ، ٤٠٠ ، ١٠٥/٣ ،

١٠٧ ، ٢٠٢ ، ٣٤/٤ ، ٢٥٦ ، ٢٧٤ .

بطرس رئيس المرتلين بكذيسة القيامة : ٢٢٦/٤ ، ٢٦٦ .

بطرس أرموان (d'Armoine) ١٩٥/٣ ، ١٩٦ ، ١٩٩ .

بطرس (أسقف أفامية) : ٢٥٢/٢ .

بطرس (اسقف جبل تابور) : ٢٥٨/٢ .

بطرس (أسقف صور : انظر بطرس البرشلوني) .

بطرس اسقف عكا : ٢٨/٤ .

بطرس اسقف قيصريّة : ٣٥٠/٣ .

بطرس أسقف ليون : ١٨٢/٣ ، ١٩٢ .

بطرس ايمري : ١٩٥/٣ .

بطرس بارتلميو (Bartholmew) ٣٦٥/١ ، ٣٩٦ .

٣٩٧ ، ١٤/٢ ، ٥٥ ، ٥٦ .

بطرس البرشلوني (سلف ولدم الورخ في اسقفية صور)

٢٠/١ ، ٢١ ، ٢٦٦/٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ،

٣٧٤ ، ٣٧٩ ، ٣٩٣ ، ٤٢٥ ، ٤٤١ ، ١٦/٤ ، ٢٧ .

بطرس بن بطرس لين (Leo) ١٠٧/٣ .

بطرس بن جيسديلا : ٣٧٤/١ ، ٣٨٠/٢ .

بطرس كوند دي ستناي (Stenay) ٤٠٥/١ .

• بطرس دي كورتناي (de Courtenay) ٢٣٦/٤

• بطرس دي لاتيناتور (de Latinator) ٧٥/٣

بطرس الناسك : ٣٠/١ ، ٤٠ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٥ - ١١٧ ، ١١٩ - ١٢٥ ، ١٢٩ - ١٣١ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٨٨ ، ٢١٨ ، ٣٦٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٧٧/٢ ، ١٠٩ ، ١٣٣

• بطرس النربوني ٣٣/٢

• ابن البطريق (سعيد) : ٣١/١

• بظلمية : ٢٤٣/٢

• بطلميوس الرابع : ٣٨٩/٤

• بطلموسة (أنظر عكا) :

• ابن بطوطة : ٢٢١/٣

• بعرين : ١٤٩/٣ ، ١٥٤

• بعلبك : ٢٧٠/١ ، ١٧٣/٢ ، ٢٢١/٣ ، ١٨٤/٤ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٨٥

• بغداد : ٢٧٢/١

• البقاع (راجع : اقليم البقاع)

• البقعر : ٣٧٨/٤

• ابو بكر الصديق : ٨٥/٤

• بلاجوزيا : ١٧٠/١ ، ١٨١ ، ١٠١/٤

• بلاد آشور : ٢٣٥/٣ ، ١٨٩/٤

• بلاد العرب : ٧٩/١ ، ١٦٢/٢ ، ٣١٨ ، ٢٨/٤ ، ٦٩ ، ١٦٥

- بلاد العمونيين : ٣٢٧/٤
- بلاد امونيين : ٣٢٧/٤
- البلاذرى : ١٥١/٣
- بلاس (الوالى التركى) : ٢٦٤/١ ، ١٢/٢ ، ٢٩ - ٣١
- بلاشيرناى (قصر (Blachernae) ١٦٠/١ ، ٤/٤
- ١٦٦
- بلانش جارد (Blanche Garde) ٢١١/٣ ، ٢٢١
- بلبيس : ٢٥/٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٨١ ، ١٠٣ -
- ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١
- بلجراد : ١١٣/١ ، ١١٦ ، ١٣٢
- بلاد الشوحى : ٣٠٤/٤ ، ٣٤٠ ، ٣٧٠ ، ٣٧١
- بلدوك (حاكم سميطة (Balduk) : ٢٥٠/١ ، ٢٦١
- ٢٦٤ ، ١٢/٢ ، ٣٢
- بلدوين (رجل تنصر ثم ارتد) ٢٩٢/٢
- بلدوين (أسقف بيروت) : ١١٣/٣ ، ١٩٣
- بلدوين (أسقف تيصرية) : ٣٥٠/٣
- بلدوين بن استاس كونت بولونيا : ١٥٠/١ ، ١٥١ ، ١٦١
- ١٩٦
- بلد بن (حارس القبر) : ٢٩٣/٤
- بلدين (صاحب الرملة) : ٣٥٨/٢ ، ١٣٩/٣ ، ٢٥٩
- ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢١١/٤ ، ٢١٨ ، ٢٦٢ ، ٢٩١ ، ٣٢٤ ، ٣٣١
- ٣٣٧

بلدوين (صاحب مرعش) : ٢٥٩/٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤

بلدوين (الخامس اللفل ابن اخت بلدوين الرابع) : ٧٦/٣ .

• ٣٣١

بلدوين بن استاس كونت بولونيا : ١٣٩/١ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

١٦١ ، ١٩٦ ، ٢٠٦ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ — ٢٤١ ، ٢٤٣ — ٢٤٦

٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ — ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٩٣ ، ٣٠٩

• ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠

بلدوين بن بلبان الكبير : ٢٠٩/٣٠ ، ٢١٠

بلدوين دي بورج (هو بلدوين الثاني بن هيج) : ١ ، ١١٠

١٦٠ ، ١٦٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٤٠٥ ، ٢٧٤/٢ — ٢٧٦ ، ٢٨٣ —

٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ — ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ،

٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦

• ٢٢٧ ، ٢٤/٤

بلدوين دي غنت Ghent : ٢٠٧/١

بلدوين دي كالديرين (du Calderon) : ٢٠٧/١

بلدوين دي ليل (de Lille) : ٤٢١/٣

بلدوين دي مونت هينولت : ١١٠/١ ، ١٤٥ ، ١٨٣ ، ٣٢٢ ،

• ٤٠٨ ، ١٨/٢

بلدوين الثاني : ٣٢/١ ، ٤٠ ، ٣٣١/٢ — ٣٣٣ ، ٣٣٦ ،

٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ — ٣٥٨ ، ٣٦٠ — ٣٦٣ ، ٣٦٧ ، ٣٨٣

• ٢٤/٤

بلدوين الثالث : ٣٣/١ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٢٢٩/٣ ، ٢٣٠

٢٠٧ ، ٢٩١ ، ٢٥٨ ، ٢٤٥ — ٢٤٢ ، ٢٣٩ ، ٢٣٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢
 ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢١١ ، ٢٠٩
 ، ٤٠٧ ، ٢٦٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٠ ، ٣٤٨ ، ٣٤٥ — ٢٤٣ ، ٢٣٩
 [٢٧،٤٣٥،٤٣٢،٤٣١،٤٢٦ ، ٤١٤ ، ٤١٣ ، ٤١٠ ، ٤٠٨ ، ٤٠٧
 ، ١٦ ، ١٥/٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥١ ، ٤٥٠ ، ٤٤٧ — ٤٤٤ ، ٤٤٠ —
 ٠ ٨٢ ، ٢٤ — ٢٢ ، ١٨

بلدوين الرابع الأجدم : ٢٤/١ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤١ ،
 ١٨٠ ، ١٧٨ — ١٧٣ ، ١٥٩ ، ١٣٤ ، ٢٤ ، ٢٢/٤ ، ٩٥/٣ ، ٥٤
 ٢١٠ ، ٢٠٥ — ٢٠٣ ، ٢٠١ — ١٩٨ ، ١٩٦ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٨٢
 ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٨ — ٢٢٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢١ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١٤
 ، ٢٦٠ ، ٢٦٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٤١ ، ٢٣٧ ، ٢٣٣
 ، ٢٠١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٣ ، ٢٨٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٧١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٢
 ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٥ ، ٢١٨ — ٢١٥ ، ٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦
 ٠ ٢٤٧ — ٢٤٥ ، ٢٣٦ — ٢٣٤

٠ البلسان : ٣٧٨/٤

٠ بلسان جلعاد : ٣٧٨/٤

٠ بلعام بن بعورة المنسلخ : ٣٧٢/٤ ، ٣٧٢

٠ البلسم : ١٠٨/٤

البلفار : ٦٠/١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٤٢ ، ١٥٢

٠ ٢٧٠/٣ ، ١٨٧ ، ١٨١ ، ١٥٣

٠ بلغاريا : ١١٤/١ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٩

٠ البلقاء : ٢٧٢/٤ ، ٢٢١/٣

٠ بلقاسم : ٦٦/٣

٠ بلك : ٢٢٢/٢ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦ /٣

٠ ٢٧

• البلوط : ٣٦٧/٤

• بلوط باشان : ٣٦٨/٤

البليار (جزائر Balearie Isles)

بليان الصغير Balian (صاحب الرملة) : ٣٣٢/٣
• ٢٤/٤

بليان الكبير (صاحب ابلين) : ١٢١/٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
• ٢١٨ ، ٢١١ ، ٢٤/٤ ، ٣٢٢ ، ٣٠٧

• بليان النابلسي : ٣٢٤/٤

• بليان (اخو بلدوين صاحب الرملة) : ٢٣١/٤

• بليان البافاري : ٤١١/٣ ، ١٨٠/٤

• بليشم : ١٧٨/٣

• بن (Ben) ٨٥/٢

البنداقية : ٣٣٤/٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ - ٣٨٢ ، ٢٨/٣ ،
• ٣٣٩ ، ٣٢٣/٤ ، ٤٣ ، ٣٤

• بنت مصر : ٣٧٨/٤

• البندقية : ٦٣/٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٢٢٦/٤

• بندكت (اسقف الرها) : ٢٤٨/٢

• بنفنتو (Benevento) ٣٨٣/٣ ، ٣٩٥ - ٣٩٧

• بنر اسرائيل : ٣٤١/٣ ، ٤٠/٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٨

• بنو جرشوم : ٤٠٣/٤

• بنو لعوان : ٤٠٣/٤

• بنو هنوم : ٣٩١/٤

• بنيامين الطليطلى : ٧٩/٢

• بواتيه (Poitiers) : ٨٣/٤ ، ٢٥٤

• بويين (Butella) : ١٠١/٤

• بورفيريون : ١٦٨/٢ ، ١٩/٣ ، ١٠٨

• بوريا : ١٢٩/٤

• البوسنة : ٣٦٤/٤

• بولس المبشر : ٣٨٠/٢ ، ١٥٢/٣ ، ٢٤٤/٤ ، ٢٧٤ ، ٣٥٤

• ٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٢ ، ٣٥٧

• بولونيا : ٢٤٤/١ ، ٥٠/٢ ، ١٥١

• البولايكان (Paulicans) : ٧٩/٣

• بونتس : ٨٦/١ ، ٢٧١/٣ ، ٢٧٧/٤ ، ٣٣٨

• بونس بن برترام : ٢٩٩/٢ ، ٣١٠ ، ٣٤٨ ، ٣٦٢

• ٣٠/٣ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٦٨ ، ٩١ ، ٩٧ - ١٠٠

• ١٨١/٤ ، ١٣٣

• بوس دي بالزون : ٥٤/٢

• بوهيموند (الأول) بن روبرت جيسكار : ٢٣/١ ، ١١٠

• ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٥

• ١٨٨ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ - ٢٢٦ ، ٢٣٦ ، ٢٤١

• ٢٥٢ - ٢٥٤ ، ٢٨٣ ، ٢٩٤ - ٢٩٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩

• ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠

• ٣٤٢ ، ٣٤٤ - ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ - ٣٥٧ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨

• ٣٧٢ - ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤٣١

• ١١/٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ١٤١ ، ١٧٠ - ١٧٣

١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧
٢٥٠ - ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ ، ٢٥٢ ، ٢ / ٣ ، ٥٩ ، ١٠٤ ،
١١٨ ، ١٥٠ .

بوهيموند الثاني (بن بوهيموند الأول) : ٢ / ٢٥٢ ، ٣٦٠ ،
٤٧ / ٣ ، ٥٨ - ٦١ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،
١٣٤ ، ١٧٦ / ٤ .

بوهيموند الثالث (امير انطاكية) : ٤ / ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ،
٣٧ ، ٨٢ ، ١٩٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ - ٢٦٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ .

بياتريس (Beatrice) زوجة جوسلين الثاني الصغير) :
٣ / ٩٥ .

البيازنة : ٢ / ١٧٠ ، ٤ / ٣٢٣ .

بيت ايل : ٤ / ٣٩٩ .

بيت باشان : ٤ / ٣٧٧ .

بيت برنارد دي نيد شاتل : ٢ / ٣٨١ .

بيت بيزان : ٢ / ٢٨٦ .

بيت جبريل (أو حبرين) : ٣ / ١٣٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢٢٢ ،
٤ / ١٦٥ .

بيت جن (Bettegene) ٤ / ٣٠٨ .

بيت جيلبرت (Gilbert) البافاري : ٢ / ٣٨١ .

بيت سمعان الدباغ : ٢ / ٧٩ .

بيت عنبا : ٤ / ٢٨٦ - ٢٨٨ ، ٣٩٩ .

بيت لحم : ١٥/١ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٧٤ ، ١٥/٢ ، ٧٠ - ٧٣ .
٨١ ، ١٠٠ ، ١٤٥ ، ١٧٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٧٤/٤ .

بيت اللذة : ١٩٠/٤ .

بيت لهيا : ١٥١/٣ .

بيت نوب Bettenubbe : ١٠٢/٣ ، ١٥٠ .

بيت وعر لبنان : ٤٥٤/٣ .

بيثاني : ٢١٣/٣ ، ٢٢٢ ، ١٧٦/٤ ، ٢٣٩ ، ٢٨٨ .

بيثيل (عابد العجل الذهبي) : ٨٢/٢ .

بيثينية (Bythynia) ٦٠/١ ، ٨٦ ، ١٢٤ ، ١٣١ ،

١٤١ ، ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٨٧ ، ٢١٤/٢ ، ٢٧٠/٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ،

٢٨٠ ، ٢٣٩/٤ ، ٢٧٧ ، ٢٣٨ .

بيدي (العالم) : ٥٢/٣ .

بيرتا السلزباخية (Bertha Sulzbach) ، وكانت

تعرف بايرين) : ٢٩٨/٣ ، ٨٤/٤ .

بير سبع Beersheba ١٣١/٣ ، ١٣٢ ، ١٥٣ ، ٢٤/٤

١٥٣ ، ٣٥٤/٤ .

بيروت : ٣١/١ ، ١٩١/٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٨ ، ٢٥٥ ،

٢٧٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ - ٢٩٣ ، ٣٧٧ ، ٢٠/٣ ، ٥٧ ، ١١٥٠ ،

٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٤١٥ ، ٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٩٧/٤ ، ١٦٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ،

٢٩٣ - ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٦ .

- بيرهوس (حلاء الأبيروت) : ١٥٢/١
- تيروس بريموس (مكان مقفر) : ١٥٣/١
- بيزنت (عملة) : ٣١٠/٤ - ٣١١
- بيزنطة : ٦/١ ، ٢٢ ، ٧٠/٣ ، ٢٤٢/٤
- البيزنطيون : ١٢٥/٤ ، ١٢٦ ، ١٦٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢٦٩
- بيسارو : ٣٩٥/٣
- بيسان : ٩١/٢ ، ٢٧٠ ، ٢١/٣ ، ٥١ ، ٨٢ ، ٢٩٠/٤ ، ٣٢١ ، ٣٣٠
- بيسان سكيثوبوليس (Scythopolis) : ١٧٢/٢ ، ٢١/٣ ، ٨٣ ، ٥٩
- بيسيديا (بيسيدية Pysidia) : ٢٢٩/١ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٣٠١
- بيلا : ٢٥٨/٣
- بيلوز (بيلوزيوم = الفرما) : ٤١/٤ ، ٨٨ ، ١٠٣
- بيلين (Bilin) : ٣٩/٣
- بيمارستان القديس يوحنا : ٢٧٩/٤
- بين النهرين : ١٩/٣
- بيوتيا Boetea : ٣٥٤/٤
- ببورى (المؤرخ) : ١٠/١

• تابوت العهد : ٣٦٠/٤ ، ٤٠٣ .

• تاتيكيوس (Taticius) : ١٤٣/١ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢١٧ .

• ٢١٨ ، ٢٥٢ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٢١١ .

• تاج الملوك بوري : ٦٩/٣ ، ٨٣ ، ١٥٢ .

• تاديوس الرسول : ٢٥٨/١ ، ٢٤٠ .

• تارح (والد ابراهيم الخليل) : ٢٤٨/٢ .

• تارنتو : ١٦٩/١ .

• تاريخ الاعمال التي تمت وراء البحر : ٥/٢ .

• تاريخ اعمال امراء المشرق : ٦٨/١ .

• تاريخ الفرنجة وحجاج بيت المقدس : ٦/١ .

• تاريخ الفرنجة وغزاة القدس : ٣٣/١ .

• التاريخ الكبير : ٣١/١ ، ٣٥ ، ٣٧ .

• التاريخ المجموع على التحقيق : ٣١/١ .

• تانكريد (Tancred) : ٩١/١ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١٤١ .

• ١٧٢ ، ١٩٥ - ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ،

٢٣٥ - ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،

٢٥٦ ، ٢٧٥ ، ٤٠٥ ، ٤١٣ - ٤١٥ ، ١٣/٢ ، ١٥ ، ٣٤ ، ٤٢ ،

٤٤ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ١٠٨ ،

١٠٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ،

٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٥١ - ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ،

٢٧٢ - ٢٧٥ ، ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٥١ ، ٩١/٣ ، ٩٧ ،

• ١٣٦

• تانكريد بن وليم مارشيسيوس : ١٦٩/١

• تبنين : ١٥٤/٣

• التجديف : ٣٥٨/٤

• التجسس : ٣٣٧/٤

• التدليك بالزيت : ١٧٥/٤

• تدمير : ٢٠/٣ ، ٩٧/٤ ، ١٥١ ، ١٩٤ ، ٢٤١ ، ٢٦١

• تدمير بن حسان : ٢٤١/٤

• تدمير الصحراوية : ٢٨٤/٤

• تدهور وسقوط الامبراطورية الرومانية : ١٠/١

• تراخونيتس (Trachonitis) : ٢٤٩/٣ ، ٢٩٦ ، ٣٤/٤

• ٣٧٤ ، ٣٧٣/٤

• تراقيا : ١٥٣/١ ، ١٥٩ ، ١٩٠ ، ٢٧٠/٣ ، ١٤٨/٤

• الترسيم الكنسى : ٩٦/٤

• ترشيش : ١٦/٣

• الترك (الاتراك ، والتركمانيان) : ٥٧/١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩

• ١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٧٥ ، ٣٣/٣ ، ٥٤ ، ٦٠

• ٩٩ ، ١٧٢ - ١٧٤ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤

• ٤٠٣ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، ٤٢٦ ، ٣٢/٤ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧١

• ٧٦ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٣٦ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٦٠

• ٢٢٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩٧ ، ٣٢٣

التركمان : ٧٦/١ ، ٧٩ ، ٥٤/٣ ، ٦٠ ، ٤٠٣ ، ٦٢/٤ ، ١١٠ ، ٢٣٠ .

التركوبوليسه Turcoples : ٥٤/٣ ز وانشر
الدركوبولية عند ابن القلانسي : ٦٢/٤ ، ٦٥ ، ٩٥ .

• تركي البركاتي : ٤٥/١ .

• تروجة : ٦٥/٤ ، ٨٩ .

• تروى : ٢٤٦/٢ .

• تساليا : ١٥٣/١ ، ٢٧٤ ، ٢٨١/٤ .

• تسكاييا : ٢٦٨/٤ .

• التسمير : ٣٧٧/٤ .

• التعميد : ٢٦٦/٤ .

• التعميد بالروح القدس : ٣٩٦/٤ .

• التعميد بالنار : ٣٩٦/٤ .

• التعميد بالماء : ٣٩٦/٤ .

تقوع (Tekoah) : ٧٤/١ ، ٨١/٢ ، ١٠٠ ، ١٧٢/٣ ، ١٧٤ ، ٢١٧ ، ٣٨٠ ، ٣٧٤/٤ .

• تقى الدين الحموى : ٦/١ .

تل باشر : ٢٣٠/١ ، ١٩/٢ ، ٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٩٦ ، ٢٦٣ ، ٣٦٩ ، ٢٠٠/٣ ، ٢٣٥ ، ٢٢٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

• تل تانكريد : ١٩٢/٢ .

• تل الحجاج : ١٩٢/٢ ، ٢٤٤ ، ٢٧٦ ، ٣٩٣ .

• تل حمدون : ٢٢٢/٣ .

- قل دانيث : ٣١٤/٢ ، ٣٥٤
- قل شمر : ٨٢/٢
- قل صافية : ٢١٠/٣ ، ٢١٢ ، ٢٢٢
- قل الفرما : ٨٨/٤
- قلال كيسون : ٢٩٣/٤
- القمود : ٣٦٣/٤
- ابو تميم (المعز لدين الله) : ٥٣/٤
- تنيس : ٣٢٩/٢ ، ٥٦/٤ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ١١٩
- توبانيا : ٢٢٠/٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠
- التوراة : ٧٤/٢ ، ١٥٠/٣ ، ١٥٢ ، ٣٢٩/٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥
- تورانتو : ١٦٢/٤
- تورقوتا : ٣٨٢/٣
- توروس الأرمني : ١٩٤/٢ ، ٣٢٦ ، ٤٠١/٣ ، ٤٠٢ ، ٤١٧
- ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٥٧ ، ٣١/٤ ، ٣٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠
- تورون : ٢٣٢/٤ ، ٢٣٣
- توفيليوس : ٢٧١/١
- توما الرسول : ٢٤٠/٣
- توماس (ابن اخت توروس الأرمني) : ١٥٠/٤
- توماس بيكيت (Thomas à Becket) : ١٣٧/٤ ، ١٦٦
- توماس دي لافر (de la fère) : ١١٠/١ ، ١٢٤ ، ٢٢٨
- ١٢٤/٢

- قيبيريوس قيصر (هو طيبأريوس فى الاناجيل) : ١٧٨/٣ .
- تيتس ليفياس المؤرخ : ٣٤٤/٤ .
- تيتس الكبير : ٦٦/١ .
- تيتس فاسباسيان الامبراطور : ٨٣/٢ ، ٨٨ ، ٩٣ .
- تيراس بن بافث بن نوح : ١٥/٣ .
- تيفانيا (رئيسة دير النساء) : ٢٣/٤ .
- تيفولى : ٢٨٢/٣ .
- التين : ١٨٢/٢ ، ٣٥٢/٤ .
- التيوتون : ١٢/١ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ -
- ١٣٣ ، ٢٠٧ ، ٤١٧ ، ٢٤/٢ ، ٢٩٧/٣ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ ، ٣٨٢ .
- ٢٢٤ ، ٢٥٩/٤ .
- تيودورا بنت اسحق (زوجة بلدوين الثانى) : ٤٢٧/٣ ،
- ٤٢٨ ، ٩٧/٤ ، ٢٠٠ .
- تيودورا (زوجة بوهيموند الثالث الشرعية) : ٢٦١/٤ ،
- ٢٦٢ ، ٣٢٨ .
- تيودورا كالوسنيا : ٢٦٢/٤ .
- تيودوسىوس المؤرخ (Theodosius) ٢٧٥/١ .
- تيودوسىوس (بطرك القسطنطينية) : ٢٥٩/٤ .
- تييرى كونت فلاندرز (Tierry of Flanders)
- ٩٢/٣ ، ١٧١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٤١٥ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٣١ ،
- ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٢٣/٤ ، ٣٦ .

• الثغور : ١٥١/٣

• توبييت الصغير : ٢٥٨/١

• توبييت الكبير : ٢٥٨/١

• الثياب الأرجوانية : ٣٥٦/٤

• ثيابتيرا : ٢٣٨/٢

• الثيران : ٣٦٨/٤

• ثيوبولد الكونت الكبير : ١٠٩/١ ، ٣٠٦/٣

ثيوبولد الثانى (كونت بلوا وشارترز

Count de Blois et Chartres

١١٥/٤ ، ١٤٧ ، ٢٦٠

• ثيوفلاكت (المترجم البيزنطى) : ٤٤٤/٣

• ثيوفين (اسقف بورتو) : ٣٠٥/٣

• جابيلوس : ٢٥٨/١

• الجاثليق : ١٩٨/٣

• جارتون (اخو الملك لويس) : ٩٧/٣

• جارنييه دى جراى (Garnier de Grey) : ١٤٥/١

• ٣١٧ ، ٤٠٥ ، ١٩٦/٢ ، ١٩٧

• جاستون دى بيزيه (Gaston de Beziers) : ١٧٧/١

• ٢٢٨ ، ٧٢/٢ ، ١٢٤

• جاستون دى بيارن (de Bearn) : ١١٠/١ ، ١٧٧

• ٢٢٨ ، ٤٠٥ ، ١٠٧/٢ ، ١٢٤

- جالن دى كالفومونت (Galen de Calvomont) : ١١٠/١
- جالو دى شومونت (Galo de Chaumont) : ٢٢٨/١
- ٤٠٥

- جالو دى ليل (de Lille) : ٢٠٧/١
- جاليران : ٣٦٨ ، ٣٦٤ ، ٣٦٣/٢
- جامعة عين شمس : ٤٥ ، ٦/١
- جامعة القاهرة : ٤٥/١
- جامعة الملك عبد العزيز بجدة : ٤٥ ، ٢٤/١
- جب الأسد : ٨٥/٢
- جبريل (عليه السلام) : ٣٩٤/٤
- جبريل الارمنى : ٢٨٠ ، ٢٥٥ ، ٢٣٩ ، ١٩١ ، ١٨٣/٢
- ٢٤١ ، ٢٨٣
- جبعون : ٣٧٥ ، ٣٧٤/٤ ، ٨١/٢
- الجبعيون : ٣٧٥/٤
- الجبل الأسود : ٢٧٦/١
- جبال الألب : ٢٥٧/٢ ، ٢٨٠ ، ١٥٤ ، ١١٠ ، ٩٨ ، ٩٦/١
- جبال أطلس : ١٩٠/٢
- جبل بارلييه : ٢٧٣/١
- جبل باشان : ٣٦٧/٤
- جبل برناسيس : ٢٧٤ ، ٢٧٣/١
- جبال البلقان : ١٥٣/١

- جبل بنى هلال : ٢٩٦/٣
- جبل تابور : ١٦٦/٢ ، ٢٧٥/٤
- جبل التجلى : Transfiguration : ٢٧٦/٤
- جبل تقوع : ٢٧٧ ، ٢٧٦/٤
- جبل جرمون : ٣٦٧/٤
- جبل جلبوع : ٢٧٧ ، ٢٧٦/٤
- جبل الجلجثة : ٨١/٢ ، ٨٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٧ ، ٧٧/٣ ، ٢١٥ ، ٢٨٦ ، ٤٩١
- جبل جلعاد : ٣٦١/٢ ، ١٧١/٣ ، ١٧٤ ، ٤٢١ ، ٣٦٧/٤ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨
- جبل الجليل : ١٧٤/٣
- جبل حوريب : ٣٦٥/٤
- جبل الدروز : ٣٦٧/٤
- جبل الريان (هو جبل بنى هلال) : ٢٩٦/٣
- جبل الزيتون : ٧٦/٢ ، ٧٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ٣
- ٢١٣ ، ٣٤٧ ، ٣٨٧/٤ ، ٣٨٨
- جبل السامرة : ١٨١/٢
- جبل الشراة : ٢٢١/٣
- جبل صهيون : ٨٤/٢ ، ٨٦ ، ١٢٥ ، ٣٨٤ ، ٢٦٥/٣
- جبال طوروس : ٢٣٥/١ ، ٢٣٦ ، ١٩٤/٢ ، ٣٧٠/٤
- جبل العاصى : ٢٧٣/١
- جبل كاسيوس : ٢٧٤/١

- جبل الكرمل : ٦٥/٢
- جبل كلفاري : ٢٣٧/٢ ، ٧٧/٣
- جبل لبنان : ٢٦٩/١ ، ٤٥/٢ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٢٦٨ ، ٣٠٠ ، ١٢٣ ، ٥٢/٣
- جبل اللكائم : ٢٢٢/٣
- جبل المرية : ٨٦/٢ ، ٨٧ ، ٣٥٧/٤
- جبل نجرة : ٣٥٢/٢
- جبل بنى هلال : ٢٩٦/٣
- جبل هليكون : ٢٧٥/١
- جبلة : ١٤/٢ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٢٠٢ ، ٩٦/٣ ، ١٢٩
- جبيلين (Gibelin) اسم آخر لجبلة عند الصليبيين) : ٥١/٢
- جبيلين (Gibelin) (بطرك بيت المقدس) : ٢٥٥/٢ ، ٢٩٣ ، ١١٥/٣ ، ٣٢٣ ، ٣٢٠
- جبيلين (رئيس اساقفة أرليس) : ٢٦٥/٢ - ٢٦٧ ، ٢٨٥ - ٢٨٧
- ابن جبير : ٧٩/٣ ، ١٥٤ ، ٢١٨
- جبيل : ٦٢/٢ ، ٦٣ ، ٢٠٣ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨
- جبيل : ٢٧٧ ، ٢٠/٣ ، ٢٧ ، ١١١ ، ٢٩٢ ، ٤٤١ ، ٣٨٢/٤
- جدة : ٤١/١
- جدعون : ٣٧٨/٤ ، ٣٧٩
- الجذام : ٢٤/١
- الجراد : ٣٥٧/٢

- جرار (ارضى) : ٢٥٣/٤
- جرش : ٢٥/٣ ، ٣٨٤/٤
- جريكيز Gercaise اخو بلدوين الثانى (: ٢٣٦/٢
- جريجورى الكردينال : ١٠٦/٣
- جزر اليشة : ١٦/٣ ، ٢٥٧/٤ ، ٣٦٤
- جزيرة ديلوس : ٢٥١/٤
- جزيرة ساعوس (Samos) : ٣٦١/٤
- الجزيرة العربية : ٢٨٧/٢
- جزيرة قبرص (Cyprus) :
- الجسر الحديد : ٤٤٨/٣
- جسر لوكان : ٢٨٢/٢
- جلاسيوس (Gelasius) الملك (: ٢٣٢/٢
- جذبوع : ٣٧٦/٤
- جلعاد : ٨١/٢ ، ٨٢ ، ٤٢١/٣
- جلف (Guelf) الدوق ١٩٦/١ ، ٢٢٩ ، ٣٠٦/٢
- جلفيروس البرجى (ويسمى جوفيه) : ٣٦/٢
- الجليل : ٦٥/٢ ، ١٧٤/٣ ، ٣٧٥/٤ ، ٣٩٠
- جنوب ايطاليا : ١٥٠/٢
- جنوة : ٣٠٧/١ ، ٣١٦ ، ٦٣/٢ ، ٧٦ ، ١٠٤ ، ٢٤٥
- الجنوبية (الجنويون) : ٣١٦/١ ، ٣١٧ ، ١٠٧/٢ ، ١٩٢

۲۱۷ ، ۲۲۱ ، ۲۴۵ - ۲۴۷ ، ۲۵۴ ، ۲۷۵ ، ۲۷۷ ، ۲۷۸ ، ۲ / ۲ ، ۴۴۱

• جهنم : ۳۹۱/۴

• جوييتر : ۲۵۱/۴

• جوانفيل : (Jcinville) : ۶/۱

• جوتابيل : ۲۴/۳

• جوتاس : ۱۰۵/۲

جوتشوك (Gottschalk) ، وانظر جودشو :

• ۱۴۸ ، ۱۴۶ ، ۱۴۲ ، ۱۳۶ ، ۱۳۳ - ۱۳۱ ، ۶/۱

جوتيرا (Godehilde) وانظر ايضا جودهيلد (Godehilde) :

• ۱۹۴/۲ ، ۲۳۵ ، ۲۳۴/۱

• جوتييه دي مونت جوي : ۲۸۵/۳

جودفري (وقد يقال له جوفري ، اسقف لانجرز (Dangers) :

، ۳۰۶/۳

جودفري دي بويون (Godefroy de Bouillon) ۳۲ ۱ ،

، ۳۹ ، ۴۰ ، ۵۴ ، ۱۰۹ ، ۱۳۹ ، ۱۴۱ ، ۱۴۵ ، ۱۴۷ - ۱۵۲ ،

۱۵۴ - ۱۵۶ ، ۱۶۰ - ۱۶۹ ، ۱۷۳ ، ۱۷۴ ، ۱۸۵ ، ۱۸۸ ، ۱۹۴

۲۰۱ ، ۲۰۶ ، ۲۱۲ ، ۲۱۳ ، ۲۲۶ ، ۲۳۲ ، ۲۴۶ ، ۲۵۳ ، ۲۸۲

۳۰۱ ، ۳۱۹ - ۳۲۱ ، ۳۲۸ ، ۳۴۲ ، ۳۶۸ ، ۳۷۲ ، ۴۰۲ ، ۴۰۵

، ۴۱۳ ، ۴۱۴ ، ۷/۲ ، ۸ ، ۱۴ ، ۲۲ - ۲۴ ، ۲۶ ، ۲۷ ، ۳۲ ،

۳۴ ، ۳۷ ، ۴۹ - ۵۱ ، ۷۰ - ۷۱ ، ۹۵ ، ۱۰۷ ، ۱۰۸ ، ۱۲۰ ،

۱۲۳ - ۱۲۴ ، ۱۳۹ - ۱۴۱ ، ۱۴۳ ، ۱۴۶ - ۱۴۸ ، ۱۵۰ - ۱۵۲

، ۱۵۷ - ۱۶۰ ، ۱۶۳ ، ۱۶۴ ، ۱۷۰ - ۱۷۴ ، ۱۷۹ ، ۱۸۱

۱۸۲ ، ۱۸۴ - ۱۸۶ ، ۱۸۹ ، ۱۹۳ ، ۱۹۶ ، ۱۹۸ ، ۱۹۹ ، ۲۰۱
 • ۲۱۰ ، ۲۱۸ ، ۲۲۳ ، ۲۸۴ ، ۲۸۶ ، ۳۳۶ .

- جودفری (جوفری) بوریل Burel ۱۲۷/۱
- جودفری دی رانکون Rancogne : ۲۸۲/۳
- جودفری الراهب : ۳۵۰/۲ ، ۹۴/۳ ، ۲۰۳ ، ۴۳۱
- جودفری دیش d'Esch ۱۳۹/۱ ، ۱۴۶ ، ۱۴۷
- جودفری دی سنت اومیر de St. Omer ۲۴۵/۲
- جودفری شاربولو Charpulu (اخو جوسلین الکبیر)
 • ۱۳۹/۳

- جودفری مارتل (Martel) : ۹۰/۳
- جودنتیوس (أسقف قيصرية) : ۱۹۲/۳
- جود هليدا (Godehilda) انظر جوتيرا)

• جورج القديس الشهيد : ۶۵/۲ ، ۶۶

• جورج خوري : ۳۸۸/۴

• جورج قنواقي : ۴۵/۱

• جورجون (Gorgon) ۲۲۲/۱

• جورموند (Gormond) بطرك القدس) : ۲۴۷/۲

• ۳۵۸ ، ۳۷۶ ، ۲۸۲ ، ۶۶/۳ ، ۶۷

جوسلون بن كودون دي مونتاج

(Joscelon Son of Conon de Montague)

جوسلين بروتوسيبياستوس (Protosebastos) ٤٣٠/٢ ،
٤٣١ .

جوسلين بسيللوس (Pisellus) ٢٦/٣ : ٤٣١ .

جوسلين الكبير ٣٦٥/٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٦/٣ ، ١٧ ، ٤١ ، ٦٠ ،
٦١ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٩٤ - ٩٦ ، ٢٣٦ .

جوسلين الثالث : ٩٥/٣ ، ٩٧ ، ١٤٠ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ،
١٩١ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٣٤ ، ٢٥٩ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٧٣ .

جوسلين دي كورتناي (de Gourtenay الاول) :
٢٣٩/٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٧٢ ،
٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٠٦ - ٣٠٨ ، ٣٢٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ .

الجوسنطاريا : ٣٧٤/٣ .

جوفري راهب فرسان المعبد : ٤٣١/٣

جوفري دي مارتل (Martel) : ٩٠/٣ .

جون (يوحنا) البروتوسيبياستوس Protosebastus :
٤٣١/٢ .

جون (يوحنا) كونت بلاندارس : ٣٠٦/٣ .

جون (يوحنا) جوتمانوس (Gotmanus) : ٤١١/٣ .

جون (يوحنا) جوليان : ٣٨١/٢ .

جون (يوحنا) كاريانيس (Carianis) : ٧٣/١ ، ٧٤ .

جون (يوحنا) المنير (Almoner) : ٨٨/١ ، ٣٩١/٢ .

جونيه : ٢٠٥/٢ .

جي الاسكندروني : ٤١٣/٣ .

جي بريسبار Guy de Brisebar : ٩٣/٢ ، ١٢٩ .

• جی دی بوسلیسا (Possessa) : ۱۱۰/۱ ، ۲۰۵ ، ۲۰۷ .

• جی دی بونتییه (Ponthieu) : ۲۸۱/۲

• جی صاحب بیروت : ۲۰۷/۲ ، ۲۸۶ ، ۳۵۱ .

• جی دی تروسیل (Troussel) : ۲۷۶/۱

• جی دی جارلاند (Garland) : ۱۱۰/۱

• جی دی لاتور : ۱۲/۲

• جی دی لوزنیان (Lusignan) :

• جیون Edward Gibbon المؤرخ () : ۶/۱

• جیبیریس : ۱۰۳/۳

• جیحون : ۳۹۰/۴

• جیدو (Guido) أخو بوهيموند لأبيه () : ۳۹۱/۱

• ۳۹۲

• جیدو (الراهب) : ۳۴۷/۲

• الجیدور (= راجع انطورية) :

• جیرار (أسقف طرابلس) : ۱۱۱/۳ ، ۱۳۳

• جیرار (المنذوب البابوری) : ۱۰۷/۳

• جیرار (أسقف اللاذقية) : ۱۹۳/۳ ، ۴۳۰

• جیرار (حارس مارستان القدس) : ۳۵۸/۲ ، ۳۸۴ ، ۳/۳

• ۳۹۱ ، ۳۹۲

• جیرار صاحب صیدا (والد رینو) : ۳۰۷/۳ ، ۳۵۱

• ۳۵۴

جیرار دی روسیلون (Roussillon) ۱۱۰/۱ ، ۱۷۷
۴۰۵ ، ۱۲۴/۲ .

جیرار دی شیریزی (Cherisi) ۱۱۰/۱ ، ۲۲۸ ،
۳۴۱ .

جیرالد Gerald ۶۹/۲ .

جیرالد (اسقف لکوریس) : ۱۹۳/۲ .

جیرالد (اسقف بیت لحم) : ۲۰۷/۳ ، ۳۵۰ ، ۲۷۱ .

جیرالد (صاحب صیدا) : ۳۰۷/۳ ، ۳۵۱ ، ۳۵۴ .

جیرسی : ۲۸۸/۲ .

جیرسیوس : ۲۸۸/۲ .

جیروم : ۲۷۲/۱ ، ۱۷/۳ .

جیروم العالم : ۳۶۴/۴ .

جیرويام : ۸۲/۲ .

جیسکارد دی لیل کونسابل بوهیموند الثالث ، ویسمی

ایضا جیشارد دی لیل (Gueschard de Lylle) :

جیسیلبیرت (Giselebert) : ۱۲۳/۲ .

جیعون : ۸۱/۲

جیلبرت دی تریف (de Trèves) ۱۰۶/۲

جیلبرت مونت کلیر (de Montclair) ۲۳۱/۱ ، ۲۴۶ .

جیلدمار (Geldemar) ۱۰۵/۲ ، ۱۰۶ .

جیلز Giles (المندوب البابوی) : ۶۵/۳ .

جینمار : ۲۴۴/۱ ، ۱۳/۲ ، ۵۰ ، ۵۱ ، ۶۳ .

جيتيسارت : ٥٢/٣ ، ٣٧٩/٤ .

حارس القبر المقدس : ١٤/١ ، ٢٩ ، ٣٩ .

حارم (البلد) : ٣٠٧/١ ، ٣١٢ ، ٣٣١ ، ١٦٦/٤ ، ٢١٣ .
٢٢٤ .

الحاقدارية : ٨٢/٣ .

الحاكم بأمر الله : ٥٧/١ ، ٦٩ ، ٧٠ .

الحبس : ٩٦/١ .

الحبيشة : ٦٩/٤ ، ٣٦٠/٤ .

حبقوق : ٨١/٢ ، ١٧٢/٣ ، ٣٨٠/٤ ، ٣٨١ .

حبيس جلدك : ١٧٣/٢ ، ٢١٧ .

الحجاز : ٢٩٥/٣ .

حجر عؤاب : ٢٨٨/٤ .

حجى : ٣٨٣/٤ .

حد الشعانين : ٣٣٠/٢ ، ٣٣٧ .

الحدود اللببية : ٥٩/٤ .

حران : ٢٤٧/٢ - ٢٤٩ ، ٣٦٨ ، ٤٥٦/٣ ، ٣٠٠/٤ .

الحرب الصليبية الرابعة : ٤١/١ .

حربة المسيح : ٥٤/٢ ، ٥٥ .

حزقيال : ٩٢/٢ .

حسن حبشى : ٦/١ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٧/٣ ، ٨٢ .

حسين محمد عطية : ٣٣/١ .

الحشاشون (الحشيشية Assassins) ٢٠٣/٢ ، ١٢٦/٣
٣٤٥ ، ٤٥٦ ، ١٥٦/٤ ، ١٥٧ ، ١٨١ .

حصن (أو قلعة) الأثارب) : ٢٤٩/٢ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ،
٤٥/٣ ، ٥٧ .

• حصن أرسكاثوم : ٩٧/٣

• حصن اليون : ٨٥/٤

• حصن أودولا : ١٧٢/٣

• حصن بعرين : ١٠٠/٣

• حصن جاستون : ٢٢٠/٣

• الحصن الجديد : ٤١٤/٣

• حصن الحاج : ١٥٤/٣

حصن حارم Harene ١٤٩/٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٤٥٦
٣١/٤ ، ٨٣ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٥ .

• حصن رانكولات (Ranculat) : ٣٣٩/٣

• حصن راوندا : ٣٣٩/٣

• حصن الروج : ٩٧/٣

• حصن سكنداليوم : ٤٢/٣

• حصن صلخد : ٢٤٣/٣

• حصن صور : ٣٨/٤

• حصن عتليت : ١٥٤/٣

- حصن الغراب : ٢٢١/٣
- حصن فاقوس : ٥٩/٤
- حصن قشتال الراج (Castel Rosso) : ٤١٦/٣
- حصن الكرك : ٢٠٤/٣ ، ٢٨٤/٤
- حصن كفر سلام : ٢١٦/٤
- حصن كوكب : ٣٤٠/٤
- حصن المرقب : ١٧٠/٢ ، ١٠٩/٣ ، ٢٦٤/٤ ، ٣٣٧
- حصن المنيطرة : ١٩٥/٤
- حصن وادي الأحمر : ١٥٤/٣
- حطب (بلد) : ٢٦/٢
- حقل الدم : ٣٨١/٤ ، ٣٤٩/٢
- حقل دما (انظر حقل الدم)
- حقل الفخاري : ٣٨١/٤

حلب : ٢٧٩ ، ٣١٢ ، ٢١/٢ ، ٢٤ ، ٢٦١ ، ٢٩٦
 ٣١٠ ، ٣٤٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٩ ، ٤٣/٣ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩
 ١٥٠ ، ٢١٩ ، ٢٤٣ ، ٣٧٣ ، ٣٣/٤ ، ٣٤ ، ٨٣ ، ١٢٩
 ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٩ - ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٦٨ ، ٢٩٥
 • ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣١٤

حماة : ٣١٢/١ ، ٤٣/٢ ، ١٤٧/٣ ، ١٤٩ ، ١٢٩/٤ ، ١٩٠

- الحمام الزاجل : ٢٣/٢
- حمد العرينان : ٤١/١

حمص : ٣١٢/١ ، ٤٣/٢ ، ٨١/٣ ، ١١٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،
١٢٩/٤ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٨٥ ، ٣٣٦ .

• الحملان : ٣٦٨/٤

• حمور الحوى : ٣٨٥/٤

• الحمى : ٣١٧/٤

• الحمى الثلاثية : ٢٩٠/٤

• حمى النقرس : ٣١٧/٤

• الحمير : ٣٧٨/٤

حننا البروتوسيباستوس ، وانظر ايضا : جون John tho

الحنطة /٤ ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٦٦ .

• الحوار التوسكاني : ٥١/١

• حوران : ٨١/٣ ، ٢٩٦ ، ٣٢٠/٤

• الحيثيون : ٩١/٢

• حيرام (ملك صور) : ٢٩١/٢ ، ١٦٣ ، ٢١٧ ، ٣٠٢ .

• ٣٨٢

• حيفا : ١٦٨/٢ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ١٩٣ ، ١٠٨ ، ٣٠٠ .

• خاربيديس : ٤٩/١

• خارديس (Chardyssi) ١٠٦ ٢

• خالد بن الوليد : ٢٤٢/٤

• خالسيس (Protosebastos) = 'رياح' ، ٢٠٠

• ٢٤٣ ، ٢١٢/٤

- الخبازون : ٣٥٥/٤
- الخبز : ١٨٢/٢ ، ٣٥٧ ، ١٢٢/٤ ، ١٢٤
- خبز التقدمة : ٣٥٥/٤
- خبز الشعير : ٣٠٦/٢
- خبز الوجوه : ٣٥٥/٤
- الختان : ٣٩٧ ، ٣٨٥/٤
- الخراف : ٣٥٢/٤
- خريسوبوليس : ٢٨١/٤
- خسرو : ٦٣/١ - ٦٥
- الخشب : ١٢٥/٤
- خشب البلوط : ٣٦٨/٤
- الخشخاش : ٦١/٤
- الخشخاش الطبى : ٦١/٤
- الخذمة : ٨٥/٢
- خلقدونية : ١٦٨/١ ، ١٧٤ ، ٢٧٠/٣
- الخليج الفارسى : ٣٣٣/١ ، ٩٩/٣
- خليج نيقوميديا : ٢٧٩/٣
- خليفة بغداد : ٣٢٤/٣ ، ٣٩/٤ ، ٤٠
- الخليفة العاضد الفاطمى : ١٦٠/٢ ، ٢٣/٣
- ٢٧ ، ٣٢ ، ٨٥/٤
- الخليفة العباسى المستنصر بالله : ٨٦/٤
- الخليفة العباسى المعتصم بالله : ١٥١/٣

• الخليل : ٨١/٢ ، ٨٣ ، ٢٠٩ .

• الخنق (مرض) : ٤٣٥/٣ .

• الخنزيرة (لقب صاحبة عكا عند ابن جبير) : ١٥٤/٣ .

• ٢٤٦/٤

• الخنق : ٨٨/١ .

• دار بطرس زنى : ٣٨٠/٢ .

• دار الفكر العربى : ٣٣/١ .

• دار المعرفة باسكندرية : ٣٣/١ .

• دارا (كسرى فارس Darius) : ١٥٨/٣ .

• الداروم : ٢٩٢/٣ ، ٨١/٤ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٢ .

• ٢٩٣ - ٢٩٥

• داريا : ٣٠٨/٣ ، ٣٠٩ ، ١٩٣/٤ ، ٣٠٨ .

• داكيا البحرية : ١٥٢/١ - ١٥٤ ، ٢٧٠/٣ .

• داكيا الوسطى (المجر) : ١١٤/١ ، ٢٧٠/٣ .

• دالماستون : ١٧٩/١ .

• دالماشيا : ١٧٧/١ ، ١٧٩ ، ٣٧٨/٢ ، ١٠٠/٤ ، ٣٦٤ .

• دامبيرت الاسقف (Daembert) : ١٤١/٢ ، ١٧٠ .

• ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٩ - ١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٤١

• ٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

• دان بن يعقوب : ١٥٣/٣ .

• دان (اسم بانباس فى العهد القديم) : ١٤٢/٣ ، ٣٤/٤ .

• دانشمند : ۱۸۳/۱

• الدانشمندیون : ۱۸۳/۲

• الدانیمارکین : ۲۵۵/۲

• دانیتیل بن ایجابیل : ۳۵۳/۴

داود النبوی : ۱۰۳/۱ ، ۷۵/۲ ، ۸۹/۳ : ۳۵۲/۴ ، ۳۵۳

• ۳۵۶ - ۳۵۸ ، ۳۷۰ ، ۳۸۲ ، ۳۸۹ ، ۳۹۰ ، ۴۰۲ ، ۴۰۳

الداویة : ۳۴۵/۲ ، ۳۴۶ ، ۶۸/۳ ، ۲۲۰ ، ۳۶۳ ، ۴۰۰

۴۵۴ ، ۴۵۷ ، ۴۷/۴ ، ۱۳۲ ، ۱۳۴ ، ۱۴۰ ، ۱۵۶ - ۱۵۸

• ۲۰۰ ، ۲۱۱ ، ۲۱۴ ، ۲۳۴ ، ۲۳۶ ، ۳۴۶

• دبورية : ۲۸۵/۴ ، ۲۸۶ ، ۳۳۹

• دبیس بن صدقة : ۳۴۸/۲ ، ۳۵۶

• الدجال : ۱۵۰/۳

• الدرامین : ۱۱۷/۴ ، ۱۶۴

• درب العبید : ۲۲۱/۳

الدركبولية (وانظر التركوبولية) : ۴۵۴/۳ ، ۶۲/۴ ، ۶۵

• ۲۹۵

دروجو (دی) مونشی (Drogo de Monci) ۱۵۶/۱

• ۳۴۱

• درویش النخیلی : ۲۴۵/۲ ، ۱۶۴/۴

• دقاق : ۲۷۸/۱ ، ۲۰۲/۲

• دقلدیانوس : ۶۱/۴ ، ۸۸

• الدقیق : ۴۱۸/۱



• دلماتيا (راجع دالماشيا)

• دلوک : ٤٣٩/٣

• الدماشقة : ٣٤/٣ ، ١٢٥ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢١٨ ، ٣١١ ،

• ٣٠٨ ، ١٩٣/٤ ، ٣١٣

• دمشق : ٦٤/١ ، ٧٨ ، ١٦٢/٢ ، ٢٦٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ،

• ٣١٠ ، ٢٠/٣ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٦٨ ، ١١٠ ، ١٧٥ ،

• ١٨٠ ، ٢٢١ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٦٠ ، ٤٣٧ ، ٤٢٦/٤ ، ٢٩ ، ٣٤ ،

• ٩٧ ، ١١٨ ، ١٣١ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٦ ،

• ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٨ ،

• ٣٦٣ ، ٣١٥

• دمنهور : ٦٦/٤ ، ٨٩

• دمنهور الوحش : ٨٩/٤

• دمياط : ٥٦/٤ ، ٨٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ٢٥٢

• الدهن : ١٣٠/١

• دوج البندقية : ٢٣٣/٢ ، ٢٣٤ ، ٢٨/٣

• دودو (دى) كوئنتى (Dodo de Conti) ١٤٥/١

• دورا (مكان) : ٢٤٣/٢ ، ٢٥٦

• دورازو (Durazzo) ١٣٨/١ ، ١٤٢ ، ١٥٢ -

• ١٥٤ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ٢٧٠/٢

• دوروثيوس (مدرس القانون) : ٢٨٨/٢

• الدوستاريا : ٧٠/٤ ، ١٦٠ ، ١٦١

• دوق نرمانديا : ١٢٤٠ / ٢٩

دومونيحو ميكائيلي (Domanigo Michieli = Donminicus

Michaelis) : ٢٨١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٢ / ١

• ديانا بنت جوييتر : ٣٥١ / ١

• دير الآباء الدومنيكان بالقاهرة : ٤٥ / ١

• دير التجلى : ٢٧٦ / ٤

• دير توبينى : ٣٠٦ / ٢

• دير جبل الطور : ١١٥ / ٤

• دير ديمتريوس : ٢٨٠ ، ٢٤٧ / ٢

• دير سكوريس : ١٦٨ / ١

• دير سمعان : ٣٢٥ ، ٢١٩ / ٣

• دير سنت بول : ٧٥ / ٣

• دير سنت جورج : ١٥٩ / ١

• دير سنت جون قالى : ٦٧ / ٣

• دير سنت لازار : ١٧٦ / ٤

• دير سنت مارى فى يهوشافاط : ٢٨٢ / ٢

• دير سينو : ٣٤٦ / ٢

• دير الطور : ٢٧٦ / ٤

• دير فونتفرولت : ٩٢ / ٣

• دير القديس الياس : ٣٢٢ / ٤

• دير القديسة خنة : ٢٥٨ / ٢ ، ٢٢٦ ، ٣١٢ / ٣

• دير القديسة ماريا : ٨٨ / ١

- دير القديسة مريم : ٢٥٧/٢
- دير كلوني (Cluny) : ٢٤٧/٢
- دير كليوفو : ٢٤٦/٢
- دير اللاتين : ١٧٩/٢ ، ٣٨٩/٣ ، ٢٩٠
- دير مريم المجدلية : ١٧/١
- ديكابوليس : ٢٦١/٢ ، ٥١/٣
- الديلم : ٨٢/٣
- ديمتريوس الصائغ :
- ديموس : ٢٧٦/١
- دينة بنت يعقوب : ٨٢/٢ ، ٣٨٥/٤
- دينوكريتس : ٦٨/٤
- ديوان رسائل مملكة بيت المقدس : ١١ ، ٥/١
- ديوان مراسيم المملكة : ١٨٣/٤
- ديونيسيوس الراهب : ١٦٨/١
- ديوسبوليس : ٦٥/٢ ، ٨٢ ، ٢٢٣
- ديوكليز : ٢٤/٣
- ذراع سنت جورج : ١٣٥/٣
- الذهب : ٣٧٣ ، ٣٥٦/٤
- ذيل تاريخ دمشق : ١٣٥/٣
- رابون (عملة صليبية)
- راتسبون : ٣٣/٢ ، ٢٦٩/٣
- راجوزة : ١٧٧/١

- راس العين (Rasaline) ١٧٥/٣ ، ٤٠٤ .
- الراضى الخليفة العباسى : ٣١/١ .
- رافد هيبوكرين : ٢٧٥/١ .
- رالف (استقف بيت لحم) : ٢٦٦/٣ ، ٤٢٤ .
- رالف (اسقف المصيصة) : ١٠٤/٣ .
- رالف (بطرك انطاكية) : ١٠٥/٣ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ .
- ١٢٩ ، ١٨٥ — ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٨٠ .
- رالف بن رومان دى بوى : ٢٠٤/٣ .
- رالف (دى) فورتينيتو : ٢٨٧/٢ .
- رالف (دى) فونتى : ٣٧٤/١ .
- رالف (دى) ميرل de Merle ٣٤٤/٣ ، ٣٤٥ .
- رواندا : ٣٣٩/٣ .
- راوندال (Ravendal) ٢٦/٢ .
- الرية : ٢٠٤/٣ ، ٢٢١ .
- الرجم : ٣٥٩/٤ .
- الرشوة : ٥٢/٢ .
- رضوان : ١١/٢ ، ١٢ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦١ ، ٧٢/٣ .
- الرفائيون (سكان باشان) : ٣٦٨/٤ .
- رفنية (Raphania) ٥٥/٣ ، ١٣٦ ، ١٥٤ .
- الرقيم : ٣٦٣/٤ .

الرحلة : ١٤/٢ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ١٠٥ ، ١٤٠ ، ١٦٣ ، ١٩٠ ،
 ٢٠٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٦٣ ، ٢٧٧ ، ١٥٠/٣ ،
 ٢٢٢ ، ٣٥٩/٤ .

الرها (Roha = Edessa) ٣٥/١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
 ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ — ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٩٣ ، ٣٠٨ ، ٣٤٠ ، ٢/٢ ،
 ١٢ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ١٨٤ ، ٢٤٧ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٤١ ،
 ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٣٦٨ ، ٥/٣ ، ٤١ ، ١٠٩ ، ٢٣٥ — ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،
 ٢٤٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٩٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٣٩ ،
 ٢٧٤ .

روبرت (من اسقفية روان) : ٦٦/٢ .

روبرت (رئيس الداوية) : ٣٠٧/٣ .

روبرت (أسقف الناصرة) : ٣٥٤/٣ ، ٣٠٧ ، ٣٥٠ .

روبرت (دى) باريس : ٢٢٥/١ .

روبرت أنزى (d'Anzi) ١٦٩/١ ، ٢٣١ ، ٢٤٦ .

روبرت أمير كابوا (Capua) : ٣٩٤/٣ .

روبرت (دى) باريس : ٢٢٥/١ .

روبرت البرجندى : ١٧٣/٣ .

روبرت (كونت) بيرش (Perche) ١١٠/١ ، ١٨٩ ،
 ٤٠٥ ، ٣٠٦/٣ .

روبرت (دى) باسافيلا (de Bassavilla) ٢٨٣/٣ ،
 ٣٩٧ .

روبرت بن تستان (Tostan) ١٦٩/١ .

• روبرت (دی) جيرارد (Gerard) ١٠٥/١ .

• روبرت جيسكارڊ (R. Guiscard) : ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٥٠ ، ١٠٤/٣ ، ٣٠٣/٣ .

• روبرت (دی) روزيير (de Rozieres) ٢٦٦/١ .

• روبرت السرتتوني (de Sorrento) : ٢٨٣/٢ .

• روبرت (دی) سنت لو (St. Loo) ٣٥٠/٢ .

• روبرت (دی) سورديفال (de Sourdeval) : ١٦٩/١ ، ٣٤٠/٣ .

• روبرت (كونت) فلاندرز : ١٠٩/١ ، ١٤١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٥٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، ٣٥٦ ، ٣٦٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ ، ٣٤/٢ ، ٣٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٤ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٧٤ ، ٣٤٠/٣ .

• روبرت كورتهيو : ١٦٨/٢ .

• روبرت (كونت) نرمنديا : ١٠٩/١ ، ١٤٢ ، ١٨٩ ، ٢١٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، ٣٧٠ ، ٤٠٤ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ ، ١٣/٢ ، ٣٤ ، ٤٤ ، ٦١ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٧ ، ٢٨٤ .

• روبين الارمني (صاحب ارمينية الصغرى) :

• روترو (كونت) بيرش : ٩٢/٣ .

• الروج : ١٣/٢ ، ٣٩ ، ٢٩٦ ، ٣١٤ ، ٣٥٤ ، ٩٨/٣ .

- روجر (اسقف اللد) : ٢/٣٥٨ ، ٣٨٣ ، ٣/١٤٠ .
- روجر (أمير أنطاكية) : ٢/٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ .
- روجر بارنفيل (Barnville) ١/١١٠ ، ١٨٩ ، ٢٠٥ .
- ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٣٧٥ .
- روجر بورصة (Boursa ملك صقلية) : ٢/٢٠٣ .
- روجر بن جيسكارد : ٣/١٥٠ .
- روجر بن ريتشارد : ١/٢٥٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ .
- ٣١٦ .
- روجر كونت صقلية وأبوليا : ١/١٧ ، ٢/٦٢ ، ١٠٣ .
- ١٠٤ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٨٧ - ١٩٠ ، ٤/٣٨٨ .
- روجر دي مولان (des Moulins رئيس الاستبارية) .
- الروح القدس : ٤/٣٩٥ .
- رودس : ١/٣٨٦ ، ٢/٦٣ : ٤/٣٥١ .
- رودستو : ١/١٤٢ ، ١٨١ .
- رولان (كردينال كنيسة رومة) : ٣/٤٣٦ ، ٤٤١ .
- الروم : ١/٦٥ ، ٤/٣٧٦ .
- الرومان : ٢/١٨٣ ، ٢٨٨ ، ٣/١٣ ، ٤/٣٦١ ، ٣٧٠ .
- رومان (دي) بوي (Roumain de Puy) ٢/١١٧ ، ٢٠٤ .
- رومانيا : ١/٢٩٧ .
- رومة ١/١٤ ، ١٧ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٥٩ ، ٢٧١ ، ٢٠٠/٢ .
- ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٢٨٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٧٨ ، ٢/٢٠٤ .
- ١٤ ، ٦٣ ، ١١١ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٣٨٢ .

• روهارد (Rohard) حارس قلعة القدس : ٢٠٣/٣ .

• روهارد (الكبير صاحب نابلس) : ١٢٤/٣ ، ٣٣٤ .

• روهارد (الياقوى) : ٤١١/٣ .

• ريتشارد (ذو الذراع الحديدى) : ١٦٩/١ .

• ريتشارد برنسيباتى الزعيم (Principate) : ١٦٩/١ ، ٢٣١ .

• ٢٤٥ ، ٢٣٢

• ريغام بن سليمان : ٩٠/٢ .

• ريمز : ١٥١/٢ ، ٣٤٦ .

• ريموند الصنجيلى دى بواتيه كونت تولوز : ٤١/١ ،

١٠٩ ، ١٤٢ ، ١٨٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ،

٢٣٣ ، ٢٥١ ، ٢٨٣ ، ٣٠٩ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،

٣٣٥ ، ٣٤٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٩٥ ،

٣٩٦ ، ٤٠٥ ، ٤١٨ ، ٤٢١ ، ١٣/٢ ، ١٤ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ - ٤٢

٤٩ ، ٥٢ - ٥٩ ، ٦١ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٠٨ -

١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٧ -

١٤٩ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٩٠ - ١٩٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،

٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٤ ، ٣

• ٢٩١

• ريموند رئيس الاستبارية : ٣٠٧/٣ ، ٣٥٠ ، ٣٦٦ ، ٣٨٤ ،

• ٣٩٣

• ريموند أمير أنطاكية : ١٠٣/٣ ، ١٠٤ ، ١٢٦ - ١٢٩ ،

١٣٤ ، ١٤٦ - ١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،

١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ - ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ،

٢٠٢ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٨٨ - ٢٩٠ ، ٢٩٣ ،

• ٣١٩ ، ٣٢٢ - ٣٢٤ ، ٣٢٦ .

ریموند بن بونس کونت طرابلس : ۱۳۱/۲ ، ۱۳۶ ، ۱۳۸ ، ۱۴۵

ریموند بیلپه (Raymond Pilet) ۱۷۷/۱ ، ۴۰۵ ، ۲/۲ ، ۴۶ ، ۱۲۶ ، ۱۰۵

رینارد (رئیس فرسان المعبد) : ۴۱۱/۳

رینارد کونت تول (Reinard of Toul) : ۱۴۵/۱ ، ۱۸۳ ، ۴۰۵ ، ۲۳۱

رینالد کریتون : ۳۷۴/۱

رینو : ۵۶/۳

رینو (الاسقف) : ۱۴۰/۳

رینو دی بوفیه (Reinaud de Beauvais) : ۲۸۸/۱ ، ۴۰۵

رینو (صاحب مرعش) : ۹۵/۳ ، ۳۲۳

رینو جارنییه الصیداوی : ۱۲۶/۳

رینولد فون امرزباچ (Reinhold Von Ammersbach) : ۱۹/۲ ، ۴۰۵/۱

رینولد کونت اورانچ : ۱۱۰/۱ ، ۱۷۷ ، ۴۰۵

رینولف (أخو روبرت جیساکارد) : ۱۶۹/۱

رینییه دی بروس (Renier de Brus) : ۱۱۲/۲ ، ۱۲۵ ، ۱۳۹ ، ۱۸۵

رینییه صاحب صیدا : ۱۲۶/۳

رينيه دى ماسويه (de Msaier) انظر الاسم التالى :

رينيه منصور (mansour) ١٢٩/١ ، ٣٥١/٢ ، ٩٩ /٣

ريهوبوم : ٩٠/٢

زارا : ١٧٧/١

الزبيب : ١٨٢/٢ ، ٣٥٢/٤

الزجاج : ٢٣/٣

زربابل : ٨٨/٢ ، ٣٨٢/٤ - ٣٨٤

الزرديون (اسرة) : ٣٣٤/١

زكريا : ٣٨٤/٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥

الزلزال ٣٠٩/٢ ، ٣٥٨

الزمرد : ٢٢١/٢

زنكى (عماد الدين) : ٢٧٨/١

الزهاد المسيحيون : ٢٦/٢

زوجة قلج ارسلان : ٢١١/١ ، ٢١٦ ، ٢٢١

زوقير (قرية) : ٢٨٦/٢

الزيت : ١٨٢/٢

زيجمار : ٣٨٤/١

سارة (زوجة ابراهيم الخليل) : ٣٥٣/٤

سارديس : ٢١٨/٢

ساريقا (اسم صيد قديما) : ٦٤/٢ ، ١٩/٣

سالاماندر : ٢٥/٣

- سالرنو : ٩٦/١ ، ٢٤٧/٢ ، ٢٨٧/٣ ، ٢٩٤
- سالومى = او سالومة : ٢٩٧/٤
- سالونا : ١٧٧/١
- سالونيكا : ١٨١/١
- السامرقا : ٨٢/٢ ، ٣٣٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥/٤
- السامريون : ٤٥٠/٣ ، ٣٨٤/٤
- سان درمانو : ٣٩٤/٣
- سبالنو : ١٧٦/١
- سبسطية : ٨٢/٢
- ستاليا : ٢٨٧/٣
- سقراليكيا : ١١٤/١ ، ١٥١ ، ١٥٣
- ستيفان اول الشهداء : ٨٥/٢ ، ٩٦
- ستيفانى (ارملة همفرى الثالث وبينت فيليب النابلسى) :
- ستيفن البرجندى : ٢١٣/٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١
- ستيفن ملك انجلترا : ١٥١/٢ ، ٣٢١/٣
- ستيفن (كونت بلوا وشارترز) : ١٠٩/١ ، ١٢٢ ، ٢٠٦
- ٢٨٠ ، ٣٠٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٨٧ — ٣٨٩ ، ٣٩١ —
- ٢٩٤ ، ٢١٣/٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١
- ستيفن (اسقف طرسوس) : ١٩٣/٣
- ستيفن (اسقف هيتز) : ٣٠٦/٣
- ستيفن (بحارك القدس) : ٣٤٦/٢ ، ٦٧/٣ ، ٦٨ ، ٧٢
- ستيفن اورمال : ١١٠/١ ، ١٨٩ ، ٤٠٤

- مخار : ٨٢/٢
- موم : ٨١/٢ ، ٢٠٩
- السرجندية : ٢٤٩/٢ ، ٤٥٤/٣
- مرجيوس : ١١٠/٣
- سروج : ٢٥٠/١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٩/٢ ، ٣١
- السريان : ٢٢/١ ، ٣٠٢ ، ٣١٨/٢ ، ٣٦٠ ، ٤٣٩/٣
- ٤٥٠

- سعيد بن البطريق : ٥٣/١
- سفر اشعيا : ٣٦٠/٤
- السمكة القلبية : ٣٥٩/٢
- السكر ٢٣/٣
- السكسون : ٢٨٣/١ ، ١٥٦/٢ ، ١٥٨ -
- سكسونيا : ١٤٠/٢
- سكنداليوم : ٣٢٨/٢ ، ٢١/٣
- سكوتارى : ١٧٩/١
- سكيثوبوليس : ٩١/٢ ، ١٩٣ ، ٥١/٣
- سكيلا : ٤٩/١ ، ١٢٦/٢
- السل (مرض) : ٤٥١/٣
- السلاجقة : ٧٨/١ ، ٧٨/٣
- سلاجقة فارس : ٢٩٥/٢ ، ٢٩٦
- السلاحدارية : ٨٢/٣
- السلاف : ١٧٨/١

- سلجوق : ٧٨/١
- سلطان قونية : ٣٢٦/٢ ، ٣٢٦ ، ٤٢٧
- سلطان نيقية : ٢٧٨/٣
- سلوام : ٧٦/٢ ، ٩٣ ، ٩٧
- سلوقية : ٢٧٤/١ ، ٣٨٦ ، ١١٠/٣ ، ٢٨٨
- سليمان بن داود : ٨٣/٢ ، ٩٣ ، ١٦/٣ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٤/٤
- ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ — ٣٩ ، ٣٩٢
- سليمان بن عبد الملك : ١٥٠/٣
- سمعان بن بطرس الحواري :
- سمك الأرجوان : ١٥/٣ ، ٣٥٧/٤
- سمل العيون : ٢٨/٢
- سمطين : ١١٣/١ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٥٠
- سميرنا (انظر ازمير) : ٢٣٨/٢
- سميساط : ١٧/١ ، ٢٥٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٣ : ٢٦
- ٣٣٩
- سنبلط : ٢٥/٣ ، ٣٨٤/٤ ، ٣٨٥
- السنة : ٦٩/١
- سنت باولا : ١٠٥/٢
- سنحاريب بن شلمانصر : ٩٢/٢
- سور اسدود : ٣٦٠/٤

• سورنتو : ٢٨٧/٣

• سورونا : ٢٢٩/٢

• سورين : ٥٧/١ ، ٣١٨/٢ ، ٣٧٣ ، ١٨/٣ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٥٨ ، ١٧١ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٢

• السوريون : ١٣٣/٣

• سولينوس (Solinus) : ١٥٨/١ ، ٢٣٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
• ٩١/٢ - ٩٣ ، ١٠٤

• السويدية : ٩٧/٢ ، ١٨٩ ، ٢٢١ ، ٢٧٤

• سببيل بنت عمرى : ٩٥/٣ ، ٩٧

• سببيل بنت فولك : ٩٢/٣

• سببيل (زوجة تيبرى كونت فلاندرز) : ٤١٥/٣ ، ٤٢٤

• سببيل (أخت بلدوين الرابع وزوجة جى دى لوزنيان)

• سببيل الشريرة

• سيجور : ٢٠٩/٢

• سيراكليوز : ٦٢/٣

• سيرلو (أسقف أقامية) : ١٩٣/٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦

• سيزوبوليس : ٢١/٣

• سيس : ٢٢٢/٣ ، ٤٢٩ ، ٤٥٧

• سيستون : ١٥٨/١

• سيسيليا بنت فيليب ملك فرنسا : ٣

سيسيليا أرملة تانكريد ثم (وجة بونس) : ٢٩٩/٢
٠ ٩٩/٢

• سيشاريوس : ١٥٣/٢

• سيف جليات : ٣٥٥/٤

• سيف الدين اق سنقر : ٨١/٢ ، ٨٢

• سيف الدين مسعود : ٨٠/٢

• سيفيتوت (Civitot) : ٦٠/١ ، ١٢٤ ، ٢١٨

• سيلون : ٢٨٦/٢

• سيمون (صاحب طبرية) : ٣٥١/٢

• سيمون البطرك : ٩١/١ - ٩٣

• سيمون بن الدوق : ٢٨٧/٢

• السيمونية : ٨٢/١

• سينجاليا : ٣٩٥/٣

• شارع عكا : ٢٨٠/٢

• شارع الفرائين بالقدس : ١٢٢/٢

• شارل هارتل : ٨٣/٤

• شارلمان : ٥٧/١ ، ٦٧ ، ٦٨

• الشاقل (عملة الصليبيين) : ٤١٨/١ ، ٣٥٨/٤

• شالاندون (Chalandon المؤرخ) : ٢٢٠/٣ ، ١٦٣/٤

• الشام : ٥/١ ، ٩ ، ١٠ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٥٤

٥٦ ، ٦١ ، ٧٠ ، ١٦٥ ، ٢٤٢ ، ٢٩١ ، ٣٤٠ ، ٣٦٩ ، ٣٨٣/٤

• شالانيل : ٣٨٣/٤

• ابو شامة : ٢٣/١

شاور : ٢٦/٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٨

٦٦ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٢

• ١٦٣ ، ١١٢

شاول (الملك) : ١٩٥/٢ ، ٣٥٦/٤ ، ٣٥٩ ، ٣٧٧

• شبه جزيرة البلقان : ٧٩/٣

• شبه الجزيرة العربية : ٣٧٧/٤

• الشراة : ١٦٥/٤

• الشعير : ٤١٨/١

• شقيف تورون : ٤١/٣ ، ٢٣٥/٤ ، ٢٤٦ ، ٢٦١ ، ٣١٦

• شكيم بن حمور : ٨٢/٢ ، ٣٨٥/٤

• الشلل (مرض) : ١١٨/٢

• شمال العراق : ٥/٣

• شميانيا : ١٧٨/٤

• شمس الدولة (أخو صلاح الدين) : ١٩٥/٤

• شمس الدولة بن ياغي سيان : ٣٣/٢

شمس الملوك اسماعيل بن تاج الملوك بوري : ١٢٢/٣

• ١٥٣

شمعون أخو لاوى : ٣٨٥/٤ ، ٣٨٦

• شمعون بن يعقوب : ٨٢/٢

الشلح : ٩٦/١

شلواه : ٨٢/٢

• الشنق : ٣٨

• الشهيد بطرس الاسكندري : ٢٢١/٤

• الشهيدة كاترين العذراء : ٢٢١/٤

الشواني : ٣٤/٣ ، ٥٧ ، ١١٦/٤ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٣٩

• ٢٠٧ ، ٢٢٥ ، ٢٧٧

• الشوبك : ٢٤٠/٤

• شوح (بن ابراهيم الخليل) : ٣٧٠/٤

• الشوفان : ١٢٤/٤

• شيخ الجبل : ١٥٩ ، ١٥٥/٤

شيركوه : ٤٢٥/٣ ، ٤٥٥ ، ٢٧/٤ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٨ — ٤٠

٤٣ — ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٢ — ٧٥ ، ٨٣ ،

٨٥ — ٨٧ ، ٩٠ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٠ — ١١٤ ، ١٦٤ ، ١٨٢

• ١٨٨

شيزر : ٢٧٠/١ ، ٤٣/٢ ، ٢٩٦ ، ١٤٧/٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠

• ١٦٢ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٩٥ ، ٤٥٦ ، ١٢٩/٤ ، ١٨٤ ، ١٩٠

• شبشبيرون : ٢٧/١ ، ٥٠

الشيطان : ٢١/٤ ، ٤٠٠/٤ ، ٤٠١ .

الشيعة : ٦٩/١ .

صادوق، الكاهن : ٩٢/٢ ، ٢٩٠/٤ .

الصالح اسماعيل بن نور الدين :

المصبغة الأرجوانية : ٣٦٤/٤ .

صحراء التيه : ٤١/٤ .

الصحراء الليبية : ٢٢/٣ .

صخرة أرنوت : ٢٤٦/٤ .

صدقيا : ٢٧١/١ .

الصرب : ١٠٠/٤ .

الصرييون : ١٠١/٤ .

صرقند (= صلخد) : ١٩/٣ ، ٢١ ، ١١٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

٢٤١/٤ .

صرويه أخت داود : ٣٩١/٤ .

الصعيد : ٥٩/٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ١٢٠ .

صفد : ٤١٢/٣ ، ٢٣٢/٤ .

صفورية : ١٤٦/٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣١٦ ، ٣١٧ .

٣٢٦ ، ٣١٩ .

صقلية : ١٧/١ ، ٢٥٤/٢ ، ٢٦٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٤٢ .

١٨٦ ، ٦٢ ، ٥٦/٣ ، ٢٨٧ ، ١٨٩ ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ٦٢ ، ٥٦/٣ ، ١٨٦ .

١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٨٧ ، ٥٣/٤ ، ٩٨ ، ١٢٩ ، ١٧٦ .

صلاح الدين الايوبي : ٥/٢ ، ٦ ، ٢٩ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٥/٢ ،
 ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٨٢ ، ٦٣/٤ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٩٠ ،
 ١١٤ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٥٢ - ١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ،
 ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٨ - ١٩٤ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩ - ٢٢٣ ،
 ٢٢٩ - ٢٣١ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ - ٢٥٦ ، ٢٦٩ ،
 ٢٧١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ - ٢٩٦ ، ٢٩٨ - ٣٠١ ،
 ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ - ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ،
 ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ - ٣٣٧ ،
 ٣٤٠ .

صلخد (راجع صرفند) .

صليب الصليبوت : ١٥٠/٢ ، ٣٠٦/٤ ، ٣٣٤ .

الصنوبر : ٣٠٦/٢ .

صهاريج الأمير : ٨٧/٤ .

صهيون : ١٠٠/١ ، ١٧٤/٢ ، ٢٢٦/٤ .

صور : ٦/١ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ - ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٦ ،
 ٤٠ ، ٤٩ ، ٦٤/٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٨ ، ٢٤٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ،
 ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ - ٢٩٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ،
 ٣٢٨ ، ٣٤٣ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٢/٣ - ٣٩ ، ٢١
 ٢٤ - ٢٧ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ - ٤٢ ، ٦٢ ، ٦٦ -
 ٨٠ ، ٨١ ، ٩٣ ، ١٠٦ ، ١١٥ ، ١٥٣ ، ٢٣٠ ، ٢٥٧ ، ٢٢٢ ،
 ٤٢٨ ، ٩٥/٤ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٥٥ ، ١٩٢ - ١٩٤ ، ١٩٦ ،
 ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ،
 ٣١٦ ، ٣٣٠ ، ٣٥٦/٤ ، ٣٥٧ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ .

الصوريون : ١٥/٢ ، ١٧ ، ٣٥٦/٤ .

• صوفيا : ١١٤/١

• الصوفية : ٨٢/٣

صيدا : ٤٧/٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٢٠٦ ، ٢٢٨ ، ٢٥٥ ، ٢٧٨ ،

٢٨٨ ، ٢٩١ - ٢٩٤ ، ٣٦٤ ، ٣٨٠ ، ٢٠/٣ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ،

٢٧ ، ٦٧ ، ١١٥ ، ٢٥٧ ، ٣٨/٤ ، ٢٤٦ ، ١٥٨ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ،

• ٢٣٢ - ٢٣٤ ، ٢٩٨

• الصيداويون : ٢٩١/٢

• طابيتا : ٨٠/٢

• طارسييس (حفيد يافث) : ٢٢٥/١ ، ٢٣٦ ،

الطاعون : ٣٠٠/١ ، ٣٥٢ ، ٧/٢ ، ١٨ - ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٤ ،

• ٤٠

طبرية : ١٦٩/٢ ، ٢١٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٤١/٣ ، ٥١ ،

٨١ ، ١٥٣ ، ٢٢١ ، ٢٤٤ ، ٣٤٤ ، ٤٠٨ ، ٤٥٥ ، ١٦٠/٤ ،

٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٥٤ - ٢٥٦ ، ٢٧١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،

• ٣٠٧ ، ٣٢٠ ، ٣٣٩ ، ٣٧٦

طرابلس : ١٧/١ ، ٣٥ ، ٤٦/٢ ، ٦٠ - ٦٢ ، ٢٦٠ ،

٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٤٣ ، ٣٥٤ ،

٢٠/٢ ، ٢٧ ، ٥٥ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١٣٦ ، ١٤٨ ، ١٦٥ ، ١٩٩ ،

• ٢٠٤ ، ٢٩٢ ، ٣٦٨ ، ٤٢٩ ، ٣١٥/٤

طرطوس : ٥٢/٢ ، ٢٠٢ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٤٤ ، ٢٠/٣ ،

• ٢٥٧ ، ٢٥٦/٤

• طريق الآلام : ١٧٩/٢

• ٨٣ ، ٨١ ، ٥٣ ، ٤٩ ، ٤٧ ، ٣٤/٣

• الطواشية : ٢٤٣ ، ٢١٩/٤

• الطور : ٣٧٦ ، ٣٥٩/٤

• طوروس (المدينة) : ٢٠١/١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢

• طوروس الأرمني (انظر توروس)

• طيب، فاردين : ٤٠٠/٤

• طيبة : ٢٧٥/١ ، ١٤/٣ ، ٦٠/٤

• طيبيريوس : ٣٤/٤

• ظهير الدين اتابك دمشق : ٨١/٣

• عار مؤاب : ٢٢١/٣

• العاضد لدين الله (أبو محمد عبد الله الخليفة الفاطمي)

• ٢٨/٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢

• ١١٤

• عاموس النبي : ١٧٢/٣ ، ٣٧٤/٤

• ابن عبد الحق : ١٤٩/٣ ، ١٥٣ ، ٨٧/٤

• ابن عبد الرسول : ٦٧/٤ ، ٨٩

• عبد العظيم رمضان : ٦/١ ، ٤٥

• عبد الله بن سبأ : ٨٧/٤

- عبد الله بن عبد الملك : ١٥١/٣
- عبد الله بن محمد بن جعفر بن الحسين : ٥٢/٤
- عبد الله (رسول شيخ الجبل الى الصليبيين) : ١٥٦/٤
- ١٥٨
- عبد يا ٨٦/٢
- العربية (لغة) : ٣٩٣/٤
- البرانيون : ٣٦٦ ، ٣٥٨/٤
- عثمان بن عفان : ٨٥/٤
- العجل الذهبي : ٣٥٩/٤
- العراق ٣٦/١ ، ٢٥٨ ، ٣٣٩ ، ٢٤٢/٤ :
- العرب : ٦٣/١ - ٦٥ ، ٤٠٣/٢ ، ٢٦/٤ ، ٢٤٧ ، ٢٨٤/٤
- ٣٩٨
- عربات مؤاب : ٢٨٨/٤
- عربية : ١٧٤/٣
- العربية (اللغة) : ٤٩/١
- عرقة : ٤٥/٢ - ٤٧ ، ٥٢ - ٥٤ ، ٦١ ، ٢٠٢ ، ٢٧٦
- ٢٠/٣ ، ٢٥ ، ٤٥ ، ١٨٩/٤ ، ٢٥٥
- العريش : ٢١٣/٤ ، ٢٢٢
- عز الدين ابو العساكر : ٢١٧/٣
- عز الدين على بن مالك بن سالم : ٢٩٥/٣

• عز الدين فرخشاه : ٢٩٧/٤

• دنيا (ملك اليهود) : ٣٦٠/٤

• عقلائن : ٤٠/١ ، ١٠٦/٢ ، ١٣٦ ، ١٦١ - ١٦٢ ، ٢٠٨

٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٢ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢

٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٤٩/٣ ، ٦٧ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٣١

١٥٣ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢١٠ ، ٢٢٣ ، ٢٠٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٥١

٢٥٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ١٦/٤ ، ٤٠ ، ٧٩

١١٨ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٠

٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٩٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧

• العسقلانيون : ٢٦٧/٢ ، ٣٠٢ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٢/٣

٣٨ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ١٠٢ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤٢ - ١٤٥

٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٩ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢

• مسكرغالة ٣٠/٤

• العسل ٣٧٤/٤

• عشور الكنيسة : ١٨/٤

• عضد الدولة : ٢١٩/٣

• عكا : ١٧/١ ، ٢٢٨/٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٦ ، ٢٩٨

٣٦٤ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ١٩/٣ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٦٥ ، ٦٦

٩٣ ، ١١٥ ، ١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢١٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧ ، ٣٣٣

٤١٢ ، ٤٢٧ ، ٨١/٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٤٨ ، ١٧٩ ، ٢٠٠

٢٠٧ ، ٢٢٧ ، ٢٣٦ ، ٢٩٥ ، ٣١٢ - ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧

• عكو : ٢٤٣/٢

• العلف : ٢٠٩/٢ .

عماد الدين زنكى : ٧٤/٣ ، ٧١ ، ١٣٦ ، ١٣٩ - ١٧٥ ،
١٧٦ ، ٢١٨ - ٢٢٠ ، ٢٣٥ - ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
٢٤٦ ، ٢٥٩ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ١٨٧/٤ .

• العماليق (العمالقة) : ٣٧٩/٤ ، ٣٩٣ .

• عمان : ٢٤٠/٤ ، ٣٦٣/٤ .

عمر بن الخطاب : ١١/١ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨٨/٢ ، ٤/٤ .

• ٨٦

• عمرو بن عبد العزيز : ١٥١/٣ .

• عمرو بن العاص : ٨٥/٤ .

• عمواس : ٧٠/٢ ، ٧٩ .

عمورى (ملك بيت المقدس) : ٦/١ ، ١١ ، ٢٢ - ٢٥ ، ٢٨ .

٣٠ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥/٣ ، ٩٥ ، ٢١٦ ، ٢٣٠ .

٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٧٢ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٤٢ ، ٤٥١ ، ٤٥٧ ،

٤٠ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٢٩ ، ٢٧ - ٢٢ ، ١٨ ، ١٦ ، ١٥/٤ .

٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٤ - ٦٦ ، ٧٣ .

٧٥ - ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ - ١٠٢ .

١٠٥ ، ١١٠ - ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ .

١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٤ - ١٤٨ ، ١٥١ - ١٥٧ ،

١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨ .

• ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٤٢ .

- عموري دى نيزل : ٨١/٤
- عمون : ٨١/٢
- العونيون : ٢٨٤/٤
- العواصم : ٧٩/٣
- عوج (الملك) : ٣٦٨/٤
- عيد الشعانين : ٧٢/١
- عيد الصعود : ١٦٧/١
- عيد العنصرة : ٢٨١/٤
- عيد الغطاس : ١٦٧/١ ، ٢٥٩/٤
- عيد الفصح : ٢٢٤/٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٣٨٧
- عيد القيامة : ٣٣٩/٢
- عيد الميلاد : ٣٠٩/٤
- عيذاب : ٦٩/٤ ، ٩٠
- عيسى المسيح (عليه السلام) : ٩٣/١ ، ١٤٤/٢ ، ٢٤٠/٣
- ٢٨٥ ، ١٤٣/٤
- العين : ٢٢٢/٣
- عين البقر : ٢٤٣/٢
- عين جروود : ٣٧٨/٤
- عين جلعود : ٣٧٨/٤



عيتتاب : ٢٣٩/٣ .

عين زرية : ٢٣٥/١ ، ٢١/٢ ، ١١٠/٣ ، ١٣٥ ، ١٦٥ ،

٢٠٨ ، ٢٢٢ ، ٤٢٩ .

غابة دقنى : ٢٧٥/١ .

غابة لبنان : ١٩٤/٤ .

غابة مريم : ٢٩٢/٣ ، ٣٤٢ .

الغراب : ٥٨/٣ ، ٦٢ ، ٢٨١/٤ .

غرب الاردن : ٢٠٤/٣ .

الغزالة : ٨٠/٢ .

غزة : ٦٣/١ ، ٣٠٥ ، ١٥٣/٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،

٤١/٤ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٦٥ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٩٣ ، ٣٥٩ .

غلاطية : ٨٦/١ ، ٢٧١/٣ .

الغلمان الأتراك : ٨١/٣ .

الغنم : ٣٧٨ .

الغور : ٢٢٢/٣ ، ٣٧٦/٤ .

غوطة دمشق : ٨١/٣ ، ٢٤١/٤ .

فارس : ٥٧/١ ، ٦٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٣٦٤ ، ٦٩/٤ .

٩٧ .

-
- ٥٦/٣ : Farum فاروم
 - ٤١٨/٣ : (القديس) فاسيل
 - ٨٨/٤ : فاقوس
 - ٤٢٠/١ : فالنسيا
 - ١٧٠/٢ : فالنسيا البحرية
 - ٨٧/٤ : فان فلوتن
 - ٣٥ ، ٦/١ : فتح القسطنطينية (كتاب)
 - ١٥١ ، ١٤٩/٣ : أبو الفداء
 - ٣٨٣/٤ : فدايا
 - ٨٩ ، ٨٧ ، ٥١/٤ : الفراعنة
 - ٣٨٥ ، ٣٨٤/١ : فرانكو (الفارس الصليبي)
 - ١٣٥ ، ١١٥/١ : فرانكونيا
 - ٣٥٤/٤ ، ٣٨٧/٣ : فرجيل
 - ٣٨٢ ، ٣٢٩ ، ٣٠٦ ، ٢٧٩/٣ : فردريك (دوق سوابيا)
 - ٤٣٦ ، ٣٩٥
 - ٢٤٢/٤ : فردريك ببروسة
 - ٢٧/٤ ، ٤٢٤ ، ٣٨٠ ، ٣٥٠/٣ : فردريك (أسقف عكا)
 - ١٨٠ ، ١٧٦ ، ١٦٦ ، ١٤٧ ، ١١٦ ، ٩٦ ، ٧٠ ، ٢٨
 - ٣٧٠/٤ ، ٣٠٠ ، ١٨٣ ، ٥٦/٢ ، ٣٠٤ ، ٨٦/١ : القرس

فرسان الداوية : ٢/٢٤٥ - ٣٤٧ ، ٢/٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ؛
٢٠٠/٣ ، ٢٣٧ ، ٢١٧ ، ١٥٦ ، ١٥٠ ، ٣٨ ، ٢٠٠

• فرسان القديس جورج : ٣/١٤٠

فرسان القديس يوحنا :

• فرع دمياط : ٤/٨٨

• فرع رشيد : ٤/٦٨

• فرع النيل الكاريبي : ٤/٦٨ ، ١٠٧

• فرع النيل الهرقلي : ٤/٦٨

• فرعوت : ٢/٢٢٩ ، ٤/٥١ ، ٣٥٨

• فركسيس (من الالهة اليونان) ١/١٥٩

الفرما : ٢/٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٤/٥٦ ، ١١٧ - ١١٩ ، ١٦٥

• القرن (الموقد) : ٤/٣١١

الفرنجة : ١/٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢٨٣ ، ٣٠٣ ، ٢٢/٢ ، ١٥١

• ٣٣٨/٤ ، ٨٠/٣

فرنسا : ١/١١ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١١٠

• ١٨٠ ، ١٣٧ ، ١١٦/٤ ، ١٥٠/٣

• الفروسية : ١/٢٤

• فريجيا : ٤/٢٥٨

• الفريزيون : ١/٢٨٣

• الفريك : ٤/٣٥٢

فولك دانجو (Foulque d'Anjou) ٢٢/١ ، ٤٠ ، ٦٥/٣
 ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢
 ١٠٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ - ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٣٨
 ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢
 ٢٢٥ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٣١ ، ٢٢٧/٤

فولك ريخين (كونت نورين وانجو ووالد فولك دانجو) :

٩٠/٣

فولك (صاحب طبرية) : ٢٨٦/٤ ، ٢٨٧

فونكس بن اجنور : ١٤/٣

فيروز : ٣٠٨/١ - ٣١٠ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠

٢٤٤ - ٣٥٦

فيريتينو : ٢٩٦/٣

فيزينبورج : ١٣٥/١

فيزيلبيه : ٩٨/١

الفيضان : ٢٥/٤ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٢٠٦

فيلادلفيا : ١٣٨/٢ ، ٢٨٠/٣

فيلوستراتس : ٢٤/٣

فيلو مليام : ٢٥٢/١ ، ٢٩٨ ، ٣٨٨

فيليب ملك الفرنجة : ١٠٩/١ ، ١٣٧/٢ ، ٢٥٨ ، ٢٧١

٩٠/٣

فيليب بن لويس السابع : ٢٦٠/٤

- فيليب (الأول) بن هزرى : ٩٧/١ ، ١٠٩ .
- فيليب (اسقف بوفيه) : ٢٣٦/٤ ، ٢٤٧ .
- فيليب بن برتراد : ٩١/٣ .
- فيليب حتى : ١١٧/٣ .
- فيليب كونت فلاندرز : ١١٥/٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ .
- ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٢٣ - ٢٢٦ ، ٢٤٣ .
- فيليب النابلسي : ٢٣٧/٣ ، ٣٠٧ ، ٣٣٤ ، ٣٥١ ، ٤٠٩ .
- ٥٥/٤ ، ١٤٠ ، ٢٦١ ، ٣٢٨ .
- فيليب بن هرود : ١٧٨/٣ ، ٣٤/٤ ، ١٩٤ .
- فيليبا (بنت ريموند أمير انطاكية) : ١٦٢/٤ ، ١٩٩ .
- ٢٤٥ ، ٢٤١ ، ٢٠٠ .
- فيليبو بوليس : ١٥٤/١ ، ١٦٤ ، ٢٧٠/٣ .
- فيليبس (المبشر) : ٣٦٠/٤ .
- فيليبس (الرسول) : ٣٦٠/٤ .
- فيليبس (حاكم تراخنتوس) : ٣٧٤/٤ .
- فينيقية : ٢٤٣/٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٧ ، ١٨/٣ .
- ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩٢ ، ٣٠٩ ، ٣٣٣ ، ١٩٤/٤ ، ٢٢٧ ، ٢٥٧ .
- ٢٧٠ .
- الفينيقية (اللغة) : ١٧/٣ .
- فينيقية حمص : ٢٠/٣ .

• الفينيقيون : ١٥/٣ ، ٢٥ .

• الفيوم : ٦٠/٤

• قانس برنيه : ٤٠/٤

• قانس النبطية : ٢٢٧/٤

• القار : ١٢٥/٤

• القاقون : ٣٧١/٢

• القبارصة : ٤٢٩ ، ٤٠٢/٣

• قبر استيفان اول شهداء المسيحية : ٩٦/٢

• قبر أم موسى : ١٥٣/٣

القبر المقدس : ٢٠/١ ، ١٤٣/٢ ، ١٥٠ ، ١٦٢ ، ٢٣/٤

قنرس : ٢٣٩/١ ، ٦٢/٢ ، ٦٩ ، ١٣٤ ، ٢٧٣ ، ٢٢٠/٣

• ٢٨٧ ، ٤٠١ ، ٤٤٧ ، ٣٦١/٤ ، ٣٦٤

• قبيلة شمعون : ٢١٠/٣

• قبيلة عشير : ٢٦٨/٢

• القتل ذبحا : ٢٨٠/٤

• قدرون (وُنظر وادي قدرون) : ٨٤/٢

القدس : ٦/١ ، ١١ - ١٣ ، ١٨ - ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٠

٤١ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٥ - ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١٠٤

٢٤٤ ، ٢/٢ ، ٨ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٥

٦٧ - ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٤ - ٨٧ ، ٩٢ - ٩٦ ، ٩٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤

١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٣ — . . .
 ١٦١ — ١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩
 ، ٢١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٤١ — ٢٤٣ ، ٢٥٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦
 ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ — ٣٢٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤
 ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٢٠/٣ ، ٣١
 ٣٢ ، ٣٩ ، ٦١ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٣ ، ١٧١ ، ١٧٣
 ١٧٥ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢٤٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٣٢٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤٦
 ١٨٠ ، ١٧٣ ، ١٦٧ ، ١٦٠ ، ١٤٠ ، ١٣٥ ، ١١٨ ، ٩٨/٤ ، ٤٢٨
 ٣٠٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٣ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٠ ، ١٩٩
 ، ٣٦٩/٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٢ ، ٣٣٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣٠ ، ٣١٧ ، ٣١٠
 • ٣٨٧ ، ٣٨١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٤

• القديس اثناسيوس : ٩٠/٤

• القديس استفان (أول شهداء المسيحية) : ٩٧/٢ ، ١١١

• القديس كيريل : ٩٠/٤

• قرار الحرمان : ١٠٥/١ ، ٣٠٠ ، ٣٣٢ ، ٢٧٠/٤ ، ٣٣٧

• القراغلامية : ٢١٩/٤ ، ٢٤٤

• القربان المقدس : ١٨٧/٢

• قرطاجنة : ١٥/٣

• قرطاجنة : ١٥/٣

• قرطبة : ٦٨/٢

• قرقس (Corycos) : ٢٢٠/٣

• القرقورة : ٢٧٤/٢ ، ٢٥/٣ ، ٥٨

القرن الذهبي : ١٦٦/٤ •

قرية بالعة : ٣٧٢/٤ •

قرية بلعة : ٣٧٢/٤ •

قرية جالين : ٣٧٧/٤ •

قرية جرين الصفري : ٣٢١ ، ٣٢٠/٤ •

قرية الجيب الفوقاني : ٣٧٥/٤ •

قرية الجيب التحتاني : ٣٧٥/٤ •

قرية مسافر : ٢٣٣/٤ •

القسطل : ١٢٤/٤ •

قسطنطين الرهاوي : ٢٦٢/١ •

قسطنطين مونو ماخوس : ١٧٧/٢ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٥٧/١ •

القسطنطينية : ٢٣/١ ، ٢٤ ، ٤٠ ، ٦٠ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ٨٥ ،

٨٦ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٢ ،

١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٥٨ ، ٢٧٨ ، ٢٩٧ ، ٤٢٠ ، ١٦٧/٢ ، ١٦٨ ،

١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٦٩ ، ٣٤٢ ، ٧٩/٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ،

٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٤٢٦ ، ٨٤/٤ ، ١٠٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٧٦ ،

٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٣٣٩ •

القصبة الفارسي : ٣٨٠/٢ •

قصر بالشرناي : ١٥٧/١ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٤٤/٤ •

٢٥٩ •

قصر قسطنطين : ١٤١/٤ ، ١٤٢ ، ...

قصر العين : ٨١/٣ .

قطب الدين مسعود (أمير الموصل) : ٩٠/٤ ، ٢٦٩ .

قطب الدين مودود بن زنكى (أخو نور الدين) : ٩/٤ . ١ .

• ۳۰۰ • ۲۳۴

القطران (انظر ايضا القار) : ١١٨/٢ .

• قطع الأطراف : ١٢٣/٣

• قطع الرأس : ٣٧٧/٤

قطع اللسان : ١٢٣/٣ -

ابن القلانسي : ٧٩/٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ٢١٩ ، ٢٩٧ -

قلج ارسلان : ٦٠/١ ، ١٢٦ - ١٢٩ ، ١٩٣ - ١٩٥ ، ٢٠٠

Σ12, Σ11, 267, 2.8, 278, 277, 228, 218, 2.0 —

• 313, 3/32

• قلعة ابلين : ٢١٠/٣ •

• قلعة ارنولد : ١٠٢/٣

• قلعة أعزاز : ٢١/٢ - ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٢٦/٢ .

• قلعة الطينة : ٨٨/٤

قلعة أنب : ٤١٦/٣

• قلعة أنتونيا : ٨٤ / ٢

• قلعة انطاكية : ٢٧٦/١

- قلعة بالاس : ٣١/٢
- قلعة بايب : ٣٢٩/٣
- قلعة بلدوين : ٤٧/٤
- قلعة بهسنا : ٤٣٧/٣
- قلعة بوهيموند : ١٦٢/١
- قلعة بير سبع : ٢١٠/٣
- قلعة تبينين : ٢٤٦/٤
- قلعة تل باشر : ٣٦٤/٢
- قلعة تل الحجاج : ٢٤٤/٢ ، ١٣٣/٣
- قلعة جعبر (وهى قلعة دوسر) : ٢٤٢/٣ ، ٢٩٥
- قلعة الجيب التحتانى : ٣٧٥/٤
- قلعة الجيب الفوقانى : ٣٧٥/٤
- قلعة ثورون شقيف : ٢٣١/٤ ، ٢٤٦
- قلعة الحجاج (راجع قلعة تل الحجاج)
- قلعة حلب : ٣٧٣/٣
- قلعة حمص : ١٩٠/٤ ، ١٩١
- قلعة خرتبرت : ٣٦٤/٢
- قلعة الداروم : ١٣١/٤ ، ١٣٢ ، ١٣٤ - ١٣٧ ، ٢١٤
- ٣٤٧

- قلعة داود : ١٣٦/٢
- قلعة دوسر (انظر قلعة جعبر)
- قلعة زلرها : ٢٦٤/١
- قلعة الرحلة : ٢٣٤/٢ ، ٢٣٥
- قلعة الدوج : ٢٢٤/٣
- قلعة زردنا : ٤٧/٣
- قلعة سانت البانو : ٣٨١/٣
- قلعة سنجار : ٣١٤/٤
- قلعة صهيون : ٨٣/٢
- قلعة صور : ٢٠/٤
- قلعة العريش : ٤١/٤
- قلعة غزة : ٢١٤/٤
- قلعة فيترى : ٢٣٦/٢
- قلعة فيزينبورج : ٦١/١ ، ١٣٥
- قلعة اللرك : ٢٨٨/٤
- قلعة كريسون : ٩٤/٣ ، ٩٥
- قلعة كفر طاب : ٤٧/٣ ، ٥٩
- قلعة كوكب : ٢٩٠/٤
- قلعة كيسوم : ٤٣٧/٣ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣

- قلعة مودين : ٨٠/٢
- قلعة مونتريال : ٢٢٦/٢
- قلعة مونت جلافيانوس : ٤٩/٣
- قلعة مونت فيرند (Mons Ferrandus) ٩٩/٢ ، ١٢٦
- ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥٤
- قلعة ميرابل : ٢٣٤/٣
- قلعة مونين : ٢١٨/٣
- قلهورية (Calabria) انظر كلابريا) : ١٨٧/٣
- القمار (اليسر) : ٣٠١/١
- قناة ايتيرنو : ٢١٩/٤
- قنسرين : ١٠٠/٣ ، ١٤٩ ، ٢٤٣/٤
- قورس (أو قورص =
(Cyrrhus = Cyrrus = Kurus)
- ٢١٩/٣
- قوص : ٥٩/٤ ، ٧٣ ، ٨٨
- قونية : ٢٣١/١ ، ٢٣٤ ، ٢٩٢ ، ٢٧٢/٣ ، ٢٧٤ - ٤
- ١٩٧
- القيامة بعد الموت : ٢١/٤
- القيروان : ٤٣/٤ ، ٥٣
- قيصرية : ٣٩/١ ، ٩١/٢ ، ٢٠٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٤٣
- ٢٩٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٧١ ، ٢٩١/٣ ، ٣٠٧/٤

• قيصرية البحرية : ٢١/٣

قيصرية فيليب (فيليبس) : ١٩/٣ ، ٢٧ ، ٥٢ ، ١١٤

• ١٣٢ ، ١٧٨ ، ٢١٨ ، ٣٠٨ ، ٣٤/٤

• قيليقية : (انظر كيليكية) - -

• كابوا : ٣٨٣/٣ ، ٣٩٨

• كاتم السر : ٣٣٥/١

• كادموس بن أجنور : ٦٤/٢ ، ١٣/٣

• كارياترب (أى الجليل) : ٨١/٢ ، ٢٠٩

• كازابلا : ٣٥٣/٢

• كاستلوم : ٣٠٧/٤

• كاستوريا : ١٦٩/١

• كافاف : ٣٢٠/٤

• كافان : ٢٨٩/٤

• كالكاليا : ٢١٦/٤

• الكامل بن شاور : ٥٥/٤ ، ٥٨

• كامبلا (اسم حمص فى القديم) : ٤٣/٢

• كانة الأتراك : ١٥٢/٤

• كبادوكيا (أو كبادوشيا Cappadocia) : ٨٦/١

• الكباش : ٣٦٨/٤

• كتان مصر : ٣٦٤/٤

• كراسوس : ٢٤٨/٢

• كربوغا : ٣٣٩/١ - ٢٤١ , ٣٦١ , ١٦٦ , ٣٦٩ , ٣٧٦ ,
٣٧٨ , ٣٨٣ , ٣٨٩ , ٣٩٢ , ٣٩٤ , ٣٩٩ - ٤٠٢ , ٤٠٧ ,
٤١٠ , ٤١١ , ٤١٤

• كرتياس (تلميذ أفلاطون) : ٦٠/٤

• الكردينال ثيوبولد : ٤٥/٣

• الكرك (وتسمى مونتريال) : ٢٢١/٣ , ٢٤١ , ١٥١/٤
• ١٦٧ , ٢٤٠ , ٢٥٥ , ٢٦١ , ٣٢٧ , ٣٣٤ , ٣٦٣

• الكرمل : ١٥٤/٤

• الكروات : ٣٧٨/٢

• كريت : ٣٦١/٤

• كريونا : ٦٤/٤

• كسرى فارس : ٣٨٢/٤

• كفريا : ١٥١/٣

• كفر سلام : ٤٥٤/٣ , ٢٤٣/٤

• كفر طاب : ٣١٤/٢

• كفر ناحوم : ٢٤٣/٢

• كلابريا (هي قلهورية Calabria) ١٩٠/١ , ١٩٠/٢
• ١٨٧/٣ , ١٤٥

- كلاريبو دي فنديل : ١٣٤/١ ، ١٥٦ .
- الكلدان : ٢٤٨/٢ ، ٢٣٦/٣ ، ٣٨٠/٤ .
- كلفا : ٨٧/٢ .
- كلية الآداب - جامعة عين شمس : ٤١/١ .
- كلية الآداب والعلوم الانسانية بجدة : ٤١/١ .
- كلية ساوث ايلنج بلندن : ٦/١ .
- كليرمونت (Clermon) : ٣٤/١ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٠٧ .
- كليوباس : ٧٠/٢ .
- كمشتكين : ٢٩٦/٣ ، ٢٩٧ .
- كنداكة (ملكة الحبشة) : ٣٦١/٤ .
- كندفري (هو جودفروي عند العرب) : ١٥٢/٣ .
- كنعان بن حام بن نوح : ٤٥/٢ ، ٤٨ ، ٢٤٨ ، ٢٩٢ .
- الكنعانيون : ٣٧٤/٤ .
- كنيسة الاسبتارية : ١٩٩/٤ .
- كنيسة الاسكندرية : ٧٠/٤ .
- كنيسة افسوس : ٣٦٢/٤ .
- كنيسة ام الاله : ١٢٣/٤ .
- كنيسة أنطاكية : ٢٢٢/٢ ، ٢٢٥ ، ١٠٨/٣ ، ١٠٩ ، ١٨٢ .
- ٢١٠ ، ١٥/٤ .

- كنيسة بلاشرونائى : ١٦٦/٤
- كنيسة بنتابولس : ٧٠/٤
- كنيسة بروكوبوس : ٩٢/٢
- كنيسة بيت لدم : ٢٠٩/٢ ، ٢٥٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٩٧/٤
- ١٥٩
- كنيسة بيزا : ١٤١/٢
- كنيسة جبل صهيون : ٨٦/٢ ، ٩٦ ، ١١٠ ، ٢٠٧
- كنيسة الجليل : ٩٧/٤
- كنيسة الرها : ٢٤٣/٣
- كنيسة روفوس : ٣٨١/٣
- كنيسة رومة (كنيسة القديس بطرس) : ٢٥٨/٢ ، ٢٨٧
- ٤٥/٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٨٣ ، ١٨٨
- ٢٧٤/٤ ، ٣٨١
- كنيسة ريمز : ١٩٤/٢ ، ٣٣٦ ، ٣٨٢ ، ٤٣٥
- كنيسة سنت انجلو : ١٠٦/٣
- كنيسة سنت جورج : ١٥٩/١ ، ٢٤٢/٢ ، ٣٨٣ ، ١٥٠/٣
- كنيسة سنت روفوس
- كنيسة سنت صوفيا (القديسة صوفيا) : ٨٤/٤ ، ٢٦٢

~~كنيسة صهيون : ٢٢٨/١~~

كنيسة صور : ١٠٨/٣ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ٢٦٥ ،
٢٦٦ ، ١٦/٤ ، ٨١ ، ٩٦ ، ١٩٢ ، ٢٢٩ ، ٢٤٥ ، ٢٦٠ ، ٣٣٨ .

كنيسة العذراء : ٢٣١/٤ .

كنيسة عسقلان : ٢٨٥/٧ ، ٢٧١/٣ .

كنيسة عكا : ٩٦/٤ .

كنيسة القبر المقدس (هي كنيسة القدس وكنيسة القيامة) :

٢٠/١ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ٤٩/٢ ، ٦٧ ،
٧٥ ، ٨٧ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٧ ،
١٩٠ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣١٩ - ٣٢٣ ، ٦٧/٣ ، ٩٣ ،
١١٠ ، ٢١٥ ، ٢٣٣ ، ٢٦٥ ، ١٥/٤ ، ١٦ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٩٢ ،
٢٦٦ ، ٣٣١ .

كنيسة القديس بطرس برومة (هي كنيسة رومة) .

كنيسة القديس جورج : ٢١٦/٤ .

كنيسة قسطنطين برومة : ٢٢٩/٤ .

كنيسة القيامة (انظر كنيسة القبر المقدس) .

كنيسة كانتقري : ١٣٧/٤ .

كنيسة كمبراي : ١٩٤/٢ .

كنيسة كورينثيوم : ٣٤٣/٣ .

كنيسة كوزمو وداميين : ١٦٢/١ .

كنيسة كوسنزا : ١٨٧/٣ .

- الكنيسة اللاتينية : ١٥/٤
- كنيسة ليبيا : ٧٠/٤
- كنيسة ليبج : ١٩٤/٢
- كنيسة مانجانا : ١٥٩/١
- كنيسة الناصرة : ٩١/٢ ، ٢٩٠/٤
- كنيسة هيرابوليس : ٣٤٣/٣
- كنيسة وادي موسى : ٩٧/٤
- كوخ فاسيل الأرمني : ٢٧/٢ ، ٢٤٠
- كورا سيليليوس (Carasilius) ٢٧/٢
- كورش (كسرى فارس) : ٨٨/٢
- كوريتيام : ٢٣٩/٢
- كوكب : ٢٨٩/٤
- كولمان (Colman) ١١٢/١ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ٣١/٤
- ٣٣
- كولونيا : ١٣٥/١
- كوم تروجة : ٨٩/٤
- الكومان (Comans) ١٨٧/١ ، ٧٩/٣
- كومي (موضع) : ٤٤٠/٣

گوان البریتونی : ۱۲۴/۲ ، ۹۰/۳

• کونت أنجولیم : ۳۰/۴

• کونت اندریاس : ۳۹۴/۳

• کونت بواتو : ۲۱۵/۲ ، ۲۲۹ ، ۲۷۰

• کونت تولوز : (انظر ایضا ریموند الصنجیلی ، وبرترام) :

• ۱۱۱/۱ ، ۱۷۶ ، ۱۸۴ - ۱۸۷ ، ۱۸۹ ، ۱۹۳ ، ۲۸۶ ، ۲۸۷

• ۲۷۸ ، ۴۰۶ ، ۴۲۱

• کونت جارئیه : ۱۸۹/۲ ، ۱۹۷ ، ۱۹۸

• کونت جوسلین (خال الملك) : ۲۱۷/۴ ، ۳۱۲ ، ۳۲۴

• ۳۳۷

• کونت الرها : ۱۳۸/۳ ، ۴۳۹ ، ۲۲/۴ ، ۳۳

• کونت ریترو دی برش : ۹۸/۴

• کونت ریزونولو : ۱۶۹/۱

• کونت ریموند بن ریموند الصنجیلی (صاحب طرابلس) :

• ۱۸۱/۴ ، ۲۶۷ ، ۲۷۲ ، ۳۰۶ ، ۳۱۵ ، ۳۲۲ ، ۳۳۴ ، ۳۳۶

• ۳۲۸ ، ۳۴۷

• کونت رینوبولد (من أورنج) : ۱۲۴/۲

• کونت ستیفن : ۱۴۷/۴

• کونت ستیفانوس (سفیر مانویل) : ۴۴۴/۳

• کونت سنت بول (هیج الكبير) : ۱۲۴/۲

- كونت شمبانيا : (ويدعى هنري، الثاني) : ٢٤٧/٤ .
- كونت طرابلس : ٤٤٦/٣ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٧ ، ١٧٨/٤ .
- كونت عسقلان ، هو جي دي لوزنيان : ١٥/٤ .
- كونت فارن : ٢٨٥/٣ .
- كونت فلاندرز : (انظر ايضا روبرت) : ١٨٩/١ ، ٣٧٨ ، ٨١/٤ ، ٢٤٣ .
- كونت نامور : ١١٨/٣ .
- كونت هارتمان : ١٣٤/١ ، ٢٠٧ .
- كونت مينولت : ١١/٢ .
- كونت وليم دي ماندفيل : ٢٠٣/٤ .
- كونت يافا (هو جي دي لوزنيان) : ١٥/٤ ، ١٦ .
- كونتيسة برترادا : ١٨٢/٤ .
- كونتيسة فلاندرز (انظر سيبيلا أخت عموري) : ٢٣/٤ .
- كونتية جارجان : ١٢٤/٣ .
- كونتية ريثيل : ٣٣٦/٢ .
- كونستانس (بنت فيليب ملك فرنسا) : ٢٥٨/٢ ، ٢٧١ ، ٥٩/٣ ، ١٨٢/٤ .
- كونستانس (ارملة ريموند وزوجة أرنباط) : ٧٤/٣ ، ٧٦ ، ١٢٩ ، ٣٢٥ ، ٣٥٩ ، ٨٢/٤ ، ١٩٦ .

• ۱۸۹/۱ کونون دی برپانی

• کونون دی موند/اج : ۱۴۵/۱ ، ۱۶۰ ، ۱۶۵ ، ۲۸۳ ، ۱۲۴/۲

• ۱۷۸/۳ : کوماجار (من اعمال قيصرية فيليبي)

• ۲۵۶ ، ۲۴۷ ، ۵۱/۳ : كهف رؤاب

• ۲۴۴/۲ : الكى بالنار

• ۷۰/۴ : كيريل القديس

• ۴۴۰/۳ : كيسوم

• ۱۹/۳ : كيفاس (اسم حيفا باللغة الدارجة)

• ۲۸۶/۲ : كيكفا

• ۳۵۳/۴ : كىل آب (ابن ايجاليل)

• كيليكيا (اوقيليقية) : ۷/۱ ، ۱۹ ، ۶۴ ، ۸۶ ، ۱۹۷ ،

۲۰۱ ، ۲۳۵ - ۲۳۷ ، ۲۵۵ ، ۲۶۸ ، ۲۹۳ ، ۳۳۲ ، ۱۱/۲ ،

۲۱ ، ۴۹ - ۵۱ ، ۲۰۹ ، ۲۱۰ ، ۲۱۵ ، ۳۰۹ ، ۲۸/۳ ، ۷۲ ،

۱۳۵ ، ۱۳۶ ، ۱۴۸ ، ۱۵۹ ، ۱۶۵ ، ۱۷۱ ، ۱۹۸ ، ۲۰۰ ، ۲۰۲ ،

۲۹۲ ، ۳۶۸ ، ۴۰۱ ، ۴۰۲ ، ۴۲۹ ، ۴۳۰ ، ۴۳۴ ، ۳۳/۴ ، ۱۴۷ ،

۱۵۰ ، ۱۵۱ ، ۱۶۲ ، ۲۵۸

• ۲۰۸/۳ : كيليكية الصغرى

• ۱۹۹/۱ : اللا ايقونيون (Non-Iconoclastics)

• لا تورس (منطقة) : ۳۵۳/۲

- لوتارنجيا : ١١٥/١ ، ٢٨/٤
- لودلف الترنائي : ١٢٣/٢
- اللورين : ٣٧/٢ ، ٤٩
- لوط بن حاران : ٢٠٩/٢ ، ٢٤٨
- لوقا الانجيلي : ٢٧١/١
- لوكارنو المؤرخ : ١٤/٣
- لوكيانوس القنصل : ٦٨/٤
- لويس السابع : ٦/١ ، ٢٦٩/٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩
- ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢١/٤
- ٨١ ، ١١٥ ، ١٧٦ ، ١٩٩ ، ٢٦٠
- لياندور : ١٤٦/٤ ، ١٦٦
- ليبيا : ٦١/٤ ، ٦٨
- ليديا (بآسيا الصغرى) : ٢٧١/٣ ، ٣٥٧/٤
- لى سترانج : ٣٦٨/٤ ، ٣٩١
- ليسيدنا : ٢٨٧/٣
- ليكونيا : ٣٩٦/١ ، ٢٧٢/٣ ، ٢٥٨/٤
- ليكيا : ٨٦/١ ، ٢٥٨/٤
- ليموجس : ٣٦/٢ ، ٨١/٤
- لينارد (اسقف الناصرة) : ٤٢٦/٣
- لينة زوجة يعقوب : ٣٩٧/٤ ، ٣٩٨
- ليو الارمنى : ٩٥/٣
- ليو (كردنيال كنيسة سنت ماري) : ١٠٦/٣

- ماتيليا (خطيبة هنري بن ملك اسبانيا) : ١٠٠
- ماتيلدا (أخت بلدوين الثاني) : ٢٣٦/٢
- ماتيلدا : (بنت يوستاس) ١٥٢/٢
- ماتيو دي باري (المؤرخ) : ٣١/١
- ماتيو كانتا كوز وميس : ١٦٦/٤
- ماتيوس القديس : ١٠٢/١
- مارتا (أخت لعازار) : ٢١٣/٣ ، ٢٣٩/٤
- مارتل : ٨٣/٤
- مارجاس الفارس ختن أنر في زعم وليم) : ٢٤٥/٣
- ماركوس سكاوروس : ١٠٥/٢
- مارمولون : ١٧/٣
- مارو (المؤرخ) : ١٥/٣ ، ٩٧/٤
- المارون (طائفة بلبنان) : ٦٢/٢ ، ٢٧٠/٤
- ماريا (بنت امبراطور اسبانيا : ٣٢١/٣
- ماريا (بنت الامبراطور موريس البيزنطي) : ٦٥/١
- ماريا كومنينا : ٨١/٤
- مارية بنت أمير أنطاكية : (وهي أخت بوهيموند وزوجة مانويل) ٤٤٧/٣ ، ٣٧/٤ ، ٨٤

مارية (بنت يوحنا البروتوسيباستوس وزوجة عموري) :
٩٥/٤ ، ٩٦ ، ١٩٧ ، ٢١١ ، ٢٤٢ .

مارينوس : ٢٦٨/٤ .

الماعز : ٣٥٢/٤ .

ماكسيموس الحائليق (اسقف ارمينية) : ١٩٨/٣ .

مالك (هي بعلبك) : ١٨٤/٤ .

مالين (على نهر الموز) : ٣٨٤/١ .

ما ميليا (زوجة هيچ دى بوسيه) : ١١٧/٣ ، ١١٨ .

مانويل بن اندرونيكوس : ٢٦٢/٤ .

مانويل سيباستوس : ٩٦/٤ .

مانويل بن يوحنا : ٥/١ ، ٢٢ ، ٢٠٠/٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ،
٢٢٠ ، ٢٧٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦ ،
٤٤٦ ، ٤٤٩ .

المتحف البريطاني : ٣١/١ .

المجاز (قرب صور القديمة) : ٢٤٣/٢ .

المجاعة : ٣٢٩/١ ، ١٦/٢ ، ٤١ ، ٣٩/٣ ، ٦٧/٤ ، ٧٦ ،
١٢٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٣٢٣ .

مجد الدين (امير قلعة حلب) : ٤٣٩/٣ ، ٤٤٠ ، ٤٥٥ .

المجر : ٦/١ ، ١١١ - ١١٣ ، ١١٥ ، ١٣١ ، ١٣٥ .

١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٧٧ ، ٢٦٩/٣ ، ١٠٠/٤ .

- المجريون : ١٣٢/١ ، ١٣٤ ، ١٣٦
- المجلس العلمى بجامعة جدة : ٤١/١
- مجمع أغسطس ٧٥٤م : ١٦٦/٤
- مجمع افسوس : ٣٦٢/٤
- مجمع بياتشيزا : ٩٨/١
- مجمع رومة الكنسى : ٢٢٧/٤
- مجمع القسطنطينية : ٢٧٢/١
- مجمع اللاتيران : ٢٣٦/٤
- المجمع المسكونى السادس : ٢٧٠/٤
- مجمع نيقية : ٢٧٢/١ ، ٨٣/٢
- مجير الدين (والى دمشق) : ٢٤٣/٣
- مهاجر الرخام : ١٠٠/٤
- محافظة الجيرة : ٨٥/٤
- المحامى بيثون : ٢٠٣/٤ ، ٢٠٩
- المحلة : ٥٥/٤
- محمد (صلى الله عليه وسلم) : ٣١/١ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٢
- ٦٤ ، ٦٨ ، ٣٢٣ ، ٢٢٣/٢ ، ٥٢/٤ ، ٨٥
- محمد بن تاج الملوك بورى : ٢١٨/٣
- المحمرة : ٣٩/٣ ، ١٣٥/٤

- محيي الدين (بن السلطان) : ١٠٤/٤
- مخاضة البلانة : ٤٣٥/٣
- مخاضة يعقوب : ٤١٠/٣ ، ٢٢٧/٤ ، ٢٤٧ ، ٣٠٧
- المدارس الرومانية : ٢٨٨/٢
- مدرجات بوهيموند : ٢٧٣/١
- مديان : ٣٧٨/٤
- المديانيون : ٣٧٨/٤
- مدينة ابيدوس : ٢٨١/٤
- مدينة السفحا : ٢٦٩/٤
- مدينة جزرائيل : ٣٢٠/٤
- مدينة داود : ٣٩٢/٤
- مدينة ساؤون : ٢٦٩/٤
- مدينة سافونا : ٢٦٩/٤
- مدينة سالم : ٨٣/٢
- مدينة سستوس : ١٤٦/٤ ، ٢٨١
- مدينة الماورة : ٣٥١/٢
- مدينة مينز الالمانية : ١٣٥/١
- المدينة المنورة : ٢٨/١ ، ٣٦
- مدينة ناسون : ٢٣٢/٤
- مدينة نايبين : ٢٨٥/٤
- المدينة المنورة : ٢٨/١ ، ٣٦

مراقية (= مرقية) : ٥٢/٢ ، ٢٠/٣ ، ٢٩٢ ، ٢٥٧/٤

مرثا (أخت لعازر) : ٣٨٦/٤ ، ٣٨١ ، ٤٠٠ .

المرج : ٨١/٣ .

مرج ابن عامر : ٣٧٥/٤ .

مرج الديباج : ٧٣/٣ .

مرج الصفر : ٥٢/٣ ، ٦٩ ، ٨١ .

مرج عيون : ٢٤٦/٤ ، ٢٣٣ .

مرج اللجون : ٣٧٦/٤ .

مرجريت (الوصية على صقلية) : ٨١/٤ .

مرعش : ١٩٦/١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ١٩٤/٢ ، ٣٠٩ .

٢٢١/٣ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

المرقب : ٥٢/٢ .

مرقس الانجيلي : ٣٨٠/٢ ، ٦٩/٤ .

مرقية (راجع مراقية) .

مريم العذراء : ١٧٣/٢ ، ١٩٨ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٨٨/٣ .

٢٥٦/٤ .

مريم الجدلية : ٣٨٩/٣ .

مريم (أخت مارثا ولعازر) : ٢١٣/٣ ، ٢٣٩/٤ ، ٣٨٦ .

٤٠٠ .

• المستقنر بالله الخليفة الفاطمي : ١٧٨/٢ ، ١٦٤/٤

• المسجد الأقصى : ٧٢/١ ، ٨٦/٤

• مسجد بزاعة : ٣٣٨/٤

• مسجد الحسن : ١٥١/٣

• المسح بالزيت : ١٤/١ ، ١٦/٤ ، ٩٦ ، ٣٣١

• المسعودي : ١٥١/٣

• المسلمون : ٣٣٣/١ ، ٩٣/٢ ، ٣١٨ ، ٤٥٠/٣

المسيح (انظر عيسى المسيح عليه السلام وكذلك يسوع)

٧٠/٢ ، ٢٠/٤ ، ٢١ ، ٩٧ ، ٢٣٩ ، ٣٦٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٩١ ،

٣٩٥ ، ٤٠٠

• المسيحية : ٣٥٤/٤

• المصادرة : ٩٦/١ ، ٢٨/٢ ، ٢٩

• المصاراة : ١٩٤/٤

مصر : ٥/١ ، ٩ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١ ،

٤٥ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٣٠٤ ، ٨/٢ ، ١٤ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٢٢٣ ،

٥/٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٥٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ ،

٢٨٧ ، ٢٥/٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٢٩ ، ٤١ - ٤٣ ،

٤٦ ، ٥٩ - ٦١ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،

١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٦ ،

١٤٣ ، ١٥٢ - ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ ،

٢١٠ - ٢١٣ ، ٢٤٣ ، ٢٦٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ،

٢٩٤ ، ٣٥٨ ، ٣٧٣ ، ٣٩٣ ، ٣٩٨

- المصريون : ٦٩/١ ، ٧٥ ، ١٦٢/٢ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ١٩١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٤٣ ، ٢٧٢ ، ٣٤/٣ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٢١٨ ، ٣٥٣ ، ٤٠٠ ، ١٦/٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٥١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ٢٠١ ، ٢٥٨ .
- المصيصة : ١٩٦/١ ، ١٩٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ١٤٦ ، ٢٦٦ ، ٣٠٩/٣ ، ١٠٤/٣ ، ١٣٦ ، ٢٢٢ ، ٤٢٩ ، ١٤٧/٤ .
- مضمار الحقائق (كتاب) : ٦/١ .
- مضيق أبيدوس : ١٤٠/٤ ، ١٤١ .
- مضيق البسفور : ١٦٦/٤ .
- أبو المطامير : ٨٩/٤ .
- مطرائية صور : ٢٩٢/٢ .
- مطيرة : ١٤٠/٢ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٦٦ .
- معاوية بن أبي سفيان : ١٤٩/٣ .
- معبد أبولو : ٢٧٥/١ .
- معبد أرطاميس : ٣٦٢/٤ .
- معجم البلدان : ١٥٠/٣ .
- المرعة : ١٢/٢ ، ١٣ ، ٣٤ ، ٣٧ - ٤٠ ، ٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ٣١٤ .
- معركة ميروكيفالون : ٢٤٢/٤ .

- المغاربة : ١٥٤ ، ١٥٣/٣
- مقبرة الغرباء : ٣٨١/٤
- المقدسى : ٢١٨/٣ ، ٨٢/١ ، ٨٧
- مقدونيا : ١٥٣/١ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ٢٨١/٤ ، ٣٥١
- ٣٥٧

- المكابيون : ١٠٢/١ ، ٣٦٠/٤ ، ٣٨٩
- مكة : ٢٨/١ ، ٣٦ ، ٩٠/٤
- مكتبة جامعة القاهرة ٤٢/١
- مكتبة سانت البانز : ٣١/١
- مكتبة الشرق الأوسط : ٣٥/١
- مكتبة الملك عمورى : ٣٦/١
- مكسيمانوس أوجستوس : ٦١/٤

- الملاحه (من اعمال طبرية) : ٤٥٥/٣
- ملازكرت : ٨٤/١
- الملح : ٣٦٦/٤

- ملطية : ١٤٢/٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠١ ، ٢٣٩ ، ٢٥٥
- ٢٨٠

- ملك بابل : ٢٧١/١ ، ٢٤/٣

• ملكشاه Meleke Salah ٨٦/١ ، ٢٠٠ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين : ١٨٣/٤ ، ١٩٠ ، ٢١١ .

• ٢١٢ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٣٠٠ ، ٣٣٨ .

• الملك عوج : ٣٦٨/٤ .

• ملك يهوذا : ٢٧١/١ .

• ملوك اسرائيل : ٩٠/٢ ، ١٩٤/٤ .

• ملوك السامرة : ٩٠/٢ .

• مليح الأرمني : ١٤٧/٤ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

• مليزند (ملكة القدس وزوجة فولك) : ٦٦/٣ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٣ .

• ٩٦ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،

• ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٥٨ ، ٢٩٣ ، ٣٠٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ - ٣٣٥ ،

• ٣٣٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٤٢٤ ، ٤٣٨ ، ٤٤٨ ، ٤٤/٤ ، ٨١ .

• ٨٢ ، ٢٣٩ ، ٣١٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

• مليزند (أخت ريموند الثاني كونت طرابلس) : ٣٤٦/٣ ،

• ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٨٤/٤ .

• عمر سنت بازل : ١٥٤/١ .

• ممفيس : ٤٣ ، ٤٢/٤ .

• الملكة البونية : ١٥/٣ .

• الملكة اللاتينية الصليبية : ١٦٦/٤ .

• مناسيس (أخو بلدوين الثاني المعروف بدي بورج) : ٣٣٦/٢ .

- مناسيس (الكونستابل الملكى) : ٣٠٧/٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤
- مناسيس دى هيرجز : ٣٣٦/٢
 - منبج : ٢١٢/١ ، ٣٦/٣ ، ١٠٩
 - منسى بن يوسف : ٦٣/٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٩ ، ٢٧٨
 - المهدي المنتظر : ٥٣/٤ ، ٨٧
 - المهديّة ٥٣/٤
 - مؤاب (ارض) : ٢٧٣/٤ ، ٣٨٨
 - مؤاب ربة (Moab Rahath) : ٢٢١/٣
 - مؤاب بن لوط : ٣٨٨/٤
 - مؤاسيا : ٢٧٠/٣
 - المواصلة : ١٩١/٤
 - مؤتة : ٢٢١/٣
 - مودود : ٢٥٥/٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣١٠
 - موديستوس (اسقف القدس زمن هرقل) : ٦٣/١ ، ٦٦
 - ٧٠
 - مورفيا (بنت جبريل الملقى وزوجة بلديون كونت الرها)
 - ٢٣٩/٢ ، ٣٤١
 - موريس النبيل البيزنطى : ١١٧/٤
 - موريشيوس (أول الشهداء) : ٦١/٤
 - مورييل (شيخ عربى ذكره وليم) : ٢٥٥/٣ ، ٢٩٧

- موزيا (إداكيا البحرية) : ١٥٤/١ .
- موسى (النبي) : ٣٢٩/٢ ، ١/٣ ، ٢٤٠ ، ٣٥٨/٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٨ ، ٣٧٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٣ .
- المرحل : ٣٧/١ ، ٨١/٣ ، ٢٤٣ ، ٢٦٩/٤ ، ٣٠٠ ، ٣٠٧ .
- ٣٠٩
- موتاكسوس (أسقف قيصرية) : ٢٦٦/٤ .
- مونتريال (الكرك) : ٢٤٠/٤ ، ٢٦١ .
- ميجالدوكس : ١٢٦/٤ .
- ميخائيل السرياني المؤرخ : ٨١/٤ .
- ميخائيل هيدرنتيس : ٩٩/٤ .
- الميخائيلية (عملة بيزنطية) : ٤٤/٣ .
- ميديا : ٢٧٢/٣ .
- الميديون : ٢/٢ ، ٢٠١ ، ١٨٧/٤ ، ٣٧٣ .
- ميروكيفاليون : ٢٤٢/٤ .
- ميسو بوتيميا : ١٩/٣ ، ٢٢٧/٤ .
- ميسيبيورج : ١٣٥/١ .
- ميللو : ٨٣/٢ .
- ميلون دي بلانسم : ٥٥/٤ ، ١٠٨ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٧٧ .
- ١٧٩
- مين : ١٠٤/٣ .

• ميناء السويدية : ٣٣/٢ ، ٢٨٨/٣ ، ٣٥٢ ، ٤٤٧ ، ٢٥٨/٤ .

مينارد (Mainard استقف بيروت) : ١٩٢/٤

• ميناندر (المترجم من الفينيقية الى اللاتينية) : ١٧/٣ .

• نابال الغبي : ١٥٤/٤ ، ٣٥١ - ٣٥٣ .

• نابخدانصر : ٢٧١/١ ، ٨٨/٢ ، ٢٤/٣ .

• نابلس : ٨٢/٢ ، ١٦٣ ، ١٨٣ ، ٢٨٦ ، ٣٣٢ ، ٣٥٧ ، ٣٧٧ .

• ١٤١/٣ ، ٢٣٣ ، ٣٣٤ ، ٤٠/٤ ، ١٦٠ ، ١٨٠ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ،

• ٣٧٥

• نابلى : ٢٨٧/٣ ، ٣٩٤ .

• ناثن النبي : ٩٢/٢ ، ٣٨٩/٤ ، ٣٩٠ .

• ناسو (الشاعر) : ٢٨٢/٣ ، ١٤٢/٤ .

• الناصرة : ١٦٩/٢ ، ٣٧٧ ، ٢١/٣ ، ٤٤١ ، ١٤٦/٤ .

• ١٦٠ ، ٢٨٩ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٧٥/٤ ، ٣٩٠ .

• ناصرى خسرو : ١٥٣/٣ .

• الناموس (الشريعة) : ٣٦٦/٤ ، ٣٦٧ ، ٣٧٢ ، ٢٨٣ .

• نايين : ٢٨٥/٤ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ .

• نبش القبور : ٣٢٥/١ .

• نبع أجانيب

• نبع أرتيوسا : ٢٧٥/١ .

- نبع بيجاموس : ٢٧٥/١
- نبع دافنى : ٢٧٣/١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧
- نبع ديرسى : ٢٧٥/١
- نبع سالماس : ٢٧٥/١
- نبع صفورية : ٢٩٣/٤
- النبع القشتالى : ٢٧٣/١ - ٢٧٥
- النبع المسور : ٣٢٤/٣
- نبع هبيوديا : ٢٧٥/١
- نجم الدين أمير دمشق : ٤٣٧/٣
- نحميا : ٣٨٢/٤
- نرمنديا : ١٠٤ / ٣
- النرمنديون : ٢٨٣/١ ، ١٥٠/٣ ، ٢٩٨ ، ١٦٣/٤ ، ٣٣٩
- النرويج : ٢٩٠/٢
- النرويجيون : ٢٥٥/٢
- نزهة المشتاق : ٣٨٨/٤
- نصر الدين بن عباس : ٢٩٩/٣ ، ٤٠٠
- نصر الدين أمير ميران (أخو نور الدين) : ٤٢٠/٣ ، ٤٥٤
- ٤٥٦
- نفتاليم (نبطية) : ٢٢' / ٤

• النفى : ٢٨/٢

• النقرس : ٣١٧/٤

• نقفور (بطرك القدس) : ٧٤/١

• النقود الميخائيلية : ٢٨٣/٢

• نلدكه (المستشرق النمساوى) : ٢٤٤/٤

• النمسا : ١١٥/١ ، ١٤٦ ، ٢٦٩/٣

• نهر الأردن : ١٧٣/٢ ، ١٩٠ ، ٢٥٦ ، ٣٠٠ ، ٣١٦ ، ٣١٨

• ٣٢٦ ، ٣٤/٤ ، ٣٨ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٣٢٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٧ ، ٣٩٦

• نهر أرينوسا : ٢٧٥/١

• نهر اسميناس : ٢٧٥/١

• نهر البانة : ٢٦٩/١

• نهر بانياس : ٢٩٧/٢

• نهر بيلوس : ٢٤٣/٢

• نهر التبير : ٤٣٦/٣

• نهر جارليانو : ٣٩٨/٣

• نهر جور : ٥٢/٣

• نهر جيحان : ١٥١/٣

• نهر جيحون : ٩٢/٢

• نهر دان : ٥٢ ، ٥١/٣ ، ٢/٤ ، ٣٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٢

- نهر البدانوب : ١٣٥/١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ٧٩/٣ ، ٢٦٩ .
- نهر دجلة : ١٩/٣ .

نهر العاص (Orontos) ٢٦٩/١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣١٢ ، ٢٢٨ ، ٥٨/٣ ، ١٨٩ ، ٤١٨ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٢٥٨/٤ .

- نهر عين البقر : ٢٤٣/٢ .

- نهر فالينا : ١٩/٣ .

نهر الفرات : ٢٥٩/١ ، ٣٣٩ ، ٤١٥ ، ٢١/٢ ، ٩١ ، ١٨٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ١٨/٣ ، ١٩ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٢٠٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٤ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠/٤ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٩ .

- نهر قرقر : ٢٦٩/١ .

- نهر كسترس : ٣٦٨/٤ .

- نهر الكلب : ١٨٩/٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢٨ .

- نهر كويار : ٧٧/١ ، ٧٩ .

- نهر كيندس : ٢٣٦/١ .

- نهر لينا : ١٣٥/١ ، ١٣٦ .

- نهر ماروس : ١١٣/٢ .

- نهر ماوس : ٦٣/٢ .

- نهر الموز : ٣٨٤/١ .

- نهر مياندر : ٢٨٢/٣ .

- نهر نبع الحنان : ٦٥/٢ .

نهر النيل : ٢/٢٢٩ ، ٣٧٧ ، ٤٢/٤ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ،
٥٩ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤ .

نهر هنوم : ٢/٨٥ .

نهر هيداسباس : ١/٢٣٦ .

نهر الوردار : ١/١٧٠ ، ١٧٢ ، ٣/٧٩ .

نواب بن صرويه : ٤/٣٩١ ، ٣٩٢ .

بوب (القرية المباركة) : ٢/٨٠ ، ٤/٣٥٦ .

نوح النبي : ١/٢٠ ، ٢٣٥ ، ٤/٢٤١ ، ٣٦٥ .

نور الدين بن قرا أرسلان : ٤/٣١٣ .

نور الدين محمود (بن عماد الدين زنكي) : ١/٣٧ ، ٢٧٨
٢/٢١٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٩٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٩
٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧٣ ، ٤٠٦ - ٤٠٨ ،
٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ - ٤٢٦ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ،
٤٥٢ ، ٤٥٤ - ٤٥٦ ، ٤/٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ - ٣١ ، ٣٣ - ٣٥ ،
٣٧ ، ٣٨ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ - ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١١٨ ،
١٤٦ ، ١٥٠ - ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٨٧ - ١٨٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٩٩ .

نورماندى (نورمانديا) : ٢/٦٣ ، ١٦٨ .

نوكيتس (التركي الظالم) : ٣/٣٧٢ .

نيش (البلد) : ١/١١٧ ، ١٥١ ، ١٥٣ .

نيقرميديا : ١/١٧٨ ، ١٩٩ ، ٣/٢٧١ .

نيقية : ١/٤٠ ، ٦٠ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ١٨٨ ،
١٩١ ، ١٩٢ - ١٩٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٥٦ ،
٢٧٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٩٢ ، ٤١١ ، ٢/٢١٤ ، ٣/٢٧٢ ،
٣٧٩ .

نيكوبوليس : ٦٩/٢ ، ٧٠ ، ٧٩ .

نيكوسسيوس الأرمني : ٣٣٠/١ .

نيكيتاس ، (دبة ، اللغار) : ١١٦/١ .

نينوى ٢٤١/٤ .

هاتهور (= قصر الاله حوريس) : ٨٨/٤ .

هاجر (أم اسماعيل عليه السلام) : ١٠١/١ .

هارتمان : ٤١٧/١ .

الهارونية : ٢٢١/٣ .

هافديك الأرمني : ٣٦/٣ .

الهراطقة : ١٩٩/١ .

هرقل (اسقف قيصرية ثم بطرك بيزنطة) : ١٧/١ ، ٣٩ .

١٩٣/٤ ، ٢٢٦ ، ٢٦٠ ، ٣٣٥ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

هرقلية : ٢٣١/١ ، ٢٣٤ ، ١٤١/٤ .

هرمنجار (بنت فولك دانجو من برترادا) ٩٠/٢ .

هرون الرشيد : ٥٧/١ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٢٢٢/٣ .

هرون (أخو موسى) : ٣٨٥/٤ ، ٣٨٩ .

ابو هريرة : ٨٠/٣ .

هلة (أخت فركسيس في الأساطير الاغريقية) : ١٥٩/١ .

هليم (موضع قرب البحر الأحمر) : ٣٢٦/٢ .

هليوبوليس، (موضع مناب العاصي) : ٢٧٠/١ ، ١٨٤/٤

همفري الكونستابل : ٤١/٣ ، ١٢٩ ، ٣٠٧ ، ٣٢٦ ، ٣٣٣

١٠٧ ، ٣٢٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٥١ ، ٤٠٠ ، ٤٢٦ ، ٣٥/٤ ، ٥٥ ، ١٠٧

١٥١ ، ١٧٨ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣١

همفري الصغير : ١٧٨/٤ ، ٢٤٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦١

همفري بن رالف : ١٦٩/١

همفري بن مونت سكاليزو : ١٦٩/١

الهند : ٦٧/١ ، ٣٣٣ ، ٢٤/٣ ، ٦٩/٤

هنري الأول ملك انجلترا : ١٥/١ ، ١٠٣/٣ ، ١٢٦ ، ١٣٧

هنري الثاني ملك انجلترا : ٨١/٤ ، ١١٥

هنري (أسقف تول) : ٣٠٦/٣

هنري الصغير (دوق برجنديا) : ١٤٨/٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧

هنري (دوق اللوفان) : ٣٢٤/٤

هنري دوق نرمنديا : ٢٢١/٣

هنري دوق النمسا : ٣٠٦/٣

هنري ديش (d'Esch) : ١١٠/١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٦٠

٢٠٧ ، ٢٦٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٤٠٥ ، ٤١٨ ، ١٩/٢

هنري كونت توري (ابن ثيوبولد الكبير) : ٣٠٦/٣ ، ١٥/٤

١٧٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧

هوتيه (بن ماتيلدا) : ٢٣٦/٣

• هودبيرنا (اُخت بليوين دى بوزج) : ٣٣٦/٢ ، ٣٤٢ ، ١٨١/٤

• هوشع بن نون : ٣٩٣/٤

• هولندة : ٢٩٣/١

• هونين : ٣١٦ ، ٣٦١/٤

• هييوس (من مدن الانجيل العشرة) : ٢٥٨/٣

• هيچ الابلينى : ٣٥١/٣ ، ٤١١ ، ٤٣٣ ، ٢٤/٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٧

• هيچ اللوزنيانى المعروف بالاسمر : ٣٠/٤ ، ٣٣ ، ٢٥٤

• هيچ اسقف جبلة : ١٩٣/٣

• هيچ اسقف كوريس : ١٩٣/٣

• هيچ امبرياكوس : ٢٧٧/٢ ، ٢٧٨

• هيچ دى باينز (رئيس فرسان الهيكل) : ٦٨/٣

• هيچ دى بليان الكبير : ٢٠٨/٣

• هيچ دى بوسيه : ١١٧/٣ ، ١١٨

• هيچ (الكبير) دى سنت بول : ١٠٩/١ ، ١١٠ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٥٤ - ١٥٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٨٣ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨ ، ٤٠٤ - ٤٠٨ ، ٤١٤ ، ٨/٢ ، ١٨ ، ١٢٤

• • هيچ (الصغير ريبب كونت طرابلس) : ٢٩١/٤ ، ٢٩٢

• هيچ دى سنت اومير : ٢١٠/٢ ، ٢٣٥ ، ٢٥٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩

• هيچ (صاحب طبرية) : ٢٣٦/٤

• ٧٦ ، ٩٠
• ٧٤ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٥٠ — ٤٦/٤ : (صاحب قيصريه)
• ٧٦ ، ٩٠

• ٣٣٥/٢ ، ١١٠/١ : هيچ كونت ريثيل

• ٢١٥ ، ٢١٣/٢ : هيچ كونت فيرماندوا

• هيچ كونت يافا

• ١٥٢ ، ١٢٥ — ١١١ ، ١١٧/٢ ، ٢٢٩/٢ : هيچ اللوزنياني

• ٢٩٤/٢ : هيدرا حية الاساطير

• ١٨١/٤ ، ٣٤٢ ، ٣٣٦/٢ : هيدرنا (راجع هودييرنا)

• ٣٣٦/٢ : ميربراند دى ميرجز

• ٣٩٩/١ : ميرلوين (زميل بطرس الناسك فى السفارة الى المسلمين)

• ١٦٩/١ : ميرمان دى كانى

• ٣٠٦/٣ : ميرمان (ماركيذ فيرونا)

• ٢١٨/٣ (Hermon) ميرمون

• ١١٥ ، ٩٥/٤ ، ٤٢٤/٣ : ميرنيسيوس (أسقف قيصريه)
• ١٩٣

• ١٦٦ ، ١٤٦/٤ : هيرو

• ٣٨٩/٤ ، ٢٢١ ، ٢١٩/٢ : هيرودوس الكبير

• ٣٩٧ ، ٣٩٦/٤ : هيروديا

• ٨٣/٢ : هيروسييلما (اسم اورشليم فى القديم)

هيرونوبوليس (اسم بغداد في الحوليات المسيحية القديمة) :

• ٢٧٢/١

• ميكل جوبيتر : ٣٨٢/٤

• ميكل. داجون : ٣٦٠/٤

• ميكل سليمان : ٨٩/٢ ، ٤٠١/٤

• هيليسبوننت : ١٥٩/١ ، ٤٠١/٤

• وادي الأردن : ٣٦٥/٤

• وادي بكار : ١٧٧/٣

• وادي الراهب : ٤٠٢/٤

• وادي ست مريم : ٤٠٢/٤

• وادي سرمد : ٣٤/٢

• وادي العبيد : ٢٠٨/٣

• وادي قدرون : ٣٩١/٤ ، ٤٠٢

• وادي موسى : ٢٤٠/٣ ، ٢٩٥

• وادي النار : ٤٠٢/٤

• وادي النمل : ١٥٣/٣

• وادي هنوم : ٨٥/٢ ، ٩٢ ، ٣٨١/٤ ، ٣٩١

• وادي يهوشافاط : ٨٤/٢ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٥٩ ، ٢٥٨

• ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٥٧ ، ٣٨٣ ، ٤٠٢/٤

• ولتر دي سنت أوخير : ٣٥١/٣

• ولتر صاحب قيصرية : ١١٨/٣ - ١٢٠ ، ٣٠٧

• ولتر دي فيرا : ٦٤/٢

• ولتر القشتالي : ٣٣٣/٢ .

• ولتر دي ميدارد : ٤٠٥/١ .

• ولیم الأول (ملك انجلترا) : ١٠٩/١ .

• ولیم بروفوس (ملك الانجليز : ١٦٧/٢ .

• ولیم الأول (اسقف صور قبل مؤلف هذا الكتاب) : ١٣/١ .

١٤ ، ١٥ ، ٦٢/٣ - ٦٥ .

• ولیم الصوري (الثاني مؤلف هذا الكتاب) : ٥/١ ، ٦ ، ١٠ .

١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ - ٢٢ ، ٢٤ - ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٤١ ،

٤٩ ، ٥٥ ، ٥/٢ ، ٧ ، ٢٣ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ٢٠١ ، ٢١٣ ، ٢٧١ ،

٥/٣ ، ٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ١٥١ ، ٣١٩ ، ٤٥٣ ، ٢٥١/٤ ،

٣٥٥ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ - ٣٧٤ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ .

• ولیم اسقف بيروت : ٣٠٧/٣ .

• ولیم بطرك القدس : ٧٢/٣ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ،

١١٣ - ١١٥ ، ١٢١ ، ١٨٢ ، ١٩٣ ، ٢١٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٦٥ .

• ولیم دوق أبوليا : ٥٨/٣ .

• ولیم أفرسا : ٧٥/٣ .

• ولیم أمبرياكوس : ١٠٩/٢ .

• ولیم بن اوستاس (أخو جودفروي) : ١٥١/٢ .

• ولیم الكوملياکو : ٤٢/٢ .

• ولیم الطويل السيف : ٩٢/٣ .

• ولیم دي باري : ٤٢٧/٣ .

• ولیم دي بواتو : ٢١٣/٢ ، ٢٢٨ ، ٩٠/٣ ، ٢٨٩ .

• ۲۴/۳ ، ۴۰ ، ۴۱ ، ۶۶ ، ۶۹ ، ۹۳ ، ۱۲۶ ، ۱۲۹

ولیم (دی) جراند مستیل (میزنیل) : ۲۸۷ ، ۲۷۶/۱ ، ۳۹۲ ، ۳۹۴

• ولیم جوردان : ۲۵۳/۲ ، ۲۵۴ ، ۲۶۰ ، ۲۷۵ ، ۲۷۶

• ولیم دامانجو : ۱۱۰/۱ ، ۱۷۷ ، ۴۰۵

ولیم بن روجر (صاحب صقلیة) : ۳۸۲/۳ ، ۳۹۷ ، ۳۹۸

• ولیم الساؤنی : ۹۵/۳

• ولیم السابرائی : ۱۰۹/۲ ، ۱۲۶

• ولیم (دی) سبهونا : ۹۶/۳

• ولیم لکونت فوریز : ۱۱۰/۱ ، ۱۷۷ ، ۲۰۷

• ولیم بن المركیز (أخو تانکرید) : ۱۹۵/۱ ، ۲۲۵

• ولیم (دی) مونبلییه : ۱۱۰/۱ ، ۱۷۷ ، ۴۰۵

• ولیم النجار : ۱۳۴/۱ ، ۱۵۶ ، ۳۷۶

• ویلز : ۱۶۸/۲

• یاروق : ۷۰/۱

یاغی سیان : ۲۷۷/۱ ، ۲۷۹ ، ۳۱۰ ، ۳۲۰ ، ۳۲۲ ، ۳۲۳

• ۲۳۵ ، ۳۳۹ ، ۳۴۰ ، ۳۴۷ ، ۳۵۹ ، ۲۳/۲

یافا : ۶۵/۲ ، ۷۶ ، ۷۷ ، ۱۰۴ ، ۱۰۵ ، ۱۰۷ ، ۱۷۳

، ۱۸۱ ، ۱۹۱ ، ۱۹۸ ، ۲۰۲ ، ۲۰۶ ، ۲۱۶ ، ۲۲۶ ، ۲۲۷

٢١١ ، ٢٩٠ ، ٢١٧ ، ١١٤ — ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠

- ٢٣٥/١ : يافث
- ٢١٦ ، ١٤٩ ، ٨٠/٢ : ياقوت النعمى
- ٣٧٢/٤ : يبلعام
- ٣٥٩/٤ ، ٨٠/٢ : بينى
- ٨٣/٢ : ييوس
- ٢٩٢/٤ : اليبوسيون
- ٢٩٦ — ٢٩٤/٤ : يحيى بن زكريا
- ٣٥٩/٤ : يزئود
- ١٠١/١ : يسوع المسيح
- ٢٩٤ ، ٢٩٢ ، ٢٧٥/٤ : يشوع النبى
- ٣٢/١ : اليعاقبة
- ٢٩٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥/٤ ، ٢٠٩/٢ ، ١٠٠/١ : يعقوب النبى
- ٣٩٤
- اليهود : ٦١/١ ، ١٣٥ ، ٨٥/٢ ، ٨٦ ، ٤٥٠/٣ ، ٢٥٨/٤ — ٣٦٠ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩
- ٣٩٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩١
- ٣٦٧/٤ : يهود اخائية
- يهوذا سمعان (انظر يهوذا الاسخريوطى)
- يهودام بن يهوشافاط • ٤٠٢/٤
- يهوذا بن يعقوب : ٣٩٧/٤ — ٣٩٩

يهوذا (الأرض) ٧٠/٢ ، ٩١ ، ٩٠/٢ ، ٢٠/٣ ، ٣٩ ، ١٣١ ، ٣٧٤/٤ ، ٣٨٩ .

يهوذا الأسخريوطى (الخائن) : ٣٩٤/١ ، ٨٥/٢ ، ٣١٤/٣ ، ٢٨١/٤ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ .

يهوشافاط : ٤٠٢/٤ .

يؤاب بن صروية : ٨٣/٢ ، ٣٩١/٤ - ٣٩٣ .

يهره (= الرب مخلص) : ٣٩٣/٤ .

يهو ياريب : ٣٨٩/٤ .

يوحنا (بطرك أنطاكية وقت دخول الصليبيين : ٤٢٠/١ .

يوحنا الانجيلي : ٢٨١/٣ .

يوحنا (أسقف بيروت) : ٢٦٦/٣ .

يوحنا (أسقف عكا) : ١١٣/٣ .

يوحنا البروتوسيباستوس : ٢٠٧/٣ .

يوحنا (كردينال كنيسة رومة) : ٤٤١/٣ ، ٤٤٢ .

يوحنا (كردينال كنيسة سنت مارتن) : ٣٩٧/٣ .

يوحنا المعمدان : ٨٢/٢ ، ٣٩٤/٤ ، ٣٩٥ .

يوحنا من أهل بيزا : ٢٦٦/٣ .

يوسف الصديق : ١٥٣/٣ ، ٣٥٨/٤ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

يوسو الكاهن : ٨٨/٢ :

• يوسيبوس القيصري : ١٥٨/١

• يوسفوس المؤرخ : ١٨٣/٢ ، ١٧/٣ ، ٢٤ ، ١٣٢ ، ٢٤٠ ، ٤٠٢/٤

• يوشع بن نون : ٨١/٢

• اليونان (شعب راجع الاغريق)

• اليونان (بلاد) : ٣٥/١ ، ١٣٨ ، ٢٧٩ ، ١٥٤/٢

• اليونانية (لغة) : ٥٣/١ ، ١٩/٣

• يوما (JOHA) : ٢٤٠/٣ ، ٢٤٢ ، ٣٧٤

• يوثيل (النبي) : ١٧٣/٣ ، ٤٠٣/٤

تصويب أخطاء الجزء الأول

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٩	٢٣	الحجارى	التجارى
٦٥	٨	خسروا	خسرو
٧٤	٢٤	وتكروا	وتقواع
١١٦	١١	غادروها	غادرها
١٣٥	١٥	فيزيلبورج	فيزينبرج
١٤٨	٧	تكلفه	نكلفه
١٦٥	٢١	يتم خلف	يتم حتى خلف
١٦٩	١٠	هو من معه	هو ومن معه
١٧٣	٢٠	الدق	الدوق
١٧٤	١٣	خليمه	خيامة
١٧٩	١٧	الآلى	الأهالى
١٨٢	١٣	كرمات	كلمات
١٨٤	٢٤	ثت	ومن ثم

صفحة	سطر	الخطا	الصواب
٢٠٠	١٦	كان	كان
٢٨	١٣	يهدد	يهدد
٢٠٩	١٠	مستضمليين	مستعملين
٢١٤	١١	سحبوا	سجوا
٢١٥	١٤	تفويض	تقويض
٢٢٦	١٥	الثار الثار	(تحذف احدهما)
٢٢٩	١	المحاريين	المحاربون
٢٣٤	٦	لصلوات	لصلوات
٢٥٠	٣	ولدان	ولدا
٢٦٥	٣	فأبلوا	فقبلوا
٢٧٠	١٣	جزاء	جاء
٢٧٤	٤	البوييتية	البونية
٢٧٤	١٢	قيمته	قمته
٢٨٢	٥	قعقة	وقعقة
٢٨٧	١١	مخلفة	مخالفة
٢٨٨	٢١	تحت الجيش	تحت نظر الجيش
٢٩٦	١٨	الفصيل	الفصيل
٣٠٠	٤	النوحى	النواحى
٣٠٤	٤	قاتنا	قادتنا

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣١٨	٤	راح بعضا	راح بعضها
٣٣٦	١٦	تعانى	نعانى
٣٤٧	٢٤	منيا	مينا
٣٥٥	١١	مم	من
٣٥٩	٤	بينهم	بينهم طوائف تقتحم
٣٦٨	٢	تكاد الحوزاء	تكاد تبلغ الجوزاء
٣٧٩	٢٥	ظل	قل
٣٨٠	٣	وتقخذوهم	وتأخذوهم
٣٨٠	١٢	هؤلاء	كهؤلاء
٣٨٨	١٥	فيلو مينيوم	فيلو ميليام
٣٩٧	٢٣	فظهرها	فظهروا
٣٩٩	١٥	قليدة	قيادة
٤٠٥	٣	السيح	السيد
٤٠٧	٦	للخروج من	للخروج في
٤٠٨	٥	كتنفوه	اكتنفوه
٤٢٠	٩	مستمرة	مستمدة

تد حوب اخطاء الجزء الثاني

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٣	١١	نسنى	تسنى
٢٦	١٣	راوندال	رواندال
٣٠	٩	موجوده	وجوده
٣٥	١٦	ب ا ذلين	باذلين
٤١	٥	تصطرم	تضطرم
٤٩	٢٠	هذذه	هذه
٤٦	١٦	شرموطهم	شروطهم
٤٧	١٨	جززيرة	جزيرة
٥٠	٢٠	الكسباد	الكسياد
٥٤	١٢	تمليهم	تمليه عليهم
٦٥	٤	نفيض	تفيض
٧٧	١	ارندوا	ارتدوا
٨٢	٦	سسبطينة	سبسطينة

صفحة	تنظر	الخطأ	الصواب
١٢١	٢٥	٢٢١	١٢١
١٣٦	١٦	ف يما	فيما
١٤٤	٨	يختم	يحتم
١٥٥	٤	بصب	يصيب
١٥٥	٤	ء يتهشم	ويتهشم
١٥٨	٣	السلكسوسون	السلكسون
١٦٨	٧	جيتيسارت	جنيسارت
١٧٢	٥	صدورها	صدرها
١٩٥	٨	عباء	عباءة
١٩٥	١٨	سنذكر ذلك في	سنذكر ذلك في موضعه
٢١٢	٦	كما ألوف	كما لوف
٢١٣	٢	أكويتية	لكويتين
٢١٣	١٧	أديا	أديا
٢١٨	٢٣	أوية	أهية
٢٤٣	٢٣	ناعوم	ناحوم
٢٤٨	٧	هارات	حاران
٢٥٠	٢٠	وقريبة	قريبة

صفحة	سطر	الخطا	الصنوايع
٢٥٢	٥	اب ام	ايام
٢١٤	١٦	الت ي	التي
٣٠٣	١٠	فؤاد	قواد
٣١١	٢	شيزرة	شيزر
٣١٢	٧	الموجوديين	الموجودين
٣٢٥	٨	بابداهية	بالبدية
٣٣٩	٢	وقربع	وقربع
٣٤٠	٢	رهظا	رهظا
٣٤٠	٥	الحزم	الجزم
٣٤٠	٨	ابولبا	ابولبا
٣٥٢	٣	ليروى خير	ليروى خير
٣٦٣	١٥	نقس	نقص
٣٦٥	٧	مسرّح	مسوح
٣٧٩	١٢	المطجود	الموجود

أعمال الأستاذ الدكتور حسن حبشي

- ★ نور الدين والصليبيون (حركة الافاقة الاسلامية في القرن الثاني عشر) - نشر دار الفكر العربي .
- ★ الحرب الصليبية الاولى - دار الفكر العربي .
- ★ أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس (الجستا) مترجم عن اللاتينية - نشر دار الفكر العربي .
- ★ الشرق العربي بين شقى الرحى (دراسة تاريخية عن حملة لويس التاسع على مصر والشام) - نشر دار الفكر العربي .
- ★ أهل الزمة فى الاسلام لترتوتون - نشر دار المعارف ودار الفكر وهيئة الكتاب .
- ★ زنجبار (من ١٨٩٠ - ١٩١٣) - نشره دار المعارف .
- ★ رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر - نشره دار المعارف .
- ★ مذكرات جوانفيل عن القديس لويس مع دراسة تاريخية مطولة بقلم المترجم - نشره دار المعارف .
- ★ تاريخ مسلمى اسبانيا لدوزى (العصبيات القبلية) - نشره دار المعارف .
- ★ الجزائر عبر التاريخ (مع اساتذة بعض الجامعات ، نشره معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة) .

☆ ~~الصلبية الصليبية~~ (مترجم عن الفرنسيه العديمه)
نشره مركز كند، الشرق الأوسط .

☆ حوليات دمشقية (لمؤرخ شامى مجهول) - مكتبة الانجلو
المصرية .

☆ الاحتكار في العصر المملوكى - حوليات جامعة عين
شمس .

☆ انباء الهصر للجوهري الصيرفي - دار الفكر العربى .

☆ مضمار الحقائق لمحمد بن عمر بن شاهنشاه - نشره عالم
الكتب .

☆ نزهة النفوس والأبدان للصيرفي (٤ مجلدات) - نشره
مركز تحقيق التراث (بدار الكتب المصرية)

☆ الحروب الصليبية لوليم الصوري (٤ مجلدات نشرته
هيئة الكتاب .

☆ مذكرات فلهااردوان (عن الحرب الصليبية الرابعة) -
نشره المجلس العلمى بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

Fifteenth Century Crusade Against Egypt (1959). (*)

☆ انباء الغمر لابن حجر العسقلاني (٤ مجلدات) - نشره
المجلس الأعلى للشئون الاسلاميه بوزارة الأوقاف -
مصر .

☆ المسلمون في الأندلس لدوزى (٣ مجلدات) - نشره هيئة
الكتاب .

The Egyptian Expeditions Against Castellrosso (*)
and Rhodes.

★ الكسياد للأميرة أنا كومنيننا (مجلدان)

★ فلسطين في ظل الحكم الاسلامى الى سترانج (مجلدان)
التاريخ بين المؤرخين المسلمين والصليبيين .

★ A Transition Period in Antioch between
1090 and 1118 A.D.

★ البقاعى (ابراهيم بن حسن) : عنوان الزمان فى تراجم
الشيوخ والأقران فرع مركز التراث بدار الكتب المصرية
من اعداد الجزء الأول منه ويتلوه خمسة أخرى .

★ البقاعى : المعجم الصغير (فى مجلدين) .

★ البقاعى : اظهار النصر لأمراء العصر (ذيل على انباء
الغمر لابن حجر) فى ٤ مجلدات من مسودة المؤلف .

★ ابن الحنبلى ، در الحجب فى تاريخ أعيان حلب ، مئى سبعة
مجلدات روجع على نسخة أصلية منه بخط المؤلف .

★ ابن حجر العسقلانى وتلاميذه : دراسة تاريخية له
ولأربعة من تلاميذه .

★ أحداث صنعت التاريخ (عرض لتسعة أحداث كبرى
فى الشرق والغرب) .

★ العصر الطوكى : دراسة اجتماعية .

★ الرحمة المهداة (عرض جديد للسيرة النبوية الطاهرة)

مجلدان (أذيعت بإذاعة مكة والرياض في ٢٥٦ حلقة) .

★ ميراث الرسول (دراسة عرضية للعالم منذ الهجرة

الشريفة ، وقد أذيعت أصلاً في إذاعات السعودية) .

★ سير الصحابة (وتذاع في إذاعات مكة و جدة والرياض

باسم قصة اسلام صاحبي) في عدة أجزاء .

★ الفتح المبين (وقد أذيعت حلقاتها بإذاعات السعودية

تمثيلية عن مكة حتى أنعم الله عليها بالاسلام) .

صدر في هذه السلسلة

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ
د. عبد العظيم رمضان
- ٢ - علي ماهر
اعداد : رشوان محمود جاب الله
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة
اعداد : عبد السلام عبد العظيم عامر
- ٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة
د. محمد نعمان جلال
- ٥ - غارات أوربا على الشواطئ المصرية في العصور
الوسطى
عليه عبد السميع
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ج ١
لمعى المطيعي
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي
د. عبد النعم ماجد
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية
د. علي بركات
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل
د. محمد أنيس

- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الإفريقي
د. خالد الكومى
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية
د. يونان لبيب رزق
- ٣٥ - اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة
عبد الحميد توفيق زكى
- ٣٦ - المجتمع الاسلامى والغرب ج ٢
ترجمة : د. احمد عبد الرحيم مصطفى
- ٣٧ - الشيخ على يوسف
تأليف : د. سليمان صالح
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادية والاجتماعى في
العصر العثمانى
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم
- ٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان
د. جميل عبيد
- ٤٠ - الاسلحة الفاسدة ودورها في حرب ١٩٤٨
د. عبد المنعم الدسوقي الجمعى
- ٤١ - محمد فريد الموقف والمأساة
رفعت السعيد
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور
محمد شفيق غريال
- ٤٣ - رحلة في عقول مصرية
ابراهيم عبد العزيز

٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر
العثماني
د. محمد عفيفي

٤٥ - الحروب الصليبية ج ١
ترجمة : أ.د. حسن حبشي

٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٦ : ١٩٥٧
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمر

٤٧ - تاريخ القضاء المصري الحديث
تأليف : أ.د. لطيفة محمد سالم

٤٨ - الفلاح المصري
تأليف : د. زبيدة عطا

٤٩ - العلاقات المصرية الاسرائيلية
تأليف : د. عبد العظيم رمضان

٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
تأليف : د. سهرير اسكندر

٥١ - تاريخ المدارس في مصر الإسلامية
اعداد : د. عبد العظيم رمضان

٥٢ - مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في
القرن الثامن عشر

تأليف : د. الهام محمد علي ذهني

٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك
د. محمد كمال الدين عز الدين علي

- ٥٤ - الأقباط في مصر في العصر العثماني
تأليف : الدكتور محمد عفيفي
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢
ترجمة وتحقيق : د. حسن حبشي
- ٥٦ - المجتمع الريفي في عصر محمد علي
د. حلمي أحمد شلبي
- ٥٧ - مصر الإسلامية وأهل الذمة
د. سيدة اسماعيل كاشف
- ٥٨ - أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة
د. إبراهيم عبد الله المسلمي
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية في مصر
د. عبد السلام عبد العظيم عامر
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية
عبد الحميد توفيق زكي
- ٦١ - تاريخ الإسكندرية
د. د. عبد العظيم رمضان
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٣
لمسى الطيمى
- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبد العصور
اعداد : د. عبد العظيم رمضان
- ٦٤ - مصر وحقوق الانسان
د. محمد نعمان جلال
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية
د. سهام نصار

- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي
د. نريمان عبد الكريم أحمد
- ٦٧ - الأصول التاريخية لمساعي السلام العربية الاسرائيلية
أ. د. عبد العظيم رمضان
- ٦٨ - الحروب الصليبية ج ٣
ترجمة وتحقيق : أ. د. حسن حبشي
- ٦٩ - نبوة موسى ودورها في الحياة
د. محمد أبو الأسعاد
- ٧٠ - أهل الذمة في الاسلام
أ. د. حسن حبشي
- ٧١ - مذكرات اللورد كليرين
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمر
- ٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية
لمصر في العصر الفاطمي
أمينة أحمد امام
- ٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة
د. رؤوف عباس حامد
- ٧٤ - تاريخ الطب والصيدلة
د. يحيى سمير الجمال
- ٧٥ - أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول
د. سلام شافعي محمود
- ٧٦ - دور التعليم في مصر
د. سعيد اسماعيل علي

- ١٠ - توفيق دياب ملحة الصحافة الحزبية
محمود فوزى
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية
شكري القاضي
- ١٢ - هدى شعراوى وعصر التنوير
د. نبيل داغب
- ١٣ - اكدوبة الاستعمار المصري للسودان
د. عبد العظيم رمضان
- ١٤ - مصر فى عصر الولاة
د. سيدة اسماعيل كاشف
- ١٥ - المشرقون والتاريخ الاسلامى
د. على حسنى الخربوطلى
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر
د. حلمى احمد شلبي
- ١٧ - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى
د. محمد نور فرحات
- ١٨ - الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية
د. على السيد محمود
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين
د. احمد محمود صابون
- ٢٠ - المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى
د. محمد انيس
- ٢١ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ١
توفيق الطويل

- ٢٢ - نظرات في تاريخ مصر
جمال بدوى
- ٢٣ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ج ٢
توفيق الطويل
- ٢٤ - الصحافة الوفدية
د. نجوى كامل
- ٢٥ - المجتمع الاسلامى والغرب
ترجمة : د. عبد الرحيم مصطفى
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى في مصر الحديثة
د. سعيد اسماعيل علي
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ج ١
ترجمة : محمد فريد أبو حديد
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ج ٢
ترجمة : : محمد فريد أبو حديد
- ٢٩ - مصر في عهد الاخشيديين
د. سيدة اسماعيل كاشف
- ٣٠ - الموظفون في مصر
د. حلمى أحمد شلبي
- ٣١ - خمسون شخصية وشخصية
شكرى القاضى
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٢
لمى الطيعى